محمد المنوني

مظاهر يقظة المغرب الحديث

الجزء الأول



منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة

مظاهر يقظة المغرب الحديث

تأليف

محمد المنوني

الجزء الاول

مطبعة الامنية الرباط

جميع الحقــوق محفوظة

الطبعة الاولى

ذو الحجة 1392 — ينـايـر 1973

كلمة افتتاحية

شهد مغرب القرن التاسع عشر م حركة تجديدية ولو أنها محدودة ، وساهم فيها ـ الى جانب أولياء الامور ـ طبقات شعبية متنوعة .

وسيعنى هذا الجزء الاول بتقديم ما طالت اليه اليد من ملامح هذه الحركة ، دون أن أبخس أيا من الاطراف المساهمة نصيبها من المشاركة فى وضع اللبنات الاولى للمغرب الجديد .

وقد كان دور الحكم ـ فى هذه الفترة ـ يهدف الى محاولات لادخال اصلاحات حديثة على أوضاع المغرب ، نظير الواقع فى تركيا والشرق العربى .

وهكذا مست الاصلاحات الرسمية الجهاز الادارى ، والدفاع ، والاقتصاد ، والمواصلات .

وواكب هذه البارقة انبعاث فى دراسة الرياضيات والفلك والفنون العسكرية ، واتجهت بعثات مغربية للدراسة بمصر او اوربا ، وانبثق عن هذا وذاك بزوغ تجارب فى الترجمة الى العربية ، وظهور ابتكارات لعديد من الإجهة الفلكية ، وصنفت مؤلفات رياضية أو فلكية اقتبست من النظريات الحديثة ، كما أن الطباعة العربية دخلت الى المغرب لاول مرة .

ومن جهة أخرى لمع انبعاث ـ من طراز آخر ـ فى صفوف العلماء ، وتمثل فى تأثر أفراد منهم ببعض معطيات المعارف الجديدة ، كما اضطلع آخرون بالكتابة ضد الامتيازات الاجنبية ، ولفائدة تنظيم الجيش أو الادارة ، وتارة للدعوة الى الجهاد ، وفى الوقت نفسه بدأت الصحافة العربية فى

الظهور بالمغرب ، وساهــم الادباء — من جهتــهم — فى اذكاء مسيــرة الانبعاث ، واخيرا : برزت طلائع المعارضة الشعبية .

ومهما كانت العوامل التى أدت الى فشل هذه المحاولات الرسمية أو الشعبية ، فانها جديرة بتسجيل ملامحها ، وتجلــية مظاهرها ، بعد أن ظل اكثرها مغمورا بالمرة .

×❋×

وهذا ما حفزنى الى الاهتمام بهذا الموضوع بالذات ، حيث سبق أن نشرت اقتباسا منه في المجلات المغربيــة ، وعلى العموم فقــد تركت هذه الاقسام في صياغتها القديمة ، غــير اني نقحتها وعدلت بعض ترتيباتها ، وأضفت لها زيادات تناهز نصف هذا الجزء الاول ، ثم نسقت ذلك كلــه تنسيقا تاليفيا متكاملا .

وقد حرصت فى هذه الدراسة أن لا أتوسع فى شرح بعض النقط التى نشرت من طرف مؤلفين سابقــين ، واكتفيت بالاشارة لهــا والاحالة على مصدرها .

وبالنسبة الى المعلومات الجديدة وهى اكثر مواد هذا الجزء ، تتبعت البحث عنها — جهد الامكان — فى الخزائن العامة والخاصة ولدى عدد من الافراد ، ومن خلال بعض النقوش والكتابات الاثرية ، وتوسعت فى عرض حصيلة ذلك كله ، وعند الاقتضاء : اثبت النص الوجيز أو البسيط بمجموعه، سواء فى ذلك الوثائق أو النصوص الاخرى ، حتى يخرج الباحث بالنتيجة المرضية ، ويطلع على المستندات التى تهمه ، والله — سبحانه — الملهم للصــواب .

تحريرا بالرباط ، فى يوم الجمعة : 24 شوال عام 1392 هـ، الموافق 1 دجنبر سنة 1972 م.

المؤلف

تصميم الكتاب

ستعرض هذه الدراسات معطيات الانبعاث المغربي في أيامه الاولى : من احتلال الجزائر عام ١٢٤٥ هـ — ١٨٣٠ م، إلى فرض الحماية على المغرب عام ١٣٣٠ هـ — ١٩١٢ م.

وللتمهيد الى الموضوع يكون من المفيد البدء بمدخل يحلل الحالة التي صار اليها المغرب في النصف الاول من المائة الميلادية التاسعة عشرة، وبعد هذا تاتي ملامح هذه اليقظة في ثلاثة ادوار :

الاول : من احتلال الجزائر الى موقعة تطوان عام ١٢٧٦ هـ — ١٨٦٠ م .

الثاني : من حرب تطوان الى وفاة الوزير أحماد عام ١٣١٨ هـ — ١٩٠٠ م .

الثالث : يمتد من التاريخ الاخير إلى عام ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م

وسيتناول هذا المجلد الاول مدخل الدراسة، لياتي بعده الدور الاول فالدور الثاني .

حالة المغرب في النصف الاول من القرن التاسع عشر م.

الى اوائل القرن الثالث عشر الهجري الموافق أواخر القرن الثامن عشر الميلادي كانت دول الغرب لاتزال تحفظ المغرب هيبته ، لما تعلم من قوة أساطيله فى البحر، واستحكام دفاعه في البر، ولم تنس أوربا ان المغرب استطاع ان يحرر أكثر ثغوره، ويطرد عنها الاجنبي ، وآخر ذلك مدينة الجديد التي حررها المغاربة من يد البرتغال عام ١١٨٢ - ١٧٦٨ . أي فى خلال القرن الثامن عشر الميلادي الذي ازدهرت فيه حضارة أوربا .

وكانت دول الغرب التي تستفيد من المياه المغربية دأبت على ان تؤدي للمغرب ضريبة سنوية ليستديم الصلح بينها وبين المغرب فى البحر ، وقد استمرت السويد والدانمارك على أداء هذه الضريبة، حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري.

وسبب ذلك كله ان كثيراً من معدات الحرب وسائر وسائل الحياة كانت متقاربة في الجملة ، وكانت مدنية أوربا لاتزال لم تخرج كثير من نظرياتها العلمية وأعمالها التجريبية الى المجال العملي وحيز التطبيق، فلذلك لم يظهر قبل القرن الثالث عشر الهجري كبير تفوق للغرب على غيره .

حتى اذا حل القرن التاسع عشر م أخذت المدنية الغربية تأتي ثمراتها،فاستخدمت القوة البخارية ، والقوة الكهربائية، وتوصلت بهما الى مخترعات كثيرة ، وعظيمة، قلبت الاوضاع، وقربت الابعاد، ورفعت مقام الغرب عالياً .

لم يقتبس المغرب أول الامر من هذه المدنية ، شأنه في ذلك شأن سائر العالم الاسلامي الذي وقف كله حذراً من هذه الحضارة الجديدة التي رءاها تدشن بانقضاض الغرب على الشرق : هذه جنود نابليون بونابرت تهاجم مصر والشام وتحتلها، بينما انجلترا تتوغل فى الهند ، والادهى من هذا وذاك ان دولة الاسلام العظيمة دولة آل عثمان تشتبك منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري مع روسيا في سلسلة حروب تخرج منها الدولة العلية وقد انفصلت منها أجزاء لصالح روسيا.

ومع هذا كله فيا ليت العالم الاسلامي ابتدأ إذ ذاك يأخذ من حسنات مدنية أوربا ، ولو فعل لتغير مجرى تاريخ هذه المدنية ، ومجرى تاريخ الشرق كله ، ولكن

المسلمين لما وقفوا من هذه المدنية موقف الحذر ولم يأخذوا بها ، انقلبت عليهم شراً مستطيراً لايبقي ولايذر . وقد وصف هذه الحالة بعض الكتاب الكبار (١) في العبارات التالية :

«... لهذا شقي الشرقيون المسلمون في أول أمرهم بالحضارة الغربية شقاء بالغاً ، وذاقوا من الاتصال بها بلاء شديداً ، حتى لم يقو الجميع على احتمالها ، فأخذت نواحي الحياة الشرقية تتهدم الواحدة تلو الاخرى ... ولاتكاد تمر العشرات الاولى من سني القرن التاسع عشر، حتى يبدو للناس أن الشرق الاسلامي سائر حتما الى الزوال» .

وكان نصيب المغرب من شرر هذه المدنية التي تتطاير على من لم يأخذ بها ، ان اضطر السلطان سليمان لان يمنع المغاربة من التجارة لاراضى الغرب ! (٢)

كارثة الاسطول المغربي

والادهى من ذلك ان هذا السلطان اضطر لان يحل الاسطول المغربي المتيد ! ففي عام ١٢٣٣ - ١٨١٧ منع رؤساء الاسطول المغربي من الجهاد في البحر ، ووزع بعض قطعه على الايالات المجاورة للمغرب مثل الجزائر وطرابلس، والباقي أنزل منه المدافع وغيرها من آلات الحرب ، وأعرض عن أمر البحر رأساً ، بعد أن كان الاسطول المغربي أكثر وأحسن من أساطيل الجزائر وتونس (٣).

ماالذي حمل المولى سليمان على اتخاذ هذا القرار الخطير الذي ترك شواطيء المغرب مكشوفة ليس لها من أسطول يحميها ؟ هل حب العزلة بلغ به الى هذا الحد؟ كلا... بدون شك هناك سبب قاهر هو الذي دفع به للاقدام على هذا العمل البالغ الغاية في الخطورة، وليس ذلك الا ضغط ماكر من بعض الدول التي ضاقت بالاساطيل العربية العتيدة ، فصارت تستعمل مختلف الوسائل لتدميرها : مرة باسم منع القرصنة ، ومرة بهجوم سافر عليها ، حتى تبقى الشواطيء التي تقلق بال هذه الدول مكشوفة ،

---

١) هو الدكتور حسين مؤنس في كتابه : «الشرق الاسلامي والعصر الحديث» ص ١١٤ - ١١٥.

٢) الاستقصا الطبعة المصرية - ج ٤ ص ١٥١.

٣) المصدر ج ٤ ص ١٥١

ولاجل ان نقتنع بوجود هذا الضغط العنيف على سلطان المغرب، نسوق أمثلة للمؤامرات التي كانت تبيتها طائفة من الدول الكبار للقضاء على الاسطول الاسلامي أينما كان بالشرق أو المغرب :

جاء في «كتاب الجزائر» للاستاذ احمد توفيق المدني : (١)

«قرر مؤتمر «ايكس لاشابيل» في ٣٠ سبتمبر ١٨١٨ - [١٢٣٤] : الغاء القرصنة. وسافر وفد انجليزي فرنسي الى الجزائر ليقنع الباشا بوجوب العدول عن تلك الحرب البحرية . الا ان كل المحاولات ذهبت عبثاً ، وأصر حسين علي أنه يستمر على حربه البحرية مع كل دولة لاتتعاقد معه بمعاهدة، وفي ١٢ جويلية ١٨٢٤ جاء الاسطول الانجليزي لمحاربة الجزائر ، واستمرت الحرب الى يوم ٢٩ جويلية، ولم يستطع الانجليز ان ينال من حصون الجزائر أو أسطولها اي منال فقفل راجعاً».

واذا كانت انجلترا اندحرت في هذه المرة أمام الاسطول الجزائري، فقد نجحت الى حد بعيد بعد هذه الموقعة بأعوام ثلاثة فقط في إغراق سائر الاسطول العثماني العتيد.

ففي عام ١٢٢٣ - ١٨٢٧ - إبان ثورة اليونان على الدولة العلية - بينما الاسطول العثماني وأساطيل الولايات التابعة للخلافة : مصر، وطرابلس، وتونس، والجزائر. راسية للاحتراس بالسواحل اليونانية قبالة أساطيل الدول المعاضدة لليونان تحت قيادة الاميرال الانجليزي : في هذا الوضع ، ومن غير اعلان بالحرب ، ورد الاسطول الانجليزي على الاسطول العثماني في صورة المعاضد، لان السلم كان متأكداً بين الدولتين، ولم يكن بينهما شائبة حرب بالمرة ، وأشارت الاساطيل بعضها الى بعض بعلامات السلم، فلم تلبث ان تخللت بين الاساطيل العثمانية ، حتى اذا تم تمكنها منها أطلقت عليها النيران من جميع الجهات في آن واحد، مع شدة الالتحام والتداخل، والمسلمون في حالة الدعة اعتماداً على السلم المحقق ، فهلكت جميع تلك الاساطيل وغرقت في البحر دفعة واحدة بمن فيها .. (٢)

وبعد هذه الحادثة التي لاتحتاج الى تعليق، لانعدم شواهد أخرى تثبت تضايق

١) الطبعة الاولى - ص ٤٢

٢) انظر «صفوة الاعتبار، بمستودع الامصار والاقطار» تأليف الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي ج ٤ ص ٤٣ وج ٥ ص ٥٥، مع «تاريخ الدولة العلية العثمانية» تأليف محمد فريد بك ص ٢١٧ - ٢١٨.

هذه الدولة ومن على شاكلتها من الاساطيل الاسلامية، وتقيم بعض العذر للمولى سليمان فيما أقدم عليه. وستجد ذلك هذه المرة في موقف الانجليز والالمان من الاسطول العربي في عمان وزنجبار والبحرين :

ففي عام ١٢٢٤ - ١٨٠٩ تمكنت «شركت الهند الانجليزية» من إرسال أسطول الى عمان ليحارب بعض العرب بتهمة القرصنة.

وكرر الانجليز عملهم فى عمان مع طوائف أخرى من العرب وصفوهم بالقرصان.

ومن عام ١٢٧١ - ١٨٥٤ صارت أنجلترا تصارح بحقيقة مقاصدها. وهى أنها لاتطيق أن ترى على ثبج البحر مقاتلا واحداً ان لم يكن تحت رايتها .

وكانت نهاية مأساة هذا الجزء من الشرق العربى ان هدم الانجليز والالمان دولة زنجبار، كما هدموا دولة عمان، ودمروا أسطولها، كما دمروا أسطول البحرين(١).

فهذه بضعة شواهد ناطقة بمدى خطورة الغارة التي شنتها بعض دول أوربا ضد الاساطيل الاسلامية شرقاً ومغربا.

ومما يكشف عن المؤامرة المدبرة ضد الاسطول المغربي بالخصوص مأساة هذا الاسطول أيام السلطان المولى عبد الرحمن خلف المولى سليمان.

فقد تجاهل السلطان الجديد المؤامرة المبيتة، وأصدر قراره عام ١٢٤٣-١٨٢٧ بإنشاء بعض القراصين لتضم لما كان قد بقي من عهد جده السلطان سيدي محمد بن عبد الله، واذن لرؤساء البحر بالعدوتين فى الخروج فيها، فخرج الرئيسان الحاج عبد الرحمن بركاش والحاج عبد الرحمن بريطل وغنموا بعض مراكب النمسا لما لم يكن معها رخصة العبور ...

فماذا كانت نتيجة هذا القرار الذي تجاهل فيه سلطان المغرب نيات أوربا؟ كانت النتيجة ان تعرضت إحدى موانيء المغرب لهجوم قطعة من الاسطول النمساوي الذي ضرب عام ١٢٤٥ - ١٨٢٩ مرسى العرائش وأنزل جنوده للبر لتحرق أسطول هذه المرسى، وعلى الرغم من صد المغاربة لهذا الهجوم بقوة، وطردهم للمهاجم، فقد تدخلت انجلترا مع المغرب حتى انتهى الامر بما طالما تمنته هذه الدولة وأصدقاؤها من جعل

---

١) توجد تفاصيل عن مأساة هذا الاسطول العربي في «حياة الشرق» لمحمد لطفي جمعه ص ٨٦ - ١٠٢.

حد لنشاط الأسطول المغربي (١) .

وقد علق مؤرخ المغرب الناصري (٢) على هذا الهجوم النمساوي وبين الظروف التي حل فيها الاسطول المغربي وقال :

واعلم ان هذه الوقعة هي التي كانت سبباً في اعراض السلطان المولى عبد الرحمن عن الغزو في البحر، والاعتناء بشأنه، فانه ـ رحمه الله ـ لما أراد احياء هذه السنة صادف إبان قيام شوكة الفرنج، ووفور عددهم وأدواتهم البحرية، وصار الغزو في البحر يثير الخصومة والدفاع، والتجادل والنزاع، ويهيج الضغن بين الدولة العلية ودولة الاجناس الموالية لها، حتى كاد عقد المهادنة ينفصم، وأكد ذلك اتفاق استيلاء الفرنسيين على ثغر الجزائر، فوجم السلطان رحمه الله، واعمل فكره ورويته، فظهر له التوقف عن أمر البحر رعياً للمصلحة الوقتية، ولقلة المنفعة العائدة من غزو المراكب الاسلامية، وانضم الى ذلك إعلان الدول الكبار من الفرنج مثل الأنجليز، والفرنسيس : بأن لاتكون المراكب الا لمن يقوم بضبط قوانين البحر التي يستقيم بها أمره، وتحمد معها العاقبة، وتدوم بحفظها المودة على مقتضى الشروط، ومن مهمات ذلك ترتيب القناصل بالمراسي التي تريد الدولة دخول مراكبها اليها وتجارتها فيها أي دولة كانت، ومن هذه المهمات ماقد لايساعد الشرع او الطبع مثل الكرنتينات ومايترتب عليها، الى غير ذلك مما فيه هوس كبير، فاشتد عزم السلطان رحمه الله على ترك مايفضي الى ذلك وتأكد لديه إهماله لتوفر هذه الاسباب ... » هذا تعليق «الاستقصا» على هذا الحادث الشنيع، وهناك جانب خطير في المؤامرة ضد الاسطول المغربي يشير له المؤرخ ابن زيدان (٣) ويعلق به على حل هذا الاسطول في العبارات التالية :

« وحدثني من وثقت بخبره انه لما بويع المولى عبد الرحمن علق بعض الاجناس المجاورين للايالة المغربية الاعتراف بسلطنته على أبطال القوة البحرية فامتنع، وبعد مراجعات وقع الاتفاق على بناء الابراج بثغر الرباط. فأمر ببناء برج السراط، وبرج السقالة، وبرج الدار، وبرج القصبة، والسقالة.

ثم ان المترجم هو الذي أمر على وجه السر بتغريق الاسطول البحري المغربي لامر أوجبه.

---

١) راجع الاستقصا ج ٤ ص ١٨٣ ـ ١٨٤

٢) في المصدر نفسه ج ٤ ص ١٨٤

٣) الاتحاف ج ٥ ١٥٣ ـ ١٥٤

ولم يبين المؤرخ ابن زيدان « الأمر الذي اوجبه » وحقيقته ان فرنسا انتهزت فرصة انهزام المغرب في « موقعة ايسلي » ففرضت على سلطانه ان يلغي من البحر القراصين المغربية، وتحت هذا الضغط العنيف لم ير سلطان المغرب بـدا من ان يبادر فينزل بالاسطول المغربي نهايته الشنيعة (١)

وهذا يفيدنا أيضا تاريخ ذلك الحادث المشؤوم، وانه كان اثر معركة ايسلي الواقعة عام ١٢٦٠ - ١٨٤٣.

هكـذا يختفي الاسطول المغربي من الوجود بعد تاريخ مجيد، ومـاض حافل بجلائل الاعمال، ملىء بثايات البطولة والشجاعة المثالية.

وهكذا تنجح المؤامرات الدنيئة في القضاء على قوة المغرب البحرية بعد ما قضت وستقضى على قوات بحرية اخرى في مختلف بقاع العالم الاسلامي

ابتدىء بحل هـذا الاسطول ايام المـولى سليمان، ثم اجهز عليه نهائياً ايام السلطان المولى عبد الرحمن، بعد ما كان الى عهد قريب جدا يغالب اساطيل الغرب فيغلبها! (٢) فما السر في هـذا التقهقر المفـاجىء الذي جعل اسطول

---

١) توجد هذه الحقيقة في مذكرات للطاهر بن محمد ابن عبد السلام ابن الحاج الاودي احد أفراد البعثة الحسنية. اطلق عليها اسم : «الاستبصار» «نسخة خاصة»

٢) مثال لذلك : «المعركة البحرية» التي دارت علي شواطىء طرابلس الغرب بين الاسطول المغربي والاسطول الامريكي أوائل القرن التاسع عشر م. حيث انتصر فيها الاسطول المغربي !

ففي عام ١٨٠٣ - ١٢١٨ وجهت امريـكا اسطولها الحربي لحصار «طرابلس» التي كانت سفنها تضر بالسفن الامريكية في ذلك الحين، فهب المغرب لنصرة القطر الشقيق، وسار الاسطول المغربي يسابق الرياح، ويطير بأجنحة النسور والعقبان، لكون سفنه كانت خفيفة، جامعة بين الشراع : «القلوع» والمجاذف، فكانت قوة سيرها مضاعفة، فسبق الاسطول الجزائري عن نجدة اخوانه الطرابلسيين، وما كاد الاسطول الامريـكي يصل الى طرابلس حتى اعترضه الاسطول المغربي فقطعه عنها، وابلى بلاء حسنا. فلم تمر الا هنيهة حتى صيره على وجه الماء !

ولما بلغ ذلك مسامع امريـكا بعثت عمارة أخرى الى طرابلس، ولـكن لقيها الاسطول المغربي ثانيا فبدد تلك العمارة الامريكية. ودام النضال بين الاسطولين زمنا الى سنة ١٨١٥ - ١٢٣١، حيث صار لامريكا أسطول قوى لا يستهان به، فركن الطرفان للمسالمة، وربط المعاهدة الودادية.

=

المغرب العتيد يستسلم لنهايته الشنيعة دون حرب ولا قتال ؟ السبب واضح : انه الشرارة الاولى من المدينة الغربية تطير على المغرب فتقضي على أسطوله. وفي الامر أيضاً درس قاس للمغرب الذي لم يأخذ بالصالح من هذه الحضارة الغربية، لان من طبيعة هذه المدنية انها تقضي على كل من لم يأخذ بأسبابها سيما من كان جاراً قريباً لها مثل المغرب.

سمع خير الدين التونسي (١) بعض أعيان اوربا يقول ما معناه.

«ان التمدن الاورباوي تدفق سيله على الارض، فلا يعارضه شيء الا استأصلته قوة تياره المتتابع، فيخشى على الممالك المجاورة لاوربا من ذلك التيار الا اذا حذوه، وجروا مجراه في التنظيمات الدنيوية فيمكن نجاتهم من الغرق».

مـاسـاة الجزائـر

وكارثة ثانية او شرارة اخرى تطير على المغرب فتكون أكبر من سابقتها : انها هجوم فرنسا على الجزائر الشقيقة عام ١٢٤٦ ـ ١٨٣٠، ثم تدخل المغرب تدخلا مسلحاً لنصرة الجارة القريبة دون جدوى عام ١٢٦٠ ـ ١٨٤٤.

تلك المصيبة أنست ما تقدمها　　　وما لها مع طول الدهر نسيان

فماذا كانت نتيجة هذا الحادث الجلل بالنسبة المغرب ؟ كانت ابعد مما يتصور، واكثر من ان يحيط بها وصف.

ظهر للملاء مدى الضعف والفوضى التي صار اليها الجيش المغربي في هذا العهد المظلم، بعد ما كان الاوربيون لا يزالون ينظرون له نظرتهم يوم كان يحرر الشواطيء المغربية ويغالبهم فيغلبهم، حتى اذا كانت موقعة ايسلي انكشف المرض الذي نزل بهذا الجيش، فانهزم ـ لاول لقاء ـ جنوده البالغون ثلاثين الف جندي، امام الجيش النظامي الذي لم يكن يتعدى ـ فيما يقال ـ ثمانية آلاف جندي فقط.

ومن اهم اسباب هذا التأخر الذي طرأ على الجيش المغربي، عدم اخذه بالانظمة الحديثة التي كان خصمه متوفراً عليها. وكان هو على الضد من ذلك، حتى

= من مقال المؤرخ المغربي الكبير محمد بن علي الدكالي السلوى نشره في جريدة «المغرب» عدد ممتاز رقم ٣٤٦ السنة الثالثة

١) ذكر هذا في كتابه : «اقوم المسالك، في معرفة احوال الممالك» ص ٥٠

ان قائد الجيش الفرنسي المارشال بيجو لما اشرف على الجيش المغربي من عل قال : «ليس هذا جنداً، انما هو غوغاء» من كثرة ما كان عليه من الفوضى والضعف (١).

وصاحب الاستقصا (٢) هو الآخر لم ير بدا من أن يسجل على الجيش المغربي هذه الظاهرة المؤلمة في العبارات التالية :

«... فالحاصل ان جيش مغربنا اذا حضروا القتال وكانوا على ظهور خيولهم فهم في تلك الحال مساوون في الاستبداد لامير الجيش، لا يملك من امرهم شيئاً، وانما يقاتلون هداية من الله لهم، وحياء من الامير، وقليل ما هم، وقد جربنا ذلك فصح، ففروا عن السلطان المولى سليمان فى وقعة ظيان اولا، وفي وقعة الشراردة ثانيا، وكان السلطان المولى عبد الرحمن اهيب في نفوسهم منه، فكانوا يلزمون غرزه، لكنه لما بعثهم الى تلمسان فعلوا فعلتهم، وسلكوا عادتهم، ولما شهدوا مع الخليفة سيدي محمد ابن عبد الرحمن وقعة ايسلي جاءوا بها شنعاء غريبة في القبح ...»

ويفيد هذا النص ان انحطاط الجيش المغربي انما ظهر ابتداء من ايام المولى سليمان، وهو العهد الذي اخذت تتبدل فيه احوال المغرب نتيجة لتغير الاوضاع فى اوربا.

ونتج احتلال الجزائر وضعف المغرب عن نصرتها ان أصبح المغرب المنيع الجناب بالامس القريب، يعيش في هذا العهد المظلم تحت تهديد مستمر لاستقلاله، فمن مشاكل الحدود التي تثار في كل مناسبة، الى اغتصاب لبعض اجزائه : من فرنسا تارة واسبانيا اخرى، (٣) الى تدخلات لاحد لها فى شؤون المغرب الداخلية، الى اثارة قلاقل، وخصوصاً بالمغرب الشرقى، بل كاد المغرب يفقد استقلاله نهائياً عقب موقعة ايسلي لولا التنافس الدولي الذي عاش في ظله استقلال المغرب حتي اوائل القرن العشرين.

واذا اردنا ان نستخلص مقدارا ما اصاب البلاد في كارثة الجزائر وسابقتها : نجد المغرب اصبح فاقدا قوتـه البحرية، مضيعاً هيبة جيشه البرى، مهددا استقلاله من طرف الجار الاوربى القريب، فماذا تبع هذا الوضع المقلق؟

---

١) «كتاب الجزائر» ص ٥٣.

٢) ج ٤ ص ٢١٩

٣) من امثلة هذا استيلاء اسبانيا على الجزائر المغربية الثلاثة الواقعة على ساحل الابيض المتوسط ، شرق مدينة مليلية وهى المعروفة «بالجزر الجعفرية» وذلك عام ١٨٤٨ ـ ١٢٦٦.

نشأ عن ذلك كله ان فتحت أبواب مراكش للاوربيين بعدما كانت مغلقة في وجوههم الا في أحوال خاصة ، فأخذوا يتسابقون لاكتساب النفوذ فيها ، وكثر ترددهم عليها بالتجارات أولا ، ثم بعد ذلك بالمشروعات، الامر الذي نشأ عنه عواقب وخيمة سياسيا واقتصاديا ، وقد تبسط صاحب الاستقصا (١) في شرح هذه العواقب الاقتصادية وقال :

« وفي سنة إحدى وستين ومائتين والف أخذت السكة في الارتفاع .... ولما أخذت السكة في الارتفاع أخذت الاسعار في الارتفاع أيضاً ، وحاول السلطان ـ رحمه الله ـ حصرها فلم تنحصر، وعلة ذلك ـ والله أعلم ـ أنه لما وقع مع الفرنسيين هذا الصلح ـ وهو الواقع بعد معركة ايسلي ـ واسقط السلطان عن الاجناس ما كانت تؤديه ، كثر خطارهم وتجارهم بمراسي المغرب ، وازدادت مخالطتهم وممازجتهم لاهله وكثرت تجارتهم في السلع التي كانوا ممنوعين منها، وانفتح لهم باب كان مسدوداً عليهم من قبل ، فظهر أثر ذلك في السكة وفي السلع ، أما السكة فلان سكتهم كانت هي الغالية ، وهي أكثر رواجا من سكة المغرب، فلا بد أن يكون الحكم والتأثير لها، والتجار يعتبرون فيها من الفضول والارباح الناشئة عن تغاير القطرين مالا يهتدي اليه غيرهم من العامة . وتبعهم على ذلك تجار المسلمين ، وأما السلع فلان تجار النصارى يغالون في أثمانها اكثر من غيرهم كما هو مشاهد.

ثم مادامت بلاد الفرنج مترقية في التمدن وحسن الترتيب واتساع الامن والعدل، الا وسككنا وأسعارنا دائمة الترقي في الغلاء على نسبة كثرة المخالطة واتساع مادة البيع والشراء، فتأمله ، والله الموفق» .

هكذا يشرح صاحب الاستقصا الخطر الذي خيم على الاقتصاد المغربي في هذا العهد، ويجعل ذلك نتيجة لانفتاح أبواب المغرب إثر وقعة ايسلي ، ونتيجة أيضاً لتقدم أوربا وتأخرنا .

تدهور الاقتصاد المغربي

وخطر آخر أصاب الاقتصاد المغربي في الصميم لما وقع في أوربا اختراع المناسج الميكانيكية التي تنسج بدون واسطة اليد ، فقد أخذت منسوجات هذا الاختراع

(١) ج ٤ ص ١٩٨ .

الجديد تدخل المغرب في اواخر دولة السلطان المولى سليمان، ثم تكاثرت مع مر الزمن حتى قضت على المناسج المغربية اليدوية التي لم تتطور اذ ذاك بكل أسف.

وقد استطاع الغربيون ان ينسجوا على غرار المنسوجات المغربية لما وقع بيد تجارهم بالمغرب الملحم : الحم ، والمقصر المصنوعان بسلا والرباط ، فبعثوه الى بلادهم ونسجوا على منواله فجاء ألطف من المغربي، وأخف، وأرخص ثمناً. وأقل كلفة، فراج في مدن المغرب من حينئذ ، ويقال : أن أول مثال نسج عليه الافرنج : الصنفان المعروفان بالمزراية والكتان. ذهب به بعض تجار سلا من رؤساء البحر بها الى بلاد أوربا آخر دولة السلطان المولى سليمان ، فإن هذا التاجر ذهب بالملحم المقصر، والحم، ورجع ببدلها من منسوجات الافرنج.

ومن هذا الوقت أخذت صناعة القطن والكتان تضعف شيئاً فشيئاً ، ويجلب من بلاد الافرنج ما يستغنى به عما يصنعه المغاربة ويزهد فيه لرخص الافرنجي واطافته، بعدما كانت هذه الصناعة على غاية من الازدهار بالمغرب ، فان معامل القطن والكتان وطرازاتها بعدوتي سلا والرباط ـ فقط ـ كانت تكاد ان لا تحصى كثرة، ولما تقهقر أمرها في أيام المولى سليمان ومابعده من أيام المولى عبد الرحمن. كانت الطرازات التي بقيت في سلا فقط دون الرباط ستمائة معمل (١) .

ومـا أصاب هذه الصناعة أصاب باقي الصناعات المغربية الاخرى التي تقدمت عند الغرب وبقيت على حالها عندنا.

وكان من نتيجة هذا الغزو الاوربي للصناعات الوطنية، ان افتقر أهلها وضعف حالهم، ونزل بالمغاربة ضرر كبير بدفع مافي أيديهم من النقود، والاحتياج الى الاجنبي في الملبوسات والمصنوعات وغير ذلك .

وفي هذا الصدد يقول خير الدين التونسي في كتابه الجليل «أقوم المسالك، في معرفة أحوال الممالك» (٢)

«... ولايخفى مـايلحق الامة بذلك ـ عدم مجاراة المدنية النافعة ـ من الشين، والخلل في العمران ، وفي السيـاسة ، أما الشين فبالاحتياج للغير في غالب الضروريات

(١) «الاتحاف الوجيز، بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز» تأليف المؤرخ المغربي محمد بن علي الدكالي السلوي المتقدم الخزانة العامة بالرباط رقم ٤٢ D ١٣٢٠ D.

(٢) ص ٧ ـ ٨

الدال على تأخر الامة في المعارف . وأما خلل العمران فبعدم انتفاع صناع البلاد باصطناع نتائجها الذي هو أصل مهم من أصول المكاسب ، ومصداق ذلك مانشاهده من أن صاحب الغنم منا ومستولد الحرير وزارع القطن مثلا يقتحم تعب ذلك سنة كاملة ، ويبيع ما ينتجه عمله للافرنجي بثمن يسير ، ثم يشتريه منه بعد اصطناعه في مدة يسيرة باضعاف ما باعه به ، وبالجملة فليس لنا الآن من نتائج أرضنا الا قيمة موادها المجردة ، دون التطورات العملية التي هى منشأ توفر الرغبات منا ومن غيرنا . ثم اذا نظرنا الى مجموع مايخرج من المملكة وقايسناه بما يدخلها، فإن وجدناها متقاربين خف الضرر ، واما إذا زادت قيمة الداخل على قيمة الخارج فحينئذ يتوقع الخراب لامحالة. وأما الخلل السياسي فإن احتياج المملكة لغيرها مانع لاستقلالها، وموهن لقوتها، لاسيما اذا كان متعلق الاحتياج الضروريات الحربية التي لو تيسر شراؤها زمن الصلح لايتيسر ذلك وقت الحرب ولو بأضعاف القيمة ، ولاسبب لما ذكرناه الا تقدم الافرنج في المعارف الناتجة عن التنظيمات المؤسسة على العدل والحرية ، فكيف يسوغ للعاقل حرمان نفسه مما هو مستحسن في ذاته ، ويستسهل الامتناع عما به قوام نفعه بمجرد أوهام خيالية. واحتياط في غير محله .

ومما يحسن سوقه هنا قول بعض المؤلفين من الاوروباويين في السياسات الحربية : ان الممالك التي لاتنسج على منوال مجاوريها فيما يستحدثونه من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية، يوشك ان تكون غنيمة لهم ولو بعد حين، وخص التراتيب الحربية لانها موضوع كتابه، الا فالواجب مجاراة الجار في كل ماهو مظنة لتقدمه سواء كان من الامور العسكرية او من غيرها.

الطور الاول

1860 = 1276 1830 = 1245

رأينا كيف اصطلحت الاحداث الجسام على هذا المغرب ، وكيف ترادفت عليه الهزاهز حتى كانت كارثة الجزائر.

ان هذه الكارثة اطلعت المغرب بصفة خاصة على مدى التأخر والانحطاط الذي وصل اليه الجيش المغربي — الباقي على وضيعته القديمة — أمام الجيش الاوربي المنظم والمسلح على أحدث طراز ، كما أن هذه الكارثة خلقت للمغرب جاراً قويا لاحد لاطماعه التوسعية

وأيضاً أوجبت على المغرب ان يعين ويفك الجـارة الاسيرة ، وهكذا خلق احتلال الجزائر ارتباكا في النفوس ، وبلبلة في الافكار ، تمخضاً عن ظهور حركة انبعاث جديد، ويقظة في البلاد كانت النواة الاولى، والحجرة الاساسية للوطنية المغربية الحديثة .

ان هذه اليقظة سيبتنا ولها هذا البحث — ان شاء الله — ويدرس مختـلف مظاهرها في الفترة الواقعة بين احتلال الجزائر واحتلال المغرب، أي من عام ١٢٤٥ ـ ١٨٣٠ الى عام ١٣٣٠ ـ ١٩١٢.

وكما أشرت له سابقاً، فقد مر هذا الانبعاث بثلاثة أطوار : بدأ ضعيفاً ومحدوداً في الطور الاول الذي يبتديء من احتلال الجزائر الى موقعة تطوان عـام ١٢٧٦ ـ ١٨٦٠، ثم اخذت هذه النهضة توتي ثمراتها من حادثة تطوان حتى وفاة الوزير أحماد عـام ١٣١٨ ـ ١٩٠٠، وهذا هو الطور الثاني، وفيه كان النشاط الحكومي أظهر من النشاط الشعبي ، على خلاف الطور الثـالث الذي ينتهي عند إعلان الحماية عام ١٣٣٠ ـ ١٩١٢ فقد كان النشاط الشعبي فيه أظهر من العمل الحكومي.

يقظة شعبية

ونبدأ الآن بالطور الاول الذي يمتاز بأنه لم تنجز فيه أعمال تذكر، شأن الحركات الاولى، وإنما وجد فيه شيء من اليقظة الشعبية أخذت تبدو في غير مامناسبة .

ولم تتخذ هذه اليقظة شكل حزب وطني ، وإنما كان هناك بعض مؤلفين يثبون أفكاراً يقظة في مؤلفاتهم، وكان أيضاً شعراء وخطباء يذيعون تلك الافكار التي كانت تهدف الى المطالبة بتجديد الجيش المغربي، وتنادي بالجهاد لتحرير الجزائر.

الكردودي 1268 — 1851

ونجد في مقدمة شخصيات هذا الطور : محمد بن عبد القادر بن أحمد الكلالي الشهير بالكردودي الفاسي مؤلف كتاب : «كشف الغمة» ببيان حرب النظام حق على هذه الامة». ولنرى بعض أفكار المؤلف وروحه اليقظة نورد فقرات من هذا الكتاب، وهو يقول في أوله : (١)

« أما بعد فإني لما رأيت أسباب الجهاد قد أهملت ، وءالاته قد أغفلت ، وليله

---

١) ص ٢ — ٣

اعتم بعد ان كان مقمراً . ونهاره أظلم بعد أن كان نيراء وغصنه ذوى بعد ان كان مورقاً ، وحسنه انطفأ بعد أن كان مشرقاً ، ورأيت العدو الكافر دمره الله وأهلكه، وظفر أيدي المسلمين بجميع ماملكه ، قد استولى على مملكة الجزائر ، وقهر كل ذي سطوة فيها من ملك أو ثائر ، بحروب على هيئة مخصوصة ، وصفوف كابنية مرصوصة، ثم مد يد عزمه، وكشف عن ساق حزمه، لقتال أهل المغرب الاقصى، وأخذ ثغوره التي لايعد فضلها ولايحصى، فتوجه لقتاله جيش لامعرفة له بحقائق الحروب وأوصافها، ولا علم عنده بتفاصيل انواعها واصنافها . ومن كان منهم ببعض ذلك عارفاً ، كان له الجبن او ضعف الايمان عن مباشرة القتال صارفاً ، بل انهزموا جميعاً عند اللقاء، واستبدلوا السعادة بالشقاء ، وجروا على الاسلام ذيل العار ، فاستوجبوا عقوبة الدنيا وعذاب النار . فإنا لله وإنا اليه راجعون، لعظيم ما نحن به مصابون.

على مثل هذا يقتل المرء نفسه وبحلو له مر الممات ويعذب

حملتني الحمية الدينية ، والغيرية الاسلامية، على ان وضعت هذا الكتاب ، الجامع لمحاسن اللباب، المشتمل على صفة الحروب واسبابها، وموجبات الظفر والهزيمة وءادابها، مع ماتتوقف عليه من الشورى والعدة والشجاعة، واحوال الجند التي بها ينتظم عقد الجماعة، الى غير ذلك من حكم ووصايا، وحض في ميادين الهيجاء على احتساء كؤوس المنايا..»

ومن افكار هذا الكتاب في تنظيم الجيش : ما جاء في الباب الاول بعد ان قرر ان مرجع الحرب الى نوعين : نوع بالزحف صفوفاً، ونوع بالكر والفر قال : (١)

«وقد اعتنى الروم لوقتنا هذا بأمر الصفوف وبالغوا في ترتيبها وتسويتها بما لا مزيد عليه، فجعلوا في المقدمة صفوفاً اربعة او خمسة : صفاً وراء صف تتخللها مدافع كبار ، وفى الساقة والجناحين مثل ذلك ، والخيالة وراء الصفوف مما يلي القلب، وملئوا القلب بالرجال والاثقال، والجميع كبكبة واحدة، رسنها بيدواحد في القلب، يتكلم معهم في بوق ، او يقرع الطبل على هيأة يفهمون منها مراده ، فيصدر الكل عن رأيه . فإذا التقى الجمعان رمى اهل الصف الاول المقابل للعدو رمية رجل واحد، ثم يجثون على الركب فيرمي من ورائهم كذلك، وهكذا فيصير الرمي متتابعاً لاينقطع. وبندق الرصاص يقع كالمطر الوابل. وهم في اثناء ذلك يرمون بالمدافع الكبار. فإذا رأت الخيل فرصة في عدوها اخترقت الصفوف لانتهازها، ثم تعود لمحلها .

١) ص ٦

والمبالغة في تسوية الصف وإقامته، لا تجد واحداً منهم خارج الصف فتختطفه خيل العدو ، فإذا سقط واحد من الصف الاول مثلا خـلفه من الصف الذي قبله ، وخلف هذا واحد من الذى قبله، وهكذا الى ان يصل ذلك الى الاخير فيخلفه واحد من القلب ، ويحمل الساقط من هو معين لحمله لاغيره ، فيجعل في كراريط الموتى ان كان ميتاً ، او الجرحى ان كان جريحاً ، وكل هذا محافظة على إقـامة الصف وتسويته، وترتيب الجيش على هذه الصفة هو المسمى بالنظام... ثم قتال الزحف بالصفوف هو الذى دل الـكتاب والسنة عليه» .

ومن صفحات الكتاب التقدمية تحدثه ـ في ذلك العهد : عهد السلطان المولى عبد الرحمن ـ عن قيـام النظام البرلمـاني في اوربا وتركيا ليلوح من وراء هذا الى المطالبة بإقامة هذا النظام بالمغرب ، ذكر هذا في الباب الخامس اثناء حديثه عن الشورى وقال : (١)

« قلت والروم لعهدنا، وكذلك الترك فيما يبلغنا، قصروا الشورى على اربعين رجلا فلايبرم امر عندهم الا ان صدر عن رايهم واشارتهم،وتسمى هذه الجماعة بالكرطي»

وهذا الكتاب وضعه مؤلف باسم السلطان عبد الرحمن، وطرز طالعته بذكره، ورتبه على عشرة ابواب وخاتمة، وهو مطبوع على الحجر بفاس في ص، ١١١ راجع ترجمة المؤلف في «السلوة»(٢).

ابن عزوز أواخر القرن ١٣هـ

يوجد بالخزانة العامة بالرباط رقم D ١٦٢٣ طرف من رسالة مخطوطة منسوبة لابن عزوز ؟ الذى الفها للسلطان عبد الرحمن وسماها : «رسالة العبد الضعيف الى السلطان الشريف»، وموضوع هذه الرسالة في تنظيم الجيش المغربي. افتتحها بعد خطبة قصيرة بقوله يخاطب الملك المغربي :

« اما بعد فلاشك ان غرضك السديد . وتدبيرك المفيد . تعلق بالعسكر . واراد جمع الجيش الاكبر . مع علم سيدنا ايده الله ان العسكر يحتاج الى التهييء لما لابد له منه. فحينئذ يقبض ويجمع على الهيأة المخصوصة له. والقانون الذى عليه مداره.

---

١) ص ٤٦

٢) ج ٢ ص ٣٣٣

وها أنا ارتب لك ذلك في هذه الرسالة، وارجوا به الفوز يوم القيامة، بشفاعة جدك صاحب العمامة، صلى الله عليه وءاله وسلم عدد الرياح الذارية، والامطار النازلة، ونفصل له اربعة فصول : الاول في ذكر التهيىء له، والثاني في كيفية جمعه وكيف يجمع من المدائن والقرى البوادي، وربما أشير الى بعض المسائل من تعلمه مع اختصار، والثالث في كيفية تهيئه وسفره لقتال العدو وصفة القتال، والرابع اذكر فيه توبيخ بعض امراء الحوز، وبعض امراء الجند، واذكر فيه من يليق ان يتولى امر العسكر حال جمعه وسفره وتهيئه لقتال العدو اذا وجد وتوفرت فيه الشروط الاتية»

وقال في الفصل الثاني :

«اعلم أيها المنصور بعون الله، المجاهد في سبيل الله المخاص الاعمال لله، ان النصارى ملكوا جزائر، وسبوا نساءها، واخذوا اولادها، وغنموا أموالها، فلم يكفهم ذلك، وانتشروا في ساحتها حتى وصلوا إلى .وهران، وتلمسان، وام عسكر، ومغنية، وتافنة، وغير ذلك من المدائن القريبة منها والبعيدة عنها، فغرسوا الاشجار، واكلوا الثمار وشيدوا البنيان، واتسعوا في الاوطان، وركبوا الخيول، وقتلوا الفحول، وعجبتهم أنفسهم، وفرحوا بكثرتهم، وغلظت شوكتهم، تجاسروا على القريب مهنم والبعيد عنهم،وطمعوا في هذا المغرب وفي الوصول الى مدينة فاس، التي هي دار ملكك ومحل حكمك وولايتك، فوجب عليك ـ نصرك الله ـ التهيىء لهم، وجمع العساكر لقتالهم»

والموجود في هذه الرسالة تقع في ١١ ص ، ويقف اثناء الفصل الثاني.

والغالب أن مؤلفها هو الامام الحكيم عبد الله ابن عزوز القرشي المعروف عند العامة بسيدي بلة المتوفي بمراكش اواخر القرن الثالث عشر، والمترجم بكتاب «السعادة الابدية، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية» (١)

التسولي 1258 = 1842

وممن يحق ان يذكر في صف المصلحين في هذا الطور: ابو الحسن علي بن عبد السلام التسولي المدعو مديدش المتوفى عام ١٢٥٨ فقد ضمن جوابه

---

١) ج ١ ص ٩٢ ـ ٩٦

«البسيط» (١) الذي اجاب فيه عن الاسئلة التي رفعها — الى علماء فاس — محيى الدين الامير عبد القادر الجزائري عدة توجيهات وافكار تتناول واقع الحياة اذ ذاك بالمغرب. ومما كتبه بخصوص تنظيم الجيش (٢) :

«... ولذلك قالوا يجب على الامام ان يهتم بامور الجهاد فيأمر كل قبيلة بتعلم الحروب والتدريب، وان رأى ان يعين من كل قبيلة مائة او اكثر تتعلم الحروب مهيئة نفسها لكلمة الامير، وتكون تلك المائة من الوجوه الذين لا يولون بالادبار، وعند كل خمسة اشهر ونحوها يامر بالضرب بين يديه بمرءا منه، فمن رءاه منهم كثير الاصابة والتدريب احسن اليه، وقربه لديه. وهكذا حتى يعرف من كل قبيلة ابطالها وشجعانها، فيعينهم حينئذ للاستنفار : الامثل فالامثل، ومن وجده من القبائل لم يعتن بما امره به من تعلم الحروب اهانها واهان قائدها ولامهم على مخالفة امره، ولا يتكل في اختيارهم على غيره، فينتظم الامر حينئذ، فإذا احتاج الامير الى اقامة جيش لفجأ العدو ونحوه اقامه في ساعة واحدة من الابطال، لأنهم مكتوبون عنده في الديوان من كل قبيلة، ولا يحتاج حينئذ الى فريضة الحراك، لأنهم اذا وكلوا لفرضهم لا يحركون الا اوباش الناس الذين اذا قاتلوا العدو ولوا الادبار، فيفسد الامر، ويختل الملك، وربما كانوا لا يفرضون الحركة الا بعد انتهاز العدو في المسلمين الفرصة».

ومما ورد في هذا الكتاب في موضوع الدفاع عن الجزائر (٣)

«تنبيه اذا نزل عدو الدين بأرض الاسلام او قريباً منها مريداً الدخول اليها فإن الجهاد فرض عين على اهل ذلك البلد وعلى امامهم، شيوخاً وشباناً، احراراً وعبيداً، بل وان على إمرأة ان كان لها قوة، ولا يتوقف قتالهم للعدو النازل على مشورة الامام، ولا سيما ان بعد منهم، بل وان لم يكن لهم امام تعين عليهم مدافعته ونصب الامام، فإن لم يقدروا (٤) اهل

---

١) للتسولي «جوابان عن الاسئلة الجزائرية» : «بسيط» وهو الذي يقتبس منه هذا البحث. وهو مطبوع على الحجر بفاس. و «وجيز» وهو وارد «بالمعيار الجديد» في موضعين : ج ٣ ص ٤٢ ـ ٤٦ التي ورد فيها على حدة، و ج ١٠ ص ٢٠٥ ـ ٢١٢ حيث ورد مع جواب القاضي عبد الهادي العلوي في المسألة.

٢) ص ٣ ملزمة ٦.

٣) ص ٨ «م٨». — ٤) كذا

ذلك البلد مع امامهم ـ على مقاومة العدو ـ تعين على اقرب الائمة اليهم وعلى رعيته ان يعينوهم، فإن لم تكن فيهم كفاية ومقاومة ايضاً وجب على من والاهم، وهكذا حتى يأتي الوجوب منسحباً على جميع المسلمين .

فقطر الجزائر مثلا حيث لم يقدروا على دفعه لعدم من يضبط كلمتهم، ولعدم وجود القوة منهم ـ بدليل انه يتردد العدو اليهم ويأخذ مدائنهم شيئاً فشيئاً ـ فإنه يجب على من والاهم من ائمة المشرق وائمة المغرب الى سوس الاقصى والى بغداد بل والى الهند مثلا : أن يعينوهم بالجيوش والعدة والمدد، وان عصا من والاه ولم يعن تعين على من والى من والاه وهكذا....»

ذلك بعض ما ورد في اجوبة التسولي، هذا التأليف الذي يعد اول مظاهر لليقظة الوطنية بالمغرب الحديث.

ونود الا نترك هذا الكتاب حتى ننقل عنه المرة الاخير خطبة كان انشأها مؤلفه التسولي، ثم خطب بها غب احتلال فرنسا للجزائر، حرض فيها على الاستعداد، ودعا للجهاد، وتثبت محل الحاجة منها كمثال لاحدى مظاهر تلك اليقظة، وكانموذج لصدى احتلال الجزائر فى الجامع المغربية، قال (١) :

«.... فحرضوا انفسكم واشياعكم عليه ـ الجهاد ـ بقلب وقالب وجازم الاعتقاد، واكثروا من الاهبة والنفر اليه وبادروا له بغاية الاستعداد، فإن لم تشغلوهم شغلوكم، وان لم تقاتلوهم قاتلوكم، كيف وهم لكم بالمرصاد.

او لا ترون انهم نزلوا على من بالقرب منكم واستولوا لهم على اعظم الثغور، وصارت تخلى رعباً منهم المنازل والقصور، ويقتالون لهم الرقاب والاموال والاولاد، فانظروا ايدكم الله لانفسكم، فإن فساد الكفر لا يعدله فساد، يبث له الشرك والتثليث وينسخ كلمة التوحيد، ويمحي اثر قائلها من الارض والبلاد، او لا تتيقنون أن الله سبحانه أمرنا بالغلظة عليهم والتقوى وكثرة الاستعداد، او لا تعلمون أن الله وعدنا بالنصر عليهم وهو سبحانه ان وعد بشيء لا يخلف الميعاد، فقال جل من قائل: «ان تنصروا الله ينصركم»، وقال: وليجدوا فيكم غلظة»، وقال: «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة»، وقال : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة»، وقال: «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم»، وقال : «وقاتلوا المشركين كافة»، وقال: «ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله لذين جاهدوا منكم» أي أحسبتم ان تتركوا فلا تومروا بالقتال في

---

١) ص ٢ ـ ٣ «م» ٨

الجهاد و لا تمتحنوا ليظهر الصادق في ايمانه من الكاذب ويتميز كل على الانفراد، وقال : «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين» اي لنعاملنكم معاملة المختبر بأن نامركم بالقتال في الجهاد حتى يتبين الصابر على دينه من غيره ونظهر اخباركم للحاضر والباد.

فتنبهوا أيدكم الله فانكم بهذه الآيات القرآنية المخاطبون، وبالاحاديث المصطفوية المقصودون، اذ بيدكم الحل والعقد، والرعية فى طوعكم فكيف بأمرها بالجهاد تبخلون، وانتم خلفاء الله فى ارضه فكيف على دينه لا تغيرون، أأمنتم مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون، أاتخذتم عند الله عهداً فأنتم عليه متوكلون، أم تعتقدون أن كفاركم اليوم لا يقصدونكم بالقتال والجلاد، أم تقولون نحن اشتغلنا اليوم بجهاد انفسنا ورعيتنا وبالخدمة على الاولاد، والنبي عليه وءاله الصلاة والسلام انما بعثه الله مجاهداً، وفى هذا العرض الادنى زاهداً، مقتنعاً باليسير، وهو يستعد لعدوه الاستعداد الكبير، فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون، واذا لم تهتدوا به فبمن تهتدون، وإذا لم تشمروا عن ساق الجد فى هذه البرهة ففي اي وقت تشمرون، واذا لم تستعدوا في هذه الفسحة فتى تستعدون، افلا تتذكرون ان الله سبحانه امرنا بالذهاب اليهم وقتالهم في اراضيهم، فكيف ان قدموا الى برنا هذا بالبغى والفساد، ام لنا براءة استثنانا الله تعالى بسببها من عموم دعوة الجهاد، فالجهاد فريضة عين على من نزل بهم عدو الدين، فإن لم تكن فيهم كفاية او لم تجتمع لهم كلمة فعلى الذين يلونهم، وهكذا الى ان تحصل الكفاية ولو اتصل ذلك من مثل المغرب لبغداد، او غير ذلك من الافاق الحاضر والباد.

فأيقظوا انفسكم من وسن الغفلة، وانتهزوا من العدو الفرصة ما دامت منكم فسحة الاستعداد، قبل ان يتفاقم الهول ويحق القول ويسد الباب، ويحق العذاب، وتسترق بالكفر الرقاب، ويحصل الفوت بسبب الازدياد، فإنكم ان لم تستعدوا فهم لكم بصدد الاستعداد، والوقوف لكم بالمرصاد، ولا تتكلوا على ما يخبركم به ضعفاء العقول من وفائهم باستمرار العهود، وعدم نقضهم للميثاق المعقود، فإن ذلك كله مردود، اذ لا ميثاق ولا عهد لاعداء الدين واهل الفساد، ونحن لانعتبر عهودهم وشهادتهم بالاضافة اليهم فكيف نعتبرها بالنسبة الينا باجماع اهل العلم والاجتهاد»

راجع ترجمة التسولي في السلوة (١).

---

١) ج ١ ص ٢٣٨.

محمد ابن ادريس 1264 = 1847

أما الشخصية الرابعة من رجال اليقظة في هذا الطور فهو الوزير الشهير محمد ابن محمد بن ادريس العمروي الفاسي المتوفي عام ١٢٦٤ — ١٨٤٧.

له عدة قصائد في الدعوة الى الجهاد لانقاذ الجزائر من ذلك قوله :

يا اهل مغربنا حق النفير لكم … الى الجهاد فما في الحق من غلط
فالشرك من جنبات الشرق جاوركم … من بعد ما سام اهل الدين بالشطط
فلا يغرنكم من لين جانبه … ما عاد قبل على الاسلام بالسخط
فعنده من ضروب المكر ما عجزت … عن دركه فكرة الشبان والشمط
فواتح المكر تبدو من خواتمه … فعنده المكر والمكروه في نمط
واتم القصد لا تبقن في دعة … ان السكون الى الاعدا من السقط
من جاور الشر لايعدم بوائقه … كيف الحياة مع الحيات في سفط
قد يغبط الحر في عز يخلده … وليس حي على ذل بمغتبط (١)

ومن ذلك ايضاً قصيدته النونية المسماة : «سرية النصر، لاهل هذا العصر» تحتوي على مائتين وعشرين بيتاً يقول في أولها :

فرض على كل مسكين وسلطان … حمل السلاح على عباد اوثان
فحمله شرف عال ومفخرة … خص الاله بها اعز عبدان
لاشيء أحسن من صوت السلاح على … الاعناق في طاعة المولى ورضوان
فهو الوسيلة في نصر الاله لكم … ونصرة المصطفى اجل عدنان
وليس يجحد فضل حمله ملك … وليس يأنف عنه كل خاقان
به نبيكم الالاه شرفه … بحمله لامتثال امر رحمان
به ازيلت لهذا الدين غربته … وطار صيتاً به بكل بلدان
والانتهاء كالابتداء قاعدة … في الفقه مقروة في كل ديوان (٢)

ومن اشعاره في الموضوع : القصيدة الطنانة التي انشدها عندما استولت فرنسا على مدينة تلمسان، وأولها :

---

١) الاستقصا ج ٤ ص ١٩٦ مع «الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية» المشرفي مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ١٤٦٣.

٢) «الحلل البهية في تاريخ الدولة العلوية».

يا ساكني الغرب الجهاد الجهاد ... فالكفر قد شاركم في البلاد
والشرك قد نصب اشراكه ... مستعبداً بكيده للعباد
ويا حماة الدين ما صبركم ... والمشركون يطلبون البداد
ما هذه الغفلة عن ضدكم ... وانتم في الحرب أسد الجلاد
ان بني الاصفر اعداؤكم ... اطمعهم نومكم في السواد
ويا اباة الضيم هل نهضة ... تسربل الكفر ثياب الحداد
قوموا لنصر دينكم قومة ... تحطم اهل الشرك حطم الجداد
اين بنوا العرب الذين لهم ... قدم صدق في جهاد الاعاد
واين اهل البر من بربر ... ومن لهم في الدين بيض أياد
واين من حاز النهي والتقى ... ومن له في الله حسن اعتقاد
واين اهل الدين قاطبة ... وسادة الناس الصلاب الشداد
واين سكان الحواضر مع ... اهل الداشر واهل العماد
اين الجبال وقبائلها ... اهل البسائط واهل الوهاد
كم وقعة تتلى لاسلافكم ... بألسن المدح لنا وتعاد
فأين ما اعددتم لهم ... من قوة الرمي وسبق الجياد

الى ان يقول :

واسطة المغرب قد حازها ... والامر جد والبلا في ازدياد
حوى الجزائر ووهرانها ... وراع حاضراً بذاك وباد
مصائب صبت على معشر ... يبكي من الاشفاق منها الجماد
يكاد يقضي المرء من حرها ... على حشاه ، وتذوب الصلاد
اخوانكم دينا وجيرانكم ... اضحوا رعايا الشرك بين أعاد
سامهم هونا ، وأزروا بهم ... في الدين حتى ركنوا لارتداد
وطمعوا فيكم فكونوا يدا ... فإن تثاقلتم فأنتم مراد
قد ملكوا الاحرار من غدرهم ... ودلوا بالكره صعب القياد
من حلقت لحية جار له ... فليسكن لحيته في اعتداد

ومنها :

تذكروا وقعة اندلس ... وأبصروا منها سبيل الرشاد
لتعلموا غدر العدو وما ... رمي به من كل خطب نآد
تحملوا من غدرهم سبة ... امرض حملها القلوب وءاد

ان الخداع عنده سنة	والنكث دينه متى ما اراد
سلوا الجزائر وما قد لقوا	من غدره بعد عهود شداد
لا قرب الرحمن دار امرىء	مال الى الاشراك يوماً وماد...

ومنها :

ءاه على الاسلام قد ضعفت	انصاره بعد قوى واشتداد
ءاه على مساجد رجعت	بعد الصلاة خان خمر وناد
ءاه على صوامع ابدلت	بعد الاذان نقر ناقوس صاد
ءاه على مدارس اصبحت	بعد دروس العلم مأوى الوغاد
ءاه على مكاتب قد خلت	وعادها بعد النفاق الكساد
ءاه على حواضر وقرى	وجنة للكفر فيها مراد
ءاه على الابكار قد اصبحت	بعد الصيانة دواعي فساد
ءاه على الحرم قد هتكت	ولم يغر لهتكها ذو فؤاد
ءاه على ثغور عز غدت	بعد التبسم كساها الحداد
اما لاهل الدين من واعظ.	أما لاهل العقل من ذي رشاد
يا ايها الناس اتقوا ربكم	وجاهدوا فى الله حق الجهاد (١)

الى آخر هذه القصيدة الطويلة التي بلغ عدد ابياتها ١١١ بيتاً.

راجع ترجمة هذا الشاعر فى الاتحاف (٢) والاعلام (٣).

محمد غريط 1280 = 1863

هو الوزير محمد بن محمد بن عبد الله غريط المكناسي ثم الفاسي المتوفى عام ١٢٨٠هـ. وهو الخامس من رجال هذه اليقظة المباركة، له اشعار فى واقعتي الجزائر وتطوان، وهذا نص القصيدة التي أنشأها بعد احتلال تلمسان :

مالي ارى جفن أهل الغرب وسنانا	من بعد ما أخذ الرومي تلمسان
كأنهم ما دروا ماذا يريد بهم	عدو دينهم لا نال امكانا

---

١) عن نسخة من هذه القصيدة ءاخر مجموع مخطوط بالخزانة الثانية بالرباط رقم D ١٣٨٨ مع تصحيحها على النسخة المطبوعة، منها بفاس بذيل «كشف الغمة» المتقدم الذكر

٢) ج ٤ ص ١٨٩ - ٢٣٩

٣) ج ٥ ص ٢٦٣ - ٢٩٢

ولا على فعله في دفـتر وقفوا — بأهل أندلس يا بيس ما كانا
لا عذر للمسلمين في التكاسل عن — جهـاده حسبة منهم وايمـانـا
أين الكماة الحماة ما لهم رقدوا — والكفر في اخذهم ما زال يقظانا ؟
ايـن الابـاة لمس الضيم ماالهم — اليه لم ينفروا رجلا وركابنا ؟
كأن اهـل جزائـر وغيرهم — ليسوا لنـا باعتبـار الدين اخوانا
كأن ما هم به من الهوان على — من قد عداهم من اهل الدين قد هانا
يا معشر المسلمين استيقظوا وخذوا — من العدا حذركم سرا واعلانا
فليس يومن غدرهم وان بعدوا — فكيف اذ اصبحوا للحد جيرانا
ان لم يفاجئه من تلقائكم مدد — يمد نحوكم للكيد اشطـانا
ويستـهشـهم ظـنـاً بـأنكم — كمن له شيمة اضحوا واخذانا
فجددوا عـزمكم على قتالهم — واستخلصوا منهم قـــرى وبلدانا
تلك الجهات بها الاسلام يندبكم — لتهدمـوا بيعـا بها واوثـانا
وتنقذوا اهلها من العـدو فقد — اراهم من شنيع المكر ألوانا
والدين اوجب أن نسعى لنصرتهم — بالنفس والمـال اشياخاً وشبانا
والله منا اشترى نفوسنا كرما — بجنة جمعت حـوراً وولدانا
وكم وكم ءايـة في حضنـا وردت — على الجهاد فما اقـل جدوانـا
وكم وكم مـن حديث في فضائله — يصـير الجبنـا النكاص شجعانا
موتوا كراماً فإن الحر يأنف من — معيشة تـــدع الحليم حيرانا
لا موت افضل من موت الجهاد لمن — يرجـو من الله رحمـة ورضوانا
ان تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا — ولتخلعوا في ابتغاء القـوم ارسانا
اخونكم قبل ـ مع نزور عدتهم ـ — غزوا ، وخلوا من الكفار اوطانا
وكم لهم في جهاد الشرك من اثر — املى بـــه الناس ديوانا فديوانا
ولستم بـأقــل منهم عـدداً — فكيف منـكم يرى العـدو اذعانا
كونوا صلابا على أهل الصليب فلا — ديـن لمن لعدو دينـه لانا
وليس يعطي الدنية الكريم ولو — اضحى لنـار عدو الدين قربانا
وكل ذي همة يستعذب الموت في — ما يرفع القدر في الدارين والشانا
بيعوا نفوسكم واغزوا عدوكم — كي بصفقة من لم يغز خسرانا
وشمروا، وانهضوا، وسارعوا، وعلى — جلاده اخوة كونـــوا واعوانا

ما قصر العمر اقدام على خطر ... ولا أنال الخلود الجبن انسانا (١)
ولهذا الشاعر ترجمة في الأتحاف (٢)

محمد بن الشيخ سيدى الشنجيطي 1284 = 1867

الى جانب الآثار اليقظة المقدمة ـ يكون من الطريف ان يسجل هذا البحث انه في هذا «الطور الاول» اخذ يظهر في شنيجط ايضاً نوع من الانبعاث يرمي الى الدعوة للاستعداد لمقاومة التوسع الاستعماري، ونستطيع ان نجد صدى هذا الانبعاث عند الاديب الشنجيطي محمد بن الشيخ سيدي ابن المختار بن الهيب الابييرى ثم الانتشائي المتوفي عام ١٢٨٤هـ، فقد كانت قصيدته الآتية : صرخة داوية لايقاظ النفوس من سباتها، ودعوة صارخة للاستعداد لمقاومة كل تعد.

والقصيدة طويلة ومن منتخباتها قوله :

تـرانـا عـاكـفين على المغاني ... لفرط الشوق نندبها حيارى
اسارى لـوعـة وأسى نـنـادى ... وما يغنى النداء عن الاسارى
ولــو في المسلمين اليوم حـــر ... يفك الاسر او يحمي الذمارا
لفكوا دينهم وحموه لمـــا ... اراد الكافرون به الصغارا
حمـــاة الدين ان الدين صارا ... اســـيرا للصوص وللنصارى
فإن بادرتموه تـداركوه ... والا يسبق السيف البـــدارا
بأن تستنصروا مـولى نصيراً ... لمن والى ومن طلب انتصارا
مجيباً دعـــوة الداعي مجيرا ... من الاسواء كل مـــن استجارا
وان تستنفروا جمعاً لهـامـا ... تغض بـــه الساسب والصحارى

وبعد ما افاض في وصف هذا الجيش قال :

فمن يــــك هكذا يحي حميدا ... ويستحلى بموطنـــه القرارا
ومن لا فالممات بـــه جدير ... ولو للنار بعد المـــوت صارا
فيا للمسلمين لها امـــور ا ... لهـا الاكباد تنـفطر انفطـارا
تهاونتم بموقعها ومـــا ان ... تهاونتم بها الا اغـــترارا :
لصوص لا تخاف البأس منكم ... ولا العقبى فترضى ان تدارا . . .

---

١) ذيل «كشف الغمة» المتقدم مع نسخة مخطوطة من القصيدة .
٢) ج ٤ ص ٢٤٨ ـ ٢٥٤

 وروم عـايـنـوا في الدين ضعفا / فراموا كلما رامـــــوا اختبارا
فـأن انتم سـعيتم وانـتـدبتم / برغم منهم ازدجروا ازدجارا
وان أنتم تكاسـلـتم وخـمتم / برغم منكم ابتدروا ابتدارا
فألفـوكم - كما يبغون - فوضى / حيارى لا انتداب ولا ائتمارا
ومـــــا ظنوا لعظم - جاروه / كسارى - بعد هيضته انجبارا
وقالـوا : ان للفرس انتهازا / وثاروا كي ينالـوا منه ثارا
ولم اعـرف وسوف ترون عما / قليل : صبح ليلكم استنارا :
مهى حور المـــــدامع عاطفات / تخوض بها القراقـــــير البحارا
اذا التفتت لجانبها تـــــلاقت / — حذار الموج — لوحا او دسارا
اثن كانت مراكبها المهارى / وان كانت مراودها القفارا
تلطمـهـا العلـوج على خـدود / كسى الوانها الفرغ اصفرارا

وقد اطال في وصف الحالة المؤلمة التي يتوقعها لهؤلاء ثم قال :

فيا للمسلمين لمــــــا دهاكم / الى كم لا تردون الحوارا
اجيبوا داعي المـــــولى تعالى / او اعتذورا وان تجدوا اعتذارا
اجيبوه بـذنـــيــــاكم تعزوا / وتدخروا مـــــن الاجر اذخارا
فإحدى الحسنيين لكم اعدت / حمالة قادر حـــــاز اليسار
بجنة اشـــــترى منكم نفوسا / وما لا يارباً حكم تجارا (١)

الى آخر هذه القصيدة التي يبلغ عدد ابياتها ١٠٩ .

وهذا قاضي طنجة محمد بن عبد القادر الكردودي سالف الذكر ، يستنكر تصرفات بعض المحميين والاجانب ، مما دفع احد اليهود ان يعلن بالنيل من الاسلام ، كما أن بعض المسحيين انتهك حرمة جامع نفس المدينة ، وفي هذا الصدد نظم القاضي المغربي قصيدة صارخة ، وكان الذي امدني بها هو حفيد الشاعر : الاستاذ الفاضل المرحوم السيد احمد الكردودي ، وهذا نص القصيدة :

سلام على ارض سلام مـــــودع / اقام بها دهرا على لهب الجمر
سلام عـلى الاسلام فيها واهـله / حماة غريب الدين من صولة الكفر

---

١) القصيدة بطولها واردة «الوسيط» الطبعة الاولى ص ٢٤٨ — ٢٥٤ ضمن ترجمة صاحبها.

سلام عليكم سدد الله رأيكم ... وعاملكم باللطف في السر والجهر
تخذتم بلاد الذل داراً وانها ... وان كملت حسنا تعامل بالهجر
بلاد غدا نور الوجود محمد ... يسب بها جهرا فياله من خسر
وشأن اليهود في حماها معظم ... وحكم النصاري في جوانبها يجري
ومن لشعار الدين اصبح مظهرا ... يقابله الكفار بالهزء والسخر
وفيها امور لوا حاول شرحها ... لضاق نطاق النظم فيها مع النثر
فدين رسول الله فيها كما ترى ... غريب يحن للتعزز والنصر
على غربة الاسلام ابكي تأسفا ... واندب اهلا للمكارم والفخر
فهذه ارض قد صرمت حبالها ... وحولت عنها الرحل متقيّ الشر
وكيف يطيب العيش فيها لمسلم ... ونار غضى الكفار موقدة الجمر
بلاد بفلس لو تيسر بيعها ... لجادت بها نفسي وان كنت ذا فقر
سلامة دين المرء اولى لانها ... دليل على نيل السعادة والخير
وسوف يحيق المكر قطعا باهلها ... وان جنحوا للسلم اذ هم ذوو الغدر
على انني قد قمت فيها بواجب ... وارغمت انفا للعداة ذوي المكر
فعاقبت من بالسب اصبح معلنا ... وفزت وربي بالجزيل من الاجر
ولو كنت فى امري مطاعا قتلته ... ولكنني في تركه بين العذر
وكنت سعيت في تنقل كافر ... الى ارضه عنها بحكم ذوي الامر
وذلك لما ان تجاوز حده ... وحل محلا للعبادة والذكر
مكان رفيع الشان جامع ديننا ... فاكرم به من جامع شامخ القدر
على حالة ساءت نفوسا كريمة ... بحمل سلاح والكلاب على الاثر
ففاض جميع الكافرين صنيعنا ... وسدد سهم الطعن مني في النحر
ونلت ونالوا ما أرادوا ببغيهم ... وقابلت ما تبدي الاعاجم بالصبر
ولست أبالي بعد ما نلت منهم ... بما قد يقال من ملامة او نكر
رجوت بما قد نلته اليوم منهم ... شفاعة خير الخلق فى موقف الحشر
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وءاله والاصحاب طرا مدى الدهر

المحاولات الاولى لتجديد المغرب

الآن ـ وقد انتهى عرض ما طالت اليه اليد من آثار يقظة المغرب الشعبية فى هذا الطور الاول ـ لاننسى ان نسجل انه فى الطور نفسه وعلى عهد جلالة السلطان المولى

عبد الرحمن : بدأت ـ ولو ببطء، وفي نطاق محدود ـ المحاولات الاولى لتجديد المغرب.

ففي هذا الطور بدأت تجربة تنظيم الجيش المغربي على طراز حديث، وانما لم تدرس هذه التجربة هنا وتأخرت للطور الثاني لتتناسق مع المحاولات التي بذلت لتنظيم هذا الجيش من طرف جلالة محمد الرابع وابنه المولى الحسن الاول خلال «الطور الثاني»

شكوى

هذا ولتكن خاتمة حديث الطور الاول اثبات شكوي للسطان المولى عبد الرحمن من الوضعية التى آل اليها المغرب، وقد بث هذه الشكوى خلال قصيدة وجهت على لسانه الى الجانب النبوي الكريم(١)فقد جاء في هذه القصيدة لدى ذكر الامة المغربية ما يلي:

«... واني قد استرعيت منهم رعية — وحملت من اعباء امرهم اصرا
أروم لها التوفيق والرشد والهدى — واجو لها الاسعاد والحفظ واليسرا
وءامل من جدواك كل عناية — ونصراً عزيزاً يهدم الشرك والكفر ..
وقد جاوروا من عصبة الكفر أمة — تريد بنصب الماكرين لها الجرا..
واظهر لها من عز جاهك نصرة — ترد على الاعقاب من سامها ذعرا
وتخلي ديار المسلمين من العدى — وتكسبها من بعد نجسهم طهرا
وتتركهم صرعى بكل ثنية — وتملأها ديناً كما ملئت كفرا

الطور الثاني

1276 = 1860 1318 = 1900

يمتاز هذا الطور بأنه عهد اصلاح وتجديد من طرف الحكومة المغربية، كما يمتاز بأن مركز المغرب فيه ازداد تحرجا وضعفاً بعد حادثة تطوان التي هى مبدأ الطور الثاني، فإن هذه الموقعة ازالت الهيبة عن بلاد المغرب، واستطال الغربيون بسببها، وانكسر المسلمون انكساراً لم يعهد لهم مثله، وكثرت الحمايات التى نشأ عنها ضرر كبير (٢).

وفي هذا الطور بدا واضحاً تدهور الاقتصاد المغربي الذي بقى على وضعيته القديمة

---

١) القصيدة من شعر الوزير محمد بن ادريس العمري المتقدم وهى واردة في «الاتحاف» ج ٥ ص٢٧٢ ـ ٢٧٣

٢) الاستقصا ٤ ص ٢٢٢

امام تقدم اروبا المدهش في التجارة والصناعة. وقد شرح هذه الظاهرة صاحب الاستقصا(١) في العبارات التالية :

«واعلم ان احوال هذا الجيل الذي نحن فيه قد باينت أحوال الجيل الذي قبله غاية التباين، وانعكست عوائد الناس غاية الانعكاس، وانقلبت اطوار اهل التجارة وغيرها من الحرف في جميع متصرفاتهم : لا في سككهم، ولا في اسعارهم، ولا في سائر نفقاتهم، بحيث ضاقت وجوه الاسباب على الناس، وصعبت عليهم سبل جلب الرزق والمعاش، حتى لو نظرنا في حال الجيل الذي قبلنا، وحال جيلنا الذي نحن فيه، وقايسنا بينهما، لوجدناها كالمتضادين،والسبب الاعظم في ذلك ملابسة الفرنج وغيرهم من اهل الاوربا للناس، وكثرة مخالطتهم لهم، وانتشارهم في الافاق الاسلامية، فقلبت احوالهم وعوائدهم على عوائد الجيل وجذبته اليها جذبة قوية» .

هكذا يشرح هذا المفكر الكبير حالة الاقتصاد المغربي في هذا الطور، فاذا اضفنا هذا لما قبله ـ ندرك الحالة السيئة التي ءال اليها المغرب في هذا الطور : سياسيا، وعسكريا واقتصاديا، بينما الدول الاوربية ـ وفي مقدمتها التي يهمها امر المغرب ـ بلغت في هذ الاوان : الاوج في التقدم والرقي.

ومما ينبغي ان يسجل هنا : ان المغرب في هذا الطور اشتد التنافس الدولى حوله، فقد صار موضع اهتمام اربع من الدول الاوربية : اسبانيا وانجلترا وفرنسا والمانيا الحديثة العهد بتوحيدها .

اما اسبانيا فكان اهتمامها بالمغرب راجعا الى الصلة التاريخية القديمة التي كانت تربط بين البلادين، واما اهتمام انجلترا فكان اقتصاديا وحربيا، وكان الاهتمام الاخير منحصرا فى منع اية دولة اوربية قوية من ترسيخ اقدامها في ساحل مراكش الشمالى الذي يطل على البحر المتوسط، حتي لا يكون وجودها هناك مهددا لحصن جبل طارق .

واما اهتمام فرنسا فكان استعماريا محضا، لان فرنسا لم تتطلع الى ابتلاع تونس في شرقي الجزائر ومراكش في غربها الا لكيا تؤسس في شمال افريقيا امبراطورية شاسعة تستعيض بها عن الامبراطورية التي كانت لها فى اوربا في عهد نابليون الكبير .

اما اهتمام المانيا فكان تجاريا بحتا، ولذا كانت تجارة تلك الدولة رائجة جدا،

---

١) ج ٤ ص ٢٨٧

واخذة في النمو،(١) وقد دام هذا التنافس حتى عام ١٣٢٢-١٩٠٤، حيث انسحب من الميدان انجلترا واسبانيا،ثم انسحبت المانيا بعد ذلك عام ١٣٢٩-١٩١١ .

الى هذه الحالة صار المغرب في هذا الطور، فماذا فعله اولوا الامر في المغرب حينئذ،وهما - بصفة خاصة - الملكان : محمد الرابع والمولى الحسن الاول .

وحقا انهما بذرا البذور الصالحة ، ووضعا اللبنات الاولى لاصلاح الحالة بالمغرب، ولو ساعدتهما الظروف وساعدت الذين اتوا بعدهما لتحول المغرب من ذلك التاريخ الى امة لها مكانتها ومقامها،كما صارت اليابان امة عظيمة وهى التي كانت بعثاتها تدرس باوربا في الوقت الذي كانت توجد هناك بعثات المغرب،ولكن اليابان كان بعيدا عن اوربا فلم تعمل هذه لعرقلته ما عملت في المغرب الجار القريب لاوربا،ولنرجع الى صلب الموضوع لنرى ماذا فعل اولوا الامر لتجديد المغرب في هذا الطور ؟

تنظيم الجهاز الحكومي

ان اول ما يلاحظ في هذا الطور : ان المغرب اصبح ذا حكومة منظمة تشتمل على عدة وزارات ، بعد ما كانت - الى عهد قريب - لاتتوفر الا على وزير واحد يكون بمثابة معين للملك في اشغاله ، والوزارات التي صارت تتالف منها حكومة المغرب الجديد هى :

١) - الصدارة وفي ضمنها ايضا وزارة الداخلية .

٢) - وزارة الخارجية . .

٣) - وزارة الحرب و يطلق على صاحبها « العلاف الكبير » و هو الرئيس الاعلى للجيش .

٤) - وزارة الشكايات : «العدلية» .

٥) - وزارة المالية : «امين الامناء».

وكان الذي احدث وزارتي الحرب والعدلية هو السلطان محمد الرابع،ثم احدث السلطان الحسن الاول وزارتي الخارجية والمالية ، اما الصدارة فهي الوحيدة التي كانت موجودة من قبل .

---

١) «مذكرات لورد غراى وزير خارجية بريطانيا العظمى سابقا» تعريب علي احمد شكرى : مقدمة المغرب ص ٤٨-٤٩

وفي العهد الحسني صار تنظيم مصلحة الكتاب كما يلي :

فقد كانت هذه المصلحة مقسمة الى عدة دواوين للكتاب في كل واحد منها رئيس له عدة كتبة نحو الستة دواوين،منها ما كتابه يبلغون الستين،ومنها ما كتابه يبلغون العشرين ففوق، ومنها ما دون ذلك ، والجميع في شغل شاغل مما يصدر لهم عن السلطان المولى الحسن (١).

وتوجد لائحة باسماء بعض هؤلاء الكتاب ، وقد وردت عناوينها هكذا :

طلبة الفقيه الحاجب . طلبة الفقيه الوزير الحاج المعطي : « رئيس الوزارة »، طلبة الفقيه المسفيوي : « وزير الشكايات » . طلبة الفقيه السيد فضول غريط : « وزير الخارجية » . (٢)

ومن الاصلاحات التي ادخلها السلطان الحسن الاول : ان احدث مصلحة تقوم بتخليص القوائم الواردة من المراسي وغيرها، وتسجيلها بالدفاتر المعدة لها : وجعل على راس هذه المصلحة الامين الحاج محمد الزبدي الرباطي،وهو ايضا الذي سن وقوف الوزير الداخل بالقضايا التي تهم وزارته حتى يخرج بها كلها موقعة بقلم الرصاص . (٣)

وقد تبع تنظيم الحكومة المغربية احداث دفاتر جديدة لتسجيل حسابات المالية والجيش والنفقات الملكية الخاصة وما الى ذلك . (٤)

وهناك دفاتر تبتديء من العهد الحسني، وتستخدم لتسجيل نسخ المكاتب الحكومية : من الظهائر والرسائل الصادرة الى مختلف الجهات والافراد .

---

١) البستان الجامع لكل نوع حسن،وفن مستحسن، في عد بعض مئاثر السلطان مولاي الحسن » تاليف محمد بن ابرهيم السباعي المراكشي،نسخة الخزانة العامة بالرباط، رقم ١٣٤٦ D.

٢) . انظر « العز والصولة في معالم نظم الدولة » لابن زيدان ج ١ ص ٢٢٣ . ٢٢٥ .

٣) . « نشاط الاذهان، وتحفة الاخوان، في استنباطات ومناقب مولانا الحسن»: اسم رسالة صغيرة من تاليف الحاج الطاهر بن بلقاسم بن العباس بن علي بن الحسن العماري ثم المراكشي ، مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط رقم ١٧٠٧ .

٤) . انظر « اتحاف اعلام الناس » ج ٣ ص ٥٤٧ . ٥٥٦ حيث توجد تفاصيل وافية في هذا الصدد، وانظر ايضا نفس المصدر ج ٢ ص ٤٥٨ . ٤٦١ .

وفي المكتبة الملكية بالرباط يوجد عدد من هذه الدفاتر، ومنها عن عهد الحسن الاول ما يحمل الارقام الآتية : ٣٤٨-٣٥٣-٣٦٠-٣٦٤-٣٩٧ . وعن عهد السلطان عبد العزيز : ٣٢٨-٣٧٠-٤٢٢-٤٢٤-٤٢٩-٤٣٢-٤٣٩-٤٤٢-٤٥٢ .

كما يوجد بنفس الخزانة دفاتر اخرى لحسابات المالية والجيش ومختلف النفقات، هذا فضلا عن السجلات المودعة في مراكز متنوعة : حكومية او خصوصية .

ونذيل الان بذكر لائحة كناشات واوراق وتقاييد مخزنية ، وهي واردة ضمن كناشة في حوزة العلامة الشريف ادريس بن الماحي الادريسي القيطوني الاستاذ بثانوية مولاي ادريس بفاس، وتتفرع هذه اللائحة الى تجريدتين: الاولى ترجع الى الايام الاخيرة من عهد السلطان الحسن الاول، والثانية تعود الى الايام الاولى بعد وفاة الوزير احماد .

ايام السلطان عبد العزيز، ومنهما معا تتبين مدى سير تنظيم الحكومة المغربية في هذا الطور ، وقد صدرت التجريدة الاولى هكذا :

« تجريد ما بداخل الصناديق السبعة : من الكنانيش والتقاييد المدفوعة لامناء البنيقة المراكشية عند نهوض سيدنا المقدس للغرب في اوائل قعدة عام ١٣١١ هـ » وسنقتطف من هذه التجريدة ما يلي :

يوميات المرسى .

كناش تعريب المنفشطوات عن الوضع والوسق، خدمة الامناء : الحاج ادريس التازي واللبادي وازطوط .

واخر مثله، خدمتهم ايضا الكل بمرسى العرائش.

باكيط يكون بداخله بطائق او يوميات .

كنانيش بها الموضوعات بالمراسي .

كناش به نسخ الرئيس ؟

كناش به صائر البابور الحسني خدمة الحاج المدني التازي والزكاري و الفسال بمرسى طنجة .

قوائم خرص دكالة - والسراغنة - وزمران - والرحامنة - وعبدة - واحمر - والشاوية وبني حسن - والغرب - والخلط - والطليق - وعرب - سايس - والزراهنة - واحواز - فاس - عن عام ٢ [١٣٠] .

قوائم صائر مكناس، ءالة فابريكة السكة التي بالعرصة قبالة القصير، محاسبة بني حسن.

مكاتب المحتسب ابي عبد الله في شان المكينة واختبار دقيق المئونة ٠ كنانيش الاروى السعيد .

*****

وبعد هذا تاتي التجريدة الثانية التي صدرت هكذا :

« تجريد ما بداخل الصناديق الثلاثة عشر المدوعة لامناء البنيقة المراكشية باواسط ربيع الاول عام ١٣١٨ : من الكنانيش والاوراق والتقاييد وغير ذلك » .

وسنقتطف من هذه التجريدة ما يلي :

كنانيش المستفاد .

كنانيش املاك المخزن لكل بلد كناشها .

كنانيش ٣ بها خدمة ابي المواريث بفاس : الحاج المفضل عمور.

كناش به امور مرس فاس .

كناش الداخل السعيد خدمة اللبادي .

كنانيش ٦ بها نسخ محاسبات العمال .

كناش بوسطى فاس عن شهور ٦ اخرها ربيع الاول عام ١٤ .

كنانيش ٣ بها صائر بناء سور الدارالبيضاء .

كناش به فصال دعاوي اهل الذمة بقبيلة هنتيفة .

كناش الزيت بفاس .

كناش املاك احباس مكناس .

كناش البنيقة المراكشية .

كناش السكة السعيدة ، خدمة التازي ووالزهراء .

كناش به صائر دار المعطي الجامعي .

صائر البوسطى بالدارالبيضاء، خدمة دنية .

اخر صغير به شروط مديلية .

اخر به تقييد املاك المخزن بقبيلة الشاوية .

اخر به تقييد املاك المخزن بقبيلة دكالة .

باكيط به صور مكينات وغيرها وتقاييد اسوامها وهى شغل مكينة فاس .

قوائم اسوام السلع بالرباط .

حسابات البرج بالرباط .
حسابات البناء بتغمرت .
بطاقا امين البناء بفاس : المقري .
قوائم امين الفبركة .؟
كناشا السكة خدمة الزكاري ووالزهراء .
كناش الامور الجهادية .
كناش امين الكنانيش بمرسى تطوان .
كناشا بوسطى فاس، خدمة الحاج عثمان ابن جلون.
كناش بوسطى الدارالبيضاء، خدمة احمد فرج ءاخره حجة عام ١٣ .
كناش بوسطى ءاسفي خدمة الحاج قاسم الديوري .
كناش املاك العرائش .
كناش به رسوم املاك عجرود .
كناش داخل الضرب بفاس .
كناش به صائر بابور المخزن بطنجة، في مدة خدمة الحاج محمد ابن جلون ورفيقه.؟
ءاخر به مستفاد املاك المخزن وفلائك اصطياد الحوت بالثغر المذكور، على يد المذكورين
كناش المكينات المشتراة من ايطالية .
كنانيش ٢ بوسطى طنجة، خدمة الحساني
كنانيش ٣ بوسطى ءاسفي، خدمة ابن بوعزة .
حسابات البوسطة : مختلطة قديمة
باكيط به صور العرائش والقصر وغيرهما .
سورة الطرفاية.
كنانيش الترتيب وقوائم خرص دكالة .
كناشي زكوب الحجاج بطنجة .
كناش به تعريب بطائق النواب بما يحوزونه لانفسهم، والبطائق واليوميات وخطوط اليد .
وكناشين بهما تقييد البابورات الواردة لطنجة .
كنانيش ٦ بهم تعريب المنفشطوات .
كنانيش ٧ بهم املاك المخزن بحاحا .

كناشين ٢ وسطى فاس .
كناش امين البارود بفاس .
كناش بما احصاه امين الكنانيش بمرسى الجديدة : غلاب .
كناش امين الداخل .
كناش دعاوي الاجانب .

هذه هي المقتطفات من اللائحتين حسب تعبيرهـا ورسمها ولحنها حينا، وهى تقدم لنا ايضا مجموعة من الاسماء للقائمين بالجهاز الاداري في هذه الفترة .

ويلفت النظر اكثر في هذه الدفاتر والاوراق: كنانيش واوراق التعريب، ومعامل السكة، والرحي البخارية، ومحاسبات العمال، واعمال البريد، وخرط المعامل والمدن وغيرها.

اصلاحات في الخارجية المغربية

والذى يستحق الدراسة كثيرا في موضوع الحكومة المغربية هو «الخارجية»، فلذلك ستتناولها في شيء من التبسط :

لقد ادخلت اصلاحات جوهرية على الخارجية المغربية، واحدثت لها وزارة على حدة كان صاحبها مكلفا بالنظر في امور المحميين والوساطة بين السلطان وبين سفراء الدول، وعقد الشروط والمعاهدات بينه وبينهم، وكتابة الرسائل اليهم، واصدار الاوامر للعمال فيما يتعلق بايالاتهم من دعاوى اهل الحماية، ومباشرة امر كل وافد اجنبي للمغرب، وكان الذي يتولاها فى العهد الحسني: هو محمدا لمفضل غريطاول وزير للخارجية المغربية(١)

وسوى وزارة الخارجية احدث بطنجة — مقر نواب الدول — : منصب النائب السلطاني، الذي كان مكلفا بمفاوضة هؤلاء النواب - في عين المكان - فى القضايا التي بينهم وبين المغرب ، وقد تعاقب على هذا المنصب السادات : محمد الخطيب التطواني ثم محمد بركاش الرباطي (٢) ثم محمد الطريس التطواني .

١) الاتحاف ج ٢ ص ٥١٤

٢) المصدر ج ٣ ص ٥٧٠، وقبل محمد الخطيب كان يتولى اشغال النائب السلطاني : السيد بوسلهام بن علي ازطوط العرائشي، والمكن بالتبع لوظفته التي هى باشوية مدينة طنجة، وكان تكليفه بهذه الاشغال اواسط ايام السلطان عبد الرحمن عام ١٢٥٨هـ ١٨٤٢ .

وقد ورد في رسالة حسنية في صدد بعض اختصاصات الوظيفتين ما يلي : وقد كلفنا كاتبنا الطالب محمد المفضل غريط بمباشرة ما يرفع منها «الرسائل» لحضرتنا الشريفة، وباجوبة النواب عنها، وخصصناه بذلك اعتناء بشأنها . . . على ان كتابتهم لحضرتنا الشريفة انما هي على وجه المحبة والسر، وإلا فالأمور الرسمية المخزنية من وظيفة نائب المخزن بطنجة . . . والكثير منهم يراعي هذا ويكتب لحضرتنا الشريفة بتكليف نائب المخزن بطنجة بمباشرة فصل دعاويه »،صح من اصل هذه الرسالة المحفوظ بالمكتبة العامة بتطوان ضمن وثائق الطريس ش ٤١٨ .

وفي هذا الطور صار للمغرب قنصلية بالقاهرة ـ وسنتحدث عنها بعد — كما كان له قنصلية اخرى بجبل طارق، على ان هذه الاخيرة كان يقوم بها الحاج سعيد جسوس منذ عام ١٢٦٠ (١) ثم صار يقوم بها عام ١٣١٦ : عبد السلام بوزيان (٢) .

والى جانب هذه الاصلاحات الشكلية ادخلت على سياسة المغرب الخارجية اصلاحات جوهرية ، كانت تهدف الى الدفاع «باللسان والقلم»، وسلوك سياسة التوازن لتحقيق اهداف الخارجية المغربية .

وكانت سياسة التوازن تدور على استغلال التنافس الدولي حول المغرب.ومماطلة نواب اوروبا في مطالبهم ، وكان بطل هذه السياسة هو السلطان المولى الحسن الاول، وقد كان يسميها: «عدم تفضيل اجنبي على آخر في المغرب» .

سلك المغرب هذه السياسة ـ مؤقتا ـ الى ان تتقوى الدولة المغربية وتنهض من كبوتها .

اما اهداف سياسة المغرب الخارجية في هذا الطور فكانت هي التالية :

١) المحافظة على حدود المغرب التاريخية .

٢) مقاومة التدخل الاجنبي .

٣) تطوير علاقات المغرب مع بعض الدول.

١) الحـدود المغربيـة

اما الحدود المغربية التاريخية فقد استطاع اولوا الأمر في هذا الطور ان يحافظوا عليها في سائر جهاتها .

١) الاتحاف ج ٥ ص ٥٩ مع «مجموعة الظهائر العلوية» لنهليل لوحة ١٨ .

٢) « الرحلة الطنجاوية الممروجة بالمناسك المالكية » تاليف الحسن ابن الغسال الطنجي . مخطوطة خاصة .

ونذكر اولا اقليم شنجيط الذي استمر حتى هذا العهد نافذا فيه حكم ملوك المغرب الى نهر السنيغال، ومن شواهد ذلك الرسالة التالية الصادرة عن السلطان المولى الحسن الاول:

« نامر من يقف عليه من عمالنا الى نهر السنغال، يستوصي خيرا بماسكيه الطالب عبد الله بن العبد بن الحرطاني واخوته، ويوقرهم ويحترمهم ويكف اليد العادية عنهم، وياخذ بايديهم فيما يعرض لهم في امور تجارتهم، رعيا لأحياشهم الدين والصلاح، وسلوك سبل النجاح ، والله ولي التوفيق، والهادي الى سواء الطريق ، والسلام .

صدر به امرنا المعتز بالله في الثاني من شعبان المبارك، عام ثلاثة وثلاثمائة والف» (١).

ومما ينبغي ان يذكر بعد شنجيط بيعة تيندوف - الاقليم المغربي الكبير - للملك المغرب، فان العلامة الجليل الشيخ محمد المختار بن الاعمش الجكني الذي كان يقيم بتيندوف (٢)، بعث الى السلطان محمد بن عبد الرحمن برسالة يبايع فيها عن نفسه وقبيلته، وجاء فيها في هذا الصدد :

«وقد بايعناك على السمع والطاعة، ولزوم السنة والجماعة، والتمسك بالدعوة ببقائها الى قيام الساعة، في الرضى والسخط، والمكره والمنشط، والعسر واليسر، والقل والكثر، والشدة والرخاء ، والسراء والضراء ، وعلى ما بويع عليه رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم وخلفاؤه الراشدون...».

وما ثبطنا عن القدوم اليكم الا خوف نقض العهد من قتله الشرفاء كما خبره لديكم، والا المرض والكبر الملازمان للشخص والغير، وهات يدك يقبلها قرطاسي، نائبا عني وعن جميع ناسي» (٣) .

وبعد شنجيط وتيندوف يأتي اقليم «توات» الذي استنفذ اولوا الامر في هذه الحقبة طاقتهم في الاحتفاظ به ، ولا سيما السلطان المولى الحسن الاول الذي اتصل به بتافيلالت وفد من « توات » عام ١٣١١ هـ (٤)، وهذا مسعى واحد من مساعي هذا الملك الديبلوماسية للاحتفاظ باقليم «توات»، وهو الذي نجده في الرسالة التالية وملحقها :

«خادمنا الارضى الحاج محمد الطريس وفقك الله . والسلام عليك ورحمة الله،

---

١) «صحراء المغرب» السنة الاولى عدد ٤

٢) انظر عن ترجمته «المعسول» ج ١٨ ص ١٥٩ - ١٦٠

٣) هذه الرسالة يوجد اصلها بمكتبة كاتب السطور .

٤) الاتحاف (٢) ٢٧١.

وبعد : فتصلك مبيضة نامرك ان تكتب بها لكل واحد من نواب الأجناس الأربعة : الالمان والنجليز والاسبنيول والطليان، وما يجيبونك به وجهه عزما، ثم من اقتضى الحال مشافهته قبل الكتابة له فشافهه، والكتابة لابد منها لكل من المذكورين ليحصل الجواب الذي هو المقصود، واذا وصلك هذا الكتاب بطيه المبيضة المشار لها : فاجب بالوصول عزما، والاجوبة وجهها بعد ذلك، والسلام في ٢٣ محرم عام ١٣٠٩هـ.

وهذا نص المبيضة :

«وبعد فان جنس الفرنسيس ادعى ان الصقع التواتي من حيزه ومن عديد رعيته، مع ان ذلك لم يدعه من قبل، ولا طمحت نفسه اليه، ولا كان لهم في حساب، حتى حدث ذلك الآن لما املوه، ولم يعتبروا ما هو مقرر من الدلائل والحجج على كون ذلك الصقع من عمالة رعية سيدنا نصره الله في القديم والحادث.

منها، وهو اقوى دليل، واعدل شاهد على منع دعواه والحجة قائمة عليه به : ان كارطة «خريطة» العمران المجهولة بموافقة سائر الاجناس عام ١٨٨٤ عجمية مذكور فيها ان بلاد توات من حساب رعية سيدنا ايده الله تحد برعية تونس، وهذه الكارطة كما في علمكم سلمها الاجناس كلهم، واعطوا خطوط ايديهم على صحتها وتسليمها، ومنع كل من يريد نقضها، ولا شك ان تحت يد دولتكم نظيرا من هذه الكارطة «الخريطة».

ومنها ان اهل هذا الصقع ما برحوا يخطبون باسم مولانا نصره الله في الجمع، ويدعون لجنابه العالي بالله على منابرهم الى الآن.

ومنها ان العمال من «جوارهم» هم الذين يتولون عليهم، ويدفعون زكواتهم واعشارهم لبيت مال رعية سيدنا نصره الله، وفي كل سنة كان الامناء يتوجهون لحيازتها، ومكاتبهم تتوارد على الحضرة الشريفة ولم تنقطع وفودهم عنها، وكانوا في طاعة سادتنا الملوك أسلاف سيدنا ايده الله، ومكاتبهم ووفودهم لم تنقطع عنهم مدة حيازتهم كذلك، ولا زالت موجودة قائمة العين عندهم.

وقد امرني مولانا نصره الله بالكتابة لك ولغيرك من نواب الدول المحبة بالتعريف بذلك، لتتاملوا فيه، ويظهر لكم عدم الحق المدعي فيما يدعيه، وتجيبوا بما ينقطع به طموحه لما يؤمله، فانكم - مع هذا البيان - بالضرورة لا تخفى عليكم وجوه مدافعته

وقطع نظره عن مراده ، والسلام» (١)

هذا مثال واحد من عديد الامثلة للدفاع عن صقع توات الذي ابتدأ احتلاله من طرف فرنسا آخر هذا الطور ، ثم وقع احتلاله نهائيا اول الطور الثالث الذي سنتحدث فيه عن هذه القضية .

وبعد توات تأتي «حدود المغرب الشرقية» ، فقد كانت المحافظة عليها في نطاق معاهدة طنجة ١٢٦٠—١٨٤٤ من اهم ماتعتني به الدبلوماسية المغربية حينئذ .

ومن مظاهر ذلك الاعتناء انه في عام ١٣٠١هـ ارسل السلطان المولى الحسن بعثة خاصة تحت رئاسة اخيه الامير عرفة بن السلطان محمد الرابع ، لتراقب حدود المغرب الشرقية حتى يتبين كيف يسير الفرنسيون في تطبيق معاهدة طنجة الآنفة الذكر ، وسارت البعثة حتى وقفت على الحدود المذكورة ، وأدت مهمتها على احسن حال.

وقد دون اعمالها احد اعضاء البعثة: «علي السوسي» ، في رحلة سماها : « منتهى النقول ، ومشتهى العقول» ، رتبها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمتين ، وذكر اولها انه الفها لما ذهب للصحراء لقضايا ثلاثة : (١) النظر في الشقاق الواقع بين قبائل بني يزناسن (٢) الوقوف على الحدود الواقعة هناك بين المغرب وفرنسا. (٣) الوقوف على الحدود بين المغرب وفرنسا في ارض فجيج ، ومن هذه الرحلة نسخة بالخزانة العامة بالرباط رقم ٦٣٣ D ضمن مجموع يشتمل عليها وعلى قصيدة للمؤلف نفسه في فتح السلطان المذكور للقطر السوسي .

ومن قضايا الحدود التي اثارت اهتمام المغرب في هذه الحقبة مسألة «مرسى طرفاية» التي أثارها تصرف شركة «نرف وست افرك» الانجليزية التي يرأسها المسمى «مكينسي» (٢)

وخطورة المسألة اتت من كون هذا العمل انما وقع استنادا على اتفاق مع بعض رؤساء تلك الجهات : البشير بن بيروك الودنوني ، وبدون سابق علم من حكومة المغرب الشرعية.

---

١) هذه الوثيقة توجد ضمن اوراق النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد بن العربي الطريس المحفوظة بالمكتبة العامة بتطوان ، وقد اثبتها مؤرخ تطوان الاستاذ الكبير محمد داود في «تاريخ تطوان» : القسم المخطوط ج ٨ ، وثبت نصها ايضا في «صحراء المغرب» السنة الاولى ، العدد ٨ .

٢) توجد معلومات مهمة في هذا الموضوع بالاتحاف (١) ٣٨٠ — ٣٨٧ .

وقد قاوم المغرب هذا العمل منذ كان محاولة ومساومة ، هذه فقرات من كتاب الملك محمد بن عبد الرحمن يستنكر فيه امي محاولة من هذا النوع، وذلك بتاريخ ١٢٧٨.

«.. ومن المعلوم ان اهل تلك البلاد من جملة رعيتنا وايالتنا، فليس لاحد منهم ان يفعل في شبر منها ما شاء ، ولا تسلمها تلك القبائل ولو افناهم القتال عن آخرهم.... وان ذكروا لك (١) ان اهل تلك الجهة هم الطالبون لذلك والراغبون فيه، فاجبهم بأن الامر بخلاف ذلك، وبأن قبائل تلك النواحي رمت ولد بيروك عن قوس واحدة، وليس معه احد فيما رام فعله، واذكر لهم في ذلك ما يليق ان يذكر..»

وبعد هذا الملك ها هو ابنه المولى الحسن الاول يعلن عن مقاومته المشروع في كتاب وجه به للنائب محمد بركاش بتاريخ ١٢٩٧-١٨٧٩ : «... واما الفرنصيص فبصره وعلمه بأنا لم نسكت للنجليز على مكينسى، بل لازال الكلام معهم في ذلك ، وقد تكلمنا مع باشادورهم حيث كان بحضرتنا العالية بالله في شان من ذكر، والمحل الذي نزل به فادعى ان ذلك المحل خارج عن ايالتنا فلم نقبل منه ذلك، ورددناه عليه بما كنا وجهنا لك نسخة منه، ومن جملته الاسترعاء على نزول المذكور هناك بغير اذننا، وتعرفه مع قبائل ايالتنا افتياتا، وجعل الدرك عليه في كل ما ينشأ عن نزوله بناحية مراكش من الضرر والخسارات: لا في الرعية ولا في الديوانات، ولا في غير ذلك، لمخالفته للشروط والقوانين، وفي كل ما يقع له ولمن معه، لا في ابدانهم ، ولا في امتعتهم ، لنزولهم هناك من غير اذن، ولا درك فيه على المخزن، ولا على قبائل تلك الناحية، وانا نؤكد عليه في الكلام مع دولته في غلق ابواب المضرة التي فتحها مكينسى بانهاضه من تلك الناحية ، ونحن على نية توجيه من يتكلم مع دولتهم ... (٢)»

ومع هذا كله ابي عناد الشركة الانجليزية الا ان تنفذ الفكرة فبنت المرسى ، ولكن سلطان المغرب المولى الحسن الاول كان لها بالمرصاد. فقاومها بكل وجه حتى انتهت المشكلة بنجاح الجانب المغربي، وتم الاتفاق على تسليم البناء المحدث بمرسى طرفاية للحكومة المغربية التي التزمت بان تؤدى للشركة تعويضا عن بنائها، وكان ابرام هذا الاتفاق اول عهد السلطان عبد العزيز، الذي صادق عليه بتاريخ ١٦ رمضان عام ١٣١٦هـ، وجاء الشرط الاول منه هكذا :

١) المخاطب هو الامير المولى العباس أخ السلطان محمد الرابع.

٢) يوجد النص الكامل للكتاب بالالحاق (٢) ٣٣٣ — ٣٣٥ .

«اذا اشترى المخزن زينة المحل المذكور من الكبانية المذكورة، لا يبقى كلام لاحد في الاراضي التي من وادي درعة الى راس بوخادورا المعروف بالطرفايا المذكورة، وكذلك فيما فوق هذا المحل من الاراضى، لكون ذلك كله من حساب ارض المغرب»

ثم وقع تسليم البناء المحدث للوفد المبعوث من طرف ملك المغرب لهذه الغاية، وذلك في محرم فاتح عام ١٣١٣ - ١٨٩٥ ، وبذلك تم انتصار المغرب نهائيا في مسالة «مرسى الطرفاية»، وقد حدث بعد هذا ان احتلتها اسبانية ، ثم عادت بعد الاستقلال الى حظيرة المغرب .

٢) مقاومة التدخل الاجنبي

كان الهدف الثاني لسياسة المغرب الخارجية : مقاومة التدخل الاجنبي ، اي مقاومة تدخل الدول صاحبة الامتياز بالمغرب، وهى المانيا، والنمسا، وبلجيكا، والدانمارك، واسبانيا، وامريكا، وفرنسا وانجلترا، وايطاليا، وهولاندا، والبرتغال، والسويد، وهذه الدول هى التي شاركت في مؤتمر مدريد الآتي .

وان اول مظهر لذلك التدخل كان هو «مشكلة الحمايات»، التي يقصد منها تميز بعض المواطنين الملحقين بالاجانب بكثير من الامتيازات التي يحرم منها بقية المواطنين.

ومنذ منتصف القرن ١٩م - حيث نشأت طائفة المحميين - كانت الحمايات لاتشكل خطرا كبيرا على المغرب، وانما صارت كارثة على المغرب والمغاربة بعد حرب تطوان ، حيث صار بالتدريج للدول المتقدمة امتيازات تجعل لممثليها في المغرب الحق فى تعيين ما يشاءون من عدد المترجمين والخدم من المغاربة او غيرهم، ولهم ان يتخذوا نوابا عنهم في كل ثغر من ثغور هذه البلاد، ولكل واحد من هؤلاء النواب الحق في اتخاذ ترجمان واحد وبواب واحد وخادمين، ويعفى هؤلاء جميعا من جميع ما تفرضه الحكومة المحلية على رعاياها من تكاليف غير متفق عليها، الى آخر ما تضمنته معاهدة المغرب مع انجلترا سنة ١٢٧٣ - ١٨٥٦، التي كانت الحجر الاساسى للامتيازات التى نالتها الدول الاخرى .

والى جانب هذا كله استغل الاجانب الظروف السيئة التى احاطت بالبلاد، فاغتصبوا كثيرا من الحقوق بالاكراه، من غير اعتماد لا على نصوص من المعاهدات، ولا على تشريع مغربي داخلي، فتفاحش - بصفة خاصة - توزيع الحمايات على المواطنين المغاربة - على خلاف نصوص المعاهدات - بشكل واسع النطاق زاد من ارتباك الحكومة المغربية.

وقد صور السلطان المولى الحسن الأول هذه الحالة اصدق تصوير لما قال للنائب محمد بركاش : «ان ادارتنا تكاد لا تجد في البلاد من هو باق تحت سلطانها، من كثرة ما منحته الدول الاجنبية من حمايات غير مشروعة .

وقد انضاف لهذه المفسدة أن الحمايات صارت تقف حجر عثرة في سبيل ادخال الاصلاحات على المملكة المغربية .

لهذا كله اخذ السلطان المولى الحسن الاول بمجرد ما تسلم مقاليد الحكم يفاوض الدول الاكثر مصالحا بالمغرب في تعديل أمر الحمايات، وهذا كان أهم أهداف سفارة الحاج محمد الزبدي الرباطي التي بعثها هذا السلطان غب بيعته لأربع دول : فرنسا، وبلجيكا، وانجلترا، وايطاليا عام ١٢٩٣ - ١٨٧٦ (١) .

ثم ما زال هذا الملك يوالي المساعي لتعديل امر الحمايات،حتى توصل الى عقد «مؤتمر مدريد» الذي انعقد بعاصمة اسبانيا،وحضر فيه الى جانب المغرب ١٢ دولة، وهى صاحبة الامتيازات الآنفة الذكر، وقد صادق هذا المؤتمر على وثيقة تشتمل على ثمانية عشر فصلا، حررت بمدريد في ٣ يوليه عام ١٨٨٠ م. الموافق ٢٤ من رجب عام ١٢٩٧هـ، والوثيقة مذكورة بنصها في الاتحاف(٢)،وتوجد صورة فتوغرافية منها « بمجموعة الظهائر الشريفة » (٣).

وان مقررات هذا المؤتمر - وان لم تستجب لرغبة المغرب - فانها أفادته في حصر عدد المحميين ، وتقييدهم في دائرة خاصة ، كما أنها منعت التجنس بالجنسيات الاجنبية على المغاربة، واخيرا كان المؤتمر بمثابة اللبنة الاولى لتدويل «المسألة المغربية».

وسوى مسألة الحمايات فهناك مظاهر أخرى للتدخل الاجنبي، اخطرها الذي كان يأتي من الجمعيات اليهودية بأوربا ، ذلك انه فى عام ١٢٧٨ - ١٨٦٢م . تأسس في أوربا : «الاتحاد الاسرائيلي العام»،الذي كان يهدف الى النهضة باليهود في سائر أنحاء العالم نهضة شاملة،تأسس هذا الاتحاد في فرنسا،ثم امتدت فروعه الى ممالك اوربا. وكان في مقدمة أعماله ان صار يتدخل فى شؤون اليهود الموجودين في الممالك

---

١) انظر كتاب «مركز الاجانب في مراكش» لمحمد ابن عبود ص ٣٦ - ٣٧ مع الاتحاف ج ٢ ص - ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ٣٠١ ، ٣١١ - ٣١٢ .

٢) ج ٢ ص ٤٢١ - ٤٢٨

٣) لنهليل لوحة ٤٩.

الأسلامية، ويتبنى مطالبهم وتظلماتهم ليقدمها للمسؤولين في هذه الممالك، وكان يلقي اعانة وتأييدا من طرف بعض الدول الكبرى بأوربا .

نال المغرب نصيبه من هذا التدخل، فقابل كل قضية بما تتطلب من السلاح المستمد من دستور البلاد الشرعي الاسلامي، وكان أول تدخل في شؤون يهود المغرب هو الذي يحدثنا عنه صاحب الاستقصا (١) ويقول :

«وفي هذه السنة - ١٢٨٠ - ورد يهودي من اللوندرة على السلطان بمراكش يطلب منه الحرية ليهود المغرب، وذلك لانه لما كانت وقعة تطوان ودهم الناس ما دهمهم من أمر الحمايات، واكثر من تعلق بها اليهود، لم يقتصروا على ذلك وراموا الحرية تشبها بيهود مصر ونحوها، فكتبوا الى يهودي من كبار تجارهم باللوندرة اسمه روشايل،وكان هذا اليهودي قارون زمانه،وكانت له وجاهة كبيرة في دولة النجليز، فكتب يهود المغرب اليه أو بعضهم يشكون اليه ما هم فيه من الذلة والصغار، ويطلبون منه الوسطة لهم عند السلطان في الانعام عليهم بالحرية، فعين هذا اليهودي صهرا له للوفادة على السلطان رحمه الله في هذا الغرض وفي غيره، واصحبه هدايا نفيسة، وسأل من دولة النجليز ان يشفعوا له عند السلطان ويكتبوا له في قضاء غرضه، ففعلوا، وقدم على السلطان بمراكش، وقدم هداياه، وسأل تنفيذ مطلبه .فتجافى السلطان عن رده مخفقا، واعطاه ظهيرا فتمسك به اليهود، يتضمن صريح الشرع، وما اوجب الله لهم من حفظ الذمة، وعدم الظلم والعسف، ولم يعطهم فيه حرية كحرية النصارى.

ولما مكنهم السلطان من هذا الظهير اخذوا منه نسخا وفرقوها في جميع يهود المغرب، وظهر منهم تطاول وطيش، وارادوا ان يختصوا في الاحكام فيما بينهم، لا سيما يهود المراسي، فانهم تحالفوا وتعاهدوا على ذلك، ثم ابطل الله كيدهم، وخيب سعيهم، على ان السلطان لما احس بطيش اليهود، عقب ذلك الظهير بكتاب اخر بين فيه المراد، وان ذلك الايصاء انما هو في حق اهل المروءة والمساكين منهم المشتغلين بما يعنيهم، واما صعاليكهم المعروفون بالفجور والتطاول على الناس والخوض فيما لا يعني، فيعاملون بما يستحقونه من الادب» .

هذا ما جاء في الاستقصا باختصار، ويفيد مصدر (٢) اخر ان يهود المغرب

---

١) ج ٤ ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

٢) «صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار» تأليف الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي ج ١ ص ٦٤. وفيها زيادة توضيح للموضوع.

رفضوا ذلك التدخل ، وارسلوا الى اخوانهم باوربا يطلبونهم ان يدعوهم على عادتهم المالوفة ، ولا يتدخلوا فيهم، واعلنوا للحكومة والشعب بذلك .

ثم بعد هذا تكرر تدخل «الجمعية اليهودية الانجليزية» في شؤون يهود المغرب مرات : من ذلك ما وقع أول عهد السلطان المولى الحسن، فقد تقدمت له «الجمعية اليهودية الانجليزية» بتهنئة بالملك، واردفت ذلك بأن طلبت منه تحسين احوال الرعايا الاسرائيليين .

ولما كانت السفارة الزبدية بلندرة عام ١٢٩٣ ـ ١٨٧٦، بعثت هذه الجمعية للسلطان المغربي بواسطة السفير الزبدي كتابا ببعض المطالب المتعلقة بيهود المغرب ، وهو محرر في ٢٥ شهر تموز سنة ١٨٧٦ ـ ١٢٩٤ (١)

وفي عام ١٢٩٧ ـ ١٨٨٠ نجد يهوديا انجليزيا يزور مدريد اثناء انعقاد «مؤتمر الحمايات» بها، ليعمل على عرقلة اعمال النائب المغربي بالمؤتمر (٢)

وكما قلنا اولا فقد عالج المغرب هذا النوع من المشاكل بمهارة ودهاء مستمدين من دستور البلاد الاسلامي،وهذه رسالة كتبها وزير خارجية المغرب ليهود مراكش، نقدمها كمثال لسياسة المغرب الحكيمة ازاء هذا المشكل .

«من عبد الله تعالى وزير الامور البرانية بالحضرة العالية. اعزالله امرها، وابد فخرها.

الى كافة يهود ملاح مراكش : اخص منهم حزانة جوعهم واساقفتهم وتجارهم واعيانهم .

اما بعد فقد بلغ اشريف علم حضرة سيدنا العالية بالله، اعزها الله : ان عاملكم القايد محمد ويدة السوسي لم يحسن السيرة معكم ، وعاملكم معاملة غير مليحة، وشدد عليكم، فلم يلق ذلك بسيدنا نصره الله ولم يعجبه ، لانكم أهل ذمته، ومن رعيته ، فلا يحب ـ أيده الله ـ ان يقع لكم تضييق او ظلم من أحد او معاملة بمكروه ، وانما يحب أن تكونوا في أمن وأمان من ذلك، وعلى حالة مليحة، وفي عيشة مرضية، وعز به الحال ـ دام تأييده ونصره ـ حيث بلغه ذلك عنكم من عند «الناس» ولم يبلغه من عندكم، اذ كان من حقكم ان تكتبوا لاعتابه الشريفة بالاعلام بذلك كما يكتب بعض تجاركم ومقدميكم لها في الامور ، وقد امرني نصره الله بالكتابة لكم بأن تكونوا

---

١) ثبت نص هذه الرسالة بالاتحاف ج ٢ ص ٢٩٨ ـ ٣٠١

٢) هذا يوخذ من رسالة في «الاتحاف» ج ٢ص ٤١٦

تكتبوا لنا بما يقع لكم، وذلك لنطالع به علمه الشريف، كما امرني ايده الله باعلامكم بأنه اصدر امره الشريف للعامل المذكور، بأن يحسن السيرة معكم، ويعاملكم بمثل ما يعامل به من الى نظره من المسلمين، من الحكم عليكم في الدعاوي المخزنية بما يقتضيه الحق فيها مثل ما يحكم به على المسلمين، ويجريكم مجراهم فى جميع الامور من غير فرق، ويرد دعاويكم الشرعية لاساقفتكم و حزانتكم، ويمشى مع أهل الحمايات منكم على مقتضى الشروط والقوانين، ومن حاد منهم عنها يطالع به شريف علم مولانا دام علاه، والسلام في ٧ جمادى الثانية عام ١٣١٥» (١) .

هذا ولنذكر اخيرا ان يهود المغرب - بالرغم عن كل شيء - استمروا يدفعون الجزية للحكومة المغربية حتى أوئل القرن العشرين م.

٣) تطوير علاقات المغرب مع بعض الدول

ان هذا الاصلاح تناول - بالخصوص - علاقات المغرب مع مصر، والدولة العثمانية، أما مصر : فمن أول هذا الطور أخذت تدخل علاقات المغرب معها في عهد جديد، فقد حاول الملك محمد الرابع: أن يستعين بمصر - الى جانب اوربا - فيما يعتزم ادخاله على البلاد من اصلاحات.

وهكذا جلب هذا الملك من مصر صناعا اختصاصيين للعمل فى معمل السكر الضخم الذي احدثه بمراكش، كذلك وجه بعض البعثات الى مصر أيام سعيد باشا (٢) واسماعيل باشا، وتوجد بعض معلومات عن هذه البعثات في مراسلات (٣) جرت بين الملك محمد الرابع والخديوي اسماعيل باشا .

ويوخذ من مكتوب مصرى الى ملك المغرب : أن هذا الاخير كان بعث برسالة للخديوى اسماعيل بشأن بعض الطلاب الذي أرسل من المغرب ليتدرب على أشغال الطبع بمصر، ويوخذ - أيضا - من المكتوب نفسه : خبر رسالة ثانية بعثها الملك

---

١) هذه الرسالة وردت بالاتحاف ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

٢) انظر - فيما سياتي - موضوع : « بعثات الى مصر وأوربة ».

٣) هذه المراسلات لم أقف منها الا على النص المصرى، وهما رسالتان صادرتان عن الخديوي اسماعيل باشا الى جلالة الملك محمد الرابع، وقد وردتا في «الآثار الفكرية» ص ٥٤ - ٥٦ . وهما من انشاء الكاتب المصرى الشهير عبد الله فكري باشا ناظر المعارف المصرية اذ ذاك.

المغربي لعزيز مصر تتضمن الرغبة في تعليم ثلاثة طلاب مغاربة بعض الفنون العسكرية.

ويفيد مكتوب مصري آخر : أن هناك رسالة ثالثة بعثها محمد الرابع لاسماعيل باشا في غرض تهنئة .

ونرى من المفيد لهذا الموضوع : ان نقتبس من المكتوب المصري الاول موضع الشاهد منه ونثبته فيما يلي :

«... هذا وقد سررت بورود مشرفكم الكريم، المتضمن لزوم المطبعة لذلك الجناب الفخيم، وما يحتاجه الخصوص الوارد بشأنها من مزيد التمرين والتفهيم، وذلك لما فيها من الاعانة على طلب العلم الشريف وتعليمه، وتسهيل السبيل في نشره بين البرايا وتعميمه، وصيانة كتبه الشريفة من تحريف الكاتبين، وتقريب تناولها الى ايدي الطالبين والراغبين، وهذا دليل ظاهر، وبرهان باهر، على مزيد عنايتكم فيما فيه المصلحة العامة، ورعايتكم لما يعود على الناس بالفائدة التامة، واهتمامكم بأمر العلم الكريم واهله، وقيامكم بما يجب من حق فضله، فتع الله ببقائكم الملك والعليا، ونفع بوجودكم وسعودكم الدين والدنيا، وقد ارسلنا المومى إليه الى دار الطباعة، وأكدنا على مأمورها باراءته كل ما يلزم لهذه الصناعة، والاعتناء بتمرينه على استعمال ادواتها، وتوقيفه على كيفية ادارة آلاتها، وسائر كيفياتها.

ثم ورد مشرفكم على يد الثلاثة المعلمين في صناعة البارود، المراد تعليمهم صناعة التبرديج ورعايتهم، حتى يتحصلوا على هذا الغرض المقصود، فأرسلناهم الى الباشا وكيل ديوان الجهادية المصرية في الحال، وأوصيناه برعايتهم والاعتناء بتعليمهم كل ما يلزم لتلك الصناعة من الاعمال والاشغال، وأخذها عن اهلها المتقنين، وارباها الماهرين المتفننين، حتي يتحصلوا على البراعة، في أشغال تلك الصناعة .

هذا : والمرجو مواصلة المراسلة على الدوام، وكل لزم من هذا الجانب فهو رهين الاعلام، والمسؤول لنا ولكم من الله الكريم المتعال : دوام حسن الحال وحسن المئال، بجاه رسول الرحمة ونبي الكمال، حرر في شوال سنة ١٢٨٣».

ولقد بلغ تمتين العلاقات بين المغرب ومصر الى درجة التمثيل السياسي، حيث صار يوجد بمصر قنصلية مغربية تهتم بالنظر في امور المغاربة بمصر والاسكندرية وأعمالهما، وكان للقنصل المغربي الحق في ان يستنيب عنه بالاسكندرية وغيرها من المدن والقرى التي يستوطنها المغاربة، كما سنراه في ظهيرتال .

وقد وجد أول قنصل مغربي بمصر من أواخر عهد السلطان سليمان العلوي ، وهناك رسالة من خلفه السلطان عبد الرحمان بن هشام، يخاطب فيها ابن عمه «مولاي محمد» ، ويخبره بوفاة سلفه وولايته هو للسلطنة بالمغرب، كما يوصيه بالفقيه الكاتب العربي الدمناتي ، (١) الذي يمر بمصر في طريقه للحج والزيارة ، وفي كناشة هذا الاخير (٢) ورد نص الرسالة مصدرا بالكلمة التالية :

«وكتب في معنى ما بحوله لوكيل المغاربة بمصر في حينه :

١) مولاي محمد بن المهدي .

وهكذا نستفيد اسم اول قنصل مغربي في هذه الفترة ، اما الاخرون فهم :

٢) الحاج محمد الحبابي عام ١٢٨٦هـ .

٣) الحاج عبد الغني بن الطيب التازي «فرقة المزعلك» الفاسي' أيام السلطان محمد الرابع والحسن الاول، وفي أوابل عهد هذا الاخير توفي بمصر عام ١٢٩٤هـ (٣) .

٤) الحاج عبد الواحد بن الطيب التازي ، ابن اخي الذي قبله ، أيام الحسن الاول ثم أوابل عهد ابنه المولى عبد العزيز، حيث توفي بفاس عام ١٣١٣هـ (٤) .

٥) الحاج محمد بن قاسم الحلو الفاسي ، وكان نائبا عند القنصل قبله ثم خلفه بعد وفاته، اوائل عام ١٣١٣هـ .

وهذه ثلاث وثائق في هذا الصدد، وتتعلق الاولى بظهير تعيين الحاج عبد الواحد التازي قنصلا للمغرب بمصر ، وهو صادر عن السلطان الحسن الاول ، ونصه :

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله قدره، وأعز أمره، وجعل فيها يرضيه لفه ونشره، اننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أسندنا النظر لما سكه خديمنا الارضى، الحاج عبد الواحد بن محمد التازي، في خاصة امور المغاربة القاطنين بالايالة المصرية والمارين بها لبيت الله الحرم وعامتها ، نيابة عن جانبنا العالي بالله ، وأقمناه في ذلك مقام عمه الحاج عبد الغني رحمه الله، لما ثبت عندنا من حزمه ودينه ومروءته، واهليته لذلك وصلاحيته.

---

١) ترجمته في «فهرس الفهارس» ج ١ ص ٣٠٠-٣٠٢ .

٢) في المكتبة الملكية بالرباط ، رقم ٣٧١٨ .

٣) «زهر الاس في بيوتات فاس» لابي محمد عبد الكبير بن هاشم الكناني، خ.ع ك ١٢٨١- ج ١ ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

٤) المصدر الاخير -ج ١ ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

فنامرهم أن يكونوا عند اشارته، كما نامره بتقوى الله فى امرهم، ومراقبته، والتحري فيه جهد استطاعته، وحسن السيرة معهم، ومعاملتهم بالجميل، والكون في ذلك عند الظن والتاميل، وأن يراعي فيهم القربة، وتنظف التربة والانقطاع، سيما المتوجهين منهم لاشرف البقاع، وان لا يغفل عن ارشادهم، وتنبيههم لطريق رشادهم، ونطلب الله ان يهديه لاقوم طريق، ويعلقه من التقوى بالسبب الوثيق، والسلام.

في عاشر شوال الابرك، عام اربعة وتسعين ومائتين والف» (١).

الثانية : رسالة من نفس السلطان الى خديوي مصر اسماعيل باشا في موضوع تعيين القنصل التازي، ونصها :

الى المحب الامجد، الرئيس الانجد، أمير مصرف وعين اعمانها، وعمدتها المتصرف في ميدان الرئاسة والسياسة كما شاء، المعظم المكرم السيد اسماعيل باشا، اثر الله عثار الفضائل جلالكم، وحفظ بعين الكلاءة كمالكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد، فانا نحمد اليكم الله الذي لااله الاهو مفيض النعم، ومفيد الفضل الذي جل وعم، ونساله لجانبكم العزيز دوام العافية، وسبوغ أردية نعمه الضافية، وننهي لحضرتكم العزيزة، أننا قدمنا ماسكه خديمنا الارضى الانجد، الحاج عبد الواحد التازي الفاسي وكيلا عن جنابنا العالي بالله، فى ايالتكم المصرية المحروسة بالله، وأسندنا اليه النظر في رعايانا السكان بها والوافدين على طريقها لحج بيت الله على العادة المالوفة، والطريقة الجلية المعروفة، لدى أنظاركم التي هى بالسداد موصوفة، وحررنا هذا المسطور لحضرتكم العزيزة تنبيها لهمتكم عليه، واظهار الماشرفناه به من رفيع الخدمات واسندناه اليه، والظن بشيمكم الكريمة، وءارائكم المستقيمة، ان تقابلوه بمزيد الاعتناء وتام القبول، وتبلغوا في اعزازه غاية المامول، وتخصوه بملاحظة التجلة والاعتبار، وتنزلوه منزلة أخص الاجناس في الايراد والاصدار، اقتداء بسير سلفكم الابرار، فقد كانت لسلفنا معهم رحم ومحبة ينبغي أن توصل ولا تقطع، ونرجو من الله ان تكون بيننا اوصل وانفع، والله يبقيكم رافلين في اردية السعادة، مبلغين من منا كم منتهى الارادة» (٢).

---

١) ورد نص هذا الظهير في زهر الاس الانقة الذكر - ج١ ص ٤٣٢-٤٣٣.

٢) هكذا ورد نص هذه الرسالة دون تاريخ في «العز والصولة في معالم نظم الدولة» للمؤرخ ابن زيدان - ج ١ ص ٢٩٣.

الثالث : ظهير صادر للنائب الحاج محمد بن العربي الطريس، في موضوع تعيين الحاج محمد بن قاسم الحلو الفاسي قنصلا للمغرب، وهو صادر عن السلطان عبد العزيز بن الحسن الاول، ونصه :

«خديمنا الارضى، النائب الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد : فقد كلفنا خديمنا الارضى، الحاج محمد الحلو الفاطن بمصر، بما كان مكلفا به خديمنا المرحوم الحاج [محمد بن] عبد الواحد التازي، من النظر في امور المغاربة بمصر والاسكندرية واعمالهما، واذنا له في استنابة من ترضى انابته عنه بالاسكندرية وغيرها من المدن والقرى التي للمغاربة فيها القرار، من تلك الديار، وها ظهيرنا الشريف بذلك يصلك طيه مع كتابنا الشريف له بما ذكر.

فنامرك ان توجههما له، وتنبهه على ما يقتضي الحال تنبيهه عليه، من امر المصارفة مع الاجانب ثمه، وغير ذلك من الكتب لنائب النجليز هنالك بتعريفه بذلك واعلامه به، ليكتب لكبيرهم بمصر في شانه ان كان الحال يقضي اعلامه بذلك، والافانت اعرف، والسلام.

في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٣» (١)

* * *

وبعد مصر نحاول ان نعرف التجديد الذي دخل على علاقات المغرب بالدولة العثمانية في هذا الطور :

ان هذا التجديد - في اطار اتحاد اسلامي - هو الذي كانت الدولتان في العهد الحسني تعملان لتحقيقه، وقد تبادلا في هذا الصدد بعض مرسلات وبعثات، وان هذا كان أحد أهداف سفارة الحاج العربي بريشة التطواني للاستانة، حيث اقتبل بها بغاية الحفاوة من السلطان العثماني : عبد الحميد خان الثاني، وهذا ايضا كان موضوع زيارة السيد ابراهيم السنوسي - الآتي الذكر - للمغرب، وفي النهاية تم الاتفاق على تبادل التمثيل الدبلوماسي بين الدولتين، ورشح لتمثيل المغرب الشيخ ابراهيم السنوسي الفاسي العلامة الشهير، كما رشح لتمثيل الدولة العثمانية الامير محي الدين بن الامير عبد القادر الجزائري، ثم حال دون تحقيق هذه الغاية معارضتها من طرف اكثر قناصل الدول الموجودين بطنجة ووقوفهم ضدها، الامر الذي اضطر السلطان الحسن الاول الى تاجيل هذه القضية حتى تسنح

١) ورد نص الظهير في تاريخ تطوان المؤرخ محمد داود : القسم المخطوط

الفرصة ، ولكنه مات رحمه الله وما سنحت الفرصة (١).

وقد كانت هذه المسالة موضوع تعاليق في الصحافة العالمية ، ونثبت هنا تعاليق بعض الصحف العربية حسب سياق جريدة «الطان» الباريسية : (٢)

« .. وقد نشرت جريدة «المغرب» التي تطبع بطنجة فصلا مطولا أعربت فيه عن الفوائد الدينية والتجارية التى تنجم من انشاء تلك المامورية العثمانية بحكومة مراكش . ومن غرائب التصادف ان جريدة «ثمرات الفنون» التى تطبع ببيروت ، كتبت ـ هى ايضا فى نحو الزمن عينه ـ مقالة ضافية الذيل ، واوضحت بها العوائد المادية والادبية التى لا بد ان تعود على الدولتين الاسلاميتين من انشاء تلك المامورية ، وحسنت فى عيني ملك مراكش أن يبعث بشبان مراكشيين الى عاصمة الدولة العلية لتلقي العلوم بمدارسها العليا ، وبثها في مراكش عند رجوعهم..

وقد عضدت جريدة «الصباح» بالاستانة كلام الجريدة الشامية بقولها : ان انشاء المامورية المذكورة يحصل منه فوائد تجارية ودينية لا تدخل تحت حصر ، وان الله ـ سبحانه وتعلى ـ قد اجل بحكمه العزيز تحقيق ذلك الى زمن السلطان الجليل الشان : عبد المجيد «كذا» خان ، لتعد هذه مأثرة من مئاثره المفتخرة ، واعماله المجده ... وبقى علينا ـ الان ـ ان نترقب ما يقر عليه راي الدولة في هذا الشان ، وكل ءات قريب» .

ومن تعاليق بعض المؤمنين (٣) فى نفس الموضوع : هذه الفقرة التالية : «وقد كان المولى حسن لما رأى ضعف حكومته امام دول اوربا . الساعية على الدوام في الحصول على المنافع التجارية والسياسية في بلاده ، والبحث على ما يكون به زعزعة اركان هذه الدولة ، اشار رؤساء دولته عليه بتجديد العلاقات الودادية بينه وبين الدولة العثمانية ليكون فى اتحادهما ـ معا ـ مأمن له ولقومه ... فأرسل من طرفه :(١٢٩٣هـ) السيد ابراهيم السنوسي ... الى الاستانة العلية المخابرة بهذا الشان ، وعقد اتفاقية بين الطرفين ؛ فسافر هذا المامور السياسي ؛ وبينما كان يتخابر مع الحكومة العثمانية ؛ ظهرت علامات الحرب الروسية العثمانية ؛ التي سبقها قيام بعض الايالات التابعة للدولة .فكان

١) «الحركات الاستقلالية في المغرب العربي» ص ٨٧ ـ ٨٨ ، مع بعض المحادثات الموثوق بها ، وانظر عن ترجمة السنوسي معجم المؤلفين لرضا كحالة ، ج ١ ص ١١

٢) « منتخبات المؤيد » : السنة الاولى ، عام ١٨٩٠ ـ «١٣٠٧» ص ٤٢٣ـ ٤٢٤ ، ط . مطبعة المؤيد ، عام ١٣٢٤هـ.

٣) « حقائق الاخبار عن دول البحار » تاليف اسماعيل سرهنك ؛ الطبعة الاولى بالمطبعة الاميرية بمصر ج ١ ص ٣٥٠ .

ذلك من الاسباب التي حالت دون بلوغ المرام ؛ وعاد المامور الى بلاده » .

والآن نسجل ان المغرب تبادل مراسلات مع الباب العالي في هذا الصدد ، ومنها رسالة من الخليفة عبد الحميد الثاني الى السلطان الحسن الاول' الذي اجاب عنها برسالة في المستوى' ثم رساله من شيخ الاسلام' المفتي الاول بالمملكة العثمانية حسن خير الله' يخاطب فيها الوزير الحاجب موسى بن احماد باذن عبد الحميد' وتحمل - مع الرسالة الاولى - تاريخ غرة ربيع النبوي عام ١٢٩٤هـ' وقد حملها معا الى المغرب الشيخ ابراهيم السنوسي' الرابعة : رسالة من وزير خارجية الدولة العثمانية الى وزير خارجية المغرب' في موضوع انشاء سفارة عثمانية بطنجة' وتحمل تاريخ ١٥ ربيع الاخر' عام ١٣٠٤هـ .

ويحتفظ اتحاف اعلام الناس(١) بنص الرسالتين : الثالثة والرابعة ، اما الاولى والثانية فنوردهما هنا(٢) ، وهذ نص الرسالة العثمانية الى السلطان الحسن الاول

« بسم الله الذي رفع من اتقى ، وأيد من لحدوده وقى ، ان ابرك عنوان ما بديء به : بسم الله الذي لا واضع لما رفع ، ولا دافع لما حكم وقضى ووضع ، ولا واصل لما قطع ، ولا مفرق لما جمع ، سبحانه من مليك يفعل ما يشاء ان شاء ضر وان شاء نفع ، له الامر فالكل حكمه كيف وقع ، واصل من اراد ومن اراد قطع ، وجعل نظام هذه الامة المحمدية باتحاد كلمتها وان شط المزار بينهم وجمعهم كشع ، ولو لا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لوقع ما وقع .

أحمده على كل حال أعطى او منع ، واشكره على ان كشف للبصائر ما كاده عدو الله تعالى وخدع' واصلي واسلم على سيدنا محمد الذي ارسله الله تعالى والكفر قد علا وارتفع ، ففرق بمجاهدته الباهرة من شره ما اجتمع ، وعلى صاحبه ابي بكر الصديق الذي نجم نجم شجاعته يوم الردة وطلع ، وعمر الفاروق الذي عز الاسلام به وارتفع ، وعثمان ذي النورين الذي رضي بالبلاء والقضاء وما ابتدع ، وعلى المرتضى الذي دحض الكفر وقمع ، وعلى جميع الآل والاصحاب ، ومن تبعهم في مسالك الصواب.

اما بعد اهداء ما تتعطر به انوف الاسماع من نفحات التحية الواردة من مورد الوداد ، واسداء صحيفة المحبة الدالة على الاتحاد، إلى جانب أخينا في الله على الحقيقة،

---

١) الرسالة الثالثة : ج ٢ ص ٣٦١ - ٣٦٢. والرابعة : ج ٢ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

٢) الرسالتان - معا - وردتا ضمن مخطوطة ديوان الوزير محمد ابن ادريس ، خ.ع. ج ٨٤٥ — ص ٣٦١ — ٣٦٨ .

ومن هو معنا ـ ولله الحمد ـ على خير طريقة، وارث لمجد والمفاخر، من جرثومة شريفة المبدا والاخر، شمس فلك تلك الاقطار، المضيء بضياء نجابته المصطفوية الفائقة الفخار، وارث السلطنة بالاستحقاق، معدن العدل والاحسان المنتشر فى الافاق، ذي الهمم العالية، والشيم البهية.

له همم لا منتهى لكبارها   وهمته الصغرى اجل من الدهر

خاقان بني هاشم، أهل الفضائل والمكارم، لا تعد ولا تحصى مفاخرهم بالاف الالاف، واني كمثال قصي وعبد مناف،

ألستم خير من ركب المطايا   واندى العالمين بطون راح

اخينا السلطان المعظم حسن، المتخلق بكل خلق حسن، ابن محمد، سلطان المملكة المغربية، وفقه الله تعالى وايانا الى المساعي الحميدة المرضية، امين.

فالذي نعلم به جنابكم الرفيع المقدار، ونخبركم بما وقع بتقدير الله الحميد الغفار؛ هو انه بمقتضى الارادة الالاهية، والمشيئة الربانية، قد جلست على كرسي الخلافة الكبرى الامامة العظمى إرثا عن ءابائي الخلفاء العظام واجدادي ذوي الفتوحات المقرونة بإعلاء كلمة التوحيد بين الانام، وذلك ببيعة اهل الحل والعقد من العلماء الاعلام، والوزراء والامراء وعساكر الاسلام، وكافة الخواص والعوام، على وجه الكمال والقبول التام، واسأله تعالى بجاه نبيه الامين، وءاله وصحبه ذوي اليقين، ان يوفقني كما وفق اسلافي الى نصرة الدين المبين، وترويج شريعة سيد المرسلين، وخدمة الحرمين الشريفين بالاحترام، ومزيد الاجلال والاكرام، مقرونا باتباع السنة الغراء، والاجتناب من البدع والاهواء، وكذلك المامول منكم الدعاء لنا بالتوفيق، الى حسن منهج الطريق.

هذا وان كانت المراسلة بيننا مقطوعة، ومسالك المودة ممنوعة، إلا ان عهد المودة التي بين اسلافنا دعا الى تجديد عهدها بين أخلافنا، كما قيل وصحت بذلك الانباء: محبة الاباء ترثها الابناء، ومع ذلك فالاتحاد في الدين ومذهب اهل السنة، يوجب كمال الالفة والتشابك في قهر الاعداء بسل الاسنة، فإن ما يزري بطائفة من ذوي التوحيد، فقد يزري بالاخرى بلا مرية ولا ترديد، وما يكون ذريعة لتقوية من تصدى للقيام باعباء الخلافة بين أظهر المشركين، فلاريب في انه موجب لعز سائر الموحدين، وان اختلفت مراكزهم بالمشارق والمغارب، كما هو غير خفي على من ينظر لعواقب الامور والعواقب، كيف واتحاد المسلمين مما حثت به الايات الكريمة البينات، والاحاديث الشريفة الواردة من سيد الكائنات، قال الله تعالى لايقاظ كل ذي نخوة:

إنما المومنون اخوة ، وقال صلى الله عليه وسلم : المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا؛ وغير ذلك من الاحاديث المسطورة في الكتب الصحاح ؛ التي هي غير خفية عنكم ولا تحتاج الى البيان والايضاح ؛ ولاسيما في هذا العصر الذي ظهر فيه الكفر وعلا ؛ وقوى أهله بين الملا ؛ فيجب علينا معاشر المسلمين كافة ؛ الاتحاد والتعاضد والتناصر لدفع كيد المشركين ؛ وإبقاء شعائر الاسلام بين المومنين ؛ والا فعاقبة الامر تئول الى محذور عظيم لا ينجوا منه احد من المسلمين ولو كان في اقصى البلاد ؛ ولا يجدي التباعد والسكوت في دفع ما لاعداء الدين من المراد ؛ وتفصيل هذا الحال يفتقر الى تطويل المقال ؛

ولما حضر في الاستانة العلية ، صانها عن كل سوء رب البرية ، العالم الفاضل السيد ابراهيم السنوسي المعروف لدا حضرتكم البهية ، وكان ممن يعتمد عليه في مثل هذه الامور المهمة الخفية ، اخترناه لتبليغ هذه الرسالة الى حضرتكم ، وتركنا التفصيل فيها اعتمادا على تبليغ المشار اليه ما يقتضى تبليغه شفاها إليكم ، حفظكم الله تعالى وايانا من جميع الحوادث والافات ، ووفقنا واياكم الى حسن الخيرات والمبرات ، وعليكم السلام ورحمة الله تعالى مع البركات ، في جميع الازمنة والاوقات ، حرر في غرة ربيع الاول الانور سنة ١٢٩٤ ه.

وبعد الرسالة العثمانية يأتي رد الحسن الاول ونصه :

« الحمد لله الذي مكن في الارض من اختاره من عباده المهتدين ، وانفذ حكمهم في البسيطة ليعلي بعدلهم منار الدين ، وينكس بصارمهم المسلول بالحق أعلام الكفرة المعتدين.

نحمده سبحانه على ان جعل منا خلفاء يهتدون به و به يعدلون ، وصير زمام الشريعة المطهرة بيد أوليائه الذين حفظوا منهاج الشريعة فلا يغيرون لها رسما ولا يبدلون ، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد الذي هدى من الضلالة ، وعلم من الجهالة ، وقام للحق بالحق ، وقال وقوله الحق : لا تزال طائفة من امتي قائمة بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون ، وعلى خليفته سيدنا ابي بكر الصديق صاحبه في الغار ، ورفيقه في الاسفار ، وسيدنا عمر بن الخطاب الفاروق بين الحق والباطل ، وفاتح الحصون والمعاقل ، وسيدنا عثمان ذي النورين الذي صبر فى الله ، ورضى بما قضاه ، وابن عمه مولانا علي بن ابي طالب ، ليث الكتائب ، مبيد اهل الضلال ، الزاهد في الدنيا والمال ، الثابت في ذات الله حتى لقيه غير مخذول ولا مفتون ، وعلى ءال بيته الطيبين الطاهرين ، أمان الدنيا والدين ، فما داموا فينا ونحن ءامنون ، وعلى جميع أصحابه القادة الهداة الابرار ، واتباعهم واتباع اتباعهم المتمسكين بالاثار ، الذين ادوها الينا سمحاء نقية لم يدنسها بزخاريفهم المبتدعون .

ونهدي أزكى تحيات سنية ، تملا سوق الاداب نفحاتها المسكية الندية ، وتبث في الوجود ارواحها الخزامية الرندية ، لتلك السدة العلية الشريفة ، والحضرة الامامية المنيفة، حضرة اخينا في الله، الخاقان المظفر الهمام المتوكل على الله، المجاهد في سبيل الله، المقدم بالجد والاجتهاد على ملوك الانام ، حامي حمى بيضة الاسلام ، والضارب دونها ببيض الظبى سود الهام. وارث كرسي الخلافة العظمى عن ءابائه الكرام، اعلام الاعلام،

بدور سماء كلما انقض كوكب بدا قمر تاوي اليه الكواكب

حائز شرف منصبها بالفرض والتعصيب ، والضارب بين ملوكها العظام بالسهم المصيب ، واسطة العقد ودرة التيجان ، ونخبة مجد ءال عثمان ، المشيرة جميع الاكوان، الى مفاخرهم بالاكف والبنان ، البينات ءايات فتحهم في كل زمان ، حضرة اخينا السلطان المعظم المفخم عبد الحميد خان، ابن المقدس المنعم عبد المجيد خان ، سلطان المملكة العثمانية ، المؤيد بالفتوحات الربانية ، حباه الله النصر المؤزرا لمتين، وفتح له في أعداء دينه الفتح المبين، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد :

فانا نحمد اليكم الله الذي وسعت الكائنات نعمته ، وشملهم فضله وطوله ورحمته ، ونسئله لنا ولكم مزيد العناية والتاييد ، والحفظ واللطف مع التابيد ، وأن ينصر بكم دينه المحمدي القويم ، ويهدي بسيرتكم الحسنى الى صراطه المستقيم ، ويجعل الظفر مصحوبا مع أعلامكم ، واعناق مناويكم خاضعة تحت أقدامكم ، حتى لاتبقى فضيلة إلا احرزتموها ، ولامكرمة الاحزتموها ، ولامفخرة للاسلام الا اظهرتموها للوجود وابرزتموها .

وقد وصل ـ واصل الله سعودكم ، وأدام في مراقي العز صعودكم ـ مسطوركم البهي المعرب عما تضمنه الفؤاد ، من خالص المحبة وكريم الوداد ، المحيي ـ بحسن مقاصده ـ لما سلف بين الاباء الكرام والاجداد ، الحاث الى ما دعت اليه السنة المصطفوية من الالفة وكمال الاتحاد ، متضمنا لما شرح الصدور ، وأقر الاعين في الورود والصدور ، وابهج الاسلام واهله ، واذهب عنهم كرب الحزن ومحله ، من جلوسكم على كرسي الخلافة العظمى ، وحيازتكم ـ بمنة الله ـ منصب الامامة الاسمى ، ارث اسلافكم الخلفاء الكرام الرفيع المقدار ، الحائزين في الذب عن الدين كمال الاعتبار ، المضيئين بفتوحاتهم الجليلة غياهيب الايام ، الكائنين غرة منيرة في جبين الاسلام ، ولعمري لقد استردت عواريها ، واعطى القوس باريها ، وبلغت الرياسة الشريفة محلها ، ما أحسن

الأشياء محل محلها .

وإذا سخر الإلاه أناسا لسعيد فإنهم سعداء

فهنيئا الدين والدنيا بكم، وبشرى لكم بما خولتم من ربكم، جعل الله ملككم مقرونا بالطالع السعيد ، والفتح المديد، والنصر الذي هو لطوائف الشرك مبيد، وأدام نعمته عليكم، وهدى بكم وهدى اليكم،وجعلكم من الخلفاء الراشدين،الذي ادخرهم لتجديد الدين،امين.

هذا وان من شيمكم الكريمة الواضحة * وعلامات سعادتكم اللائحة * سبقيتكم الى البحث على تجديد عهود الاسلاف الكرام، واحياء مودة الاجداد العظام، وتصحيح الانباء ، يتوارث محبة الاباء للابناء ، والدعاية الى الالفه والتشابك على قهر الاعداء ، وعلاج دائهم قبل الاعتداء ، وتلك شجية يخص بها الماجد الاحزم ، وشنشنة أعرفها من اخزم ، وما زالت تلك المثار تختلج في الصدر ، وتتردد ما بين السحر والنحر، وتوالي الايام تدني من املها ما تقصى ، ومواعدها تلين ثم تستعصي، حتى أتاح الله لكم أمرها ، واطلع فى سماء فضلكم بدرها ، وخصكم بثالائها ، وملككم زمام ولائها، ولكم فى ذلك مزية التقدم والاقدام، وما على من بذل ما في وسعه من ملام.

وأما ماشرحتم من تمائي أهل الاشراك, ونصهم المسلمين الغوائل والاشراك ، ودعوتم اليه من الاتحاد على دفاعهم والاشتباك، فما خلت - بحمد الله - ضمائرنا من تلك النية ، والتناصر في ذات الله عندنا غاية الامنية ، والسعي فى جمع الكلمة متعين على جميع اهل التوحيد، والدعاء اليه من خصال الموفق الرشيد ، وما نصر الله منا ومنكم ببعيد ، وقد ابلغ الفقيه العالم الفاضل الاديب الزكي الشريف ابراهيم السنوسى ما حملتموه من ذلك شفاها ، وأدى الرسالة المباركة الى منتهاها ، والله المسئول جل أن يحفظ الدين الحنفي بكريم هذه العصابة ، ويؤيدها بالنصر والفتح والتسديد والاصابة ، بجاه سيد الانام ، ومسك الختام ، ولبنة التمام ، عليه افضل الصلاة وأزكى السلام ؛ والسلام يعود على مقامكم ورحمة الله تعالى وبركاته ».

وبعد العلاقات المغربية الشرقية ياتي شمال افريقيا، حيث وردت اشارة الى قنصل مغربي بتونس، والمعنى بالامر هو الكاتب الحاج محمد الشرقي المغربي، المتوفى عام ١٢٨٢ هـ - ١٨٦٦ م، فقد جاء في ترجمته (١) انه صار - اخريات عمره - وكيل المغاربة بتونس .

---

١) « إتحاف أهل الزمان » لابن ابي الضياف ج ٨ ص ١٤١ - ١٤٢.

٢ - تجديد الجيش

يمكن القول بأن إصلاح الجيش المغربي كان أول اصلاح تناوله جهاز الدولة المغربية، فبعد « موقعة ايسلي » : بدأت المحاولات الاولى لتجديد الجيش المغربي ايام السلطان عبد الرحمن، الذي نظمت في عهده بعض فرق من الجيش على نسق نظام الجيش التركي الحديث. وقد اسندت قيادة هذه الفرق لضابط مسلم يسمى عليا التونسي(١)

وعلى ما يقول البعض(٢) فقد كان عدد هذا الجيش النظامي يبلغ ستة عشر الفا، وكثيرا ما كان يطلق عليه اسم « العسكر » او « النظام »(٣).

والذي كان يرعى هذا الجيش ويتبناه هو الخليفة اذ ذاك سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي جاء في ترجمته(٤) : « أنه ابتدأ تنظيم هذا الجيش الحديث أيام خلافته عن والده بعد موقعه ايسلي ».

وقد اشتهر هذا الجيش النظامي حتى بلغ مسامع والى مصر محمد علي باشا الذي اهدى اليه ٣٥ كتابا فنيا (٥)، وعن هذا الجيش يقول في «فوصل الجمان» (٦) :

«ولم تكن وزارة الحرب عند ملوك المغرب بولاية معروفة، ولا الى شخص معين بمصروفه، وكان الجيش كله على النهج القديم، ليس له على الطريق الحديث ترتيب ولا تنظيم، الى ان وقع للسلطان سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن زمن خلافته عن أبيه ما وقع من الكسر القوية، بحادثة ابي هراوة(٧) مع العساكر الفرنسوية، فعلم أن ما اصاب

---

١) هكذا في الاتحاف ج ٥ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ : استنادا على ان مؤلفه وجد في قائمة الخارج لعام ١٢٦٥ : « مرتب العسكر»، وفي صحيفة ٧٧ منه : ان احداث هذا الجيش كان عام ١٢٦١ حيث كلف السلطان المذكور عامليه : اشماش وازطوط بتنظيمه، وعلى هذا يكون ابتداء تنظيم الجيش من هذا التاريخ، وانظر « العز والصولة » ج ٢ ص ٢١٤ - ٢١٥ حيث ورد اسم قائد اخر يسمى حمودة الجزائري.

٢) هو الشيخ محمد بيرم الخامس في كتابه : « صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار » ج ١ ص ٦٥.

٣) تقدم ص ١٥ نقلا عن كتاب « كشف الغمة» : «وترتيب الجيش على هذه الصفة هو المسمى بالنظام» .

٤) الاستقصا ج ٤ ص ٢٢٢ ، الاتحاف ج ٣ ص ٥٦٧ .

٥) الاتحاف ج ٥ ص ١٥٥ .

٦) ص ٨٨ .

٧) لقب كان يعرف به الجنرال لاموريسير قائد الجيش الفرنسي في موقعة وادي إيسلي

جيشه العديد، هو من عدم تنظيمه على الطراز الجديد، ولما رجع الى منصة خلافته... نظم من ابناء القبائل ثلة، وجعل لها وزارة مستقلة (١)،ورتب لها ضباطا، وابدى بها سرورا واغتباطا، فصارت يدقونها بنحور العصاة دافعة، وبنواصي اهل الزيغ سافعة، وأصبحت دائرة نفوذها واسعة، ممتدة الى الأنحاء الشاسعة».

وتفيد الفقرات الاخيرة من «الفواصل» : أن هذا الجيش الحديث أتى اكله، وصار يباشر مهمته الى جانب الجيش المغربي القديم، وهذا ما تنطق به الاشعار الآتية قريبا، وايضا تفيد ذلك الفقرات التالية الواردة أثناء ظهير(٢) للسلطان المولى عبد الرحمن يخاطب فيه ولده سيدي محمد : « وهذا العسكر النظامي حيث ظهر ثباته واقدامه ونكايته في العدو، استكثر منه على قانونه واعداد عدته.»

ونستطيع ان نجد بعض وصف هذا الجيش النظامي في القصيدة(٣) الآتية. التي أنشأها الشيخ الكبير يوسف بن بدر الدين المدني في احدى قدماته(٤) على المغرب، وهو يصف فيها الجيش المغربي الجديد، ويمدح منشئه السلطان المولى عبد الرحمن:

امير المومنين له مزايا	يضيق النشر عنها والنظام
واعظمها اذ ذكرت وعدت	- وان كانت بأجمعها عظام -
«نظام» عقده المدين عقد	نفيس زان جوهره نظام
وان ذكرت جيوش النصر طرا	فهو لها المقدم والامام
يريك اذا نظرت له صفوفا	لها بالنصر جد واهتمام
تطير لها قلوب الاسد خوفا	ويفزع عند رؤيتها الحمام
فعند الرمى تصلى الجو نارا	وعند الضرب ينشدق الحسام
وان صفت فتحسبها بناء	شديد الرص رصه انتظام
وان نطقت فبرق او رعود	كساها من ملابسه الظلام
وان سارت لحرب فالمنايا	تسير وطبعها جثث وهام
«قل المدين جاء النصر فاهنأ	ولاتجزع ، فقد نظم «النظام»
وقل لابن الرسول ومن اليه :	ملوك الارض تفزع اذ تضام
ليهنك اذ شددت بنظم جند	عرى مجد فليس له انفصام
وفاق نظام جندك كل نظم	وهل تحكي اسودكم الرئام

---

١) هذه الوزارة انما احدثها بعد مبايعته .

٢) الظهيرمؤرخ في ٦ رمضان١٢٦٣،وهو وارد بتمامه في الاتحاف(٥) ٨١ ـ ٨٣

٣) وردت هذه القصيدة بتمامها في «الحلل البهية في تاريخ الدولة الملوية».

٤) انظر عن قدماته للمغرب : الاتحاف (٥) ١٥٦ .

فكم جند تقدمه بجبن | وطال بارضه منه المقام
وسدت دونهم ابواب نصر | ولم يكمل لهم بهم مرام
فلما ان منتت بنظم جند | تولى الفكر وانقطع الملام
وتم لكم بهذا الدين نصر | ومدتكم ملائكة كرام
فعن قرب يكسر جيش كسرى | وترشق في قياصره السهام
فطب نفسا بجندك فهو جند | به الكفار طار لهم منام
فإن يكن غيركم بالبدء يسمو | سمو البدر زايله الغمام
فإن بداية الاشياء سهل | ولاكن الكمال هو الختام
وهل فضل الهلال اذا تبدى | كفضله اذ يتم له التمام
فدم في الملك بدرا است تخشى | مدا التأبيد نقصا والسلام

وسوى هذه القصيدة الشرقية، هناك نتف ضمن قصائد مغربية تتحدث عن جيش المغرب النظامي في هذه المرحلة الاولى، ومن ذلك قول بعض الشعرا (١):

ولله في هذا الوجود خلاصة | هداهم، لهم في كل صالحة ذكر
«عساكر» فتح عود الله رفعها | اذا قوبلت، يسرى لنا صبها الكسر

ومن قصيدة (٢) للشاعر الطيب بن عبد السلام التستري المكناسي المتوفى أواسط المائة الهجرية 13

جمعت هذا الجيش تبغي به | اشادة الدين وقطع الخنا
فجاء وفق نية والفتى | ثمار ما يغرسه قد جنى

ومن قصيدة (٣) لمحمد اكنسوس الشهير في تهنئة السلطان محمد بن عبد الرحمن بالملك:

له العسكر الجرار تبرق في الوغا | صوارم منه والمدافع ترعد
يعد الى الاعداء كل كتيبة | من الرعد يحدوها الوشيج المسدد
وكل كمي كالغضنفر مغضبا | وكل صقيل وهو ماض مجرد
يفيد العدا اقبل اللقاء مهابة | فصارمه يفرى الطلى وهو مغمد

١) هذه القصيدة نسبت للوزير محمد بن ادريس كما بالاتحاف (٥) ٢٤٩، ويبعد هذه النسبة: ان القصيدة تتناول حركة السلطان عبد الرحمن لزمور الواقعة عام ١٢٦٩ هـ، في حين ان ابن ادريس توفي في من عام ١٢٦٤، وعلى هذا تكون القصيدة لشاعر آخر غير ابن ادريس.

٢) توجد هذه القصدة ضمن «مجموعة أمداح في السلطان عبد الرحمن بن هشام» أصل المجموعة في المكتبة الاحمدية بفاس، ونسخة منها بمكتبة كاتب السطور.

٣) وردت في «الجيش» ج ٢ ص ٦٦ وفي الاستقصا ج ٤ ٢١١ ـ ٢١٣

ومع الأستبشار ، البادي من هذه الأشعار، يظهر ان تنظيم الجيش كان يلاقي معارضة من بعض الجهات (١) ، وذلك من أسباب انخرامه في هذه المرحلة الاولى .

فلذلك لما وقعت حرب تطوان اعاد الملك محمد بن عبد الرحمن إثرها النظر في أمر الجيش النظامي ، وكان أول ما بدأ به في هذا الصدد : ان استشار عشرة من أئمة علماء المغرب في الحكم الشرعي في هذا التنظيم، فعل ذلك ـ فيما يظهر ـ ليقطع بفتاويهم ـ التي كانت بالموافقة ـ كل جدال في المسألة ، وكان العلماء الذين استفتوا : هم ١ ـ قاضي فاس محمد بن عبد الرحمن العلوي المدغري : ٢ ـ ابو العباس احمد المرنيسى . ٣ ـ أبو عبد الله محمد الصادق بن محمد الهاشمي العلوي المدغري قاضي سجلماسة ونواحيها. ٤ ـ ابو محمد عبد السلام بوغالب ٥ ـ ابو عيسى المهدي بن سودة ٦ ـ اخوه ابو خفص عمر ابن سودة ٧ ـ ابو عبد الله محمد بن محمد بن حمادي الحمادي المكناسي . ٧ ـ ابو عبد الله محمد مسواك بن محمد التازى ٩ ـ الحاج محمد ابن محمد الفيلالي ١٠ ـ أبو العباس احمد بناني المدعو كلا (٢) .

وبعد أجوبة المعينين بالامر شرع الملك المذكور في تجديد الجيش المغربي ، والمعلومات التي توصلت اليها عن هذا التجديد هى التالية :

احدث هذا الملك للجيش وزارة على حدة يدعى صاحبها العلاف الكبير ، وهو أيضا الرئيس الاعلى للجيوش المغربية ، وقد أسند هذه الوزارة ـ أولا ـ للسيد عبد الله ابن احماد أخ السيد موسى بن احماد الحاجب الشهير.

كما أسند تدريب هذا الجيش الى السيد محمد خوجه التونسي الذي كانت رغبته قوية في السير بالجيش المغربي في طريق التقدم (٣) .

وكان هذا الجيش النظامي يشتمل على الخيالة وبعض الرجالة الذين تأسسوا لاول مرة . وكان ينقسم الى عدة فرق : كل فرقة تسمى (الطابور) الذي يشتمل على ٩٠٠ جندي فيه عدد من حملة الشواقير (٤) .

ومن الفرق التي كان يتألف منها هذا الجيش: «فرقة الوصفان» رئيسهم الوصيف

---

١) بعد ما كتبت هذا رأيت في «الجيش» الاشارة لهذه المعارضة ج ٢ ص ٨٠ .

٢) على هذا الترتيب رأيت الاشارة فقط لاسماء هؤلاء الاعلام بخط القاضي المهدي ابن سودة على هامش أول جوابه في المسألة .

٣) انظر «الاتحاف» ج ٣ ص ٥٦٩ مع مجلة «المصباح» العدد الاول .

٤) «الاتحاف» ج ٣ ص ٥٦٨ .

ابن المزوار. «فرقة» اهل سوس رئيسهم الحاج منو الشهير، «فرقة الحاج عزوز بن الفتوح»، «فرقة الحاج الزروالي» وغيرهم(١)

ولباس هذا الجيش كان من الملف الرفيع، وكسوة رؤسائه مزركشة ومرصعة بخيوط الذهب، ونعالهم من جلد أحمر، اما سلاح الجيش فكان من اعلى طراز(٢).

ومن الوثائق المتعلقة بهذا الجيش: الرسالة (٣) الملكية التالية الموجهة لامناء مرسى الدار البيضاء ونصها بعد الافتتاح:

«... وبعد فانا لما اخذنا في جمع «النظام» للمصلحة المتعينة، الواضحة البينة، المقرر امرها لدى الخاص والعام، واجتمع منه عدد يسير، واختبرنا ما صير عليه في شهر واحد، فاجتمع فيه عدد كثير، فكيف إن جمعنا منه عدد معتبرا يحصل به المراد، ويكون قذى في أعين أهل العناد، اقتضى الحال ذكر ذلك لكبراء التجار لينظروا فيما يستعان به على أمرهم، اذ لا بد من كفايتهم، والا انحل نظام جمعهم، وفي ذلك ما لا يجهله من له أدنى عقل ومحبة في الدين، فأشاروا بفرض اعانة لا ضرر فيها على الرعية، وسطروها في ورقة. وهي كلا شيء بالنسبة لما ارتكبه الملوك في مثل هذا للاستعانة به على المصالح المرعية، وللضرورة احكام تخصها، كما هو معلوم مقرر، ومسطر في غير ما ديوان محرر، ثم اقتضى نظرنا ان نسند الامر في ذلك لاهل العلم ليقرروا للناس حكمه تقريرا تنشرح له الصدور، ويعمل بمقتضاه في الورود والصدور، وان كان جلهم يعلم هذا، اذ من المعلوم أن الرعية لايستقيم أمرها الا بجند قوي بالله. ولا جند الا بمال، وهو لا يكون الا من الرعية على وجه لا ضرر فيه، وقد اخذ الناس هذه مدة بحضرتنا العالية بالله، ومكناسة. وتازا. والعدوتين. ومراكش. في ذلك، وسلكوا في ترتيبه احسن المسالك، ولا شك أن بركة ذلك تعود عليهم في اموالهم واولادهم وانفسهم، فبوصول هذا اليكم قوموا على ساق الجد في القبض من الناس بالباب على نحو ما في الورقة المشار اليها، ولا دخل للنصارى في ذلك، والله أسأل ان يبارك للمسلمين في مالهم، ويعوضهم خلفا، آمين والسلام، في الثاني والعشرين من رجب عام سبعة وسبعين ومائتين والف».

---

١) «الاتحاف ج ٢ ص ٥٠٠ ٢) المصدر ج ٣ ص ٥٦٨.

٣) هذه الرسالة وردت في «الاستقصا» ج ٤ ص ٢٢٢

ومن الاشعار التي قيلت في جيش النظام في هذه الحقبة : الابيات الآتية الوردة ضمن قصيدة للشاعر الكاتب محمد بن محمد غريط، في تهنئه الملك محمد بن عبد الرحمن بانتصار احرز عليه :

«... ورجال العسكر الساطي لهم — اعين عن أمره ما ان تنام
كلفوا بالضرب والطعن اذا — صار ليل النقع كالجون الركام
كيف ينجو في الصياصي منهم — كل جبار وزار بالذمام
كانصبات السيل ان شنوا على — زمر الاعداء غارات الحمام
وهم الانصار للدين فما — اعظم الفخر بفرسان «النظام»(١)

وقال المؤرخ أكنسوس المتقدم من قصيدة :

وعدد امثال الاسود عساكرا — تخر لها الاسد الضراغم سجدا
وتهتز منها الارض عند ركوبها — وترجف اطواد الجبال تميدا
وتحسب أن الجو نار تأججت — يضج لها باغي الفساد مشردا
وتخفق ريح النصر بين بنودها — على غرة المنصور أكرم من غدا(٢)

وقال الشاعر نفسه أيضا من قصيدة :

اعد عدادا للعدا بعساكر — مسومة ركبان خيل ورجلان
ليوث افتراس كلما زأرت على — ديار أناس زارها كل أحزان
فوارس تغتال النفوس كأنها — اذا صبحت ارضا عصائب عقبان
تراها كمثل السيل يخسف تحتها — تراها وترمي كالاثير بشهبان
تصول بأسياف تحيض ذكورها — وتسطو بأرماح كأنياب ثعبان
وتنشر رايات تشوش ذيونها — رياح سعود من رخاء سليمان
اذ اضطربت في الجو قال هبوبها — الا ان نصر الله والفتح وافان(٣)

* * *

ثم خطى الجيش النظامي بعض الخطوات ايام السلطان الحسن الاول، فانه لما وجد القوة العسكرية المحمدية غير كافية، ابتدأ أولا بفرض الجيش على بعض المدن ،

---

١) «فواصل الجمان» ص١٦٤ .
٢) الجيش ج ٢ ص ٧٩.
٣) المصدر ج ٢ ص ٩٠ .

فألزم أهل فاس بخمسمائة، وألزم أهل العدوتين بستمائة، وألزم غيرهما من الثغور بمائتين مائتين (١) .

ثم بعد هذا اصدر امره لعمال الحوز والغرب بفرض العسكر عليهم، وعين وزير العسكر محمد الصغير الجامعي للتوجه لدكالة للاتيان بما فرض عليهم وهو الفان ، ومن الشاوية كذلك، ومثلها لكل من الرحامنة، وحاحا، ومن قبائل أخرى ما عين لكل قبيلة ، هذا زيادة على عدد الطبجية(٢) الذين كانوا يفرضون على كل قبيلة (٣)، وبسبب هذا ارتفع عدد الجيش النظامي في هذا العهد . وصار مركبا من ٢٥ الف جندي تقريبا ، فيه الضباط المغاربة المدربون (٤).

واعتنى السلطان الحسن الاول بهذا الجيش : «كان يباشر عرضه وترتيبه بنفسه ، واستجلب له المدربين من انجلترا وفرنسا واسبانيا (٥) ، وقد اشتهر من هؤلاء المدربين : ماك لين الانجليزي قائد الجيش النظامي ، وإركمان الفرنسي قائد جيش المدفعية(٦).

وفي آخر حياة السلطان الحسن الاول كان هؤلاء المدربون قد أدوا مهمتهم في تدريب الجيش المغربي ، فصار هذا الملك يطلب من حكوماتهم سحبهم، وكان جواب احداها وهي اسبانيا: أنها تساعد على هذا السحب بمجرد سفر مدربي الدول الاخرى(٧)

ومن التنظيمات التي سار عليها نفس السلطان في هذا الصدد ، تخصيص جيش كل جهة بدفتر على حدة، لتسجل به اسماء المنخرطين في الخدمة العسكرية : كل واحد باسمه ونسبه ووصفه وموضع سكناه وحرفته (٨) .

---

١) الاستقصا ج ٤ ص ٢٤٣ .
٢) هم رماة المدافع.
٣) الاتحاف ج ٢ ص ٥٠٠ .
٤) البيان المطرب ص ٤٠ .
٥) هذا مع الاحتفاظ بالمدربين القدامى، حيث ورد في أوائل عهد نفس السلطان ذكر السيد عمرو التونسي ونعمان التونسي معلم الفرق الموسيقية ، وذلك بتاريخ ١١ شعبان عام ١٢٩٢هـ، حسب دفتر مخزني بالمكتبة الملكية رقم ٣١٣ – ص ٧ .
٦) الاستقصا ج ٤ ص ٢٤٣ – الاتحاف ج ٢ ص ٤٩٣ .
٧) الاتحاف ج ٢ ص ٤٩٤ - ٤٩٥ .
٨) وردت الاشارة لهذا في طالعة الدفتر الذي يحمل رقم ٣١٠ بالمكتبة الملكية .

ولاتزال ـ بقيد الوجود ـ مجموعة من اعيان هذه الدفاتر محفوظة بالمكتبة الملكية بالرباط ، ومنها :

— دفتر المنخرطين من الوداياء رقم ٣١٠ .

— ودفتر المنخرطين من فاس العتيق : من اللمطين والاندلس والعدوة، رقم ٣٠٨ .

— ودفتر المنخرطين من فاس الجديد ، رقم ٣٢٤ .

— ودفتر الشراردة ، رقم ٣٠٩ .

— ودفتر الرحامنة ، رقم ٣٠٢ .

— ودفتر قيادة القائد العربي بن الشرقي ، رقم ٣٠٤ .

— وغيرها وغيرها .

وعن لباس هذا الجيش الحسني وبعض نفقاته ، نقدم رسالة للسلطان عبد العزيز ، أصدرها أول عهده إلى امنا مرسى الصويرة ، ونصها بعد الافتتاح :

«... وبعد : فنامركم ان تكسوا عسكر وطبجية وبحرية ذلك الثغر المحروس بالله : النفر : بكسوته المعتادة المشتملة على كبوط وبدعية من ألط وغليلة وسروال من الكتان وطربوش وبلغة ، والزباط « يقصد الضباط » : بكسوتهم المعتادة، المشتملة على كبوط وبدعية وسروال من الملف البندقي وغليلة من الكتان وطربوش على نسبة مراتبهم ، وان تكسو الجيش السعيد بالكسوة المعتادة له على حسب قائمة رواتبهم ، كما نامركم أن تزيدوا لكل نفر في مئونته اليومية عشر موزونات ، بحيث تصير مئونة النفر أربع اواقي ، والسلام في ٨ ربيع النبوي عام ١٣١٢ » (١).

ومن تتمه حديث هذا الجيش ايام السلطان الحسن الاول ، أنه لما أراد أن يجدد تنظيمه سأل أهل العلم عن الحكم في توظيف المونة لتنظيم الجيش المغربي ، فتصدى للجواب ـ باشارة الباشا عبد الله بن أحماد ـ الفقيه السيد علي بن محمد السوسي من تلاميذ ابي الحسن التسولي، وكتب جوابا مطولا رتبه على مقدمة، وثلاثة ابواب ، وخاتمة ، وسماه بثلاثة أسماء : اولها : « عناية الاستعانة ، في حكم التوظيف والمعونة»، يقع في ورقات ٨٢ مسطرة ٢٣ ويحمل رقم ٤٨٠ د من الخزانة العامة بالرباط،

---

١) ثبت نص هذه الرسالة في الدفتر الذي يحمل رقم ٣٢٨ من نفس المكتبة ص ٨٦

راجع ترجمته المؤلف في السلوة (١)

٣ـ احياء الاسطول

الى جانب الجيش البرى انشيء في هذا الطور نواة قوة بحرية منظمة تنظيما حديثا، لتسد الفراغ الذي تركه ضياع الاسطول المغربي أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام.

وكان ابتداء تأسيس هذه القوة البحرية الاولية في أيام السلطان الحسن الاول الذي اشترى من أوروبا عدة بواخر وزعها على مراسى المغرب، بعضها كبير، وبعضها صغير لنقل السلع (٢)، كما أوصى على صنع بعض البواخر الاخرى، وفي أول عهد الدولة العزيزية اضيف لهذا الاسطول باخرة جديدة.

والمعروف لحد الآن من هذا الاسطول هى القطع التالية :

١ ـ الباخرة العظمى التي تحمل اسم «الحسني» اشتراها السلطان المولى الحسن الاول واستخدم بها ـ بمرسى طنجة ـ عدة وافرة من شباب العدوتين سلا والرباط : بحرية ومعينين. وقد استمر بعضهم يعمل بهده الباخرة الى ما بعد وفاة نفس السلطان (٣) وقد تكون هذه الباخرة هى التي تسمى عند البعض : «احسان».

٢ ـ «قرصان حربي» وردت الاشارة له في بعض المقيدات (٤)

٣ ـ الباخرة التي تحمل اسم «البشير»، واسمها الكامل : «بشير الاسلام، بخوافق الاعلام»، صنعت بايطاليا بأمر السلطان المولى الحسن الاول، ووردت للمغرب بعد وفاته ايام المولى عبد العزيز، وكان بها من المدافع اثنا عشر، ومن الطبجية اثنا عشر، ومن البحرية أربعة وأربعون : شطر عدتهم من الرباط، والشطر الآخر من سلا، مع ما أضيف اليهم من طنجة وتطوان من البحرية والمستخدمين بجهازها، ورئيسها ألماني يدعى متى، وأمين صائرها السيد عبد الكريم زيوزيو التطواني (٥).

وكان يتولى النظر في شؤون هذه الباخرة النائب المغربي بطنجة الحاج محمد بن العربي الطريس التطواني، اسند اليه هذه الخطة السلطان عبد العزيز بظهير مؤرخ

١) ج ٣ ص ٣٥١ ـ ٣٥٢.
٢) زهر الافنان ج ٢ ص ٣٠٤.
٣) زهر الافنان ج ٢ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥.
٤) «الاستبصار» للطاهر الاودي.
٥) «مفدمة سوق المهر» ص «لـز».

في ٢٩ رجب الفرد عام ١٣١٧ - ١٨٩٩، ويتضمن ارشادات لرجال الباخرة بالقيام بوظائفهم الدينية والبحرية(١).

وقد كانت هذه الباخرة تستخدم ايضا في ربط المواصلات بين المغرب وبعض الاقطار الاخرى ، وعليها سافرت الى الجزائر لجنة الحدود المغربية الجزائرية عام ١٣١٩ (٢)

٤ ـ الباخرة التي تحمل اسم «التريكي» اشتراها السلطان عبد العزيز لاول عهده، وفيها سافر الى مرسى طرفاية الوفد المغربي الذي توجه لتسلم هذه المرسى من التجار الانجليز (٣) .

هذا وقد وصف في « الدائرة الوجدية » (٤) بعض قطع من الاسطول المغربي يمكن ان تكون من المتقدمة أو غيرها ، فقد تحدث عن قطعتين مغربيتين ترجعان لاواخر العهد العزيزي : الاولى «طرادطوربيدي» من الفولاذ طوله سبعون مترا، وعرضه عشرة امتار، وحمولته ألف ومائتا طن، وقوته البخارية تعادل ٢٥٠٠ حصان بخاري، وسرعته في الساعة ١٨ عقدة ، وبه عشرة مدافع من عيار اثنى عشر مترا .

الثاني : « مركب آخر » من ذوات الرفاس طوله ٣٧ مترا، وعرضه ١١ مترا، وحمولته ١١٦٤ طنا ، وقوة «الاته تعادل ١٤٠ حصانا، وسرعة سيره نحو ١٠ عقدة في الساعة. ويسمى « احسان» .

ومن الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع : رسالة(٥) وجهها السطان المولى الحسن الاول الى عامله بسلا لما حاول احياء الاسطول المغربي ، وفيما يلي نصها بعد الافتتاح.

« خديمنا الارضى الحاج محمد بن سعيد السلاوى . وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فنأمرك أن تبحث في الثغر السلاوى عمن له خبرة بالرياسة البحرية، ويعرف كيف يسافر في البحر ببابور الكوشطة، ماهرا بذلك .بحيث لا يخفى عليه

١) الظهير وارد بالاتحاف ج ٢ ص ٥٠٥ ـ ٥٠٨ ، ومنه نسخة اخرى بمكتبة كاتب السطور .

٢) يوخذ هذا من الظهير رقم «٩٥» الوارد ضمن «مجموعة ظهائر علوية» لنهليل.

٣) يوخذ خبر هذه الباخرة من الاتحاف ـ ج ١ ص٣٨٥ مع « الاستبصار».

٤) ج ٨ ص ٧١٩ ـ ٧٢٠ .

٥) وردت في «زهر الافنان» ج ٢ ص ٣٠٥.

شيء من امر تلك الرياسة ، فاذا وجدت من قامت به الصفة المذكورة ، فلا يخلو اما ان يكون متعددا ، واما ان يكون منفردا ، وعلى فرض التعدد فلا بد أن يكون البعض أقوى مهارة من البعض ، فلتبينهم لنا بأسمائهم ، وأنسابهم ومراتبهم في الرياسة وما يحسنه كل واحد منهم من ذلك على الانفراد . مع كونهم بلديين . أو آفاقيين ، او البعض بلدي والبعض آفاقي ، حتى نكون على بصيرة من امرهم . واجعل يدك عليهم ، وليكونوا على اهبة لما يرد عليك من قبلنا . بحيث اذا ورد عليك امرنا الشريف بما يكون فيهم كانوا متيسرين ، وان لم تجد من قامت به تلك الصفة متعددا ، فان وجدت واحدا فقط فسمه ايضا باسمه ونسبه ورتبته في الرياسة ، وليكن متهيئا لما يرد عليك من حضرتنا الشريفة ، وان لم تجد من قامت به تلك الصفة ولكنه اذا اريد تعليمه يقبل التعليم بسهولة اما لتقدم معرفة له بذلك . وما لكونه فطنا فكذلك بينهم لنا بأسمائهم وانسابهم ، ومراتبهم في الذكاء والفطنة ، آفاقيين أو بلديين ، واطلع علمنا الشريف بكل ذلك — على تفصيله — عزما ، والسلام ، في ثالث صفر الخير ، عام تسعة وتسعين ومائتين وألف » .

ومن ذيول هذا الموضوع : ان هناك رسالة رفعها الرؤساء البحريون بسلا والرباط ، وفيها يلفتون نظر السلطان محمد الرابع الى الاهتمام باحياء الاسطول المغربي واعادة تنظيمه ، ويوجد من بين الموقعين عليها : ستة رؤساء بحريين من عائلة هواد الشهيرة بسلا (1) .

4 — بناء المعامل الحربية

وقامت في البلاد حركة نشيطة لبناء المصانع الحربية ، وقد بني منها في هذا الدور :

1 — **معمل لصنع البارود** : يحمل اسم «فابريكة الحبة» (2) اسسه محمد الرابع بالموضع المعروف بالسجينة قرب جامع الفنا من مدينة مراكش ، وكان يصنع به البارود المزدوج (3) .

---

1 — جاءت الاشارة لهذه الوثيقة في «رسالة عائلات سلا» ، تأليف عشاش بلقاسم بن العربي ، مخطوطة خاصة .

2 — الفبريكة تعبير اسباني عن المصنع ، والحبة كريات صغيرة من الرصاص .

3 — «الاتحاف» ، ج 3 ص 565 ، مع رسالة واردة في «العز والصولة» ج 2 ص 223 .

2 — **معمل صنع القرطوس** : بأكدال من نفس المدينة حيث لا تـــزال اطلاله قائمة ، وهو من انشاء السلطان الحسن الاول (1) ، وهناك خمس رسائل نتعلق ببناء هذا المعمل .

ويتضمن أولها — وهو الملحق الاول — تكليف محتسب مدينة مراكش مولاى عبد الله بن ابراهيم البوكيلى ، بالاشراف على بناء هذا المصنع، وذلك فى 12 شعبان ، عام 1304 هـ ، كما يستفاد من الملحق الاخير أن هذا المصنع كمل بناؤه — تقريبا — فى أوارخ عام 1310 هـ ، أما أدوات استخدامه فقد استجلبت من فرنسا بمبلغ 83·900 فرنك ، وهى مفصلة فى لائحة مطولة سيرد نصها من بعد ، ومن الجدير بالذكـــر أن هذا المعمل كان يستخـــدم بالبخار (2) .

والآن نورد نصوص الرسائل الخمس متسلسلة حسب تواريخها(3) ، ثم ياتى بعدها نص اللائحة (4) .

الوثيقـــــة الاولى

يعلم من كتابنا هذا اعلاه الله فى جو اليمن والاسعاد بناءه وشـــيــد اركانه ، اننا بحول الله المتعالى عن المستقر والماوى ، العالم السر والنجوى، كلفنا خديمنا الارضى ، المحتسب ، مولاى عبد الله بن ابراهيم البوكيلـــى ، بالوقوف على بناء المحل لمكينة القرطوس باكدال السعيد ، فنامره بالقيام فى مقابلة ذلك على ساق ، والسلوك فى امره احسن مساق ، كما نامر الواقف عليه من خدامنا العمال والامناء باعماله ، والجريان معه عـــلى منواله ، والـــسلام .

فى 12 شعبان الابرك عام 1304

الـــوثيقة الـثـانيــة

خديمنا الارضى ، المحتسب ، مولاى عبد الوكيلى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

---

1 — «الاتحاف» ج 2 ص 499 .

2 — هذا ذكره الطاهر بن الحاج الاودى ، فى موضوعه : «الاستبصار» مخطوطة خـ ـــاصة .

3 — توجد اصول هذه الرسائل فى مجموعة وثائق : خ . ع ، د ، 3410، الاولى : رقم 11 ، والثانية : 279 ، والثالثة : 224 ، والرابعة : 210 ، والخامسة : 117 .

4 — وردت هذه اللائحة فى البقية الغير المنشورة من كتاب «العز والصولة» المتكرر الذكر ، مخطوط المكتبة الملكية . رقم 8049 — ص 206 — 209 .

وبعد : فنامرك ان تخبر بما كان من امر المكينة التى كلفناك بالوقوف على بنائها ، وما آل اليه ذلك من كمال او غيره ، والسلام .

في 24 صفر الخير عام 1305

الوثيقة الـثـالـثـة

خديمنا الارضى ، المحتسب ، مولاى عبد الله البوكيلى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد : وصل كتابك صحبة حساب صائـــر بناء مكينة القرطوس عن الاثنين والعشرين شهرا التى آخرها رجب الفارط ، وطلبت تنفيذ التسعة آلاف ريال والسبعمائة ريال والستة والعشرين ريـــالا والربع ريال، المدر ة لك على الصائر المذكور، ودفعها لولدك باعتابنا الشريفة، وصار بالبال ، فالواجب فى العدة المذكورة من المثاقيل بحـــسب اثنى عشر مثقالا وخمس اواقى للريال : هو مائة الف مثقال ، وخمسة وثلاثون الـــف مثقال ، وثمانية وسبعون مثقالا ، وخمس موزونات ، وقد دفعت لولدك كما طلبت ، ولا تعد لجعل الاعداد ريالا فى هذا او مثله ، لان المصارفة فيها انما هى بالمثقال ، واعداد الريال مقصورة على المسائل البحرية ، والسلام .

فى 19 رمضان المعظم عام 1306

الـوثيقـة الرابـعـة

خديمنا الارضى ، المحتسب ، مولاى عبد الله بن ابراهيم البوكيلى ، وفقك الله ، وسلام عليك وحمة الله ، وبعد : وصل كتابك بانك وجهت ورقة صائر بناء مكينة القرطوس عن خمسة اشهر آخرها ذو الحجة ، ذاكرا ان قدره سبعة واربعون الف مثقال ومائتا مثقال وسبعة وسبعون مثقالا وثلاث اواقى ، يسقط ذلك من الموجه لك يبقى داركا عـــليك ثلاثة آلاف مثقال وخمسمائة مثقال وتسع وثلاثون اوقية وربع اوقية ، طالبا تنفيذ خمسة آلاف ريال بقصد الصائر المذكور ، وذكرت ان الخدمة فى غاية الاجتهاد ، وصار ذلك بالبال ، فورقة الصائر المذكورة وصلت وصرنا من مضمنها على بال ، والعدد المذكور صائر له بال ، واما طلبته من تنفيذ خمسة آلاف ريـــال الى آخره : فقد نفذنا لك اربعة آلاف ريال عينا لدى امناء البنقة المراكشية مما يفضل تحت ايديهم عن الصائر ، وكتابنا الشريف لهم بتنفيذها يوافـــيك ، والـــسلام .

فى 4 صفر الخير عام 1307

الوثيقـــــــة الخامسة

خديمنا الارضى ، المحتسب مولاى عبد الله البوكيلى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد : وصل كتابك بان مكينة القرطوس تـــم بناؤها ، ولم يبق الاجص ارضها واقامة الحديد لدفوف سراجيمها ، وتوقف الغرض فى ذلك على المعلم ادريس زولوا ، ليحضر على ذلك على مقتضى نظره فى تسوية ترتيب المكينة ، طالبا من جنابنا الشريف اصدار الامر بتوجيهـــــه لهناك ، وتنفيذ ما صير على المكينة عن ثلاثة وعشرين شهرا بشهر قعدة عام ثمانية ، الذى قدره ستمائة ريال وتسعة وتسعون ريالا وربع ريال وثمنه ، حسبما تفصيله بورقات الحساب التى وجهت ، وصار بالبال ، فلترفع يدك عن الخدمة فى المكينة حتى نقدم لهناك بحول الله ، وقـــــــد اصدرنا امرنا الشريف لامناء البنيقة المراكشية والوصيف ويدة بتنفيذ الصائر المذكـــور ، ومكاتبنا الشريفة لهم به تصلك طيه ، والسلام .

فى 28 حجة عام 1310

الوثيـــقـــة السادســـــة

« زمام مكينـــــة القرطـــوس

نـــمـــرة		فرنـــك
1	مكينة لتقصيص النحاس	600
2	مكينة امجره لترقيق النحاس	1375
3	مكينة لتقصيص النحاس وتبويط القرطوس	2640
4	مكينات 2 لتبويط القرطوس : الاول والثانى	4840
5	مكينات لتجفيف الاول والثانى	4840
6	مكينات لتقريص القاع الاول	1320
7	مكينات لبرم الفم على القياس	825
8	مكينات لتقريص القاع الثانى	3740
9	مكينات 2 لثقب قاع القرطوس : يخدمان باليد	825
10	مكينة لتضيق الفم	1650
11	مكينة لتنظيف القرطوس	275
12	مكينات «2» للصقل ، مع كركبات من عود للتخليطة	2200

13	مكينة فرن الطبخ	825
	واقامة عشر طواجن لحمى القرطوس	140
	وجفنات للغسل	90
14	مكينات «2» لخرط القاع على القياع يخدمان باليد	880
15	مكينات لتركيب الحبة فى القرطوس يخدمان باليد	440
	واقامتها : ايادى لتعمير البارود فى القرطوس	500
16	مكينات لتعمير البارود فى القرطوس	770
17	مكينة الخفيف	3135
	واقامتها : جفنة لتذويب الرصاص	80
	وعشرون قالبا للخفيف ومفرفتان حديدا	660
18	مكينات «2» لبرم الكاغد على الخفيف (1)	
19	مكينات لتبليغ الخفيف فى القرطوس	
	يخدمان باليـــــد	**660**
	الجمع اسفل يمنة	33310
20	مقص بقصص نحاس الحبة	600
21	مكينة امجرة لنحاس الحبة	1375
22	مكينة لتبويط الحبة	1100
	واقامتها : عشر ايادى لتعمير تخليط الحبة	215
	ومائة وستة وعشرون لوحة من النحاس الاصفر	835
	وستون طباصيل صغارا من الكاغد تجعل فيها الحبة	110
23	مكينة للحبة : تخدم باليد	880
24	مكينة للحبة : تخدم بالرجل	935
25	مكينة لسحق البارود للحبة	500
26	مكينة لتبليغ السجن للحبة	4400
27	ايادى لسجن القزدير على الحبة	330
28	ايادى من نوع آخر لتبليغ السجن وتعصيره	355
29	رخامات «2» يدلك عليها تخليطة الحبة	35
30	مكينة لسجن البارود للحبة ايضا	500
31	مكينة لتقصيص النحاس وتبويطه لقرطوس الصيد	1595

1 ـــ اهمل مرجع هذه اللائحة ذكر ثمن مشتريات رقم 18 .

واقامتها : رخامات (4) ، وعلباب نحاس (4)
تلصق باجعاب نحاس (4) ، وداخل العلباب طاسات من الزنك (4) ، وشطاطيب من الشعر (4)
وقضبان حديد 8 ، ولوحات خشب 10 ، فيها : مسامير واقفة ليبس الكاغد المبوط .

ثمن هذه الاقامة كلها :	**495**
فـــرنـــك	47465
الجمع حوله	47465

نـــمـــرة

32	مقص لتقصيص الكاغد : يخدم باليد	275
33	مكينة لتجفيف الكاغد	825
34	مكينة لتقصيص اجعاب الكاغد	550
35	مكينة لتقصيص الكاغد فلكات لداخل القرطوس	385
36	مكينة لتقريض قاع القرطوس	330
37	مكينة تضرب قاع القرطوس	3740
38	مكينات لثقب قاع القرطوس باليد	385
39	مكينة لتقصيص مسمار السلك باليد	2200
40	مكينات (2) لتركيب الحبة	275
41	مكينة تبويط الورقة التى داخل القرطوس	1100
42	مكينة لثقب قاع القرطوس باليد	275
43	مكينة تلاقى النحاس مع الكاغد	1100
44	مكينة لثقب قاع القرطوس	220
45	مكينة لقطع قاع القرطوس	660
46	مكينات (2) لسد القرطوس مع القاع	275
47	مكينات (2) لتركيب الحبة فى القرطوس	220
48	مكينة لتبويط الحبة	1100
	واقامتها : عشرة ايادى لتعمير تخليصة الحبة	715
	ومائة وستة وعشرون لوحة من النحاس	830

	وستة طناجير للغسل	1320
49	ايادى سجن الحبة على القزدير	330
50	ايادى لتعصير الحبة	350
51	مكينة لسجن البارود	275
	مغازل 16 ، وعجلات 12 ، وكراسى 20	3900
	مكينة الافوار محتوية على قطع 18	7500
	برمة النار	6300
	الجميع فرنك	83900

فيه ريال عدد 16600

انتهى زمام الفبريكـــــــة»

واخيرا: فقد حالت وفاة الحسن الاول دون ان يكون هذا المعمل يؤدى مهمته.

وبعد هذا ننتقل من مراكش الى فاس ونقدم :

3 ــ معمل السلاح بفاس الذى كان يسمى «مكينة العدة» ، وقــد انشىء قبل دار السلاح (1) .

4 ــ «دار السلاح» بفاس ، وموقعها داخل باب الساكمة يمين المــار منه لباب المكينة ، حيث يتراءى لك مظهر المعمل الخارجى الفخم ، الــذى يشخص اهميته كأكبر معمل بالمغرب فى عهده ، وترى بابه مكتوبا باعلاه :

«دار السلاح منشئها الامير مولاى الحسن» ، وكان تأسيسها على يد المهندس الايطالى لوطرى من عام 1305 حتى عام 1308 هـ حيث انتهــى العمل فيها (2) ، وفى عام 1309 هـ كان افتتاحها فى مهرجان عظيم اقــامه السلطان الحسن الاول ، بعد حفلات عيد المولد النبوى الذى احتفل به فى فاس (3) ، وقد ورد ذكر هذه الدار اثناء قصيدة مولدية للشاعر الحـــاج ادريس بن الحاج على السنانى ثم الفاسى ، حيث جاء ضمن ذكــر الحسن

---

1 ــ ورد ذكر هذا المعمل مع معمل القرطوس المراكشى اثناء رسالــة حسنية فى الاتحاف (2) 495 ــ 497 .

2 ــ الاتحاف (2) 495 وغيره .

3 ــ «البستان الجامع لكل نوع حسن ، وفن مستحسن ، فى عد بعض مآثر السلطان السلطان مولاى الحسن» ، نسخة الخزانة العامة بالــرباط رقم 1346 د ، ومؤلفه هو محمد بن ابراهيم السباعى ثم المراكشى .

الاول هذا البيت :

وشيدت دارا للسلاح عظيمة   وشيدت حبا للعبادة مسجـدا (1) .

وكانت تشتمل على ثلاثة معامل كلها تستخدم بالماء : الاول معمل صنع البنادق تامة الادوات : من حديد وعود وغيرهما ، الثانى معمل صنع القرطوس ، الثالث معمل ضرب السكة المغربية (2) وبهذا الاخير وقع ضرب بعض قطع من السكة المغربية ايام مولاى الحسن ومولاى عبد العزيز من فئة : 10 ، 5 2 ، 1 موزونات ، ونصف الموزونة (3) ، وهى القطع النحاسية المكتوب على احد وجهيها انها ضربت بفاس .

هذا وفى «الاتحاف» (4) تفاصيل اخرى عن «دار السلاح» تثبت المهم منها فيما يلى :

«قد استخدم بهذه الدار طلبة البعثة المتخرجة من مدارس فرنسا ، وبلجيكا ، وكان رئيسها الكولونيل الايطالى بريكلف . وكبارها هم : محمد الصغير ، والمختار الرغاى ، ومحمد بن الكعاب ، وادريس الفاسى ، والطاهر بن الحاج الاودى (5) ومحمد المنقرى ، وعباس بن قاسم (6) ، وعدد جميع العملة الذين كانوا بها ثلاثمائة عامل : من فاس ، ومكناس ، ومراكش ، والرباط ، وسلا ، وغيرها .

وكانوا ينقسمون الى اقسام : لكل قسم قائد مائة ، ومقدم ، وملازم ، واجرتهم اليومية من اثنى عشر مثقالا الى مثقال واحد ، وكان يصرف لهم اللباس سنويا ، وكذلك اللباس الذى يباشرون به العمل ، وكانوا لايخرجون منها الا باذن الكولونيل رئيسها ، وقد وقفت — يقول ابن زيدان — على اذنين اصدرهما لبعض العملة بالعربية والفرنجية بتوقيعه، وكان عدد ما يقبضه الامناء من مصنوعات الدار فى كل جمعة صندوقين ، داخل كل واحد منها ثمانية عشر

---

1 — القصيدة واردة فى ديوان المذكور ، المسمى : «الـروض الفائح بازهار النسيب والمدائح» ، خ ، ع ، ك 1678 — ص 128 .

2 — هذا مأخوذ من الاستبصار ص 184 وغيرها .

3 — «الاستبصار» مع الاتحاف (2) 499 .

4 — ج 2 ص 498 — 499

5 — هو رئيس العملة بهذه الدار «الاتحاف» ج 2 ص 468 .

6 — هذا ومن قبله انما ورد «بالاتحاف» ج 2 ص 468 ، وقد كان الاول رئيس قسم صناعة الزنادات بالدار ، والثانى رئيس قسم صناعة الجعاب بهـا .

بندقية بحرابها ، وبلغ عدد ما كانت تدفعه من القرطوس شهريا : ثلاثمائة ألف ، وكان نوع سلاحها يسمى باللسان الدارج «بوحفرة» ، وبالافرنجى «مرطنى» ، وبقى العمل مستمرا بها الى حدود سنة 1321» .

هذا آخر المحتاج له من كلام «الاتحاف» ، وفى «الاستبصار» (1) ما يفيدان «دار السلاح» كان العمل جاريا فيها اول العهد الحفيظى .

5 — اصلاحات بالشواطىء

يضاف لما تقدم الاهتمام الذى بدأ فى هذا الطور باصلاح الشواطىء وبناء التحصينات عليها ، حتى ان السلطان الحسن الاول عين بكل مرسى مهندسا لتفقد قوتها والطواف عليها واخبار المسؤولين فى اقرب وقت بالصالح منها والمفتقر للاصلاح ، وعين المولى احمد الصويرى — الذى كان رئيس قواد المدفعية وخليفة وزير الجيش — واسطة بين اولئك المهندسين وبين الملك الذى كان بمجرد ما يتصل بالواقع يبادر بتنفيذ ما تتطلبه الحالة (2) .

ومن مظاهر ذلك الاهتمام : برج الفنار الذى بناه الملك محمد بن عبد الرحمن على ساحل البحر باشقار قرب طنجة ، ليسرح ليلا حتى يهتدى به السيارة فى البحر (3) .

وقد وقع الشروع فى بنائه اواسط سنة 1861م على يد مهندس فرنسى ، وفى اوائل سنة 1864 تم البناء ولم يبق الا اشتراء آلة النور وتركيبها فى اعلاه ، وفى خامس عشر ابريل من نفس السنة انبعثت الاضواء من اعلى اول منار بنى فى السواحل المغربية . وقد كانت قوة هذه الاضواء مقدرة بستة او سبعة آلاف شمعة ، فزيد فيها الى عشرين الفا ،

---

1 — ص 91 .

2 — الاتحاف ج 2 ص 500 مع «الاعلام» بمن حل بمراكش واغمات من «الاعلام» ج 2 ص 268 .

3 — الجيش ج 2 ص 81 . «الاستقصاء» ج 4 ص 234 . «الاتحاف» ج 3 ص 565 .

وكان مجموع المبلغ الذى انفق على هذا المنار — بجميع مرافقه — يناهز ثلاثمائة وثلاثين الف فرنك (1) .

كذلك قام المولى الحسن الاول باصلاح ابراج طنجة وبناء خزائنها المعدة للذخائر ، وتركيب مدافعها ، وقد تم هذا على يد بعض المهندسين الانجليز بمساعدة الزبير سكيرج المهندس المغربى (2) .

والمولى الحسن هو الذى بنى البرج العظيم خارج بـاب العلو من الرباط الذى يسمى بالبرج الكبير ، او البرج الالمانى (3) لكونه بنى على يد بعض المهندسين الالمانيين بمساعدة المهندس المغربى سكيرج الآنف الذكر ، وقد بنى على هندسة جديدة لم تكن معروفة بالمغرب قبل ، وجهز باحدث المدافع اذ ذاك المجلوبة من معامل كروب بالمانيا (4) .

وهو — كما فى «مقدمة الفتح» (5) — البانى لمرسى الرباط الحالية قبل ان تتناولها يد الاصلاح الحديث : جدد بناء ديوانتيها الكبرى والصغرى ، وزاد فى رصيفها ، وشيد عدة اهرية ومستودعات لحفظ البضائع .

واذا تركنا الرباط الى مدينة «الجديدة» نجد الاصلاح يتناول ابراجها واسوارها منذ عهد الملك محمد بن عبد الرحمن (6) ، الذى اعتنى — ايضا — بشأن الثغور وبعث من نوابه من يتفقد احوالها (7) .

وقد تبدو هذه التحصينات تافهة ازاء ما كان يتطلبه المغرب اذ ذاك؛ ولكن يجب ان نلاحظ ا نالمغرب فى هذا الاو ان كانت يده مغلولة عن بناء التحصينات الحربية كما يريد ، حسبما اعلنت عن هذه الحقيقة وزارة الخارجية الحسنية فى بعض مكاتبها (8) .

---

1 — هناك مقال عن هذا المنار فى مجلة «فرنسا والمغرب» ، وعنه كتبت جريدة «السعادة» مقالا فى الموضوع ، عدد 2403 ، السنة 18 ، 9 حجة عام 1340هـ/3 غشت 1922م .

2 — انظر تفاصيل تحصينات طنجة من طرف نفس السلطان : فى «التحفة السنية للحضرة الحسنية» اسم رحله لاسبانيا من تأليف احمد بن محمد الكردودى ، «المطبعة الملكية» بالرباط ص 25 — 29 .

3 — هذا البرج صار تابعا للملجأ الخيرى بالرباط .

4 — الاتحاف ج 2 ص 489 ، مقدمة الفتح لمحمد بوجندار ص 134 .

5 — ص 135 .

6 — السلوة ج 3 ص 232 . الاستقصاء ج 4 ص 234 .

7 — المصدر الاخير ج 4 ص 234 .

8 — هذا الكتاب ورد فى «الاتحاف» ج 2 ص 503 — 505 .

وفى الاخير : نذيل هذا الموضوع بظهير مهم يعطينا مثالا من اهتمام الحسن الاول بتفقد الشواطىء المغربية ، حتى انه عين لجنة لتفتيشها ثغرا، ثغرا ، وهذا نص الظهير (1) بعد الافتتاح .

«خالنا الارضى ، الطالب محمد ولد اب محمد ، وخدامنا امناء مرسى العرائش حرسها الله ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فقد وجهنا حملته : كاتبنا مولاى احمد بن العربى البلغيثى ، وخديمنا مولاى عبد الرحمن بن احمد البوكيلى ، والمهندس الطالب : احمد الشاذلى البخارى ، والطالب المختار الرغاى ، لمعاينة ابراج الثغور ، وتفقدها واختبار احوالها ، ثغرا بعد ثغر حتى تفتر مباسمها عن درر هاتيك الثغور ، ويصير طيها لديهم فى حيز النشور ، ويعرفوا الصالح منها وغيره ، وكذا المطافى وما هو من ذلك مفتقر للاصلاح ، وقدر ما يقام به بتقدير ارباب البصر العارفين بذلك الاصطلاح ، ويعرفوا عدد المدافع فى كل برج ، والمهراس ، وفرمة كل منهما ، وكونهما من المدبر ، او خالص النحاس ، والصالح والفاسد ، والمستعمل والكاسد ، وعدد المدافع الفاسدة المنبوذة فى الفضاء والازقة وبالصقاقيل وغيرها — نحاسا وحديدا — التى لاتصلح لصالحة ، وما هو منها صالح وانما يتوقف على الكراريط والعمائر فقط ، كل نوع على حدته ، وكذلك عدد الكراريط وما يطابق منها كل فرمة من فرم مدافع تلك الابراج كما وكيفا ، وصلاحا وفسادا ، وما يعمل فيه العلاج ، وسائر الآلات الجهادية ، وما يحتاج اليه كل برج من الاجزاء المادية ، وما هو معين لكل مدفع فى كل برج او فى الخزائن من البنت والكور الموجودة فرمته فى المدافع والماهرس : المستعمل وغير المستعمل لفقدان فرمته فيهما ، وفق ما يقع عليه العثور ، ويعرفوا قناطير البارود التى بخزائنه بأنواعه ، اخدا من الكناش ، لاباعادة وزنه ، لتعسره او امتناعه ، وجميع العدة بكل خزين: الصالح منها والمتلاشى ، وما فيها من التوافل والسكاكين وميزان الخفيف المفروغ ، والبارة وميزان ملحة البارود ، حتى يعرفوا من الكل نهايته ومقداره ، ويسردوا جميع الطبجية والعساكرية فى كل ثغر ، ويعرفوا منهم الاسم والعين ، والقادر والعاجز ، والمعلم والمتعلم ، من غير تلبيس ولامين .

---

1 — هذا الظهير يوجد اصله بمكتبة كاتب السطور .

فنامركم ان تقفوا مع الموجهين المذكورين لثغر العرائش ، حتى يستوفوا الغرض المذكور ، على الوجه المبين فى هذا المسطور ، وان تبينوا لهم كل ما أمرنا ببيانه ، ليكون لديهم واضحا فيرتبوه فى تقييده وعنوانه ، كما نأمركم ان تنبهوا الطبجية على ضرب الاشارة مرتين فى كل جمعة ، لتحصل الدراية للمتعلمين وتقع بهم المنفعة ، جعل الله ذلك فى طاعته ومرضاته ، ومن العمل المتقبل المبرور ، العائد بالثواب المذخور ، والسلام ، فى 3 ربيع الثانى عام 1300» .

وبعد هذاا لظهير الحسنى نحيل على تفتيش من طرف كمندور فرنسى، اجراه على ابراج العدوتين : الرباط وسلا ، وعلى الرماة المدفعيين بهما ؛ وقد ثبت ملخص هذا التفتيش — مع ملحق له — فى كتاب «العز والصولة» (1)

6 — محاولات لتطوير بعض الصناعات

ولم يخل هذا الطور من محاولات لتطوير بعض الصناعات المغربية ، كتجارب فى هذا الميدان وقعت على عهد السلطان محمد الرابع الذى انشأ المعامل البخارية التالية :

معمل السكر :

تأسس هذا المعمل فى مؤخرة «اكدال» بمدينة مراكش عند باب احمر ؛ وبذل فيه مؤسسة محمد الرابع المال الطائل ، وجلب له اختصاصيين من اوربا لبنائه حتى جاء على عمل متقن وهيئة ضخمة .

وفى اول الامر كان معلمون اوربيون هم القائمين فى هذا المعمل بعصر قصب السكر وتصفيته ، ولما عجزوا عن اتمام العملية حل محلهم اختصاصيون شرفيون جلبوا من القاهرة ، ويؤخذ من بعض الوثائق ان هذا المعمل ادى مهمته حينا من الدهر ، ثم آل امره بعد ذلك الى التعطيل لقلة المادة ، ومما قاله فى «الجيش» (2) عن هذا المصنع لدى تعداد بعض مآثر محمد الرابع :

«.. من ذلك الآلة التى يعصر فيها السكر ويعقد ، حتى يوجد فى كل حين ولا يفقد ، ويغنى عن جلبه من اقاصى البلدان ، لما اجرى الله العادة اليوم باستعماله فى سائر الاوقات لاستصلاح الابدان ، فأراد مولانا نصره

---

1 — ج 2 ص 197 — 202 .
2 — ج 2 ص 80 .

الله ان يكفى الناس مؤونة اجتلابه ، ورأى ان هذه البلاد ـــ لكثرة مرافقها دون غيرها من الآفاق ـــ اولى به ، فأمر بغرس القصب الحلو واستنباته ، وتهييئة المزارع الطيبة واختيار اطيب اوقاته ، ووجه على من يحسن اعمال اخراجه من القوة الى الفعل بغاية ما يطلب من الاجارة او الجعل ...»

وكان الذى اسند اليه انشاء هذا المعمل هو السيد محمد الــــدكالى الرباطى العارف ببعض اللغات الاوربية ، والمكلف من طرف مـــلك المغرب بتنمية مؤسسات الاشغال العمومية المختلفة ذات الاهمية ، وقد ابرم بتاريخ 8 أكتوبر 1962 = 1279 اتفاقية مع ميكانيكى انجليزى ليقوم بتركيب الآلات اللازمة لعصر السكر ، ويشرع فى استعمالها على احسن ما يرام ، وليقوم ايضا بتأسيس المعامل وتركيب جميع الآلات كيفما كانت (1) .

وهناك رسالة حسنية مؤرخة فى 22 قعدة عام 1310 هـ ، وهى تتعلق بتكليف المهندس عبد القادر العلج بادارة معمل السكر هذا ، بدلا من مديره السابق : عبد الله العلج المتوفى ، ومن تاريخ الرسالة نتبين ان هذا المعمل استمر قائما حتى اواخر عهد السلطان الحسن الاول ، وهذا نصها بـــعد الافـــتتاح :

«خديمنا الارضى ،المحتسب ، مولاى عبد الله البوكيلى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد كلفنا المهندس عبد القادر العلج بمقابلة مكينة السكـــر ، عوضا عن عبد الله العلج المتوفى ، فنأمرك بالحضور انت . والوصيف ويدة . والخديم الحاج ادريس ابن جلون الفاسى ، واحصاء ما فيها من الآلة الآن : سواء الغليظة والرقيقة ، ومقابلته مع تقييد ما كان بها حين تكليف العلـــج المتوفى ، وبيان الفرق بينهما ، واين ذهب وصار ذلك الفرق ، وادفع ذلـــك لعبد القادر المذكور باشهاد عليه بعد توجيه تقييد بما ذكر لشريف حضرتنا ، وبيان ما تلاشى منها من الطرنبات وموازين الحرارة ونحو ذلك .

ثم نامرك برد البال لما كلف به العلج المذكور : من صقل آلاتها ودهنها وصيانة آلاتها حتى لايضيع منها شيء ، وقد امرنا الوصيف ويـــدة والحاج

---

1 ـــ حديث هذا المعمل مقتبس من الجيش ج 2 ص 80 ، مع الاستقصا ج 4 ص 234 ، والاتحاف ج 3 ص 556 ـــ 563 .

ادريس بن جلون بمثله ، والسلام ، فى 22 قعدة عام 1310» (1) .

معمل القطن :

هذا المصنع — الذى كان مقره بمدينة مراكش — وردت على المغرب ادواته اوائل دولة الملك محمد الرابع عام 1279 هـ او قبله ، ومن وقت تأسيسه لانسمع عنه حديثا او خبر حتى عام 1288 هـ ، حيث تتحدث رسالة : بان مهندسا اوربيا قام بهذا المصنع وبمعمل السكر احسن قيام .

هذا : وتفيد وثيقة اخرى بان محمدا الرابع اوصى بانشاء معمل ثان للقطن ليكون فى مدينة الرباط (2) ، ولا ندرى هل وصل لهذه المدينة ، واذا كان وصل فهل ادى مهمته ؟

وهذه رسالة من الحسن الاول فى شأن توجيه تاجر اسبانى لمراكش ، للقيام بتفتيش معامل : «السكر» و «القطن» و «القرطوس» ، وهى بتاريخ 29 ربيع الاول عام 1309 هـ ، ونصها بعد الاستفتاح :

«خديمنا الارضى ، المحتسب ، مولاى عبد الله البوكيلى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد وجهنا حامله التاجر خيم طور الصبنيولى لرؤية فابركات 3 : السكر والقطن والقرطوس ، التى هناك وتقليبها ، وتقييد التى وجدها منها كاملة غير خاص فيها شىء من آلاتها ، والتى وجدها غير كاملة خاص من آلاتها شىء ، وبيان الآلة الخاصة منها ، وهو يصير على نفسه فى سفره من هنا ومقامه هناك وايابه .

فنامرك ان تتوجه معه بنفسك لمحال الفابركات المذكورة ، وتقف حتى يقيد ذلك على نحو ما ذكر ، والسلام ، فى 29 من ربيع الاول النبوى ، عام 1309» (3) .

طاحونة بخارية :

استجلبها محمد الرابع عام 1279 — 1862 ، ونصبها لفائدة السكان

---

1 — وردت هذه الرسالة ضمن مجموعة وثائق ، خ . ع ، د 3410 — رقم 130 .
2 — انظر من هذا والمعمل قبله : الاتحاف ج 3 ص 564 — 560 .
3 — مجموعة الوثائق الآنفة الذكر — رقم 172 .

بمدينة طنجة لينتفعوا بالطحن فيها (1) .

وفى عهد السلطان الحسن الاول : يتحدث مصدر (2) معاصر — كتب عام 1299 هـ — عن الشروع فى نصب رحا نارية بمدينة مراكش ، ويحدد موقعها بانها كانت تقوم فى الجهة العليا من مشهد سيدى عمارة .

ومن المؤكد انه تم بناء هذا الجهاز ، وصار يستخدم فى عملية الطحن ، وهذا ما يستفاد من رسالة حسنية الى محتسب مدينة مراكش ، ونص المحتاج له منها :

«خديمنا الارضى ، المحتسب ، مولاى عبد الله بن ابراهيم البوكيلى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : وصل كتابك مبينا تام النجابة (كذا) ، فى خدمة مكينة الطحن والتابع له واستقامة امرها .... وان اعتذرت عن استخدام المكينة بعدم الحطب فقد بينا لك مستفاد المكينة ....

نعم لايطحن فيها لدارنا العالية بالله الا عند الضرورة ، وانما يطحن لها بالارحى ، كما ان المكينة لاتبطل ويطحن فيها لسائر الناس ، لتوجد عند الاحتياج اليها على اكمل حال ، والسلام ، 2 ربيع الاول عام 1301» (3) .

7 — تقدم نسبى فى التجارة الخارجية

الى جانب هذه المحاولات الصناعية — فان التجارة المغربية فى هذا العهد اخذت تتطور بما انفتح امامها — اكثر من ذى قبل — من الاسواق الخارجية ، نتيجة لتقدم المواصلات فى الخارج ، وللتسهيلات المحلية ، وقد ام هذه الاسواق فى اوربا وغيرها مغاربة مقتدرون اسسوا تجارات واسعة، وادراوها بشكل اثار اعجاب الملاحظين ، وقد تحدث عن نشاط المغرب التجارى فى هذه الحقبة رحالة تونسى (4) وقال :

«... ولهم — المغاربة — اليد الطولى فى التجارة ، بحيث ان تجارة داخل المملكة — اعنى غير المراسى التى على البحر — هى بيد الاهالى ، ويرسلون

1 — الاتحاف ج 3 ص 563 — 564 .
2 — «رسالة نشاط الاذهان» : المخطوطة السالفة الذكر .
3 — مجموعة الوثائق المتكررة الذكر — رقم 318 .
4 — هو الشيخ محمد بيرم الخامس فى كتابه «صفوة الاعتبار ، بمستودع الامصار والاقطار» ج 1 ص 62 — 63 .

منهم الى اقاصى الممالك لمعاطاة الاشغال التجارية ، ووصلها بمملكتهم ، حتى لاتكاد تجد مدينة شهيرة للتجارة فى احدى قارات اوربا وآسيا وافريقيا الا وفيها من تجارهم من له مزيد الرواج والثروة ؛ ولهم براعة فى ادارة التجارة يناكبون بها الاورباويين» .

وبعد هذا الرحالة التونسى : ما هو كاتب شرقى مشهور (1) يسجل هو الآخر تطور تجارة المغرب الخارجية فى العبارات التالية :

«... وللمراكشيين باع طويل فى التجارة ، واقدام لايجاريهم فيه بقية المسلمين ، فانك تجد من المشتغلين الرابحين بها : ابنـــاء البنانى فى «منشستر» منذ 40 سنة ، وعائلة بوهلال فى «جنوة» ، وعائلة بنـيس فى «ليفربول» ، وعائلة الحلو فى «مرسيليا» ، وعائلة جسوس فى «لندرة» ، وعائلة القباج فى «همبورغ» .

ومن مظاهر التطور الذى طرأ على التجارة المغربية ، مشاركة المغاربة فى المعارض الدولية بأوربا ، ففى هذا الطور استدعى المغرب لثلاثة معارض فى سنوات مختلفة .

الاول : «معرض باريس الثانى» ، فقد كتب نابليون الثالث للسلطان محمد الرابع يرجوه مشاركة المغرب فى المعرض العالمى الذى اعتزم اقامته بباريس عام 1285 — 1867 ، ولبى ملك المغرب الدعوة ، فبعث الحـاج محمد بن العربى القباج الفاسى من كبار التجار ، وبعث معه كل غريب مما اختص به المغرب : من سروج مذهبة ، ومناطق مزخرفة ، وقطائف منمقة ، وغير ذلك من الاعلى الى الادنى ، حتى الزليج الفاسى والمعلمين الـــذين يباشرون ترصيعه فى محاله (2) .

ويوجد بالمجموعة المعنوية بـ «معرض سنة 1867 العمومى» : فصل عن الرواق المغربى فى هذا المعرض ، وفى ظهر الصفحة المكتوب فيها هذا الفصل : صورة قلمية للرواق المغربى تمثل بناء خشبيا قائما على اقـواس واساطين ، فى يساره دكان يرى ببابه رجل عربى الشكل ، بين يديه اثواب كأنه يهش فى وجه فتيات من زائرات المعرض ، وينوه لهن بسلعته ، وبجانب

---

1 — هو محرر «تقويم المؤيد» سنة 1324 هجرية ص 294 .
2 — الاستقصا ج 4 ص 231 — 232 .

هذا الدكان ــ وسط واجهة الرواق ــ سقاية على الشكل المغربى الاندلسى الجميل ، ينبع الماء من انابيبها الكثيرة ، وبجانب السقاية يظهر قوسان وقف باحداهما عسكرى ، ولعل هناك كان الاروى الذى به جياد عربية بعث بها سلطان المغرب ، لتعرض على انظار الزائرين (1) .

ثم شارك المغرب للمرة الثانية فى معرض باريس الثالث المقام عام 1295 ــ 1878 ، ومن اغرب ما ارسله سلطان المغرب المولى الحسن الاول لهذا المعرض دار كلها من خشب على هيئة ديار فاس ، وبها النقش حديدة وغيرها ، وكذلك فرشها (2) .

وفى عام 1306 ــ 1889 شارك المغرب للمرة الثالثة فى معرض باريس الرابع ، حيث عرض منتواجت وطنية (3) .

وقد تحدث عن هذا المعرض المغربى محمد امين فكرى (4) وقال :

«.... ثم انتقلنا من هذا المحل الى معرض مراكش ، وقد عرض بضائعهم فيه نحو ستين شخصا فى نحو الفى متر مربع ، وهو عبارة عن قصر ملوكى ، وفسفاط بجواره ، وسوق بالبعد عنه بأوائل سكة مصر ، كل منها على طراز مراكشى .

اما القصر الملوكى فقد عرضت فيه المصنوعات الوطنية بأصنافها : من بسط لطيفة ، واسلحة محلاة بالذهب والفضة ، وغير ذلك من المصنوعات الظريفة .

واما السوق المراكشى فجمع ما به معروض للبيع بخلاف ما فى القصر ، وقد احتوى على اشياء كثيرة من مصنوعات البلاد : مثل اقمشة الصوف والحرير ، والسجاجيد ، ومنسوجات متعددة فى الشكل والاستعمال ، وكثير من الجلود المصنوعة : كالمخدات والمداسات المعروفة بالبلغ ، وكثير من النحاس المنقوش : كالصوانى ، وغيرها من الاوانى والخناجر والسكاكين المذهبة والمفضضة .

---

1 ــ «جريدة السعادة» عدد 4474 السنة 34 .
2 ــ «صفوة الاعتبار» ج 3 ص 81 .
3 ــ الاستطلاعات الباريسية اسم رحلة محمد السنوسى التونسى ــ ص 201 .
4 ــ ارشاد الالبا . الى محاسن اوربا مطبعة المقتطف ــ ص 374 ــ 375 .

وتجاه السوق محل اكل على الطراز المراكشى ، فيه من الموسيقى الاهلية ما يسمونها بالنوبة» .

ومن الوثائق المتعلقة بالمعرضين الاول والثالث : رسالة مغربية فى صدد الجواب عن استدعاء المغرب من طرف وزير خارجية فرنسا للمشاركة فى معرض 1878م ، ورغم خلو الرسالة عن الامضاء ، فهى — دون شك — صادرة عن وزير الخارجية الحسنية : محمد المفضل غريط ، وهى — ايضا — تمدنا بمعلومات عن المعروضات المغربية فى معرض 1867 ، وهذا نص الرسالة بعد التصدير :

«المحب العاقل ، الناصح الكبلير ، الساعى فى الخير بين الدولتين المحبتين ، منيسطر دولة الفرنصيص الفخيمة ، المعتبر ، شارل فيرو .

بعد مزيد السؤال عن احوالك ، ومحبة ان تكون بخير دائما ، فقد وصلنا كتابك بان دولتكم الفخيمة ، كانت جعلت سوقا بباريز حياة سيدنا المقدس بالله ، فى العام 1283 (1) الذى بينت ، واتى اليه الناس من سائر الاقاليم بسلع بلدانهم ، وحتى سيدنا المقدس بالله ، كان وجه اناسا لذلك السوق ، من جملتهم الحاج محمد القباج الفاسى ، وصحبوا معهم السلع المغربية ، كالزرابى ، والفخار ، والصطارم المطرزة ، وورد معهم اناس بناءون ، وبنوا هناك دارا وقبة تعجب فى صناعتهما كل من حضر بذلك السوق .

وذكرت ان مراد دولتك ان تجعل سوقا آخر مثل السوق المذكور فى التاريخ 1306 الذى بينت ، وكتبت لجميع الاجناس بالاعلام بذلك ليتهيئوا له ، وقبلوا ذلك وفرحوا به .

وحيث كنت انت الواسطة بين سيدنا — نصره الله — وبين دولتك الفخيمة ، اعلمت بذلك ليجعل — اعزه الله — مثل ما كان جعله سيدنا والده المقدس فى السوق المذكور ، ويقتدى به — رحمه الله — فى ذلك ، لكون مراد دولتك هو اتصال المحبة بين الاجناس .

واطلعت بكتابك شريف علم مولانا ، وصار — نصره الله — على بال من جميع ما ذكرته فيه ، وامرنى — دام تأييده — ان نجيبك عن ذلك بانه

1 — سبق قلم عن 1285 .

نشط بما عرفت به فى ذلك من جانب سيدنا ـ رحمه الله ـ من الاعتناء بذلك ، وقد وافق عليه نصره الله ، وهو ـ اعزه الله ـ بصدد تعيين من يتوجه للسوق المذكور بسلع الايالة ، ويصحبه بالمعلمين الذين يصنعون فيه مثل ما ذكر واغرب ، ودمت بخير ، وختم فى 2 ربيع الاول عام 1304» (1)

وان هذه البارقةالتى برقت على الاقتصاد المغربى فى هذا الطور اخذت توتى ثمراتها الاولى ، فمثلا فى ايام محمد الرابع لاحت على المغرب سمة اليسار ، فغلت الدور والاملاك ، حتى كانت فى بعض السنين لاتسمسر ، ومن يشترى دارا انما يشتريها بالتنقير عنها ، والطلب من ربها بالثمن الجافى ، واتخذ ذوو اليسار المراكب الفارهة ، والكسى الرفيعة ، والذخائر النفيسة ، وتأنقوا فى البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع ، لاسيما بفاس ورباط الفتح ، ولاحت على المغاربة حضارة جديدة مطبوعة بالطابع الاوربى (2) .

ومما يدخل فى باب انعاش الاقتصاد المغربى . ونختم به هذا الموضوع : ما قام به السلطان الحسن الاول من رفع المكوس فى سائر الابواب بالمدن والقرى المغربية كلها ، واسقاط ذلك بالمرة ، وقد تحدث فى الاستقصا (3) عن هذا الحادث فكتب ما ملخصه :

«وفى اواسط ربيع الاول من سنة 1303 : ورد امر السلطان ايده الله بتسريح ما كان موظفا على ابواب المدن والقرى ، مما كانت تؤديه العامة على احمال السلع والتجارات من المكوس ، وكتب فى ذلك الى عامل سلا وقته ، ولما ورد كتاب السلطان فرح الناس به ، ودعوا للسلطان بالنصر والتأييد من خالص نياتهم ، نطلب الله تعالى ان يتم نعمته على المسلمين بتسريح ما بقى موظفا من مبيعات الاسواق ، ويريح الناس من شؤمه ، فانه لاشىء اشأم من هذه المكوس على الدول ، نسأل الله العافية» .

8 ـ تجديد العملة

من القضايا التى كانت تتطلب علاجا فى هذا الطور : مشكلة «العملة

1 ـ الرسالة واردة فى مختارات من رسائل مغربية ، اختيارا وجين فومى ، ط . باريس سنة 1903 م ـ ج 1 لوحة 75 .
2 ـ الاستقصا ج 4 ص 233 .
3 ـ ج 4 ص 264 .

المغربية» التى كان يروج الى جانبها عملات اجنبية مختلفة ، لاحتياج المغاربة لها فى شراء حاجياتهم من الخارج ، وفى بعض المعاملات الداخلية .

ومنذ عام 1261 ـــ 1845 اخذت العملة المغربية فى التدهور : ارتفاع فى العملة الاجنبية ، وهبوط فى السكة الوطنية ، وهذا ما حفز المغرب فى هذا الطور : ان يحاول تأسيس عملة مغربية جديدة لاتتأثر بتقلبات السكة الاجنبية .

وكان الذى اسس اول الامر هذه العملة : هو الملك محمد الرابع ، الذى امر عام 1285 بضرب «الدرهم الشرعى» ، وحاول ضبط السكة به ، وحمل الناس على ان لايذكروا فى معاملاتهم وانكحتهم وسائر عقودهم الا الدرهم الشرعى ، واذاع فى ذلك منشورا على سائر ولاة الامصار جاء فيه :

«.... ولما رأينا ما حدث فيها ـــ السكة المغربية ـــ من التغيير وعدم الضبط ، ونشأ عن ذلك من الضرر للمسلمين وبيت مالهم ما لم يخف على احد ـــ اقتضى نظرنا السديد ردها لاصلها الاصيل ، الذى اسسه اسلافنا الكرام سنة ثمانين ومائة والف ، اذ لنا فيهم اسوة حسنة فى الاجمال والتفصيل ، فرددنا الدرهم الكبير المسكوك على وزن الدرهم الشرعى ، والمنهاج المرعى ، كما كان على عهد جدنا سيدى الكبير (1) قدسه الله ، وجدد عليه وابل رحماه ، بحيث تكون عشرة دراهم منه هى المثقال كما هو معلوم : ان عشرة دراهم من الدراهم التى كانت تروج قبل على عهد اسلافنا ـــ رحمهم الله ـــ هى المثقال ، وبهذا العدد الذى هو عشرة منه فى المثقال تكون جميع المعاملات والمخالطات فى البيع والابتياع وغيرهما بين جميع رعيتنا السعيدة فى كل البوادى والحواضر ، وبه امرنا جميع العمال ، ومن هو مكلف بعمل من الاعمال ، واشاعته ليبلغ الشاهد الغائب ، وبه يقبل لجانب بيت المال ،وامرناهم بالعمل بهذا الامر الذى اصدرناه ، وابرمناه بحول الله وامضيناه ، وان يعاقبوا كل من عثروا عليه ارتكب خلاف ذلك ، وبان يسلكوا به اضيق المسالك ، جزاء وفاقا على مخالفته ، وتعديه الحد وافتياته (2) .

---

1 ـــ السلطان محمد بن عبد الله .
2 ـــ الاستقصا ج 4 ص 231 .

هذه خلاصة محاولة محمد الرابع لانقاذ العملة المغربية من الازمة التى صارت اليها ، ومن سوء الحظ ان تفشل هذه المحاولة وتعود السكة المغربية الى حالتها الاولى من التدهور وعدم الضبط ، ومثال واحد لذلك — بين امثلة عديدة — نجده فى الاستقصا (1) اثناء حوادث عام 1294هـ ، وفى هذا يقول من فقرة مطولة :

«... فانعكس الحال على التجار ، وتقاعدوا على الريال والبسيطة ، وغاضت الفلوس فى الاسواق حتى صارت معاملة الناس ليست الا بها، وحصل للتجار من الضرر فى رخص الريال ، ما كان حصل للضعفاء فى قلة الفلوس ..»

وان هذا ما حدا بالسلطان المولى الحسن الاول ان يعمد —عام 1298= 1881 للعمل على تأسيس عملة مغربية اخرى ، تكون — فى وقت واحد — مؤسسة على الدرهم الشرعى ، ومساوية للسكة الفرنسية ، وهذه هى التى صارت — بعد ضربها — تعرف بالسكة الحسنية التى تتكون من خمس قطع : الريال الحسنى ، ونصفه ، وربعه ، وعشره الذى وزنه درهم شرعى، ونصف العشر ، وقد شرح هذا السلطان تصميم العملة الحسنية الجديدة فى رسالة (2) بعث بها للنائب السلطانى بطنجة نص المراد منها :

«... وبعد : فقد اقتضى نظرنا الشريف ضرب سكة شرعية تتصارف بها رعيتنا فى ايالتنا السعيدة ، وتكون على كيفية مخصوصة ، وعمل خاص ، موافق للشرع ، مبنى اصلها على الدرهم الشرعى الذى كان فى ايام جدنا الاكبر مولاى اسماعيل رحمه الله ، وجدنا الاقدس سيدى الكبير نعم الله روحه ، والمنصور السعدى ، وابى الحسن المرينى ، وغيرهم من ملوك دول المغرب السالفة رحمهم الله — جارية على عرف البلد الجارى بين الناس فى المعاملات ، والزكاة ، والقسامات ، والفرائض ، والبيوعات ، والشراءات، ونحو ذلك ، وان يضرب منها مقدار عشرين مليونا من الفرك الفرانصيصى .

فنامرك ان تعقد «كنطردتها» مع من يظهر لك من التجار الذين لهم المجال فى ذلك ، وترضى ذمتهم ، ويقبلها «باشادور» الفرنصيص بطنجة ووزير الامور «البرانية» بدولته ... نعم ، من اتفقت الآراء على عقدها معه

1 — ج 4 ص 254 — 255 .
2 — الرسالة واردة بالاتحاف ج 2 ص 431 — 433 .

لا من المخزن ولا من التجار حتى التاجر المذكور ، يكون عقدها معه على شروط وهى :

ان يضرب مقدار خمسة ملايين من العشرين مليونا من الفرنك المذكور: ريالا وزنه عشرة دراهم شرعية يكون مماثلا لريال الفرنسيس فى المعيار والصفاء ، ومقدار مليونين منها يضرب نصف ريال وزنه خمسة دراهم شرعية يكون مماثلا للفرنك الفرنسيسى فى المعيار والصفاء ، ومقدار اربعة ملايين منها يضرب ربع ريال وزنه درهما شرعيان ، ونصف درهم شرعى يكون مماثلا أيضا للفرنك الفرنسيسى فيما ذكر ، ومقدار اربعة ملايين منها يضرب عشر ريال وزنه درهم شرعى مماثلا للفرنك المذكور فى المعيار والصفاء ، ومقدار خمسة ملايين منها تضرب نصف عشر الريال وزنه نصف درهم شرعى يكون كالفرنك الفرنصيصى فى المعيار والصفاء .

وان يكون طرف هذه السكك مشرطا ، وكتابته من الجهتين على المثال الواصل اليك .

وان يكون ذلك على قانون البحر وما جرى به الحكم والعرف هناك عند الجنس المذكور ، ولم يكن ممنوعا فى شرعنا .

وان يعين المخزن او التاجر الذى تعقد معه «كنطردة» ذلك نائبا عنه بطنجة ...»

تلك جملة الخطوط الكبرى لتصميم ضرب السكة الحسنية الذى لو نفذ باخلاص لحقق تقدما فى الاقتصاد المغربى ، هذا التقدم الذى كان هدف تجديد العملة المغربية ، ولكن حدث — مع الاسف — ما عكس النتيجة ، فان الدولة التى ضربت هذه العملة بدار سكتها بباريز — وهى فرنسا — لم تستطيع ان تنفذ التصميم المتفق عليه بدقة ، ولم تجعل العملة المغربية الجديدة مساوية للفرك الفرنسى ، وانما جعلتها تزيد على الفرنك الفرنسى خلافا للمتفق عليه . فصار الريال المغربى يساوى خمسة فرنكات فرنسية وثمانين سنتيما ، بدلا من خمسة فرنكات فقط المشترطة ، وهكذا النسبة فى باقى قطع العملة الحسنية ، وقد رفض المغرب قبول هذه السكة المخالفة للمتفق عليه فى شأنها ، ولكنه ارغم فى النهاية على قبولها على علاتها ، ومن هنا جاءت الكارثة ، فان هذه العملة لما اخذت تروج بالمغرب صارت قيمتها تنحط شيئا فشيئا عن الريال الفرنسى ، مما ادى الى

ازمات حلت بالاقتصاد المغربى ، وآلت محاولة الاصلاح الى فساد ، ولكن الاصلاح اتى من الداخل ، والفساد هجم من الخارج (1) .

9 — تشريع لموظفى الديوانات

الى جانب ما تقدم نتابع ذكر الاصلاحات الادارية القليلة التى وضعت فى هذا الطور : واول ذلك التشريع الذى قننه السلطان محمد الرابع لموظفى الديوانات الشاطئية ، واصدره فى شكل ظهير (2) يحمل تاريخ متم رمضان عام 1278 — 1861 ، ويتضمن الفصول التالية :

أولا : ان الامناء الموظفين بالمراسى المغربية لايكون بينهم وبين الملك واسطة فى شؤون وظيفتهم .

ثانيا : عمال المراسى لايتدخلون فى قليل ولا كثير من شؤون الامناء ولو عن طريق الاعلام ، وحسبهم ان يقتصروا على الاحكام .

ثالثا : تقرر لكل امين مرتب شهرى كاف يعينه على القيام بمهمته ، واجتناب ما يزرى بجانبه ، ومن عثر له بعد هذا على خيانة يقام عليه حد السارق ، ويهان ويزجر زيادة على ذلك .

رابعا : يمنع على الامناء ان يتجروا بالمرسى التى يتوظفون بها وليتجاوزوها الى غيرها .

خامسا : يوظف بكل مرسى امين من اهلها وآخر من بلدة غيرها .

سادسا : انشىء منصب امين اعلى يسند الى شخصية معروفة بالحزم ، والامانة ، والعفاف ، والصدق ، والصيانة ، واجراء الامور على مقتضاها ، وسلوك طريق النصح التى التى يحبها الله ويرضاها ، ووظيفة هذا الامين هى :

أ) ان يكون مشرفا على جميع امناء المراسى ، ليتفقد احوالهم ويراجع اعمالهم فى كل ما يرجع للداخل والخارج .

---

1 — حديث هذه النكسة التى وقعت فى ضرب السكة الحسنية ورد بأبسط مما هنا فى «الاستبصار» للطاهر الاودى ص 147 و 148 و 174 و 200 .

2 — ورد هذا الظهير الذى خوطب به عامل الدار البيضاء فى «مجموعة الرسائل الشريفة لنهليل» لوحة 9 ، ومثله مع اختلاف فى الاواخر ورد فى الاتحاف ج 3 ص 379 — 380 موجها للنائب محمد بركاش .

ب) يراقب السلع التى تظهر فى الاسواق المغربية : حرير ، صقلى ، جوهر ، مرجان ، وغير ذلك مما هو رائج ، ليعلم هل ادى عليها بالمرسى حقوق الديوانة ، او اغفلت من الاداء (1) .

سابعا : تقرر لكل من رئيس المرسى ، وخليفته ، والعدول مرتب شهرى كاف .

هذا وفى اواخر الظهير الذى خوطب به عامل البيضاء تقدير مشاهرات موظفى مرساها على النحو الآتى :

1 — لكل واحد من امينى المرسى تسعون ريالا .

2 — لكل واحد من العدلين عشرون ريالا .

3 — لرئيس المرسى خمسة عشر ريالا .

4 — لخليفته سبعة ريال .

10 — تنظيم البريد

وسوى تنظيمات الديوانة المغربية لانعدم فى هذا الطور مثالا آخر للاصلاحات الحديثة التى اخذت تسرى — ولو ببطء — فى بعض الادارات المغربية الاخرى ، ومنها «البريد المغربى» الذى وضع له السلطان الحسن الاول تنظيما محكما ابتدأ تطبيقه عمليا من مدينة الجديدة الى مدينة مراكش، ثم بعد نجاح هذه التجربة وضع تصميما كاملا لتعميم هذا التنظيم بين سائر مدن المغرب من اقصاه الى اقصاه ، وعهد بتنفيذ هذا المشروع الى الحاج عثمان بن الحاج عبد الكريم ابن جلون الفاسى ، وتفاصيل المشروع نجدها فى هذه التعليمات الموجهة للمكلف بتنسيير البريد المغربى ، فى شكل ظهير (2) حسنى مؤرخ بعام 1310 — 1892 ، وهذا نصه :

«... خديمنا الارضى الحاج عثمان بنالحاج عبد الكريم ابن جلون ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

---

1 — اسندت هذه الوظيفة — ايام نفس السلطان — الى الحاج محمد ابن المدنى بنيس ،صاحب الوقعة الشهيرة فى صدر العهد الحسنى ، قال عنه فى «زهر الاس» المتكرر الذكر ج 1 ص 319 : «وكان — بالامر المولوى — رئيس الامناء بالمراسى وغيرها» .

2 — ورد فى مجموعة الرسائل الشريفة لنهليل لوحة 79 .

وبعد : فقد كان بلغ شريف علمنا : ان بعض الاجانب تشوف لاحداث بوسطة من الجديدة لمراكش ، وكان اقتضى نظرنا العالى بالله هــــدم ما شيدوه ، بعكس ما املوه ، واطلاق ما قيدوه ، فأصدرنا شريف امرنا لامناء مرسى الجديدة ، وامين مستفادها ، وامناء مستفاد مراكش : بجعلها هنالك نيابة عن المخزن ، وبينا لهم كيفية العمل فى اجرائها وترتيبها بقصد اخـــتبار امرها ، فشرعوا فى العمل ، واطلعوا علمنا الشريف بصدق نتيجة المؤمل ، ثم لما ظهرت مخايل المصلحة فيها ، وثمرة نتيجة سد الذرائع فى انشائها ، امعنا النظر فيما ينشأ عنه قوة الضبط والاحتياط ، من تداخل المتشـــــوف لسلوك ذلك المناط ، مع ما توسمناه فيها من المصلحة للرعية ، فيمـــــا يحاولونه من الامور المتجرية ، التى مدار انتاج ربحها على تعجيل المراسلة ، والسعى فى ذلك من المصالح المرسلة .

فاقتضى نظرنا المعتز بالله : نشرها فى سائر مدن ايالتنا المحروســـــة السعيدة ، وجعل ضوابط لهامكينة عتيدة ، حتى تكون محكمة الشرط ، تامة الضبط ، وتكون سائر الاخبار بالايالة المحوطة بالله مرتبطة ببعضها بعضا ، وفيح نشر نسيمها طريا غضا ، فرتبنا امرها واسسناه ، واوضحناه وبيناه ، على مقتضى ما يذكر من الفصول والشروط ، التى حكم ذلك بها منـــوط ، وطوقناك بذلك العمل وقلدناك امره ، وكلفناك طيه ونشره ، فلتتمش فيه على الشروط المذكورة .

وهى ان يكون امين الرباط ينهض كل يوم اثنين وخميس : اربعـــة رقاقيص بما يجتمع لديه من المكاتيب ، اثنان للحوز : احدهما للصويـــــرة بمكاتب الغرب التى للدار البيضاء وآزمور والجديدة وآسفى والصويرة ، وبما يجده من المكاتب بالمراسى التى يمر عليها للتى امامها الى الصويـرة ، وكذلك ما يجده بالجديدة من مكاتيب آزمور ومكاتب مراكش التى تتوجـــه من آزمور مع الرقاص الذى يمر به لمراكش ، والآخر لمراكش مارا على الـــدار البيضاء وآزمور ، ليحمل من كل منهما ما يجده به من المكاتيب لمراكش ، على ان يصل المنهض لكل منهما فى اليوم الثامن من يوم نهوضه ، وان يكون يرجع غد الوصول بما يجده من المكاتيب .

فالراجع من الصويرة يحمل مكاتيب آسفى والجديدة وآزمور والدار

البيضاء ، والعدوتين والغرب ، وكل بلد يمر به يدفع مكاتبه لامينه ، ويحمل ما يجده فيه من المكاتيب لما بعده ، الى ان يصل للرباط المنهض منه بمكاتيبه ومكاتيب الغرب التى تتوجه منه على يد امينه ، والراجع من مراكش يحمل ما يجده بها من مكاتيب ازمور ومكاتيب الجديدة التى تتوجه لها من ازمور والدار البيضاء والعدوتين ومكاتيب الغرب التى تتوجه على يد امين الرباط، فيكون خروج الرقاص الذى يرجع من مراكش ، والذى يرجع من الصويرة كل يوم جمعة ، ويوم ثلاثاء ، وان حدث عذر لبعض الرقاقيص منعه من التوجه فى ذلك اليوم المعين ، كالمرض وشبهه ينهض امين البلد رقاصا غيره للرباط فى ذلك اليوم ، ويكتب لامين الرباط بالعذر المانع من رجوع المنهض من قبله ليصير له اجرة الذهاب فقط التى هى نصف اجرته المعتادة للذهاب والاياب ، وهو يصير اجرة ذهاب المنهض من قبله بدلا .

واثنان للغرب احدهما لتطوان بمكاتيب الحوز التى للعرائش وطنجة وتطوان ، وبمكاتيب القصر التى تتوجه له من العرائش وبما يجده بالعرائش من مكاتيب طنجة وتطوان ، وبطنجة من مكاتيب تطوان ، والآخر لفاس بمكاتيب الحوز التى لفاس ومكناس ، على ان يصل الذى لتطوان فى اليوم الخامس من يوم نهوضه ، والذى لفاس فى اليوم الرابع ويرجع كل منهما بما يجده من المكاتيب .

فالراجع من تطوان يحمل ما يجده بها من مكاتيب طنجة والعرائش ومكاتيب القصر التى تتوجه له من العرائش ومكاتيب فاس التى تتوجه له من طنجة ، ومكاتيب العدوتين ، ومكاتيب الحوز التى تتوجه من الرباط ، وبما يجده امامه بطنجة او العرائش لما بعدهما ، والراجع من فاس يحمل مكاتيب العدوتين ومكاتيب الحوز التى تتوجه من الرباط على يد امينه ، فيكون خروج الذى من تطوان كل يوم ثلاثاء ويوم سبت ، وخروج الذى من فاس كل يوم جمعة ويوم الاثنين ، الا ان حصل عذر لواحد منهم فينهض بدله على نحو ما قرر قبل ، لينضبط الامر بكل ارض فى يوم الدخول والخروج .

تبقى مكاتيب الصويرة ومكاتيب آسفى لمراكش ، فأمين كل منهما يكون ينهض رقاصا بما يجتمع لديه من المكاتيب لمراكش كل يوم اثنين ويوم خميس، ويرجع رقاص الصويرة بما يجده من مكاتيبها بمراكش ، ويرجع رقاص آسفى بمكاتيب آسفى كذلك .

وتبقى ايضا مكاتيب مكناس لفاس وغيرها ، ومكاتيب فاس للقصر والعرائش وطنجة وتطوان ، ومكاتيب القصر للعرائش وطنجة وتطوان كذلك: فاما مكاتب مكناس فأمينها ينهض رقاصا بها لامين فاس كل يوم اثنين ويوم خميس ، فيحوز ما لفاس ويوجه ما لغيرها على يده ، ويرجع بما يجده مجتمعا بفاس من مكاتيب مكناس ، وامين فاس ينهض رقاصا لطنجة بما يجتمع لديه من المكاتيب كل يوم اثنين ويوم خميس ، حاملا مكاتيب القصر ومكاتيب العرائش التى تتوجه لها من القصر ، ومكاتيب طنجة ، ومكاتيب تطوان التى تتوجه لها من طنجة ، ويرجع بما يجده بطنجة من مكاتيب فاس والقصر وبما يجده بالقصر من مكاتيب فاس ، وبهما من مكاتيب مكناس التى تتوجه له من فاس ، على ان يصل لطنجة فى اليوم الخامس ، ويخرج منها فى أوبته لفاس فى اليوم السادس ، الا ان حصل عذر فينهض امين طنجة غيره ويعلم به امين فاس ، فيكون خروج الرقاص من طنجة كل يوم ثلاثاء ويوم سبت ، وأمين القصر ينهض رقاصا للعرائش كل يوم اثنين ويوم خميس بما يجتمع لديه من المكاتيب للعرائش ولغيرها مما يتوجه منها ، ويرجع بما يجده بالعرائش من مكاتيب القصر ومكاتيب فاس ومكناس التى تتوجه من القصر لفاس .

والمكلف بمكاتيب فاس الخديم الحاج عثمان بن الحاج عبد الكريم ابن جلون ، وبتطوان والعرائش : امناء مرساهما ، وبطنجة : امين نائب عن امناء مرساها ، وبمكناس والقصر والعدوتين والدار البيضاء وازمور والجديدة وآسفى والصويرة ومراكش : امناء مستفاداتها .

وجعل لكل ارض طابعان : احدهما يطبع به على المكاتيب ، والآخر يطبع به على الشكارة ، وكل من الامناء المأمورين بانهاض الرقاقيص يتخذ ما يكفيه من شكائر الجلد ، ويصير ثمنها فى حساب المكاتيب .

وكل امين انهض رقاصا يوجه بداخل الشكارة تقييدا بما فيها من عدد مكاتيب كل ارض ، وكلما مر الرقاص بارض يحوز امينها ما بالشكارة من مكاتيب تلك الارض ، ويعلم على مجموعها فى ذلك التقييد بوصل ، ويطبع عليه بطابع المكاتيب ، ويزيد فيها ما يجتمع لديه من المكاتيب لغيرها مما يمر به ذلك الرقاص او يتوجه اليه ويزيد عددها فى التقييد كذلك الى ان يصل للمحل المنهض اليه ، والتقييد يبقى عند الامين الذى انهض اليه الرقاص

حجة على من انهضه ومن مر عليه ، وهو يجعل تقييداً بما يرجع به ذلك الرقاص من المكاتيب ، ويسلك من يمر به في ايابه عمل ما تقدم في ذهابه الى أن يصل في اوبته للذي انهضه ، فيحوز ذلك التقييد حجة على من دفع مكاتيب الاياب.

وكل امين يتخذ كناشا ببيان من وجهه بكل تاريخ لكل ارض من مكاتيب ارضه ، والمكاتيب الواردة ليده من ارض اخرى ، وبيان واجباتها ، كما يقيد الصائر عليها في الشكائر ،واجرة الرقاقيص ونحو ذلك .

واجرة المكاتيب : فعلى التي وزنها نصف اوقية فأقل ثمان موزونات ، وعلى التي زادت على نصف اوقية الى اوقية اربع اواقي ، وعلى التي زادت على اوقية الى اوقية ونصف : ست اواقي ، وهكذا ، واجرة الرقاص يحدها امين كل ارض ممن كلف بانهاض الرقاص على يد كبيرهم والعامل ، ويبرم معهم الامر فيها ويحدها معهم في قدر معلوم لايزيد ولا يكون عليهم ضرر فيه، كما يحد معهم ايام الغيبة لكل ارض ذهابا وايابا ، وان حصل له عذر فله اجرة الذهاب فقط التي هي نصف الاجرة المنهض بها ، ويشترط عليهم بمحضر العامل أن لايحمل احد منهم مكاتيب الغير الخارجة عن الشكارة وطابعها ، وان لايحمل امانة لاحد ولا لفافة ، ويتوعد من ارتكب منهم شيئا من ذلك بالعقاب ، ومن ادعى عند دفع كتابه للامين المكلف بتوجيه المكاتيب ان بداخله اطرة فيقبله منه بشرط كونه مطلق كتاب لادرك فيه ، وعند رأس ستة اشهر يوجه كل من الامناء المكلفين بذلك حسابها داخلا وصائرا لحضرتنا الشريفة .

فنامرك بالشروع في ذلك ، على مقتضى ما بيناه لك من الطرق والمسالك، وطابعا المكاتب والخنشة الموعود بهما يصلانك صحبته ، وقد امرنا العامل بشد عضدك واتباع سبيل ما قرر لك ومحجته ، والسلام في 2 جمادى الاولى عام 1310» .

والى هنا ينتهي هذا الظهير الذي اهتم ـ ايضا ـ باحداث طابع بريدي ، ليس على الطريقة المتعارفة ، ولكن في شكل اختام خاصة يطبع باحدها على المكاتب والطرود ، وبالثاني على الكيس البريدي الذي يسميه الظهير باسم «الشكارة» ، وكانت طوابع المكاتب والطرود عبارة عن خاتم

مستدير وقد يكون مثمن الشكل ، وبداخله نقش اسم البلد المصدر مع اضافة تعبير : المحوط او المصون بالله .

وتبعا لتعداد البلدان الواردة فى الظهير ستصل اعدادها الى ثلاثة عشر. وهى مراكش ، والصويرة ، وآسفى ، والجديدة ، وازمــور والبيضاء ، والعدوتان : الرباط وسلا ، ومكناس ، وفاس ، وتطوان ، والعرائــش ، وطنجة ، والقصر الكبير .

اما عن تطبيقات هذا النظام واسماء القائمين به ، فهذا ما تمدنا بــه الوثائق المعاصرة ، وهنا نعيد الى الذاكرة ما ورد فى هذا الكتاب عند باب «تنظيم الجهاز الحكومى» ، وبالضبط نشير الى لائحتين للمستندات المخزنية ، وقد ورد بثانيتهما الاشارة الى اكثر من عشر دفاتر تتعلق بسير البريــــد المغربى القديم ، وحساباته وبعض اسماء القائمين به فى مدن فاس والبيضاء وآسفى وطنجة ، حيث ينتهى بعض هذه الدفاتر عند آخر عـــام 1313 هـ او اوائل 1314هـ (1) .

ومن الدفاتر التى لاتزال بقيد الوجود ، نقدم ثلاثة من ايام السلطان عبد العزيز ، حيث لاتزال تحفظ بالمكتبة الملكية .

واولها : هو الذى يحمل رقم 430 ، ويبتدىء هكذا :

«... وبعد : فهذا كناش صائر بوسطى المخزن — اعزه الله — بالدار البيضاء ، على يد الامين بها : الطالب الارضى ، السيد احمد بن السيد الحاج محمد فرج الرباطى ، وعدد المكاتب الخارجة منها ، والمشتملة عليهم الورقة التى ترد فى شكارة البوسطى من المدن وغيرها ...»

وهو يبتدى من فاتح رجب عام 1315 ، وينتهى عنـــد جمادى الاخرة عام 1318 هـ .

وهذه ابواب الدفتر ، نعرضها كنموذج للطريقة التى سارت عليهــــا دفاتر اشغال البريد المغربى القديم ، حيث صنفت حسب العناوين التالية :

— بيان عدد الرقاقيص الخارجين من الدار البيضاء .

— تقييد عدد المكاتب الخارجة من الدار البيضاء ، لما بعدها من المدن الحوزية وقبض ثمنها .

— تقييد عدد المكاتب الخارجة من الدار البيضاء ، لما بعدها من المدن الغربية وقبض ثمنها .

1— انظر ص 32 — 33 .

— تقييد عدد المكاتب المشتملة عليهم الورقة الواردة فى شكارة بوسطى المخزن اعزه الله ، الخارجة من الرباط ... عام 1315 صحبة الرقاص مولاى عمر الفلالى .

— تقييد عدد المكاتب المشتملة عليهم الورقة التى ترد داخل شكارة المخزن اعزه الله ، الخارجة من الجديدة ... عام 1315 صحبة الرقاص العلمى

— مجموع المكاتب الواردة من المدن الغربية الموجهة للمدن الحوزية ، الى متم ربيع النبوى عام 1318 .

الدفتر الثانى يحمل رقم 434 ، وقد ورد فى طالعته :

«لما صدر امر مولانا ... للامين الاجل السيد احمد بن عبد الله مدينة التطوانى بالتصرف فى مستفاد الثغر الطنجى ... وكان من وظيفة التصرف بالبوسطى السعيدة ، اتخذ هذا الكناش لبيان ما يخرج بها من المكاتب التى من طنجة ، مع بيان واجبها ، وعدد ما يخرج معها من المكاتب التى من تطوان لمدن الحوز والغرب ، والواردة منها لتوجه لتطوان مع التى له من طنجة ، وبيان واجبها كذلك ...» .

وقد استمر استخدام هذا الكناش 29 شهرا : من فاتح صفر عام 1316 حتى جمادى الاخرة عام 1318 هـ .

الدفتر الثالث : يحمل رقم 435 ، وجاء فى اوله :

«... وبعد : فهذا بيان حساب البوسطى السعيدة بثغر العرائش .. عن شهر صفر الخير الفارط ، على يد الامين ... السيد محمد العربى بن احمد الزكارى التطوانى ، وهو اول شروع خدمة عمله فيها على مقتضى الضابط الشريف المقرر فيها ، ووقع الشروع فيها فى 2 صفر الخير ، عام 1316 ..»

ثم كانت نهاية هذا الكناش فى جمادى الاخرة ، عام 1318 هـ .

* * *

هذا ولا ننسى ان نسجل فى آخر قائمة التنظيمات الادارية فى هذا الطور : محاولة قام بها السلطان الحسن الاول لتنظيم الجباية بالمغرب على طراز عصرى . ذلك انه اول من حاول سن التنظيم المالى المعروف بالترتيب الذى سنتبسط فى الحديث عنه فى موضعه الذى هو الطور الثالث .

وقد ابتدأ بالتجربة الاولى فى قبيلتى دكالة والشاوية وما اليهما ، لكنه لاقى معارضة فأوقف العمل به الى فرصة مناسبة ، وقد سجل هذه المحاولة

محمد بن ابراهيم السباعى فى «بستانة» (1) فى العبارات التالية :

«وفى تلك المدة وجه جيش تدبيره . القائم فى بعض الاحيان مقام مسيره للقبائل الغربية وبعض الحوزية : كدكالة والشاوية ، واحدث فيها ترتيبا عجيبا لو بقى على اصله الذى اصله : ابتدأ من ضبط القبائل وما لدى كل بالحساب والتقييد ، بحيث تجرى الوظائف والتكاليف على حسب حال كل ، بحيث لايبقى حيف ولا سبيل فى ذلك للمزيد ، ويحصل به الرفق للرعية ، وتنحسم مادة جور العمال بالكلية ، فاستحسن ذلك وان لم يعم ، لكنه انخرم ولم يدم .. وقد عين للترتيب المذكور الامين الطالب محمد التازى الرباطى هو والطالب الكاتب السيد محمد الجباص الفاسى» .

* * *

والى هنا يكون الطور الثانى من هذه الدراسة قد عرض عشر منجزات ولو الى حد كنماذج من مظاهر يقظة المغرب الحديث فى الميادين التى يغلب عليه الطابع الادارى ، وقد عرضت حسب العناوين التالية :

— تنظيم الجهاز الحكومى .
— تجديد الجيش .
— احياء الاسطول .
— بناء المعامل الحربية .
— اصلاحات بالشواطىء .
— محاولات لتطوير بعض الصناعات .
— تقدم نسبى فى التجارة الخارجية .
— تجديد العملة .
— تشريع لموظفى الديوانات .
— تنظيم البريد .

وسيأتى — بعد هذا — موضوعات يغلب عليها الطابع التثقيفى ، وتتبرز فيها المساهمة الشعبية او تطغى على بعض الميادين ، وهى تتدرج مع العناوين التالية :

— انبعاث فى ميدان التعليم .

---

1 — نحو ما فى البستان ورد فى فواصل الجمان ص 98 .

— الترجمة الى العربية .
— موضوعات فلكية جديدة .
— موضوعات جديدة متنوعة .
— خرط وتقنيات حديثة .
— اطر حديثة من افراد البعثات ومن اليهم .
— الطباعة الحجرية الفاسية .
— الطباعة السلكية .

11 — انبعـــــاث فى ميدان التـــــعليم

وهذه حركة انبعاثية كان من اهدافها انعاش دراسة العلوم الرياضية والعسكرية ، وتقريبها من الدراسات الحديثة .

وقد ابتدأت هذه الحركة من ايام السلطان عبد الرحمن بن هشام ، ثم استمرت على عهد ثلاثة ملوك من بعده : محمد الرابع ، والحسن الاول ، وصدرا من ايام المولى عبد العزيز .

اما الاساتذة الذين قامت على ايديهم هذه الانبعاثة . فقد كان معظمهم مغاربة ، ويذكر ابو اسحاق التادلى (1) ان سلطان وقته : «المولى عبـــد الرحمن» جبر احد اعلام الميقات والتعديل بفاس : «المكى الجنان» على اقراء هذه العلوم ، فكان — على حد تعبير ابى اسحاق — ان رحم الله به المسلمين بعد انقطاع هذه العلوم من فاس .

والى جانب هؤلاء كان هناك بعض اساتذة وفدوا من الخارج ، وسترد اسماؤهم من بعد ، وقد تمثلت هذه اليقظة فى :

1 — احداث دروس للرياضيات والفلك .
2 — مدرسة المهندسين بفاس .
3 — المدرسة الحسنية بطنجة .
4 — دراسة بعض الفنون العسكرية .
5 — بعثات الى الشرق واوربة .

---

1 — فى اختصار «تذكرة داود الانطاكى الذى سماه : «التذكار لما فى التذكرة من الطب مع الاختصار» : قطعة منه ضمن كناشه بمكتبه العلامة الجليل محمد بن ابى بكر التطوانى بسلا ، حيث وقفت عليها اثناء عـــــام 1374 هـ/1955م .

* * *

وقد كان ارسال بعثات مغربية الى اوربة من مميزات عصر الحسن الاول ، واذا استثنينا هذه الميزة ، فان اكثر المظاهر التعليمية الاخرى لهذه اليقظة ، يعود الفضل الاكبر فيها الى محمد الرابع ، ايام ولايته للعهد ثم بعد جلوسه على عرش المغرب ، حيث اكتست هذه الفترة بالذات . طابعا علميا اكثر ، وفى هذا الصدد يقول احمد ابن المواز فى «تاريخ الدولة العلوية» (1) عن محمد الرابع :

«واحيا ما اندثر بالمغرب من العلوم : كالحساب ، والتعديل ، والهندسة ، والنجوم ، واخترع العسكر النظامى السعيد» .

كما يسجل محمد بن المفضل ابن كيران (2) اهتمام نفس الامير بالرياضيات ، والموسيقى ، والتنظيم العسكرى الحديث ، ووصفه عبد السلام العلمى (3) بانه احيى مدارس العلوم الرياضية .

كذلك تذكر عنه بعض المصادر الاوربية (4) : انه جلب للمغرب ادوات علمية مستحدثة : من ساعات فلكية ، ومجاهر ، وكان ملما باللغة الفرنسية، وسنتحدث بعد : عن الآلة الميقاتية التى ابتكرها هذا الامير ، مع الكتاب الفلكى الذى اشرف على ترجمته الى العربية ، ونذكر — الآن — من نشاطه :

— قيامه بتحقيق الذراع ، ليكون الاعتماد على المقياس الهاشمى فى المسوحات ، وعلى الذراع الرشاشى فى التجارات ، مع العمل فى الميل على تحديده بألفى ذراع هاشمى (5) .

— كذلك قام بتحقيق عرض مراكش بمعاونة عبد الرحمن العلج آتى

---

1 — اسمه : المقالة المرضية فى الدولة العلوية ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم 493 .

2 — فى خاتمة شرحه على رسالة فى الهندسة ، خ . ع ، د 1051 .

3 — فى افتتاحية رسالته : «ارشاد الخل . لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل» ، المطبوعة — على الحجر — بمصر دون ذكر اسم المطبعة وتاريخ النشر — ص 4 .

4 — «تاريخ المغرب» للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله — ج 2 ص 65

5 — رسالة «غنية الطالب وتذكر اللبيب ، لابى العباس احمد الدويرى مخطوطة خاصة — الفصل 18 من المقالة الثانية .

الذكر ، واستمرت العملية اربعة اشهر ليلا من عام 1260 هـ ، حتى تحرر هكذا : 38 ــ 31 (1) .

ــ وفى فاس : اهتم بتحقيق قبلة القرويين ، وانتدب لاختبار محراب جامعها جماعة من الفلكيين والمهندسين ، حيث تبين لهم انه ينحرف بسبع وثمانين درجة ونصف درجة ، فرسموا سمت القبلة بزاوية من زوايا المحراب (2) .

1 ــ احداث دروس للرياضيات والفلك .

اولا : الحساب والفلك والهندسة

ان هذه الدروس كانت اول مظهر لهذه الحركة الانبعاثية ، وقد بدأ بعضها من اوائل ايام السلطان المولى عبد الرحمن ، واتجهت حسب المدن التالية :

فى فاس : حيث كان الفلكى الحاجمحمد بن الطاهر الحبابى الفاسى يأخذ عنه عدد من افراد الجيش السلطانى كثيرا من العلوم التى يحسنها على حد تعبير «سلوة الانفاس» (3) ، وقد كانت وفاته عام 1267هـ ــ 1951 م ، وبعده انتصب لتدريس التوقيت بجامع القرويين ــ بأمر من محمد الرابع ــ الفلكى عبد السلام العلمى آتى الذكر .

فى مراكش : وبها درس جملة من الطلبة وجههم لها السلطان عبد الرحمن بن هشام ، ليتعلموا الهندسة مع ولده الامير محمد الرابع ، وقد كان من بين هؤلاء الطلبة ابو العباس احمد بن عبد الرحمن بورقية المكناسى ثم الرباطى ، آتى الذكر ، حيث قرءا معا على استاذ مغربى لم يعلن عن اسمه المصدر المعنى بالامر (4) .

---

1 ــ «شد الرحلة» تأليف السيد عمر بن محمد بن السعيد المراكشى ، عند الباب الرابع ، مخطوط خاص ، وسنتحدث عنه مع الرسالة الاخيرة عند باب : «موضوعات فلكية جديدة» .

2 ــ «شد الرحلة» عند الباب الرابع عشر .

3 ــ ج 2 ص 360 حيث توجد ترجمته .

4 ــ «للمبتدى تبصرة . وللمنتهى تذكرة» : اسم تأليف فى الحساب لمحمد المهدى متجينوس الاندلسى الرباطى ، خ.ع ، د 2094 ــ الجزء الثانى ، الباب الرابع ، الفصل الثالث .

كما كان من بين هؤلاء الطلبة احمد بـ ن عبد الله الادريـــــــــسى التنانى المعروف بالصويرى آتى الذكر ، وقد درس مع محمد الرابع علـــــى عبد الرحمن العلج (1) آتى الذكر ايضا .

وفى طنجة : كان يقوم بهذه المهمة موقتها السيد المصطفى — الذى لم يذكر نسبه — ، وقد عين فى خطة التوقيت فى منتصف ذى الحجة عام 1244هـ «1829م» ، بظهير اوصى فيه السلطان عبد الرحمن والى المدينة بان يختار عشرة من صبيان طنجة ليتعلموا على المذكور الحساب والتوقيت والتعديل ، ومن ظهرت نجابته منهم يحسن اليه (2) .

وفى مكناس : امر نفس السلطان باشا المدينة بانتخاب عشرة من طلبة الجيش البخارى، ليتعلموا التوقيت والحساب على الفلكى ابى زيد عبد الرحمن بن محمد البصرى المكناسى ، المتوفى عام 1268هـ — 1852م ، وذلك بعـــد وقعة جيش الودايا (3) عام 1247 هـ — 1831 م .

وفى تطوان : امر هذا السلطان المدفعيين بدراسة الحساب ، وكان استاذهم هو ابو الحسن على بن محمد السوسى (4) المتوفى عام 1311 هـ — 1893م .

وقد استمر هذا التقليد بعد العهد الرحمانى ، فكان الميقاتى محمد بن بوسلهام الخلطى البخارى المكناسى المتوفى عام 1345هـ — 1926م . يقوم بتعليم الحساب والتوقيت لطلبة العرائش . وفى عام 1294هـ كان قد انهـــى هذه المهمة ليخلفه استاذ اختصاصى فى دراسة الهندسة (5) .

ثم صار نفس الاستاذ يقرؤ الحساب والتوقيت مع 12 طالبا من ابناء

---

1 — «الاعلام . بمل حل بمراكش واغمات من الاعلام» — ج 2 ص 267
2 — حوالة احباس طنجة ، مصورة باريس ، 1914 — لوحة 83 .
3 — اتحاف اعلام الناس ج 2 ص 77 ، وانظر عن ترجمة المذكور نفس المصدر ج 5 ص 287—288 .
4 — «مطالع الحسن واتباع السنن . بطلوع راية مولانا الحسن» تأليف على السوسى المذكور ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم 81 — عند البـــــاب السادس ، وهى بخط المؤلف فيما يظهر ، وانظر عن ترجمته: «سلوة الانفاس» ج 3 ص 351 — 352 .
5 — رسالة فى هذا الصدد فى «العز والصولة فى معالم نظم الدولة» ، ج 2 ص 149 .

الجيش بجامع المنصور من مدينة مراكش عام 1316هـ/1898م (1) .

والى نفس المدينة توجه فوجان من طلاب الجيش بالصويرة ، لاتمام دراستهم فى الحساب والفلك والهندسة : الفوج الاول ايام السلطان محمد الرابع ، والثانى فى عهد الحسن الاول (2) .

و فى مكناس : امر السلطان الحسن الاول باشاها باختيار عشرة من نجباء طلبة الجيش ، لقراءة الحساب والتوقيت على ميقاتى هذه المدينة وموقتها : الجيلانى بن عزوز الرحالى ابتداء من من عام 1302هـ حتى وفاته عام 1309هـ/1891م (3) .

وخلفه فى نفس المهمة متولى التوقيت من بعده : محمد السعيدى بن محمد بن المهدى المنونى ، المتوفى عام 1334هـ/1916م ، مع اضافة الفرائض للحساب والتوقيت (4) .

وفى الرباط وسلا : كان يوجد الحيسوبى المهندس ابو العباس احمد بن عبد الرحمن بورقية بها يعرف المكناسى ثم الرباطى ، المتوفى عام 1324هـ — 1906 — 1907م ، وبأمر الحسن الاول صار يقوم بتعليم الحساب والهندسة بهذه المدينة (5) .

وهناك رسالة صادرة عن السلطان الحسن الاول الى عامل سلا ، وفيها ان نفس الاستاذ كان مكلفا باقراء الهندسة بسلا مع طلبة العدوتين ، ولما سافر اناب عنه عبد الرحمن بن عبد العزيز عواد ، وكان — بدوره — حيسوبيا مهندسا ، وهذا نص الرسالة :

---

1 — رسالة واردة فى «سجل مكاتب عزيزية» ، بالمكتبة الملكية رقم 439 — ص 179 .

2 — «ايقاظ السريرة لتاريخ الصويرة» لمحمد الصديقى — ج 1 ص 24 — 25 .

3 — «اتحاف اعلام الناس» ج 2 ص 241 ، وانظر عن ترجمته نفس المصدر والجزء — ص 212 — 214 .

4 — رسالة فى هذا الموضوع «بالنهضة العلمية فى عهد الدولة العلوية» لابن زيدان : مقتبسات خاصة منها ، وانظر عن ترجمة المذكور «اتحاف اعلام الناس» : القسم المخطوط .

5 — فى ترجمته من «مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط» لمحمد بن على بن احمد دنية الاندلسى الرباطى ، نسخة المكتبة الملكية رقم 779 — ج 2 ص 131 .

«خديمنا الارضى ، الحاج محمد بن سعيد السلاوى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد وصل كتابك بأن الطالب احمد بن رقية المكلف باقراء علم الهندسة هنالك مع طلبة العدوتين ، تشوف للوفود على اعتابنا الشريفة ، لما بلغه من ان ابن عم له بتازا توفى ولم يترك وارثا سوى العصبة وهو من جملتهم ، واراد التوجه للكلام فى ذلك ، وانه استكتبك وساعدته ، بعد ان عين نائبا عنه فى اقراء ما ذكر ، وهو الطالب عبد الرحمن بن عبد العزيز عواد ، طالبا منا ان نساعده على ذلك ، فقد قدم وساعدناه على مطلبه ، والسلام ، فى 15 ربيع الثانى عام 1301».

وهذه رسالة اخرى فى شأن طلبة الحساب والهندسة بسلا ، وهى صادرة عن الحاجب موسى بن احمد الى نفس العامل ، ونصها بعد الافتتاح:

«... وبعد : فقد اخبر الناظر ان الطلبة الذين يتعلمون الحساب والهندسة هناك ، بعضهم صار يتكاسل ويعطل بعض الايام من القراءة ، وبعضهم امتنع من التعليم بالكلية ، وقد امرهم «كذا» مولانا — ايده الله — بأن لايعطوا الراتب الا لمن لازم القراءة ، ومن عطل يوم «كذا» يسقط عنه راتب ذلك اليوم ، ومن امتنع من التعليم يقطع عنه بالكلية وينظر غيره .

واعلمناك لتكون على بصيرة ، وتجرى العمل على ذلك فى تعيين بدل من امتنع من التعليم ، ولا بد ، وعلى المحبة ، والسلام ، فى 23 شوال عام 1293» (1) .

واخيرا نذكر ان السلطان عبد الرحمن بن هشام جهز غريفة التوقيت بجامع القرويين بفاس . بكرتين اثنتين : سمائية وارضية (2) ولا تزالان — معا — على قيد الوجود بنفس المكان ، حيث وقفت عليهما ، وعاينت الكتابة فيهما بالحروف اللاتينية ، وذلك قرب زوال يوم الاحد 11 شوال عام 1384 هـ 14 يبراير سنة 1965 م .

ثانيا : **الموسيقى**

من المحقق ان «الموسيقى الاندلسية» انبعثت — قليلا — فى هذه الفترة،

---

1 — الرسالتان — معا — من وثائق آل ابن سعيد بسلا ، بواسطة الاستاذ الفاضل الحاج احمد معنينو .

2 — «الحوالة السليمانية» فيلم ، خ . ع ، رقم 23 — ص 25 .

وفى ايام السلطان محمد الرابع بالذات ، وقع اجتماع لاصحاب هـــــذه الموسيقى ، شارك فيه كبراء الفن وحداق المعلمين ، حيث اختاروا تـــرتيبا جديدا لصنائع كل ميزان من كل نوبة ، وهذا الترتيب هو الذى نقح وهـــذب بعد ، باقتراح الوزير الكبير محمد بن الوزير العربى بن الوزير المختار الجامعى بالحضرة العالية ؟ عام 1303 هـ ــ 1885 ــ1886م ، ثم وضع على اساسه «مختصر مجموعة الحايك» المتداولة ، والمضافة لهذا الوزير (1) .

ومن الطريف ان يوجد من بين اعلام هذه الفترة من يهتم بذكر اساتذته وتلامذته فى الموسيقى الاندلسية ، وذلك هو ابو اسحاق ابراهيم بن محمد التادلى الرباطى شيخ جماعتها ، والمتوفى عام 1311 هـ (2) ــ 1894م .

فقد ذكر (3) انه لما ذهب لفاس ــ للدراسة بها ــ كان ينتهز فـــرص العطل ، فيتفرغ لدراسة علوم الفلسفة بما فيها الموسيقى الاندلسية ، وهذه اسماء اساتذته فى هذا الفن بالخصوص بفاس :

1 ــ الحاج حدو بن جلون الفاسى ، اخذ عنه نفقة رمل الماية الصغيرة، وهو شيخ جماعة الموسيقيين بفاس ، وآخر المحسنين للتوقيع على العود (4)

2 ــ رشيد الجملى الفاسى ، من ذرية الشيخ سيدى على الجمل ، تعلم منـــه الصنائع الكبار التى لاتوجد الا عند الشيوخ الماهرين ، ومن ذلك نفقة رمل الماية الكبرى ، وكان آية فى ضرب الرباب (5) .

3 ــ محمد الصبان الفاسى ، الفقيه المؤدب ، قال عنه : كـــان ياتينى للمدرسة واذهب اليه ، ويعلمنى ما عنده ، ولا ألذ من صوته ، وهو اعجوبة فى يده فى العود وحده ، فاذا انسك بالموسيقى وفرغ منها ، انسك باخبار الامم وأيامهم ايضا ، ولم ار هذا فى شيخ من شيوخ الموسيقى (6) .

4 ــ المكى محروش الفاسى ،قال عنه ــ ايضا ــ كان اعجوبـــة فى

---

1 ــ خطبة (التأليف فى الموسيقى) ، خ . ع د 1031 .
2 ــ ترجمته فى «مجالس الانبساط» : «النسخة الآنفة الذكـــر ، وفى «الاغتباط بتراجم اعلام الرباط» لمحمد بوجندار الرباطى ــ خ.ع ، د 1287 .
3 ــ فى «اغانى السقا ومغانى الموسيقى» ، نسخة خاصة .
4 ــ «اغانى السقا» مع «اختصار ابى اسحاق التادلى للتذكـــــرة الانطاكية» ، القطعة السابقة الذكر .
5 ــ المصدران الاخيران .
6 ــ اختصار التذكرة الانطاكية .

حفظ أشعار الموسيقى وطبوعها ونغماتها ، وخصوصا ميزانها لم يتقنه احد ــ فيما رأيت ــ سواه ، وهو آية في ضرب الطر وحده ، لان صاحبه هــو رئيس الموسيقى .. أخذت عنه جل الموسيقى (1) .

ومن اساتذته ــ أيضا وهو الخامس ــ الحاج احمد العسراوى التطوانى اخذ عنه بعض طبع الاصبهان ، وكان يحسن ضرب العود وحده (2) .

اما تلامذة الشيخ التادلى فى هذه الموسيقى الاندلسية فيذكر منهــم شيخ الصنعة بالرباط :

1 ــ محمد الرطل الرباطى ، الفقيه الطبيب المعدل ، تعلم منه هــو واصحابه بسيط رصد الذيل وغيره ، وكان من جملة اصحابه :

2 ــ الشريف سيدى المكى الفجيجى الرباطى (3) .

3 ــ شريف تطوانى ــ لم يذكر اسمه ــ كان ياتى اليه يسمع بعض الصنائع الكبار ويتعلمها (4) .

وبعد أبى اسحاق التادلى كان يوجد فى فاس العالم الاديب ، محمد بن محمد الايرارى الفاسى ، المتوفى عام 1329هـ 1911م، وقد كان يدرس أصول قواعد الموسيقى بظهر صومعة القرويين من فاس (5) .

2 ــ مدرسة المهندسين بفاس

وجدت هذه المدرسة أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام ، وكان الــذى تبناها هو أبنه الامير محمد الرابع ، وقد جاء موقعها فى نفس المدرسة المرينية بفاس الجديد جوارا لقصر الملكى ، وحسب المجلة الاسيوية (6) فقد ابتدأت الدراسة بها من سنة 1844م . «1259 ــ 1260هـ» . ثم كانت لاتزال قائمة فى عام 1296 هـ 1879 م .(7)

---

1 ــ المصدر الاخير .
2 ــ نفس المصـــــدر .
3 ــ «اغانى السقا» مع «اختصار التذكرة الانطاكية» .
4 ــ «اختصار التذكرة الانطاكية» .
5 ــ مجلة المغرب ، عدد جمادى الاولى عاه 1351هـ/سبتمبر سنــة 1932م ــ ص 23 .
6 ــ المجلد العاشر ص 152 : «الكتابات العربية بفاس» انظر «المعجم التاريخى» ص 63 .
7 ــ هذا يوخذ من «سجل نفقات مخزنية» بالمكتبة الملكية رقم 331 . ص 10، 14 ، 24 ، 39

ونستطيع ان نعرف المواد التى تدرس بها من الفقرة التالية الـواردة فى «اتحاف اعلام الناس (1) عند ترجمة محمد الرابع :

«له باع طويل . وقدم راسخ فى العلوم العقلية : كالحساب ، والتوقيت ، والتنجيم ، والهندسة ، والهيئة ، والموسيقى ، درس تلك الفنون بالنقـد والتحرير ، وختم كتاب اقليدس فى الهندسة عام احدى وسبعين ومائتين والف واسس مدرسة لتلك الفنون فى خلافته على عهد والده المقدس ، جوار القصر السلطانى من فاس الجديد» .

فهذه الفقرة تبين ان العلوم التى كانت تدرس بهذه المـدرسة . هى : الحساب ، والتوقيت ، والتنجيم ، والهندسة ، والهيئة ، والموسيقى ، كما تفيد ان كتاب اقليدس احد المواد التى كانت تدرس بها ، وانه ختم من عام 1271 هـ — 1854—1855م ، وهناك قصيدتان انشدتا بمناسبة هذا الختم: الاولى لاحمد بن الامين الودانى آتى الذكر ، والثانية للشاعـر فى الموزون والملحون: التهامى المدغرى ، وفيهما تنويه بالامير وباتجاهه فى ميدان الهندسة(2

ويظهر ان طبع كتاب اقليدس بالمطبعة الحجرية الفاسية من طرف الحسن الاول . له علاقة بدروس هذه المدرسة ، حيث كان تمام طبعه فى 23 شوال عام 1293هـ — 1876م ، كما يظهر —ايضا— ان كتاب اقليدس هذا هـو الذى يسميه البعض «كتاب لوجندر» (3) .

اما اساتذة هذه المدرسة فالمعروف منهم :

1 — ابو العباس احمد بن الامين الودانى الوطن ، اليعقوبى الـنسب ، درس بها كتاب اقليدس (4) ، وفى الترجمة التى كتبها لنفسه ابو اسحـاق التادلى ، يذكر انه قرأ على هذا الهندسة (5) ، دون ان يعين المركز الواقعة به

---

1 — ج 3 ص 367 .

2 — القصيدتان معا فى «الحسام المشرفى» لمحمد العربى المشرفى ، خ.ع، ضمن مجموع يحمل رقم ك 2276 ، وقد وردت القصيدة الاولى —على حدة— فى «الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام» ، ج 2 ص 216—218 ؛ كما وردت القصيدة الثانية فى «اتحاف اعلام الناس» ، ج 3 ص 575—576 .

3 — جاء هذا الاسم فى تاريخ المغرب للاستاذ عبد العزيز بنعبد اللـه ج 2 ص 88 .

4 — انظر الحسام المشرفى : المخطوطة الآنفة الذكر .

5 — انظر «الاغتباط بتراجم اعلام الرباط» ، للمؤرخ محمد بوجندار ،خ.ع، د 1287 — ج 1 ص 14 .

هذه الدراسة ، والذى لا يبعد ان يكون بهذه المدرسة ، كما لم يعين الكتاب الذى درس فيه ، وقد ذكر فى «اختصار التذكرة الانطاكية (1)» انه اخذ بعض اقليدس على بعض فقهاء سوس ، ولا شك انه يقصد ابا العباس الودانى هذا ، وانه درس عليه الهندسة بكتاب اقليدس ، ولم اقف على تاريخ وفاة هذا الاستاذ .

2 — السلطان محمد الرابع الذى ناب عن سابقه فى بعض الدروس (2) وكانت وفاته عام 1290هـ — 1873م .

3 — ادريس بن الطايع العلوى البلغيثى الحسنى الفاسى ، المتوفى عام 1322هـ — 1904 ، كان استاذا بها اواخر عام 1293هـ — 1876م ، حيث يصفه البعض بانه عارف بفن الهندسة ومتقنة بالاقراء والتدريس ، والمتصدى لنشره بالامر الشريف (3) .

4 — ولا يبعد ان يكون من بين اساتذتها عبد الرحمن العلج ، وهو من عائلة فرنسية يقال لها دوستلى ، وقد اعتنق الاسلام ، وورد على السلطان عبد الرحمن ابن هشام ، ثم استمر بالمغرب الى ايام السلطان الحسن الاول حيث توفى بمراكش سنة 1879م (4) — 1296 — 1297هـ ، وسيأتى ان هذا نشر بالمغرب العلوم الرياضية والعسكرية الحديثة ، حيث اخذها عنه جماعة بفاس ومراكش وغيرهما .

5 — وكذلك ابو العباس احمد بن عبد الله الادريسى التنانى المعروف بالصويرة ، والمتوفى عام 1320هـ — 1902م ، فقد جاء فى الاعلام (5) ذكر عدد ممن اخذوا عنه علم الهندسة .

وقد تحدث عن طلبة هذه المدرسة محمد العربى المشرفى فى «نزهة الابصار(6)»

---

1 — القطعة السالفة الذكر .
2 — الحسام المشرفى .
3 — ورد هذا فى كلمة التصحيح الختامية لطبعة «تحرير اصول الهندسة» لاقليدس : بالمطبعة الفاسية ، «23 شوال عام 1293» — ج 2 ص 453 ، وانظر عن ترجمة المذكور : النهضة العلمية لابن زيدان : تعليق .
4 — الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام : القسم المخطوط — عند ترجمته .
5 — للقاضى عباس بن ابراهيم ، آخر ترجمة المذكور — ج2ص266—268
6 — خ.ع.ك 579 — ص 528

وقال فى صدد حديث عن محمد الرابع : «وانتقى من ايالته طلبة لتعليم علم التوقيت والهندسة فكانوا فى هذين الفنين من نجباء اهل زمانهم» .

وفى «اتحاف اعلام الناس (1) اثر حديثه السابق عن هذه المدرسة : «تخرج منها جماعة من الطلبة النجباء النبلاء ، منهم الفئة الموجهة لتتميم دروسها بعواصم اوربا ، كالفقيه ابى عبد الله محمد الجباص الوزير الصدر سابقا : بانكلترا ، وابى عبد الله محمد العلمى الشهير ببنانى : بايطاليا ، وآخرون فى فرنسا والمانيا ، وذلك فى حدود 1300 .

والغالب ان من طلاب هذه المدرسة — ايضا — ابا زيد عبد الرحمن عواد السلوى مار الذكر ، حيث تذكر عنه «رسالة عائلات سلا»(2): انه كان مهندسا ماهرا ، حافظا لكتاب اقليدس فى الهندسة ، وقد كان بقيد الحياة ايام السلطان الحسن الاول .

وحسب «سجل نفقات مخزنية» (3) فقد كان عدد طلبة الهندسة من 58 الى 44 طالبا ، وذلك بين اعوام 1284—1287 هـ .

وكانت لهم مرتبات يومية (4) ، كما كان لهم رئيس : هو ابو العباس احمد الصويرى (5) آنف الذكر .

واخيرا فان المتخرج من هذه المدرسة — فى الهندسة — كان يحمل لقب «مهندس» ، ومن درس بها التوقيت يحمل لقب «موقت» ، وسنرى — عند حديث البعثات المغربية — عددا من طلبة هذه المؤسسة يذهبون لاوربا لاتمام دراستهم ، كما ان الذين استمروا منهم بالمغرب شغلوا اطرا متنوعة فى الحاشية الملكية .

وهكذا يتبين ان هذه المدرسة — بالنسبة لزمانها ومكانها — كانت صالحة لان تكون نواة لانبعاثة مغربية .

3 — المدرسة الحسنية بطنجة

وهى من تأسيس السلطان الحسن الاول حسب الطاهر الاودى فى كتابه

1 — ج 3 ص 367 .
2 — تأليف عشاش بلقاسم الجزائرى ، مخطوطة خاصة للبعض .
3 — بالمكتبة الملكية رقم 295 .
4 — نفس السجل .
5 — الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام — ج2ص 267—268

الاستبصار (1) ، حيث يذكر انه درس بها ست سنوات ضمن البعثة المغربية التى كان ينتسب اليها ، وكانت المواد التى تلقوها بهذه المدرسة هى : الحساب — الهندسة — التنجيم — الجغرافية — اللغة العربية — المبادىء الدينية الاولية — لغة اجنبية .

والغالب ان هذه المدرسة كانت تكميلية ، حيث يقع بها اعداد طلبة مدرسة المهندسين ، الذين سيذهبون لاكمال دراستهم باوربة ، وفى «اتحاف اعلام الناس (2) يشير لهذه المدرسة فى شىء من المخالفة لما فى «الاستبصار» ، فيذكر عن بعض البعثات انهم اقاموا بطنجة ثلاث سنين اخذوا فيها مبادىء الحساب واللغات الاجنبية .

وهذه رسالة صادرة عن الحسن الاول ، وورد فيها الاشارة لهذه المدرسة :

«وصيفنا الارضى ، القائد الجيلانى بن حم ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد وجهنا صحبته خمسة عشر من نجباء الطلبة ، بقصد التوجه لبر النصارى لتعلم طبجيت والهندسة وغير ذلك من امور الحرب ، **بعد تعلم الكتابة واللسان بطنجة** ، ليسهل عليهم مباشرة التعلم ببر النصارى ، وامرنا خديمنا الطالب محمد بركاش بان يقر كل فريق منهم بالمحل الذى يناسبه حتى يتعلموا ذلك ، ويوجه لكل فريق منهم المعين له ، كما امرنا الامناء ان ينفذوا لهم مدة اقامتهم بطنجة .

واعلمناك لتكون على بال ، وتنزلهم بالمحل الذى يناسبهم ، والسلام ، فى 25 رجب ، عام 1292» . (3) .

وبعد حوالى عامين من هذا التاريخ ، نعثر على رسالة اخرى ترد فيها — مرة ثانية — الاشارة الى مدرسة طنجة ، وهذا نصها :

«خديمنا الارضى ، الحاج محمد بن سعيد السلاوى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

---

1 — مخطوطة خاصة ، ص 83 ، وسنحدث من بعد : عنها وعن مؤلفها.
2 — ج 2ص 466 .
3 — «النهضة العلمية» لابن زيدان ، مبيضة المؤلف بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3177 .

وبعد : فنامرك ان تعين خمسة من اولاد اعيان خدامنا اهل سلا ، يكور سنهم من الخمسة عشر سنة الى الثمانية عشر ، واخترهما «كذا» من النجابة والفطنة بمكان ، وممن يعرف الكتابة ، وان كانوا من الذين كانوا عينرا — سابقا — لتعلم علم البحر وكانوا يتعاطونه فهو اولى .

وحين تعينهم اعلمنا لتأمرك بتوجيههم لبر النصارى بقصد تعلم علم البحر والرياسة ، وذلك بعد ان **يتعلموا ما يكفيهم فى ذلك من اللسان بطنجة.**

وقد كتبنا لخديمنا الطالب عبد السلام السويسى بتعيين مثلهم من خدامنا اهل رباط الفتح ، والسلام ، فى 10 رمضان المعظم ، عام 1294» (1)

4 — دراسة بعض الفنون العسكرية

اولا : دروس تعليمية

الى جانب التدريبات العسكرية ، كانت هناك دروس تعليمية اهتمت بالمدفعية بصفة خاصة ، واول مثال لهذا فقرات من رسالة (2) للسلطان عبد الرحمن بن هشام ، وفيها يخاطب عامل سلا ويقول :

«... واكد ذلك الرماية ، وخصوصا بهذه الآلة الموجودة اليوم : من مدافع وغيرها ، فصرف البال اليها آكد ، والحاجة الى معرفة استعمالها والتصرف بها اشد ... وعليه فبوصول كتابنا هذا اليك ، كلف من هو رئيس عالم عندكم فى هذا الفن ، بتعليم المعنيين منكم فى ديوان الطبجية (3) : بان يتولى كل واحد تعليم طائفةفى برج من الابراج ، يكون يعلمهم فيه ويقوم بحراسته وحفظه وصيانته ، ثم يوم الشارة يجتمعون اليها على العادة القديمة . وامرهم ان يجعلوا هذا الامر من أهم أمورهم ، وآكد اشغالهم ، بجد وحزم ، واعتناء وعزم ، ومن ظهرت نجابته ، واتضحت درايته ، اعلمنا به أنت والامناء ، لنزيد له فى العطاء ، ونمنحه ما يظهر عليه من جميل الاحتفاء والاعتناء ...»

وقد كان تاريخ هذا الكتاب فى 28 صفر عام 1269هـ — 1852م ويبدو انه — بعد هذا التاريخ — تقدمت فكرة هذه الدروس المدفعية ، ويفهم هذا من

---

1 — من وثائق آل ابن سعيد بسلا .
2 — نهليل : مجموعة الرسائل الشريفة — لوحة 1
3 — الرماة بالمدافع .

الخطاب التالى (1) لعامل سلا — ايضا — فى 20 قعدة عام 1273 هـ — 1857هـ
وهذا نصه بعد الافتتاح :

«.... وبعد ، فبوصول كتابنا هذا اليك عين عشرين من الولدان النجباء لتعلم علم تاطبجيت ، وانظر لهم معلما ماهرا او معلمين من طبجية البند ، يعلمهم ويشرعون فى التعلم الان ، فيبداون بمقدماته ، ثم يتدربون منها الى الاخذ فى تعلم رماية المدفع والمهراس ، وهكذا حتى ينجبوا ويمهروا فى الصنعة، ويصيروا قادرين على الخدمة ، ونطلب الله ان يعينهم ويفتح بصائرهم .

وهؤلاء العشرون يكونون زائدين على من هنالك من الطبجية ، ونامر الامناء ان يرتبوا لهم — اعانة على ذلك — خمس عشرة اوقية فى كل شهر للواحد ، ثم من ظهرت نجابته منهم وفاق غيره فانا نزيده فى المرتب ، كما نامرهم ان يرتبوا لمعلمهم واحد او اثنين : ثلاثين اوقية للواحد فى كل شهر زيادة على راتبهم المعلوم ، واعتن بامرهم غاية الاعتناء ، وقد كتبنا لغيركم من المراسى مثل هذا ، وسننظر من تظهر ثمرته واعتناؤه» .

ذلك هو نص الكتاب الذى يعلن — فى آخره — ان نفس التعليمات الواردة به صدر مثلها لعمال المراسى المغربية الاخرى ، وهكذا يتبين ان هذه الحركة الثانية كانت مطبوعة بطابع الشمول مع مزيد من التنظيم .

ومن واقع مدينة الرباط بالخصوص : ان عامل هذه المدينة كان يخرج — بعد صلاة العصر من كل يوم جمعة بهيئته الرسمية — الى خارج المدينة عند المصلى القديم قرب ضريح سيدى السعيدى ومعه باش الطوبجية ، لاجراء تمرينات على الرماية بالمهراس امامه ، عادة مقررة ، وكان به من شيوخ الرماة عشرة او احد عشر ، ولكل واحد عدة تلاميذ يدربهم على الرماية ، ويأمرهم ان يقولوا — اول العمل — ان ذلك بنية الجهاد فى سبيل الله ، كما كان به فريق المصاقرية ، وهم المتمرنون على الضرب بالسيوف ، وذلك بواسطة عصى يتمرنون عليها ، وكانوا يتقاضون مرتبا من الدبوانة (2)
هذا : ويظهر انه وجدت دروس عسكرية اكثر تنظيما اوائل عهد الحسن

1 — ورد نصه فى «الاستقصا» ، ج 4 ص 206
2 — من بحث لفقيد العلم محمد السائح ، مجلة «دعوة الحق» السنة 3 العدد 2 — ص 30 — 31 .

الاول ، يدل لذلك هذه العبارة الواردة فى «سجل نفقات مخزنية (1)» ، وضمن صوائر 28 رجب عام 1292 هـ — 1875م . وقد جاءت كما يلى :

« وفيه — ايضا — دفع كسوتين للطلبة الذين ظهرت فيهما النجابة ممن يقراون على الخوجة» .

والخوجة هذا هو السيد محمد بن احمد الخوجة التونسى احد مدربى العسكر النظامى المغربى ، وقد ذكره محمد العربى المشرفى فى «الحسنى المشرفى (2)» ضمن رؤساء هذا الجيش فى عهد محمد الرابع ، وحسب «سجل نفقات مخزنية الآنف الذكر (3) ، فان الخوجة كان فى عداد الاموات — بمراكش — فى 21 حجة عام 1292 هـ — 1876م .

واخيرا فان الحسن الاول — ايضا — اسس ما يشبه مدرسة مركزية للمدفعية بمدينة الجديدة (4) .

كما يبدو أن هذا السلطان احدث مؤسسة أخرى لنفس الغرض بمدينة طنجة ، وهذا ما تفيده الرسالة التالية الصادرة عن الحسن الاول ، ونصها :

«خديمنا الارضى ، الحاج محمد بن سعيد السلاوى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فنأمرك أن تعين عشرة من صغار الطبجية أهل الذكاء والفطنة والصحة فى الجسم ، وتوجههم لطنجة بقصد التعلم على طبجية من النجليز أمرنا بجلبهم للتعليم هناك ، واستخدام المدافع الكبار الجديدة التى أمرنا بجلبها لمراسينا السعيدة ، ليجدهم ورودها عارفين باستخدامها ، ماهرين فيه ان شاء الله .

وقد أمرنا أمناء العدوتين بتزويدهم وكراء البهائم لهم ، ولعامل طنجة وامنائها بأن ينزلوهم وينفذوا لهم مئونتهم ، والسلام ، فى 23 من ذى القعدة الحرام ، عام 1294» .

---

1 — المكتبة الملكية رقم 313 — ص 5 .
2 — المخطوطة السالفة الذكر .
3 — ص 13 .
4 — «تاريخ المغرب» للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ج 2 ص 88 .

وهذه رسالة حسنية اخرى فى موضوع تعليم الرماية المدفعية ونصها :

«خديمنا الارضى ، الحاج محمد بن سعيد السلاوى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فنأمرك ان توجه خمسة عشر من الطبجية الذين هنالك من انجب أهل خطتهم ، وممن تتوسم فيهم قبول التعليم ، كصغر السن ، وجودة الذهن وصحته ونحو ذلك ، بقصد الاخذ عن المهندس لوبلو الفرانصيصى .

وقد أمرنا الامناء ثمة بتزويدهم وكراء حمولتهم واصلين لعلى أعتابنا ، والسلام ، فى 13 ربيع الثانى ، عام 1301» (1) .

ثانيا : موضوعات عسكرية

هناك موضوعات كتبت فى هذه الفترة للاستعانة بها فى تعليم وتنظيم الجيش ، وسأستعرض ما وقفت عليه منها فيما يلى :

ا ــ رسالة فى تنظيم الجيش المغربى : لمحمد بن احمد الخوجة التونسى

آنف الذكر ، الفها برسم الامير محمد الرابع ايام خلافته عن والده ، وهى تشتمل ــ بعد الخطبة ــ على مقدمة فى لغة الجيش التى صارت ــ آنذاك فى البلدان العربية هى اللغة التركية المزيجة بالفارسية ، وبعد هذا يتخلص للموضوع حسب العناوين التالية :

الفصل الاول فى رتبة المائة .

الفصل الثانى فى رتبة الالف .

الفصل الثالث فى مرتبة الجيش من العسكر .

وهو يشرح فى كل فصل الرتبة المعنية ، فيحدد مدلولها ، ويذكر رؤساءها ومهمتهم ، وترتيب وقوف كل فرقة ، ويأتى باسماء درجات الجيش بثلاث لغات : العربية والتركية والفرنسية ، وفى الفصل الثانى ذكر صفة نصب محلة العسكر ، كما ذكر فى الفصل الثالث نظام سفره فى الطريق .

---

1 ــ الرسالتان ــ معا ــ من وثائق ءال ابن سعيد بسلا .

وهو يوضح انظمة الجيش برسوم موسعة ، يذيل بها الموضوع المعنى بالامر فى صفحة على حدة ، وقد بلغت خمسة ، على الترتيب الآتى : رسم وقوف المائة — رسم وقوف الالف — رسم المحلة — كيفية وقوف الجيش وترتيب كباره — رسم سفر الجيش فى الطريق ، وقد ذيل هذا الرسم الخامس هكذا : «صنعة محمد بن احمد الخوجة ، لطف الله به» ، ومن هنا — فقط — استفدنا اسم مؤلف هذه الرسالة ، التى فرغ من تأليفها فى 23 ربيع النبوى ، عام 1267 هـ/ 1851م .

منها نسخة فى الخزانة العامة بالرباط ، رقم ك 2733 ، فى 78 ص عدى الرسوم ، مسطرة 10 ، مقياس 115/170 ، خط مغربى مبسوط مستحسن مشكول مجدول ، عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ ، وهذه خطبة الرسالة :

«الحمد لله الحميد المجيد ، الفعال لما يريد .. وبعد : فانى لما نظرت فى احوال العسكر السعيد ، المصحوب بالسعادة والنصر والتاييد ، المحسوب على الجانب العالى بالله .... مولانا الخليفة ايده الله ، وادام عز طلعته وأبقاه ، وجدت قلة المعرفة مع اربابه المكلفين به ، مع جهل القوانين الجارية فيه ، تذكرت البعض مما رويناه عن اربابه ، وشاهدناه فى بلاد الترك وفى بلاد الروم ، ودارسناه فى كتب المهندسين من ارض مصر ، وجعلناه مختصرا لطيفا فى خدمة العسكر وقوانينه وحروبه ، لان الحرب خدع ، فينبغى للمعلم ان ينظر فى احوال القتال ، فكلما اتى العدو بحيلة فى الحرب لابد له ان يصنع حيلة ضدها ، ليبطل له عمله بها ، والقتال له اصناف عديدة : قتال فى الجبال، وقتال فى الاودية والشعاب ، وقتال فى الارض المستقيمة ، هذا اذا كان القتال بالعسكر مع عسكر العدو ، واذا كان مع القبائل والعربان فله قوانين اخر ، وسأبين لك ذلك — ان شاء الله — على التفصيل ، قاصدا بذلك نية الجهاد ، وتحصيل الاجر والثواب ، وصالح الدعاء من الامير ، وعلى الله القبول ، انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت ، وهو اللطيف الخبير .

اعلم يا اخى — وفقنى الله واياك لما يحبه ويرضاه — أن الجهاد فى بعض المواضع فرض عين واجب على كل احد ولو على المراة ، ومعظم الجهاد فى زماننا هذا انما هو بالبارود ، فلا بد له من معلم رئيس حافظ لجميع القوانين، لان صنعة العسكر اذا لم تكن لها الرياسة والمعرفة والقوانين صار وجودها كالعدم ، فالواجب على العسكر التعليم والمسايسة والملاطفة فيه ، حتى ترسخ صنعة الحرب فى عقولهم ، ويثبتون على القوانين والحيل اللازمة لهم عند مقابلة العدو ، فاذا اراد مولانا نصره (الله) بهم قضاء امر مهم من الامور السلطانية وجدهم فى غاية الحزم والعزم ...

فينبغى لكل من تعلقت نفسه بهذا الفن ان يعتنى بتعليمه ، والتسليم لمعلمه ليحصل هذه السنة ، لانها من اعظم السنن ، والله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمـــآب» .

ب — نزهة المجالس ، فى علم احكام المدافع والمهاريس

— ارجوزة من نظم عبد النبى بن العباس الشديد الصنهاجى الرباطى ، حسب تسميته فى خاتمة المنظومة .

وهى مهلهلة التركيب والوزن ، وفى آخرها يعتذر الناظم باميته وجهله عما يوجد فيها من لحن وتصحيف ، ويذكر ان الحامل له على نظمها هو السلطان عبد الرحمن بن هشام ، عدد أبياتها394 ، ووقع الفراغ من وضعها ليلة 27 رجب عام 1266 هـ/1850 م .

وقد تناول فيها الرماية بالمدفع والمهراس (1) والباز (2) ، فذكر هيئات هذه وانواعها وطرق استخدامها ، كما ذكر البنب (3) والبارود .

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ، اول مجموع يحمل رقم 1043 ، من ص 1 الى ص 30 ، مسطرة 20 ، مقياس 195/240 ، خط مغربى جميل واضح ملون ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، ومن الرسوم التوضيحية .

ورد ذكر هذا الناظم فى رسالة ملكية مؤرخة فى 5 ربيع الثانى عام 1276هـ

1 — مدفع الهاوون .
2 — نوع خاص من المدافع .
3 — القنابل الثقيلـــة .

1859م . حيث سمى فيها : «المعلم عبد النبى الشديد الرباطى» ، حسب «اتحاف اعلام الناس» (1) .

ج ــ **الباز فى علم المدفع والمهراز** ــ رسالة لمؤلف مجهول الاسم ، يذكر فى اولها اسم السلطان المعاصر له هكذا : «وامام غربنا البطل الهمام ، مولانا عبد الرحمن» .

وهى مبتورة الآخر ومن اوائلها بنحو ورقة ، ويقف الموجود منها على الباب 18 .

منها نسخة فى الخزانة العامة بالرباط ، ضمن مجموع يحمل رقم د 3368 من ص 177 الى ص 185 ، مسطرة مختلفة ، مقياس 150/210 ، خط مغربى سريع متوسط .

د ــ **تنكرة المجالس ، فى علم المدافيع والمهاريس** «كذا» ــ ارجوزة مهلهلة النظم ــ ايضا ــ لصاحبها المكى بن قصابة بن محمد الرباطى ، نظم فيها قواعد لمحمد بن محمد سباطة الاندلسى الرباطى ، ووضعها فى شعبان عام 1288 هـ/1871م . فى 532 بيتا ، وتناول فيها ــ تقريبا ــ نفس موضوعات المنظومة الانفة الذكر ، مع توضيح مواضيعها برسوم عديدة .

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط آخر المجموع الذى يحمل رقم 1043 من ص 67 الى ص 112 ، مسطرة 20 ، مقياس 195/240 ، خط مغربى نفس خط المنظومة الثانية .

5 ــ بعثات الى مصر واوربة

اولا : الى مصر

توجهت بعثات مغربية الى مصر ــ وان كانت قليلة ــ خلال هذه الفترة، وكانت فى ايام محمد الرابع انشط منها على عهد الحسن الاول ، ويمكن تصنيفها الى ست ارساليات :

الاولى : ذهب فيها ــ حسب ابن زيدان ــ (2) ثلاثة افراد :

---

1 ــ ج 3 ص 409 .
2 ــ فى «الدرر الفاخرة» ص 95 ــ 96 .

1 ــ احمد شهبون (1) .

2 ــ محمد ابن كيران الفاسى (2) .

3 ــ عبد السلام العلمى (3) .

وحسب نفس المصدر فقد كان ارسال هؤلاء الافراد من طرف السلطان محمد الرابع ، وفى ايام خديوى مصر محمد سعيد باشا ، وعلى هذا يكون ذهاب هذه البعثة بين عام 1276 هـ الى عام 1280 هـ ، حيث ان هذه الحقبة هى التى تعاصر فيها الملكان : محمد الرابع الذى بويع عام 1276 هـ ، وسعيد باشا المتوفى عام 1280 هـ .

ويلاحظ فى هذا الصدد ان ابن زيدان لم يذكر مصدره عن هذه البعثة ، كما يؤخذ عليه ادراج عبد السلام العلمى ضمن افرادها الثلاثة ، مع ان هذا انما توجه للقاهرة اوائل عهد الحسن الاول ، يدل لهذا ان العلمى نفسه فى مقدمة كتابه «البدر المنير» (4) يذكر انه درس الطب بمصر بمدد السلطان الحسن الاول، كما يذكر فى كتابه الآخر: «ضياء النبراس» (5) عند مادة سبستان انه كان يدرس الطب بمصر عام 1291 هـ ، بعدما كان الحسن الاول قد بويع فى رجب عام 1290 هـ /1873م . وثالثا : فان الاجازة الطبية التى احرز عليها عبد السلام العلمى من المدرسة الطبية المصرية ، تصرح بانه بعث بأمر من الحسن الاول ، وكان دخوله لهذه المدرسة عام 1291 هـ ، فلهذا سيكون من اللائق تصنيف هذا فى بعثة آتية .

الثانية والثالثة : بعثتان من طرف محمد الرابع ايضا ، يشير لهما معا رسالة (6) من الخديوى المصرى اسماعيل باشا الى السلطان محمد الرابع ،

---

1 ــ لم يذكر نسبه ، ويوجد هذا اللقب فى بعض قبائل شمال المغرب ، وسيرد ذكر مؤلفه فى الجغرافيا عند «موضوع خرط وتقنيات حديثة» .

2 ــ انظر بحث «موضوعات فلكية جديدة»

3 ــ سترد ترجمته وآثاره وشيكا .

4 ــ اسمه الكامل : «البدر المنير فى علاج البواسير» وهو مطبوع على هامش ضياء النبراس آتى الذكر ، المطبعة الحجرية الفاسية عام 1318 هـ ــ ص 3 .

5 ــ اسمه الكامل: «ضياء النبراس ، فى حل مفردات الانطاكى بلغة اهل فاس» ، الطبعة الآنفة الذكر ــ ص 59 .

6 ــ ورد نص هذه الرسالة فى «الآثار الفكرية» ، تأليف فكرى افندى باشا ، ط . بولاق ، 1315 هـ ــ ص 54 .

وهى تتحدث عن رسالتين مغربيتين : الاولى فى شأن شخص ـ بعثه سلطان المغرب ليتمرن على اشغال الطبع بمصر ، والثانية ترغب فى تعليم ثلاثة صناع مغاربة بعض الفنون العسكرية .

وهناك بعثة رابعة كانت بصدد التوجه لمصر عام 1283 هـ ، لتتعلم خطط الجهاد والفنون البحرية والمدفعية ، وتتركب من ثلاثين طالبا مختارين من أبناء الجيش البخارى ، ومن مدائن نفاس وسلا والرباط والصويرة حسب الرسالة التالية الصادرة عن السلطان محمد الرابع ، ونصها :

«خديمنا الارضى ، الحاج محمد بن سعيد السلاوى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد : فان هذه الخطط الجهادية من علم البحر وتطبجيت ضعفت فى الغرب حتى كادت أن تفقد ، وقد اعتنى بها ملوك الاسلام فى هذا الوقت فانتفعوا بها انتفاعا بينا ، وأدركوا منها ما لم يدركه غيرهم .

وقد بلغ اسماعيل باشا اهتمامنا بالامور الجاهدية ، حيث وجهنا له من يتعلم عمل البارود وغيره علــى الكيفية المعروفة عندهم ، فأجاب بأنه اعتنى بأمرهم ، وطلب تكليفه بما يتعلق بهذا الامر ، ووعد بالوقوف فيه ، غير أنه طلب أن يكون المتعلمون صغارا نجباء ، لانهم أقبل للتعليم ، وأسرع نجابة من الكبار .

فاقتضى نظرنا تعيين ثلاثين من الاولاد الصغار النجباء ، وتربيتهم بحضرتنا الشريفة فى تعلم ما لابد منه من مقدمات ذلك : من حساب وتوقيت وهندسة وسببه ذلك ، ثم نوجههم بعد لمصر ، وأردنا انتخابهم من أولاد الجيش البخارى وأهل فاس وأهل العدوتين وأهل الصويرة .

فنأمرك أن تنتخب من أولاد خدامنا أهل سلا الصغار ثلاثة ، وقد أمرنا عامل الرباط بانتخاب ثلاثة من أولاد الرباط ، ليكون ثلاثة طبجية ، وثلاثة بحرية .

وليكن سنهم من أربع عشرة سنة الى خمس عشرة ، ممن يعرف الكتابة والقراءة ، وظهرت عليهم مخايل النجابة والذكاء والفطنة .

وعدهم وأهلهم بالاحسان التام من جانبنا العالى بالله فى حال التعلم ،

زيادة على ما يترقبونه من احراز المزية ، والمرتبة العلية ، لمن برع منهم فيما عين له .

وحين تعينونهم وجهوهم لحضرتنا الشريفة ، بعد أن يدفع لهم الامناء ما يتزودون به ، ويكتروا لهم ما يركبون عليه ، واصلين لحضرتنا العالية بالله ، فأطلعهم على كتابنا هذا ليعلموا «كذا» بمقتضاه ، والسلام ، في 5 حجة الحرام ، عام 1283» (1) .

والآن : نذكر البعثة الشرفية الخامسة ، وهى التى ذهبت لمصر فى أوائل عهد الحسن الاول ، وقد كان فى هذه البعثة طلبة واثنان من رجال الصناعة ، ويبدو ان الطلبة كانوا كثيرة ، حيث قسموا — بالنسبة للمنحة — الى ثلاث رتب اولى ، وثانية ، وثالثة ، ودفع الى كل رتبة ما حدد لها ، وذلك بتاريخ 28 رجب عام 1292 هـ/1875 م (2) .

وسادسا وأخيرا : عبد السلام العلمى ، الذى تبين — آنفا — انه ذهب لدراسة الطب بالقاهرة عام 1291 هـ ، من طرف الحسن الاول ، وهناك اجازة أحرز عليها هذا الطبيب المغربى «من المدرسة الطبية المصرية» (3) وسنذيل بنصها موضوع هذه البعثات المغربية للقاهرة .

ان هذه الاجازة صادرة عن «حسين بن مصطفى عودة الدمشقى» (4)، أحد أساتذة المدرسة الطبية المصرية بقصر العينى بالقاهرة (5) وهى مكتوبة بخط شرقى نسخى عام 1291 هـ/1874—1875م . وفيها يشهد بحضور الطالب المغربى على اساتذة المدرسة الطبية المصرية ، ويذكر مواظبته واجتهاده ، ويعترف بتفوقه ازاء اقرانه .

وقد توسط اعالى صك الاجازة طابع صغير بيضوى الشكل ، ومكتوب

1 — من وثائق آل ابن سعيد بسلا .
2 — «سجل نفقات مخزنية» بالمكتبة الملكية رقم 313 — ص 5 .
3 — جاء مصور هذه الاجازة ضمن كتاب «اعيان المغرب الاقصى سنة 1357 هـ» ، لمؤلفيه — بالفرنسية — مارتى مع ادماند كوفيون، طبع بباريس، سنة 1939م — ص 574 .
4 — ترجمته ومراجعها فى «معجم المؤلفين» لرضا كحالة، ج 4 ص 63.
5 — تأسست فى «أبى زعبل» سنة 1826 م ، وفى سنة 1837م نقلت الى القاهرة، ووضعت فى «قصر العينى»، ومعها «المستشفى»، انظر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ، ج 4 ص 37 — 43 .

بداخله اسم المجيز ، وتحت هذا الطابع رسم شكل هلال كتب بداخله خمسة اسطر كالتالى :

«تذكار مودة – طبية – من حسين افندى عودة الحكيم من دمشق الشام ، الذى تلقى العلوم الطبية بمصر – بالمدرسة الطبية من احسانات خديوى مصر وعزيزها – اسماعيل باشا» .

واسفل هذا جاء نص الاجازة التى ذيلت –فى آخرها من جهة اليمين– بطابع مماثل للذى صدرت به ، يتصل به توقيع المجيز الذى وضع تحته طابع اصغر .

والاجازة محررة باسلوب علمى عربى ، تتخلله بعض تعابير تركية ، حيث تضاف كلمة «لو» لبعض التحليات ، وتكتب متصلة بتائها الاخيرة ، مثل سعادتلو ، وحضرتلو ، ودولتلو ..... كما انها لم تسلم من بعض الاخطاء النحوية التى سيقف عليها القارىء .

وتتجلى قيمة هذه الشهادة فيما تقدمه من معلومات عن دراسة الطبيب العلمى للطب بالقاهرة ، وفيما تلقيه من ضوء على فترة من حياته ، وهى – ايضا – تقدم نموذجا لاجازات هذه المؤسسة الشرقية الجديدة ، كما تقدم لونا من العلاقات العلمية بين المغرب ومصر فى مطلع عصر اليقظة المغربية

واخيرا فان من محاسن صك هذه الاجازة ان الصق باعلاه – من جهة اليمين – رسم «ربع الشعاع والظل» الذى ابتكره صاحب الاجازة ، وللتعريف بهذا الرسم – كتب باعلاه بخط شرقى مماثل فى اربعة اسطر هكذا :

«هذه صورة «ربع الشعاع والظل» – لمخترعه الشريف عبد السلام – العلمى المغربى الفاسى ، اخترعه – سنة 1283 للهجرة النبوية ، على صاحبها ازكى التحية» (1)

وبعد : فها هو نص الاجازة الطبية :

«الحمد لله الذى اطلع من شاء على عوارف سره ، واظهر كل معدوم من خزائن علمه ، اللطيف الشافى الذى جعل لكل داء دواء تفضلا منه ورحماء وامر بتعاطيه على لسان انبيائه الذين بينوا من اصول الطب وفروعه قسما

---

1 – موضوع الحديث عن هذا الابتكار عند باب : «مثقفون يتأثرون بالنهضة الغربية الحديثة» .

جما ، والصلاة والسلام على طبيب القلوب سيدنا ومولانا محمد المفضل من كل ما سواه من خلقه ، وعلى آله واصحابه وحزبه وجنده ٠

أما بعد : فلما كان فى أيام خديوية من غمرنى بالاكرام ، وعمنى بالجود والانعام ، صاحب العزم الذى عز من يحاوله ، والكرم الذى علا أن يكون فى الكرام من يطاوله ، واضحت فى زمنه حدائق العلم يانعة الازهار ، كأنها جنات تجرى من تحتها الانهار ، وعذبت بالديار المصرية موارد فضلـــه ، وامطر على الصغير والكبير وافر كرمه وعدله ، فأضحى وهو قبلة المجد التى لاتزال حولها الآمال طائفة ، ولا تبـــرح تسعى طائفة بعد طائفـــة ، افندينا المعظم المحروس بعناية ربه العلى ، خديوى مصر وعزيزها اسماعيل ابن ابراهيم بن محمد على ، ولا زال سعده بأقماره منشورا ، وجيش عزه بأنصاره منصورا :

انه قد وفد من مدينة فاس المحروسة بالديار المغربية ، الى الديـــار المصرية ، ــ بأمر سيدنا ومولانا العالم العادل المؤيد المظفر سيف الدنيـــا والدين ، ناصر الاسلام والمسلمين ، السلطان **مولانا الحسن بن السلطان سيدى محمد بن السلطان مولانا عبد الرحمن** ، أدام الله أيامه ، وقـــرن بالنصر أعلامه واجلالـــه ــ حضرة الخليل الذى تحلى بالمجـــد ، وحصل المعالى بالاجتهاد والجد ، الزكى الالمعـــى ، والطبيب اللوذعى ، السيـــد الشريف ، عبد السلام افندى ، نجل المرحوم السيد محمد العلمى ، بل الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه ، لاجل التمرين على نفائس العلوم المستجـــدة الطبية ، بالمدرسة الطبية الخديوية المصرية ، المتداولـــة الآن ، فى جميع البلدان ٠

وكان دخوله فى سنة احدى وتسعين ومائتين بعد الالف ، فحضر على حضرات أساتذتنا الكرام ، الذين اشتهر فضلهم لدى الخاص والعام ، جملة علوم نذكر طرفا منها ، وهى : جراحـــة الصغـــرى على حضـــرة رئيس الاسبتالية والمدرسة الطبية ، سعاد تلو محمد على باشا (1)،والباتولوجيا الخاصة ــ اى علم الامراض الباطنة ــ على حضـــرة عز تلو سالم بيك سالم (2) معلم العلم المذكور ، وحكيم باشى حضرة دولتلو عصمتلو والدة

1 ــ أصل اسمه محمد بن على بن محمد الفقيه البقلـــى ، وانظر عـــن ترجمته ومراجعها «الاعلام» للزركلى ج 7 ص 193 ٠

2 ــ ترجمته ومراجعها فى «معجم المؤلفين» ج 4 ص 202 ــ 203 ٠

الحضرة الفخيمة الخديوية ، وعلم الكيميا والنباتات على كل من حضرة احمد بيك ندى (1) معلم المواليد الثلاث ، وعلى حضرة جاستنيل بيك الفرنساوى كشاف باشى ورئيس الاجزاجية ، والاقربازين والعمليات الاقربازينية على حضرة على افندى رياض(2) رئيس المعمل الكيماوى ، وخلافهم ، فشمر الافندى المذكور عن ساعد الجد والاجتهاد ، وهجر الاوطان والبلاد ، وسهر الليل لنيل المعالى ، وغاص البحر لطلب اللآلى ، وقد تميز من ابتداء دخوله ومباشرته فى الدروس ، واشتهر بمواظبته الحقيقية والغيرة الكلية ، فى بذل الجهد والاجتهاد ، ونال بذلك طريق الرشد والسداد ·

ولا يخفى أن مثل هذه الاشغال التى اشتغل بها الافندى المومى اليه : فهى فعل جميل لاتخلو عن اشهار فضل ومنفعة ، وكان أحيانا يحضر مجلسنا للمذاكرة ببعض من العلوم السابق نشرها ، والفنون المتقدم ذكرها، فأقول مع الاختصار : انى من منذ ما كلفت بتعليم علم الطب بدمشق الشام المحمية ، قبل مجيئى الى المدرسة الخديوية المصرية ، على الاستاذين : الوالد مصطفى افندى أبو عودة رحمه الله ، وعلى الاخ سعيد افندى عوده حرسه الله ، فلم اجد أحدا اشتغل بغيرة شديدة ، وطريقة مستمرة حميدة ، مثل هذا الطبيب النحرير ، الذى هو بالمدح جدير ، وأشكر صائب رأى السلطان مولانا الحسن ، وفطنته الحميدة العلية ، أن جعلت منفعة هذه المعارف العلمية والعملية ، المختصة بطبيبها الجديد المحضر من المدرسة الطبية الخديوية المصرية ، لالقاء ما تحصل عليه بتدريس العلوم الطبية ، ومن حظى الاوفر أنى اجتمعت مع مثل هذا الفاضل الماهر ، فوجدته فى العلم والعمل وحيد «كذا» ،وفى المعارف بالنسبة لاقرانه فريد ، لانه ذاق من منهل علوم الطب مافاق وراق ، وشرب من سلسبيل الحكمة كأسا دهاق«كذا»، لمثل هذا فليعمل العاملون ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، تحريرا فى محروسة مصر القاهرة ، سنة 1291» ·

واثر هذا طابع بيضوى الشكل ، يتصل به امضاء المجيز — فى اربعة

---

1 — ترجمته ومراجعها فى «معجم المؤلفين» ج 2 ص 193 — 194 ·
2 — «الاعلام» للزركلى ج 5 ص 101 ·

اسطر ـ هكذا : «كاتبه ـ حسين عوده الحكيم ـ الدمشقى ، المقيم الآن ـ بمصر» ، وأسفل هذا الامضاء وضع طابع صغير .

هذه هى الاجازة التى أذيل عليها بنص كتبه عبد السلام العلمى المجاز ، واستوعب فيه أساتذته ـ العرب والاجانب ـ بالمدرسة الطبية المصرية ، مع ذكر المواد التى تلقاها عنهم ، وهو يقول فى هذا عند آخر كتابه : ضياء النبراس (1) :

«وحيث ذكرنا فى بعض المواضع من هذا الكتاب ، أشياء غريبة من بعض الفنون التى تلقيناها من أشياخنا بالاسبطار المصرى ، سنح لى أن نختم هذه الخاتمة بذكر أشياخنا فى تلك الفنون :

الاول : شيخنا فى علم الجراحة علما وعملا ، رئيس الاسبطالية المذكورة المعروفة بالقصر العينى ، العلامة الحكيم ، المترجم ، المدرس الفصيح ، المؤلف ، سيدى محمد ـ بفتح الاول ـ على باشا البقلى .

الثانى : شيخنا فى العملية الجراحية : الحكيم محمود به نجل الرئيس المذكور .

الثالث : شيخنا فى الجراحة بعمل اليد الحكيم محمد ـ بفتح الاول ـ فوزى .

الرابع : شيخنا فى الامراض الباطنة علما وعملا على أسرة المرضى رئيس اطباء ام افنديهم، وهو العلامة الحكيم، المترجم الفصيح، الدكتور سالم به سالم .

الخامس : شيخنا فى الامراض الباطنة على أسرة المرضى عملا الحكيم المترجم القطارى .

السادس : شيخنا فى الامراض الباطنة على أسرة المرضى عملا الحكيم ابراهيم أفندى .

السابع : شيخنا فى الامراض الباطنة على أسرة المرضى عملا الحكيم موسى عيسى نائبا عن شيخنا سالم به سالم المذكور .

---

1 ـ اسمه الكامل : «ضياء النبراس ، فى حل مفردات الانطاكى بلغة فاس» ، المطبعة الحجرية الفاسية .

الثامن : شيخنا فى عيادة الامراض الباطنة عملا على أسرة المرضى الحكيم محمد ـ بفتح الاول ـ افندى شكرى ·

التاسع : شيخنا فى علم التشريح الهيكلى والعضلى والمفصلى علما وعملا ، العلامة الحكيم ، المترجم ، محمود به افندى مصطفى ·

العاشر : شيخنا فى علم التشريح العصبى والعروق الحكيم محمد ـ بفتح الاول ـ افندى درى : علما وعملا ·

الحادى عشر : شيخنا فى علم المواليد الثلاثة : الحيوان ، والمعدن ، والنبات المعروف بالتاريخ الطبيعى ، العلامة الحكيم ، المترجم الفصيح ، المؤلف ، محمد افندى ندا المصرى ·

الثانى عشر : شيخنا فى علم الكيمياء الطبية المعلم كسنتيل الفرنصاوى القائم بالمعمل الكيماوى، بواسطة المترجم: العلامة الحكيم، الفصيح، معلم علم المواليد الثلاثة محمود افندى ندا المصرى المذكور ·

الثالث عشر : شيخنا فى علم الاقرباذين علما وعملا الحكيم المترجم المؤلف الاقرباذينى على افندى رياض ·

الرابع عشر : شيخنا فى علم الرمد الحكيم المترجم المؤلف حسين بيك عوف ، مبرىء الرمد بالاسبطالية المذكورة ·

الخامس عشر : شيخنا فى أمراض الجلد الحكيم على افندى رضوان ·

السادس عشر : شيخنا فى الداء الزهرى والامراض الباطنة على أسرة المرضى الحكيم عبد الرحمان به الهراوى ·

السابع عشر : شيخنا فى مشاهدة الحيوانات المصبرة واحجار المعادن البرية والبحرية الحكيم زهران افندى ·

الثامن عشر : شيخنا فى تشخيص أمراض النساء والاطفال فى اسبطالية أمراض النساء العلامة الحكيم الجرائحى» ·

هؤلاء أساتذة عبد السلام العلمى الذين تلقى عنهم الطب بالقاهرة ، ولنا عودة لتتميم الحديث عن هذه الشخصية ، وانما نشير هنا الى قصيدته التى انشأها وانشدها بمناسبة ختم دروس الجراحة من طرف أستاذه محمد

على باشا البقلى الذى يتصدر لائحة اشياخه ، وفيها ينوه الطالب المغربى بالمدرسة الطبية المصرية ، ويشيد ـ بالخصوص ـ بمقدرة استاذه ·

والقصيدة على روى الدال من بحر الكامل ، فى 26 بيتا ، ومطلعها :

يا لايمـــى فى تنقلـــى وبعـــاد

وفـــراقـــى للاوطـــان والاولاد

وقد اثبتها ناظمها برمتها فى كتابه : «ضياء النبراس» عند مادة «هواء»·

ثانيا : الى اوربـــة

يرتقى البعض (1) بهذه البعثات الى عصر المولى عبد الرحمن بـــن هشام ، ويذكر عنه انه بعث بأربعة طلبة الى أوربة لدراسة الهندسة وما اليها ، ويسمى منهم احمد المدعو حيدة بن عبد الله بن المهدى بن عبد السلام كراو الاسفى ، المتوفى عام 1293 هـ/76 ــ 1877 م ، كما أن مؤلف الحلل البهية (2) يسجل أن محمدا الرابع بعث بمجموعة من الطلبة الى أوربـــة ويقول فى هذا عن نفس السلطان :

·· ووجه لتعلم الهندسة والحرب عددا من الطلبة ابناء المسلمين لبلاد الروم ، فتعلموا ما يكفى من ذلك وما يحتاج اليه من علم الهندسة وكيفيـــة حرب النظام» ·

ولكن البعثات المغربية الى أوربة انما ازدهرت على عهد الحســـن الاول ، وكانت هذه الظاهـــرة من أبرز ميزات عصـــره ، وقد كان الاتجاه الغالب على تعليم هذه البعثات هو الناحية العسكرية ، وهناك عدد منهـــم درسوا مواد مدنية ، وكما سنرى فى اللائحة الآتية ، فانهم ــ بعد اتمـــام دراستهم ــ كانوا يشتغلون فى بعض مرافق الدولة حسب خبرتهم ، وقـــد كانت فرقة منهم فى حاشية الحسن الاول ، ويطلـــق عليهم اسم «طلبـــة الالسن» (3) ·

---

1 ــ هو المؤرخ الكانونى فى «جواهر الكمال ، فى تراجـــم الرجـــال» ج 1 ص 13 ــ 14 ·

2 ــ مخطوطة المكتبة الملكية رقم 1019 ــ ص 223 ·

3 ــ جاء ذكر هذه الفرقة فى العز والصولة ج 1 ص 221 ·

ولا يزال غير معروف ــ بالضبط ــ عدد أفراد هذه البعثات وتفاصيل دراساتهم ، وأهم ما لدينا ــ في هذا الصدد ــ هو اللائحة الواردة في «العز والصولة» (1) لابن زيدان ، وقد اقتطفها من بعض السجلات المحفوظة بالمكتبة الزيدانية بمكناس ، وهذا نص اللائحة :

تقييد من توجه لبر النصارى بالامر الشريف أسماه الله

في تاريخ 1291 :

أمر مولانا أيده الله بتعيين خمسة عشر مهندسا يتوجهون لبر النصارى لتعلم اللغات العجمية ، ولما وصلوا لطنجة أقاموا بها يتعلمون مبادىء الالسن ، ثم فرقوا على أجناس أوربا ، فتوجه منهم لبلاد النجليز ثلاثة :

السيد محمد الجباص الفاسي ، والسيد ادريس بن عبد الواحد النسب، والسيد الزبير سكيرج النسب ، فأقاموا بها أعواما خمسة ورجعوا للحضرة الشريفة، ثم كلف منهم ادريس بن عبد الواحد بطبجية طنجة ، وهو الآن بها، والزبير سكيرج مكلف بتركيب الموازين بالمراسي السعيدة وما زال بها ، والسيد محمد الجباص في الخدمة الشريفة .

وتوجه منهم للطليان ثلاثة : السيد المختار الرغاي البخاري ، والسيد محمد بناني الفاسي ، والسيد عبد السلام الوديي ، فأقاموا بها أعواما تسعة ، ورجعوا للحضرة الشريفة ، وهم الآن حاضرون في الخدمة الشريفة .

وتوجه منهم لاصبانيا ثلاثة : السيد أحمد بن الحاج العباس ابن شقرون الفاسي ، والسيد عبد السلام الرباطي ، والسيد محمد الشرادي الرباطي ، فأقاموا بها أعواما تسعة ورجعوا للحضرة الشريفة ، منهم السيد محمد الشرادي حاضر في الخدمة ، ورفيقاه سرحا لصلة الرحم .

وتوجه منهم لفرنصا ثلاثة : السيد قاسم الوديي ، والسيد الطاهر بن الحاج الوديي ، والسيد محمد بن الكعاب الشركي ، فأقاموا بها الى الآن ، سوى واحد منهم بالحضرة الشريفة ، وهو قاسم الوديي ورفيقاه ، يترجمون على المعلمين .

---

1 ــ ج 2 ص 150 ــ 160 .

وتوجه منهم للبرص ثلاثة : السيد الميلودى الرباطى ، والسيد الحسين الوديى ، والسيد عبد السلام الدسولى ، فأقاموا بها أعواما 12 ، ورجع منهم للخدمة الشريفة اثنان : السيد الميلودى الرباطى ، والسيد الحسين الوديـــى ٠

وهؤلاء الخمسة عشر يدعون بخطوط أيديهم أنهم بعد تحصيل اللسان حصلوا جل العلوم الحربية والهندسة ، وحيث أنهم ما زالوا لم يستخدمـــوا فى شىء مما تعلموه لم يتحقق عندنا صدق ما يدعون ، وانما تظهر ثمـــرة الاعمال بتطبيق القواعد على الاعمال ٠

ثم فى تاريخ ربيع الثانى عام 1293 :

أمر مولانا أيده الله بتوجيه 25 من شبان العسكر لجبل طارق لتعلـــم حرب العسكر باللغة النجليزية ، فعينوا وضباطهم ــ حينئذ ــ قائد المائـــة الاول سى علال بن بلا المراكشى ، وقائد المائة الثانى سى بناصر بن عبد الرحمن اغاڤى القصابى ، والمقدم الاول المختار بن بناصر المراكشى ، والمقدم الثانى العربى ابن التاودى السقاط الفاسى ، فتوجهوا وأقاموا أعواما 2 ، وورد منهم 12 للحضرة الشريفة فى رفقة ماكلين الحراب ، ثم بعد مجيئهم فى تاريخ 1294 أمر مولانا أيده الله بتعيين 70 من العسكر كذلك يلحقـــون بالثلاثة عشر الباقين بجبل طارق ، وهم طبجية 10 ، وطلبة 5 ، وهـــم :

مولاى أحمد بن الحسن الطيب ، والسيد حمان الجامعى ، والسيد ادريس الشرادى ، والسيد الجيلالى البخـــارى ، والسيـــد الجيلالى الشرادى ، وانتخبوا على يد ماكلين ، الجميع 85 ــ وقبضوا بفاس الكسوة والفراش وسافروا ٠

ثم بعده مدة أمر مولانا أيده الله بتعيين 170 من العسكر يتوجهـــون لجبل طارق بقصد التعليم بدل من هناك من العسكـــر ، ثم عينوا وكـــان رئيسهم القائد محمد الزروالى الحارك الآن بزيان ، وتوجهوا ، ولما وصلوا رجعت الاربعة والثمانون التى فرغت من التعلم مع الثلاثة عشر التى كانت بقيت من الخمسة والعشرين الاولى ، فيهم القائد علال بن بلا رحمه الله ، وتركوا هناك الحاج على المومنى من الاولين فى عشرة منهم بقصد تبصيـــر

المئة والسبعين ، فأقاموا مدة تعلموا ورجعوا للحضرة الشريفة ، فجملة من تعلم الحرب بجبل طارق : 280 ·

ثم فى تاريـخ 1301 :

أمر مولانا أيده الله بتوجيه خمسة طلبة وخمسة عشر عسكريا على يد الحاج محمد بركاش لتعلم حرب المدفع الجديد الذى يعمر من وراء بفابركة كروب من أيالة البروص ، فالطلبة هم : السيد العربى بن الصديق ، والسيد أحمد بن القايد رحمه الله ، وزاد عليهم بركاش سبعة طلبة ، منهم من طنجة ثلاثة : وهم السيد محمد الدردب ، والسيد محمد بن الفقيه ، والسيد محمد الفيلالى ، ومن سلا السيد محمد النجار ، وأحمد الحجام ، ومن الرباط السيد محمد سباطة ، والسيد أحمد الشديد · والعساكرية هم : السباعى البرطاعى ، واحمد الرحمانى ، ومحمد القصرى ، وابن ميلود المكناسى ، ومحمد العونى ، وأحمد الحمرى ، ومبارك العبدى ، ومحمد الداودى ، والعربى المكناسى ، ومحمد السوسى ، ومحمد المسفيوى ، وسعيد الحمرى ، ومحمد بن الحاج الهشتوكى ، ومحمد الوعدودى ، وابن ابى شعيب الدكالى، الجميع 27، فتعلموا ورجعوا كلهم، أما العساكرية فهم فى الخدمة ، ومنهم توجه حرابان لآسفى والصويرة ، واهل طنجة وسلا والرباط سرحوا لصلة الرحم ، والمهندسون منهم هنا اثنان ، واثنان توجها للمراسى يقفان على اصلاح الابراج ، وواحد توفى رحمه الله ·

ثم فى تاريخ شعبان عام 1302 :

أمر مولانا أيده الله بتعيين 12 لبلاد الفرنصيص لتعلم بارود الديلاميت وتلكراف ونصب القناطر وصنع الحدادة والنجارة لصنع سرائر المدافع وكراريط الاثقال، وكذا صناعة الخرازة لصنع اقامة الجر وسباط الطبجية والعسكر ، وفيهم طلبة خمسة ، وصناع سبعة ، ومعهم السيد محمد العلج البردقيزى ترجمان ·

فالطلبة هم السيد محمد بن عبد الرحمان العلج ، والسيد عبد الله بن العربى الوديى ، والسيد صالح التدلاوى ، والسيد علال بن محمد البخارى، والسيد محمد بن سعيد القرقورى الفاسى ·

والصناع هم : محمد بن عبد الرحمان التطوانـــى ، وأحمد بن عبـــد الرحمان التطوانى ، ومحمد بن احمد الاصيلى ، والعربى بن عبد الســـلام الجديدى ، ومحمد بن الهوارى المسفيوى ، وعمر بن محمد المسفيـــوى ، ومحمد بن عبد الرحمان المسفيوى ·

فتوجهوا وما زالوا فى التعليم ، سوى اثنين منهم رجعا ، واحد مـــن الجديدة ، وواحد من آسفى ، فالجديدى حاضر ، والآسفى توجه لسوس لهد ارض معدن الخفيف بمينة الديلاميت ·

ثم فى تاريخ 1301 * :

أمر مولانا ايده الله بتعيين عدد من المتعلمين لتعليـــم الحرب ببـــر النصارى على يد الامين الحاج محمد بركاش ، والامين التازى ، فعينـــوا وتوجهوا من مكناسة وأقاموا فى التعلم عامين ، وكان سرح منهم بركاش لصلة الرحم بفاس 13 ، وبمكناس 10 ، وحاضر منهم هنا فى الخدمة 23 ، وباقى غياب 16 ، جميع 62 ، وهؤلاء كلهم تعلموا ، فمنهم من تعلم صنعـــة استخراج الحديد من المعدن ، ثم استخراج الهند من هذا الحديد ، ومنهم من تعلم صنعة المدافع وما يتعلق بها ، ومنهـــم من تعلم صنعة جعـــاب المكاحل ، ومنهم من تعلم سرائرها ، ومنهم من تعلم زناداتها ، ومنهم مـــن تعلم حل المكاحل وتركيبها وطلاء جعابها ، ومنهم من تعلم صنعة قرطوسها ، ومنهم من تعلم صنعة قرطوس الصيد وقرطوس الكوابيس ·

تفصيل الثلاثة والعشرين الحاضرة بالخدمة

منها مع المعلم ادريس زولو سبعة ، وهم الحاج ابن جبارة ، وادريس البخارى ، والعرفاوى البخارى ، ومحمد حيات البخارى ، والجيلانى بـــن مبارك البخارى ، والمختار البطاحى ، والمحجوب البزيوى · وهؤلاء السبعة تعلموا صنعة المكينات ·

وفى الحرابة اربعة تعلموا صنعة القرطـــوس : أحمد بن موســـى ، والحسن الخلطى ، وعبد السلام الوديى ، وأحمد المراكشى رحمه الله ·

---

* علق المؤلف هنا بقوله : كذا بالاصل ، وهو مخالف لما سلكه من ترتيب التواريخ ·

وفى المؤونة مع حرابة البروص وهم 12 : قدور الميلودى البخـــارى ، تعلم صنعة كعاب المكاحل بالمكينة ، محمد بن ميمون الفاسى ، تعلم حـــل المكاحل وشدها وطلائها ، عبد السلام العلمى كذلك ، ادريس بن الحـــاج العربى الفيلالى تعلم صنعة جعاب المكاحل ، صاحبه : الحاج محمد لفيتة كذلك ، عيسى بن محمد البخارى ، تعلم صنعة سرائر المكاحل بالمكينـــة ، عبد النبى البوحلى البخارى تعلم صنعة سرائر المكاحـــل بالمكينة ، محمد الرامى البخارى كذلك ، المكى بن عبد السلام ولد العنبـــر ، تعلم صعنـــة القرطوس ، عبد القادر الركانى كذلك ، المعلم حمان المراكشى تعلم صنعة استخراج الحديد من المعدن ، ثم استخراج الهند من ذلك الحديد بالمكينة ، صاحبه المعطى بن ابراهيم كذلك ، الجميع : 23 .

يزاد عليها من فاس 13 ومكناس 10 وغياب 16 ، الجميع : 62 .

يزاد السبعة والعشرون التى تعلمت حرب المدفع والعسكر بالبروص 27 : جميع 89 .

منها على يد بركاش 83 ، وعلى يد الامين التازى 6 : الحاج محمد التاغزوتى ، الحاج محمد لفيتة ، ادريس الكيســـى ، أحمد بن العربـــى الفيلالى توفى ، محمد بن ميمون ، عبد السلام العلمى .

انتهى تقييد من تعلم ببر النصارى .

تقييد المتعلمين الواردين من البلجيك وبيان أسمائهم والحاضر منهم والغائب

فى متم ربيع النبوى عام 1305 :

1) المعلم محمد بن على الفاسى ــ تعلم صنعة تحـــدادت وتركيب المكينات وهو الآن بباب سيدنا نصره الله .

2) محمد المنظرى الفاسى ــ تعلم صنعة تحدادت وتركيب المكينات وتخديم المخاريط وهو حاضر بالحضرة الشريفة .

3) الحسن الجندى ــ تعلم صنعة تحدادت وتركيب المكينات ، وهو حاضر .

4) احمد الجندى — تعلم صنعة تفصيل مكينة النجارة وتركيبها ، وهو حاضر ٠

5) محمد الودغيرى — تعلم كيفية فرغ المدبر وتركيب المكينات ، وهو حاضر ٠

6) عبد الرحمن البغدادى — تعلم كيفية تصفية المعادن ، وهو حاضر ٠

7) حمان بن التهامى — تعلم صنعة فرغ النحاس ، وهو حاضر ٠

8) على بن قدور الحيانى — تعلم صنعة فرغ المدبر وتركيب المكينات، وهو حاضر ٠

9) محمد بن ميمون — تعلم صنعة المدافع وتركيب المكينات ، حاضر٠

10) ادريس بن وحود — تعلم صنعة فرغ المدبر ، وهو حاضر ٠

11) محمد الحمدى الصفريوى — تعلم صنعة تفصيل مكينة النجارة وتركيبها وقد وقع به لطف الله وقطعت يده ٠

12) حمان المراكشى — تعلم صنعة فرغ المدبر وفرغ المعادن وتصفيتها وتخديم مكينة النجارة ، وهو الآن بمراكش ٠

13) المعطى بن ابراهيم صاحبه — تعلم صنعة تصفية المعادن، وهو بمراكش ٠

14) ادريس زولو — تعلم صنعة القرطوس ، وهو بمراكش ٠

15) الجيلانى بن مبارك — تعلم تخديم مكينة القرطوس ، وهو بمراكش ٠

16) المختار المكناسى كذلك ٠

17) العرفاوى بن الطاهر كذلك ٠

18) محمد حيات كذلك ٠

19) المكى بريطل كذلك ٠

20) الحاج عبد القادر الركانى كذلك ٠

21) احمد بن موسى — تعلم صنعة قرطوس الصيد وهو بمراكش ٠

22) المحجوب البزيوى كذلك ٠

23) الوعدودى البيضاوى — تعلم تخديم مكينة النجارة وسبك الحديد وهو الآن بالبيضاء ٠

24) أحمد بن الحسن — تعلم تركيب بابورات البر وسائر المدافع ، وهو حاضر ·

25) محمد بن الحفيان — تعلم تركيب المكينات وتخديم مكينات النجارة، حاضر ·

26) أحمد بن على العلج — تعلم تركيب المكينات وتخديم برمات البخار ، حاضر ·

27) محمد بن الموذن — تعلم تركيب بابورات البر وسائر المدافع وتخديم برمات البخار ، وهو حاضر ·

28) عبد الله الزمورى — تعلم تخديم المزرات وفرغ المدبر ، حاضر ·

29) أمان العباس — تعلم تخديم بابورات البر ، حاضر ·

30) سالم بن ابراهيم كذلك ·

31) عباس بن المصطفى كذلك ·

32) العرفاوى بن الحاج كذلك ·

33) محمد بن زروق كذلك · *

34) ابن عيسى بوروابن كذلك ، توفى رحمه الله ·

35) أحمد المراكشى — تعلم صنعة القرطوس رحمه الله ·

36) الحسن الخلطى — تعلم صنعة القرطوس ، حاضر بطابور الحرابة ·

37) عبد السلام الوديى كذلك ·

38) المعلم محمد المكناسى — تعلم صنعة الزنادات ، حاضر ·

39) العباس بن قاسم كذلك ·

40) عبد القادر بن الميلودى كذلك ·

41) محمد بن العربى — تعلم صنعة السرائر ، حاضر ·

42) ابن عيسى بن محمد ، كذلك ·

---

* — هذا ثامن ثمانية تعلموا — حسب هذه اللائحة — تركيب أو استخدام بابورات البر ، ومن هنا ندرك احدى خطوط الاصلاحات التى كان مزمعا اجراؤها فى عهد الحسن الاول ، الذى توقفت أكثر المشاريع الاصلاحية بوفاته ·

43) محمد بن الرامى ، كذلك ·
44) عبد النبى البوحلى ، كذلك ·
45) احمد بن صالح ـ تعلم صنعة الجماب ، حاضر ·
46) بوسلهام بن حم ، كذلك ·
47) ادريس الحداد ، كذلك ·
48) محمد بن العباس كذلك ، هؤلاء كلهم عينوا على يد بركاش ·
وعلى يد التازى :
49) الحاج محمد التاغزوتى ـ تعلم صنعة الزنادات ، وهو بالعرائش ·
50) الحاج محمد لفيتة ـ تعلم صنعة جعاب المكاحل ، وهو بالعرائش ·
51) محمد بن ميمون ـ تعلم حل المكاحل وشدها وطلائها ، حاضر ·
52) عبد السلام العلمى ، كذلك ·
53) ادريس بن الحاج العربى الفيلالى الجعايبى رحمه الله ·
54) ادريس الجيسى الزنايدى ، بالعرائش ·
55) أحمد بن العربى الفيلالى الجعايبى رحمه الله ·

انتهى تقييد المتعلمين الواردين من البلجيك · صح منه » ·

* — *

واذا انتهت هذه اللائحة نذيل عليها ببحث مفيد حول احدى هذه البعثات ، وهى التى توجهت لفرنسة فى شعبان عام 1302 هـ · فقد نشرت مجلة هسبريس «عام 1954 مجلد 31 ص 121» ، بحثا بقلم جاك كاييى حول المغاربة المتمرنين فى مدرسة الهندسة العسكرية فى مونبيليى بفرنسا ، «من عام 1885 الى 1888» ، وكانت هذه البعثة تحتوى على اثنى عشر مغربيا ، توجهوا الى فرنسا فى 24 يونيه 1885 صحبة ميكيل دوكاسترو قنصل البرتغال السابق ، الذى أسلم ودخل فى خدمة السلطان ·

وبعد مرور سنتين رجع دوكاسترو الى المغرب ، لان الطلبة المغاربة كانوا قد حذقوا ـ فى نظره ـ اللغة الفرنسية ، ولم يعودوا فى حاجة الى

ترجمان ، وقد سكن الطلبة القلعة ، اى ثكنة الهندسة العسكرية ، وقد جاءوا الى فرنسا بلباسهم المغربى ، فاضطروا الى التكبط على الطراز الغربى ، مع الاحتفاظ بالطربوش ، وكان السلطان يدفع فرنكين اثنين فى اليوم لكل طالب ٠

وكانوا يدرسون صباحا ومساء ما عدا يومى الجمعة والاحد ، فيقضون الصباح في دراسة اللغة الفرنسية والحساب والهندسة التطبيقية ، وفى شهر مايو 1886 رجع اثنان منهم الى المغرب ٠

أما دروس العشى فقد كانت مخصصة ــ مبدئيا ــ للاعمال التطبيقية: من تمارين نارية ، وتحصينات ، وبناء خنادق وأجهزة الدفاع ، وضرب الاخبية ، وصنع آلات الحصار ، وكان الطلبة المغاربة الخمسة يسجلون الملاحظات ، ويحررون مذكرات فى الموضوع ، نظرا لمستواهم الثقافى المناسب ، وصار اثنان منهم يتلقيان ــ بطلب منهما ــ دروسا فى التلغراف الجوى مع الجنود الفرنسيين ، ثم أضيفت الى الدروس النظرية النحو الفرنسى ، ودروس الاشياء ، والتعمق فى الحساب والهندسة ، ثم خمسون درسا فى علوم الهيئة والرياضيات والكيمياء ، ثم دروس فى التلغراف والتلفون وعلم البصريات والكهرباء والضغط الجوى وترصيف الطرق والسكك الحديدية ، ثم اثنا عشر درسا فى مساحة الاراضى وتحرير التصميمات الهندسية ، وكان معظم الطلبة يتابعون الدروس بعناية ، وقد لاحظ دوكاسترو نفسه سوء اختيار الموظفين المغاربة لبعض أعضاء البعثة ٠

وبقى فى المدرسة تسعة شبان واصلوا دراستهم الى خريف 1886 حيث تقرر ارجاعهم ، ولكن وزير فرنسا فى طنجة الذى كان يرى أن البعثة المغربية يجب أن تثير فى ذهن أعضائها فكرة عظمة الحضارة الفرنسية ، أوعز باطالة مقام الوفد المغربى ، وكان ذلك من السهل ، حيث ان الحسن الاول كان قد قرر عدم عودة الشبان المغاربة من مدرسة الهندسة الا بعد الحصول على تكوين تام ، لهذا وقع تحضير برنامج جديد لعام 1887 أطول وأدق من برامج السنوات الاخرى ، وما كادت تهل سنة 1888 حتى كان المتمرنون قد وعوا وحذقوا كل ما يمكن فى الهندسة العسكرية ، وفى شهر مايه من نفس السنة انهت فرنسا الى علم الصدر الاعظم أن من المناسب

عودة البعثة الى المغرب ، وتعويضها بفوج جديد من الطلبة ، ووصل الطلبة الى طنجة فى دجنبر ، حيث اقتبلهم مندوب السلطان محمد الطريس ، وعبر لمثل فرنسا باسم السلطان عن كامل الارتياح الذى يشعر به ازاء التطور الفكرى، والثقافة التى حصل عليها مواطنوه بفرنسا ، وكان الصدر الاعظم قد كتب الى باريس ، طالبا أن يظل بفرنسا أربعة أو خمسة من الطلبة بضعة شهور أخرى ، للتدريب فى الكهرباء ، من أجل تسيير دواليب الآلات المهداة للسلطان ·

وفى يونيه 1888 تبودلت المذاكرة فى شأن تعويض المتمرنين المتخرجين بخمسة عشر من الشبان المغاربة ، يوجهون الى فيرساى ، حيث ترابط فرقة للمدفعية ، واخرى للهندسة ، ولكن كل ذلك لم يتم لاسباب مجهولة (1) ·

* — *

والآ نأتى بثلاثة ظهائر للحسن الاول ، فى صدد ثلاث بعثات الى أوربة ، نص الاول (2) بعد الافتتاح :

«خديمنا الارضى ، الطالب ، محمد بركاش ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ·

وبعد : فقد اقتضى نظرنا الشريف تعيين أناس ترايست (3) والمكينة (4) وعلم البحر ، وان يفرقوا على نواب بابورات النجليز والفرنصيص والصبنيول والالمان والطليان ، وعددهم ستة لكل جنس ، واثنان من الستة المذكورين يخصون بتعليم ترياست والمكينة بمدارس تعلم ذلك العلم عند كل جنس ممن ذكر ، واربعة لتعلم علم البحر ، وهم الذين يفرقون على نواب البابورات المذكورين ، ويكون صائرهم على جانب المخزن ، اذ المقصود هو تعلمهم ، وعليه فكلم نواب الاجناس المذكورين فى ذلك وتفاوض معهم

---

1 — تاريخ المغرب للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ج 2 ص 88 — 89 ·
2 — العز والصولة ج 2 ص 148 — 149 ، مع الاتحاف ج 2 ص 470 — 471 ، وأصله عند نهليل : لوحة 59 ·
3 — قيادة السفن ·
4 — الميكانيك ·

فيه ، واعلمنا بجوابهم لك فيه ، لنامر بما يكون عليه العمل فى ذلك ، وعجل ولابد ، والسلام ، فى عاشر رجب عام 1299» .

ونص الثانى (1) بعد الافتتاح يخاطب الامبراطور غليوم عاهل المانية :

«أما بعد : فان المحبة والصحبة والصداقة والثقة وحسن الظن والاعتقاد الجميل ، أوجبت توجيه اشخاص نجباء اخيار من هذه الايالة لبلاذكم الرفيعة المصونة بقصد الزيادة فى تنقيح ذكائهم ، وتهذيب أخلاقهم ، بآداب السياسات العالية ، من العلوم العسكرية والطبجية ، وما فى معناهما ، التى فقتم بها ، وانفردتم بتحرير علومها وتدقيقها ومعرفتها على حقيقتها ، وانتخبنا من يتوجه معهم ، وهو خديمنا الارضى ، الانجح ، الحاج محمد ، ابن خديمنا الارضى ، الانصح ، الارشد ، الخير ، النائب ، محمد بركاش ، ونحن على يقين من انكم تقابلونه بزائد القبول ، وتبلغونه من الاعتناء والمبرة غاية المأمول ، ويحظى من معه من المتعلمين المشار اليه من جانبكم الرفيع بتمام القبول ، والبرور والاعتناء ، حتى يحصلوا — فى اقرب مدة — على المراد ، كما ينبغى ويراد .. وحرر فى 24 من المحرم ، فاتح 1302» .

ونص الثالث (2) بعد الافتتاح :

«خديمنا الارضى ، القائد الحاج محمد بن سعيد السلاوى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد كلفنا الخديم الطالب عبد الرحمن بركاش ، بتوجيه الطبجى الحاج محمد زنيبر السلاوى لبلد الالمان ليتعلم بها تطبجيت .

فنأمرك أن تدفعه له ليتوجه لذلك على يده ، والسلام ، فى 15 شوال عام 1306» .

وهذه بعثة اخرى لم يرد ذكرها من قبل ، وكانت توجهت الى ايطالية من عام 1306 هـ/ 1888 م ، ومن حسن الحظ أن نتوفر على مذكرة لاحد طلبة نفس الارسالية ، وهو المرحوم السيد الحسين الزعرى السلاوى ، الذى تأخرت وفاته الى عام 1375 هـ / 1955 م .

---

1 — «العز والصولة» ج 2 ص 154 ، مع «الاتحاف» ج 2 ص 468 — 469 .

2 — من وثائق آل ابن سعيد سلا .

والى جانب سير دراسة البعثة ، فان المذكرة تضيف لذلك معلومات قيمة عن مشاريع وظروف المغرب حوالى سنة 1900 م ·

وكانت البعثة تتركب من فتيان مغاربة تتراوح اعمارهم بين 13 و 16 سنة ، وقام السفير الايطالى جنطيلى Gentité بجولة لانتخاب الطلبة المرشحين للذهاب الى ايطالية ، فاختار من مدينة الرباط عشرة ، ومن سلا خمسة ، ومن العرائش أربعة ، ومن طنجة ثلاثة ، ومن فاس اثنين ، وهذا نص المذكرة (1) فى شىء من التصرف :

توجهنا الى طنجة فى فاتح سنة 1306 — الموافق لسبتمبر 1888 م — ومكثنا بها 18 يوما ريثما هيئت لنا الكساوى ، وفى اليوم الثامن عشر من نفس الشهر رست الباخرة الحربية : ضانضولو «Dondolo» الايطاليـــة ونقلتنا الى ايطالية ، وبعد يومين رست بنا فى مدينة جنوة ، وهناك وجدنا فى استقبالنا مدير المدرسة التى سنلتحق بها وهو السنيور «أوغستين دى قروصى» ، وبعد أن بتنا ليلة بالفندق اتجهنا على طريق السكة الحديدية الى مدينة «طورينو» ، الكائنة بسفح «بيمنطى» بين نصف دائرة جبال الالب ، وعند الوصول اقيمت لنا حفلة بالمدرسة بمجرد دخولنا اليها ، واستقبلنا التلاميذ والاساتذة ·

وقد كان مرورنا من المحطة الى المدرسة محط التفات الانظار الينـــا بكامل العجب ، خصوصا وقد كنا ما نزال نرتدى الزى المغربى : (كساوى المحصور من ثوب الملف) التى لبسناها فى طنجة ·

المدرسة الملكية الدولية الايطالية :

هذا هو اسم المدرسة ، وشعارها : «الاخاء الاجنبى» Frate Exaovenis ، اى «ان كل الاجانب الموجودين بهذه المدرسة هم اخوة» ·

والمدرسة مربعة الشكل ، طبقتها السفلية تحتوى على بيوت للدراسة، وعلى قبة بمدخل الباب تعلو قاعة فسيحة لاستقبال الناس ، وقاعة فسيحة

1 — يعود الفضل فى الكشف عن هذه المذكرة ونشرها الى الاستاذ الحـــاج أحمد معنينو ، حسب مجلة دعوة الحق ، العـــدد الاول ، السنة الثانيـــة عشرة ، ص 143 — 148 ·

أخرى لجلوس التلاميذ وقت الراحة ، والطبقة العليا عبارة عن حجرات من الخشب : هي بيوت لنوم التلاميذ الداخليين الاجانب مثلنا ·

وهناك تعرفنا بعدد من الشبان جاءوا من أمريكا الجنوبية ، ومن روسيا ، ومن ألمانيا ، ومن فرنسا ، ومن مصر ، والتحقت بنا البعثة الحبشية التي أرسلها الملك «ليقوس منليك» ، كما كان هناك وفد من بلاد البلقان من بينهم ابن أخ ملك الجبل الاسود (1) ، وهذه العائلة كانت لها مصاهرة مع البيت المالك ، من حيث تزوج ولى عهد ايطالية بهيلينة ابنة ملك الجبل الاسود ·

وتعرفنا في هذه المدرسة بولى عهد مصر سمو الامير أحمد فؤاد ·

الدراسة وتوجيه الطلاب :

بدأنا في أول الامر بتعلم مبادىء اللغة العربية ، وذلك على يد أستاذ لبناني يعرف بـ «دون ماركس» ، وبتعلم اللغة الايطالية على يد أستاذ ايطالي ، واخذنا ننتقل من طبقة الى طبقة ·

وفي السنة الثالثة استدعانا مدير المدرسة، وقرأ علينا أمرا ورد من جلالة مولانا السلطان عن طريق نائبه بطنجة وسفير ايطالية · واخبرنا أن مولانا يريد أن نتفرق على ثلاث فئات :

1 ــ فئة لدراسة تربية الجنود ·

2 ــ وفئة لتعلم علوم البحار ·

3 ــ وأخرى لتعلم صناعة السلاح ·

وكذلك كان الامر ، فاختار الطلبة :

1 ــ أحمد الجبلي العيدوني	الرباط	المدفعية
2 ــ محمد الحريزي	الرباط	الخيالة
3 ــ علي السوسي	العرائش	المشاة
4 ــ الحسين الزعري (كاتب المذكرة) (2)	سلا	المشاة
5 ــ محمد الوزاع	الرباط	المشاة

1 ــ جمهورية مستقلة من جمهوريات يوغوسلافيا ·

2 ــ هو والد السيد مصطفى الزعري الموظف بادارة الامن وأخيه الدكتور ادريس الطبيب الرئيسي الاقليمي ببني ملال ·

6 — محمد التدلاوى	الرباط	المشـــاة
7 — محمد طجــة	الرباط	البحريــة
8 — محمد بن سـالم	الرباط	البحريــة
9 — محمد الشرقاوى البهالى	الرباط	البحريــة
10 — محمد ولد الباشا	الرباط	البحريــة
11 — التهامى امبيركو	الرباط	الســلاح
12 — فضول بن صالح	العرائش	الســلاح
13 — مصطفى الاوديى	العرائش	الســلاح
14 — محمد البرجالى	العرائش	الســلاح
15 — محمد بن اسماعيل	ســلا	الســلاح
16 — أحمد حرضان	طنجة	الســلاح
17 — العربى حركات	ســلا	
(لكنه كان منصرفا الى النحو والشعر !)		
18 — عبد الله التيال	ســلا	
هو أنجب الطلاب ، لكنه أصيب بمرض ومات هناك .		
19 — محمد القجيرى	ســلا	
كانت همته فقط منصرفة الى التسطير والتوريق .		
20 — مصطفى لحلو	فـــاس	قانون التجارة والحساب
21 — محمد القباج (1)		قانون التجارة والحساب

تفقـد البعثـة :

وصل الى ايطاليا وفد يترأسه عبد السلام برشيد الشاوى ، وذلـك خلال سنة 1892 بأمر مولانا السلطان الحسن الاول ، وكان يحمل هديــة ثمينة الى ملك ايطالية تشتمل على أنفس المصنوعـــات المغربية من الذهب والفضة مرقومة منقوشة ، مما جعل الصحف الايطالية تشيد بذلك مفتخرة ، فلما عزم السيد عبد السلام برشيد على مبارحة رومة قدم الامبراطور هدية ثمينة فاخرة لمولانا الحسن وذكرت الصحف ذلك ، وقال لنا مدير المدرسة ان

---

* مجموع ما ذكر الكاتب من قبل هو 24 طالبا، وهو فى هذه القائمة لميذكر الا 21 طالبا ؟

الامبراطور نزع خاتما من اصبعه واعطاه للسيد عبد السلام برشيد قائلا له :

— اجعل هذا فى اصبع جلالة السلطان ملك المغرب ، مغزى للمحبة والوداد اللذين بيننا ، ثم أذن للسيد برشيد بالتجول فى المدن الايطالية، فلما وصل الى مدينة ميلانو اتصل تليفونيا بمدير المدرسة ، وطلب منه أن يأتى مصحوبا بكافة الطلاب المغاربة ، وفعلا ركبنا فى الغد قطار السكة الحديدية ومعنا المدير والاستاذ مدرس اللغة العربية «ماركس» ، وكان استقبالنا بأعظم فندق موجود بساحة «الدومو» ، وأقيمت لنا مأدبة فاخرة ، وزودنا قبل الافتراق بـ «لويز» ذهبى لكل واحد منا ، ورجعنا الى أعمالنا وسافر السيد عبد السلام الى المانيا .

تعاون مع ايطاليا :

تعلمنا اللغة الايطالية ، وصرنا نتذاكر بها فى طلاقة ، وكان مدير المدرسة السنيور «دى قروصى» يحبنى شخصيا ويضع ثقته فى ، مما جعله يخبرنى بأسرار عديدة ، منها الحلف بين ايطاليا والمانيا والنمسا ، وما يمكن أن يستفيد المغرب بسببه ، وفعلا تأسس بفاس معمل للسلاح كان مديره هو السنيور «كافينى» كلونيل فى العسكرية مع المهندس «نطارى» ، فلما رجع الشبان الذين كانوا بمعمل «بربشية» استخدموا فيه ، وكان أمهرهم فضول والمصطفى ، كما تكلفت دار الصناعة بـ «ليفرنو» بصنع جوالات حربية لحراسة الساحل المغربى ، وبصنع بواخر للنقل ، فالجوالة سميت بـ «البشير» ، وهذا الاسم أخذ من بيتين من الشعر أرسلهما المخزن الى دار الصنعة ، ودار الصنعة أرسلتهما الى المدرسة ليستخرج منهما اسم الجوالة !

ولما رجع الشبان الذين كانوا بمدرسة البحرية بعد دراسة خمسة اعوام تعلما وتجولا فى البحار ، وظفهم المخزن الشريف ، وكانوا ذوى خبرة حيث انهم تخرجوا ضباطا صغارا Sotta officialé di marina، كما أن العسكريين حيث رجعوا عملوا بالدائرة المخزنية ، وفى سنة 1900 الف منهم المخزن الشريف لجنة عسكرية مركبة من : السيد أحمد الجبلى ، والسيد محمد بن عمر ، والسيد محمد التدلاوى ، والسيد الفقيه أحمد

التطواني أمين (الصوائر) ، وارسلهم الى معمل السلاح دار (كروب) بأشن فى المانيا ، ومن هناك اشتروا مدافع جبلية وغير جبلية ، وقد لقوا عناية واكراما مدة اقامتهم ، والتقوا بوفد تركى فتعرفوا به وكان قصده شراء المدافع كذلك .

الرخص الصيفية لطلبة البعثة :

كنا نقضى مدة العطلة الصيفية : نحن الذين لانستطيع العودة الى اوطاننا لبعد المسافة بمنطقة «كافور» Gavour ، بجوار جبال الالب ناحية منفيزو ، وكنا دائما نتجول بين المناطق ونتفسح فيها ، ونصعد الى قمم الجبال المكسوة بالثلوج ، واغتنموا تلك المناسبات فصعدوا بنا الى القلاع السرية الموجودة على الحدود الايطالية ــ الفرنسية ، وهذه القلاع ممنوع دخولها حتى على الايطاليين ، لكن أذن لنا به ، وهكذا كنا نتجول ونمعن النظر فى كيفية البناء والتحصين ، وقد تحدث الكلونيل الذى كان مكلفا بالتجول معنا ، متمنيا أن نقيم مثل هذه القلاع فى وطننا ، وانه يسوغ لنا نحن طلبة البعثة الحسنية أن نطلع على أسرار الاستعدادات الحربية ، لان كل ذلك مرخص به لنا من لدن الدولة الايطالية .

مشاريع مغربية اقتصادية :

ان من جملة الاخبار التى أمدنا بها مدير مدرستنا أن جلالة سلطاننا عازم على فتح (بنك) ، وانه قد هيأ لذلك ضمانة قدرها 20.000.000 : عشرون مليونا من القطع الذهبية : من «الويز ، والضبلون ، والبندقى» ، هذا عدا القطع الفضية من انواع السكك التى كانت تروج فى قطرنا ، وتعجب من أن ذلك وقع فى ظرف ثلاثة شهور فقط ، مما يدل على أن المغرب غنى ! ولما قلت له : ان ايطاليا أغنى من المغرب فاجأنى قائلا : انكم اغنى من ايطالية من حيث انه لا ديون عليكم .

وزاد ، فأخبرنا أن معملا ايطاليا تهيأ لضرب السكة الذهبية والفضية والنحاسية بالعاصمة : فاس ، وان المانيا تكلفت ببناء قلاع للدفاع بمدن شاطىء البحر بالمغرب ، وبشرنا أن الراية المغربية سترفرف فى البحار كلها من قريب .

طموح صاحب المذكــرة :

انصرفت السنة الثامنة منذ حلول البعثة بايطالية ، ورجع الى المغرب الضباط ، والضباط العسكريون ، وصانعو الســـلاح ·· وتأخرت أنا عـــن الرجوع ، ذلك لانني أخذت أتعاطى دراسة اللغات الاجنبية بترخيص مـــن وزارة الداخلية الايطالية ، وهكذا انخرطت في المدرسة العليا بمدينة (طورينو) وبقيت في ايطاليا حتى سنة 1898 الى أن حصلت على الشهادة التى كنت أرغب فيها ·

وقد كان في نيتى أن أنتقل الى مدينة «فلورانس» لتتميم دروسى فى اللغات ، وخصوصا اللغة الالمانية مع دراسة (الحقـــوق الدوليـــة) ، لكن الصدر الاعظم الفقيه السيد أحمد بن موسى أرسل كتابا يأمرنى فيه بالرجوع الى المغرب ، وكان رجوعى فى شهر نونبر 1898 ، فلم يبق من أعضاء البعثة بعدى سوى طالبين من طنجة ، وقد خسرت البعثة الطالبين عبد الله التيال ومحمد القجيرى اللذين توفيا هناك رحمهما الله ·

استقبال الطالب العائد من طرف المسؤولين :

فى أوائل نونبر 1898 أقلعت الباخرة من جنوة ، وفى اليوم الرابـــع رست بركابها بطنجة ، وبمجرد نزولى قصدت فى الحين دار النيابة ، وحييت الفقيه الغيور السيد محمد الطريس نائب الدولة هناك بما يليق بجنابه من التحيات ، فرح بى وسألنى عن عدة أشياء فأجبت بما أستطيع ، ثم أمـــر (الامناء) أن ينفقوا على خياطة كسوة من الملف ، وبعد 20 يوما رحلت بحرا الى الجديدة ومنها الى مراكش ، وبادرت الى دار المخزن حيث حضرت لدى الفقيه الوزير السيد أحمد بن موسى ، وقد طلب منى أن أحضر الى منزله مساء نفس اليوم على الساعة الرابعة ، وفى مكتب خاص بمنزله استقبلنى على انفراد ، وأخذ يلقى أسئلة دقيقة عما وقع مع مدير المدرسة ومع وزير الخارجية ، واستمرت هذه الجلسة الاستخبارية الى الغـــروب ·· وعـــاد فطلبنى أن أحضر مرة أخرى صباح الغد لدار المخزن بالصدارة على الساعة التاسعة صباحا ، وودعنى وودعته بما يليق بجانبه ·

وفى الغد لما مثلت بين يديه فى الوقت المعيـــن ، أمر «مخزنيـــا» أن

يصحبنى الى وزير المالية السيد عبد السلام التازى الرباطى ، وقد أحسن الامين (1) استقبالى، وأجلسنى بقربه لما أتاه المخزنـــى بملف يحتوى على مراسلات متنوعة وحوالات ، ودفعه الى طالبا منى أن أنظم ما فى الملـــف ، وفى الحين انتقلت الى حجرة مجاورة وفتحت الملف ، واذا بجميع المراسلات باللغة الانجليزية فنظمتها كما يجب ، بحيث جعلت المراســـلات التى أجيب عنها على حدة ، والتى لم يجب عنها على حدة أيضا ، كما فرزت الحوالات التى دفع واجبها من التى لم يؤد واجبها بعد ، وقد أعجب الامين بعملى ، وبلغ ذلك للصدر الاعظم فاستحسنه أيضا ، ووجهنى الى وزير الحربيـــة ــ العلاف ــ السيد سعيد ، فوجدت معه الفقيه السيد محمد الجبـــاص الذى أخبرنى انه كان فى بعثة قبلنا الى لندرة ، وجرت بيننا محادثة باللغة الانجليزية ، وعمل السيد محمد على تسجيلى فى كناش خاص بصفتى عارفا باللغات الاجنبية ، وخصص أجرة شهرية قدرها 24 ريالا ، وأوصانى جناب الوزير السيد سعيد أن أتردد عليه ، بل أسكننى بدار قرب داره ، وذلـــك ليطلعنى على مراسلات جلها فرنسية ، ومضمنها قواعد حربية وضوابـــط سياسية .

العودة الى مسقط الرأس :

بعد مكثى بالعاصمة الجنوبية مدة ثلاثة اشهر ، أمر باحضارى جناب الصدر الاعظم بين يديه ودفع لى ثلاث رسائل ، احداها لسيادة باشا سلا السيد عبد الله بنسعيد ، والثانية لامين مرسى الرباط السيد عبد الخالـــق افرج ، والثالثة للعمال لاطلعهم عليها اثناء سفرى ، وأمرنى أن اعود الـــى الحمراء بعد صلة الرحم مع والدى ومع عائلتى ، ذلك لانه ينوى أن يبعثنى الى أروبا لاغراض وحاجات أبقاها بنفسه ، يود منى أن أقضيها هناك .

وبارحت مراكش فى يبراير 1899 (2) ، وقد كانت رحلتى من مراكش الى سلا عبارة عن نزهة بسبب الاعتناء والبرور اللذين لقيتهما مراعاة لتوصية جناب الصدر الاعظم ، ولما حللت بسلا سلمت لباشا سلا رسالته ،

---

1 ذكر الكاتب هذا المسؤول بلقب الوزير ثم بلقب الامين .
2 هذا ما أثبته صاحب المذكرة وفيه التباس بالنسبة لتاريخ رجوعه الى المغـــرب .

كما مكنت أمين المرسى من كتابه ، وقد أمر بعد قراءته بأن يدفع لى 100 ريال حسنية ، وقد تعرفت على موظف هو السيد عبد السلام الفاسى الذى أخبرنى انه كان فى البعثة الاولى بمدريد ، ولذلك تحادثنا باللهجة الاسبانية ، وقبل ان أنصرف أخبرنى الامين بأن المخزن اعزه الله أمر لى بـ 24 ريالا شهريا ما دمت فى سلا ٠

وما مضى شهران حتى استدعانى أمين المرسى السيد عبد الخالق افرج ، وقرأ على مراسلة يوافق فيها الصدر الاعظم على اقتراح الامين بأن أبقى بجانبه ، لاكون واسطة بينه وبين المهندس الالمانى «روطينبورغ» Rotten Bourg المكلف ببناء برج الرابطة ، وهكذا أصبحت موظفا بالرباط ، فالتقيت بالمهندس الذى سر سرورا كبيرا بمعرفتى ، اذ سيمكنه التفاهم بواسطتى مع الامين فى كل ما يحتاج اليه ، وقد حصلت لى معه الفة ، فأطلعنى على الاتفاقية المبرمة مع مدير معمل السلاح : كروب Krup بمدينة أشن ، وانه بـ «مقتضى هذه الاتفاقية» صار المهندس مكلفا ببناء تسع قلاع بمدن الساحل ، كل قلعة تحتوى على مدفعين من ذوات القذف البعيد ، وتسهيلا للاعمال تبرعت «دار كروب» بتأسيس سكة حديدية لنقل المعدات والاثقال من البحر الى مراكز القلع ، وتقرر ان تبنى القلاع الثمانية بعد بناء قلعة الرباط وتجربتها ٠

وخلال هذه المدة كان الحاج محمد سباطة يدرب فرقة من الرجال ، ويعلمهم فنون حربية وكيفية تسيير حركة المدافع مع فنون الرماية ، هذا ، عدا جماعة المدفعيين التى كانت قائمة بحراسة الابراج والقلاع القديمة وتتدرب على اطلاق المدافع ، وبسلا كانت ايضا جماعة من المدفعيين تتدرب بالحساب وبالمناسبة الى عيار المدافع ، وذلك تحت رياسة الباشا الحاج أحمد زنيبر ، وهناك جماعة اخرى كانت بالعرائش ، واخرى ـ وهى اكبر ـ كانت بطنجة ، وجل افرادها من اهل سلا ٠

ملاحظات وآراء حول الظروف السياسية :

ـ وفى سنة 1901 و 1902 ظهر المارق ابو حمارة الجيلانى الزرهونى فى نواحى تازة ، وبما ان قضيته قد استفحلت فقد وجبت الخدمة العسكرية ،

ووجب قرض المال من الخارج : «11 الف ريال» من ابناك البلاد المنخفضة : هولندة ــ بلجيكة ــ السويد ·

ــ اضطر الركاب الشريف بسبب هذا الحدث الى الانتقال من مراكش في اتجاه العاصمة فاس ، وقد كان النزول بالرباط لمدة تزيد على الشهر ·

ــ كان قائد الجيش الاكبر هو الانجليزي ماكليين ، وبعد وفاة الوزير السيد احمد بن موسى سمي القائد الاكبر ، واطلق على نفسه «الجنرليسم» Généralisseme ، رغما عن وجود فرقة لتدريب العسكر بمراكش تحت قيادة الكومندان الفرنسي «فورني» ، وجل افراد هذه الفرقة من أهل الجزائر ، وبتولية الجنرال ماكليين القيادة الكبرى على الجنود المغاربة عظم الخصام بينه وبين الكومندان الفرنسي ، خصوصا وان الوزير المنبهي توجه الى لندرة وتقابل مع الحكومة الانجليزية صحبة الجنرال ، وهكذا تغيرت السياسة واكفهر الجو ·

ــ كان المهندس الالماني سائرا في اشغاله ، وكان له صديق بالدار البيضاء يتراسل معه بواسطة الحمام ، ومن الدار البيضاء كانت ترسل الاخبار والحوادث الواقعة بالمغرب الى دولتي المانية وانكلترة ·

ــ جاء الجنرال ماكليين الى المهندس الالماني وأخبره أن الكومندان الفرنسي أخبر جلالة السلطان بأن البرج الذي بني بضاحية الرباط غير متين ، وانه سيتهدم بمجرد اخراج الطلقة الاولى من المدفع ، فرغب جلالة السلطان أن يقف على الحقيقة بنفسه ، وفعلا حضر الى القلعة فوجد هيئة المدفعيين حاضرة ومصطفة على احسن حال ، وحييناه باجلال وتعظيم ، وأمرنا جلالته أن نطلق المدفع وبقي ينتظر خارج القلعة ، وبعد اخراج طلقتين ووصول الطلقة الى داخل البحر بمسافة 20 كيلو مترا ، تفضل جلالته ودخل القلعة ووقف بنفسه على كيفية اخراج الطلقة المدفعية للمرة الثالثة ، وبعد هذا أخذ جلالته يحضر كل مساء للبرج ، وينصب له المهندس مدفعا من العيار الصغير فيقوم ببعض الرماية ·

ــ بعد نجاح التجربة ذهب المهندس الالماني الى ساحل سلا ، ورسم مركز القلعة الثانية على بعد من قصبة سيدي موسى ، واختار المكان وراء ربوة رملية لاخفاء القلعة عن مرمى العدو من البحر ، وأخذ المهندس ينتظر

الجواب للبدء فى العمل ، لكن جاءه أمر من سفارته بأن يكف عن العمل نظرا للتوتر فى الجو السياسى ، وهكذا لم تبن سوى قلعة واحدة من تسع قلاع كان من المقرر بناؤها ٠

— توالت الاضطرابات فى السياسة الخارجية ، زيادة على الاهوال التى كان يعيش فيها المغرب بسبب ظهور «أبى حمارة» ، والتويش فى أحواز وجدة وتازة وأيضا فى ناحية مراكش ٠

— وظهرت حوادث أخرى وانقلابات فى جو السياسة الخارجية بمجىء جلالة ملك المانية الى طنجة لزيارة ملكنا مولانا عبد العزيز ، وأدت هذه السياسة الى اعلان رغبة ملكنا فى عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء باسبانية سنة 1906 ٠

— انتهى ما كتبه السيد الحسين الزعرى عضو البعثة المغربية الثانية الى ايطالية بتصرف ٠

ومن ذيول هذه المذكرة الرسالة الحسنية التالية : (1)

«خديمنا الارضى ، الحاج محمد بن سعيد السلاوى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ٠

وبعد : فقد أخبرنى باشدور الطليان ، أن المتعلمين الاثنى عشر من اهل الرباط وسلا لم توجد فيهم قابلية للتعلم لكبر سنهم ، فكلفناه بتوجيه نائبه لك بقصد انتخاب اربعة من انجب ولدان اهل سلا ، الذين سنهم من الاثنتى عشرة سنة الى الثلاث عشرة سنة ٠

فاذا وجهه لك فنأمرك أن تحضر له عددا منهم من السن المذكور لينتخب منهم الاربعة ، وحيث ينتخبهم أبقهم تحت يدك ، ووجه لنا زمام أساميهم لنأمرك بما يكون فيهم ٠

وقد كتبنا لعامل الرباط بأن يحضر له عددا من أنجب ولدانها من السن المذكور لينتخب منهم ستة ، والسلام ، فى 9 صفر ، عام 1304» ٠

12 — الترجمة الى العربية

أصبح من المحقق أن حركة الترجمة الى العربية وجدت فى هذه الفترة ،

1 — من وثائق آل ابن سعيد بسلا ٠

وتناولت الفلك والرياضيات وبعض الموضوعات العسكرية ، وحسب المترجمات الآتية ، فان بعضها وقع بمشاركة من محمد الرابع ، كما كان مثقفون مغاربة يقومون بعمل شخصى فى هذا الميدان ·

أولا : باشراف محمد الرابع :

حسب افتتاحية «الجامع المقرب» ءاتى الذكر ، فان هذا الامير يعلن أن بلاطه — أيام ولايته للعهد — كان يضم نخبة من كل عارف بالالسنة والاقلام ، وتثبت بعض المصادر الاوربية (1) قيام هذا الامير بتعريب بعض الكتب العلمية ، مثل كتاب نيوتن (2) فى علم الفلك ، على يد ترجمان انجليزى من مالطة اعتنق الاسلام ، وقد تكون مصلحة هذه الحركة التعريبية معدودة من ملحقات مدرسة المهندسين بفاس ·

واذا كنا لانزال لم نقف على مترجمات كتب نيوتن الآنفة الذكر ، فقد اصبح معروفا لدينا ترجمة أخرى ، أشرف عليها الامير الشاب ، وتناولت تعريب كتاب لفلكى فرنسى «جوزف جيروم لالاند» ، وهى التى نتحدث عنها فيما يلى :

الجامع المقرب ، النافع المعرب :

هذا هو العنوان الذى وضعه السلطان محمد الرابع للترجمة المغربية التى نتناول حديثها ، واول ما يلاحظ فى هذا الصدد : ان اسم المؤلف الاصلى للكتاب المترجم غير وارد لا فى مدخل هذا الكتاب ، ولا فى مقدمة الترجمة ، وانما جاء آخر السفر الاول : «تم السفر الاول من كتاب لالاند» ، ولا شك أنه يقصد به الفلكى الفرنسى الشهير : «جوزيف جيروم لالاند» ، من أهل باريز 1732 م «1144 — 1145 هـ» — 1807 م (3) «1221 — 1222 هـ» ·

كما يقصد بالكتاب : التأليف الذى وضعه هذا بالفرنسية فى علم الفلك

---

1 — «تاريخ المغرب» للاستاذ عبد العزيز — ج 2 ص 65 ·
2 — اسحاق نيوتن Isaac Newton : 1643 — 1727 ، فيلسوف انكليزى ، وعالم فى الحساب والفيزيا والفلك ، أنظر «الموسوعة العربية الميسرة» ص 1872 ، وهذا هو مؤلف الكتاب المعروف باسم «الفلسفة الطبيعية ومبادىء الرياضيات» ·
3 — «الموسوعة العربية الميسرة» ص 1542 ·

الحديث ، وجعله حسب الارصاد الجديدة ، وعلى حساب خط نصف النهار المار بباريز ٠

والمؤلف يذكر فى مدخل الكتاب انه ثمرة لخدمة اربعين سنة ، ولكل ما تحصل من علم الفلك منذ 2500 سنة ، كما ان تقدم هذا العلم افاده افكارا كثيرة وجديدة ومبتكرة فى هذا الصدد ٠

فلما رأى الناس مفتقرين الى تأليف موسع فى هذا العلم ، اقدم على جمع ما كان مشتتا من محصول علم الفلك فى كتاب واحد ، دون أن يترك شيئا — اصلا — من فروع هذا العلم المتسع المجال ، حتى يسد الفراغ البادى فى المؤلفات القليلة السابقة ، وحتى يعبد الطريق لطلاب هذا العلم ، وقد اجتهد فى توضيحه لتتأتى قراءته دون شيخ يدرسه ، ولا شارح يشرحه ٠

وهو قد أعرض فيه اعراضا كليا عن المسائل القليلة الاهمية ، ولكنه اهتم بالمسائل التى لها تأثير أعم فى باقى التآليف، وكذا فيما كان جديدا قليل المعلومية ٠

وحسب هذا المدخل — ايضا — فان الكتاب ظهر فى ثلاث نسخ :

الاولى : سنة 1764 م «1178 هـ» ٠

الثانية : سنة 1771 م «1186 هـ» ، فى ثلاثة أجزاء ، وقد ترجمت الى بعض اللغات ، ونقل زيجها الى اللسان التركى ٠

الثالثة : هى هذه التى نتحدث عن ترجمتها ، وقد كان رصدها الاخير سنة 1793 م «1208» هـ٠

ومن تتبع ابواب هذا التاليف ، يتبين أنه — بعد المدخل — يتكون من 24 كتابا تشتمل على 4200 مسألة :

الكتاب الاول : فى اصول علم الفلك ٠

الثانى : اصالة علم النجوم وأخباره ٠

الثالث : الكواكب الثابتة وصورها ٠

الرابع : فى مبنى علم الكواكب ، ويقصد بهذا : المباحث الاصلية التى لها تأثير فى باقى هذا التاليف ٠

الخامس : فى مذهب العالم ، والمراد بالعالم هنا سائر الافلاك ، وبه ينتهى السفر الاول ٠

السادس : فى علم الكواكب ٠

السابع : فى القمـــر ٠

الثامن : حصة الجوامع ٠

التاسع : فى اختلاف المنظر ٠

العاشر : فى استخراج الخسوفات ٠

الحادى عشر : مرورات الزهرة وعطارد على الشمس ٠

الثانى عشر : انكسار الاشعة التنجيمى ٠

الثالث عشر : آلات التنجيم ٠

الرابع عشر : فى العمل بالآلات وكيفية تعاطى الرصد ٠ وبه ينتهـى السفر الثانى ٠

الخامس عشر : عظم الارض وشكلها ٠

السادس عشر : وهو مشتمل على حركة الاقبال واختلاف المنظـر السنوى للثوابت ، وتغير الميل الكلى ، والتزحلق الخاص بكواكب مختلفة ٠

السابع عشر : حركة النور والمحورين ٠

الثامن عشر : علم الفلك الخاص بالندماء أو التوابع ٠

التاسع عشر : ذوات الذوائب ٠

العشرون : استدارة حركة السيارات وكلفها ٠

الواحد والعشرون : حساب الفضلية والمتمة مطبقا على علم الفلك ٠

الثانى والعشرون : الثقل والقوة الجاذبة ٠

الثالث والعشرون : وهو فى التريقونومطرية : الخطية والكريـة : «حساب المثلثات» ٠

الرابع والعشرون : كيفية استخراج مسائل علم الفلـك بالحسـاب بواسطة الارصاد برا وبحرا ، وعنده ينتهى السفر الثالث والأخيـر مـن الكتاب ٠

هذا هو التأليف الذى قام بتعريبه جماعة من التراجمة تحت اشراف «محمد الرابع» ، وتم تعريبه ـــ حسب آخر السفر الثالث ـــ فى 28 رمضان عام 1268 هـ «1852 م» ٠

ويجدر أن نذكر هنا ان هذا الامير كتب مقدمة للترجمة العربية ، وادرجها فيما بين مدخل الكتاب والباب الاول ، وفيها يذكر حكم النظر فى علم النجوم ، ويبين قيمة الكتاب المعرب · كما يتحدث عن ترجمته تحت اشرافه واصطلاحات الترجمة، ثم يختتم بتسمية هذا الموضوع بـ «الجامع المقرب ، النافع المعرب» ، وهذا ما يهم من مقدمة الترجمة العربية :

« ·· أما بعد : فيقول العبد المتوكل على الله ، المعتصم فى جميع أموره بمولاه ، محمد بن أمير المومنين ، وخليفة رب العالمين ، مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام ··

اننى لما نظرت فى هذه العلوم الرياضية — التى منها الحساب والهيئة والهندسة، وهى ابراز الحساب من الكم الى الكيف ، وابراز الهيئة من القوة الى الفعل ، وغايتها المجسطى — وجدت الوقوف على كنه التحقيق المحض منها لايكون بمجرد التقليد فيها ··

ولما كان ذلك لابد فيه من الرصد للاجرام العلوية ، ومشاهدة أمكنتها من افلاكها ، ومقادير حركاتها فى الازمان المختلفة ، وكان الرصد المذكور فى بلادنا وزماننا متعذرا أو متعسرا ، ولكن ما لايمكن كله لايترك كله ، بحثنا من أجل ذلك — لاجرم — كل البحث عن أقرب الارصاد الى زماننا ، فوجدنا كتابا حفيلا عجيبا جامعا لكل ما يحتاج اليه الناظر فى هذه الصناعة ، بحيث لايتوقف على غيره من الاوضاع ، ناهيك من كتاب لايدرك وصفه الواصف بمقاله ... مع ما اعتمده مؤلفه والتزمه من التحرير البالغ غاية الغايات... والتوقيف على كل العويصات وكشف الخفيات ، وتأييد المسائل بالحجج الواضحة اليقينية ، والاشكال الهندسية ، والامثلة العددية ، والاقيسة الجبرية ، ورد الفروع الى أصولها ، ·· ثم اخذ ما وافق العيان والرصد الجديد ، والغاء ما دون ذلك ، ·· الا أنه باللسان والقلم الاعجميين ، لان مؤلفه رومى من أهل بارز «كذا» ، وكان رصده الاخير سنة 1793 بالتاريخ المسيحى ·

وكان من فضل الله علينا أن حضرتنا العالية بالله تعالى ، قد احتوت على جماعة وافرة ، ممن آوتهم ظلال دولتنا الشريفة المنصورة الظافرة ، ربيناهم فى خدمتنا احسن تربية ، وصفيناهم لاقترابنا اكمل تصفية ،

وأطلعناهم لمكان التخصيص على اسرار هذه العلوم ، وغذيناهم من جنى هذه الفنون بأطيب الطعوم ، حتى اصبحت حضرتنا العزيزة كعبة النجباء الحذاق ، ومطافا للعلماء من جميع الآفاق : من كل عارف بالالسنة والاقلام ، متهيىء لاكتساب الكمالات بالاستعلام ، فأمرناهم بتعريب الكتاب المذكور ، واخراجه من الظلمات الى النور ، فصرفوا كل عناية الى ذلك ، ودابوا عليه آناء الليل وأطراف النهار مدة مديدة ، مع معاناة أكيدة ، ومشقة شديدة ، وكل ذلك بمرأى منا ومسمع ، ومحضر لنا ومجمع ، تعرض علينا كل يوم مخرجاتهم فنبالغ لها بالتنقيح والتصحيح ، ونرجح منها ما هو داع الى الترجيح ، حتى برز — بحمد الله — فى أحسن الصور وأجملها ، واتم الوجوه وأكملها ..

فاذا علمت هذا ، فاعلم اننا ترجمنا هذا الوضع المبارك : بـ «الجامع المقرب ، النافع المعرب» .

لم تكن هذه الترجمة معروفة من قبل ، حتى ظرهت بالمكتبة الملكية بالرباط ، التى تتوفر على نسختين اثنتين : الاولى تامة ، وهى تحمل رقم 2682 ، وتقع فى ثلاثة أسفار :

الاول : به ورقات 409 ، منها 16 ورقة فى مدخل المؤلف ، وثلاث ورقات — تقريبا — فى مقدمة الترجمة ، خط مغربى حسن ملون مجدول مصحح بالهوامش ، مع فراغ فى أكثر الجداول ، وبياض فى بعض الصفحات، وجاء فى آخره : «تم السفر الاول من كتاب لالاند» .

الثانى : به ورقات 309 ، خط مغربى لا باس به ملون مجدول مصحح — يسيرا — بالهوامش ، مع بياض فى بعض الصفحات . الثالث : به ورقات 272 ، خط مغربى لابأس به ملون مجدول مصحح بالهوامش ، مع بياض فى بعض الصفحات .

مسطرة الاسفار الثلاثة 29 ، مقياسها 220/330 ، وهى — كلها — عارية عن تاريخ الترجمة والنسخ .

النسخة الثانية : تشتمل على السفرين : الثانى والثالث ، وتحمل رقم 5405 ، بها رسوم فى الصفحات البيضاء فى الثانى والثالث من النسخة

الاولى ، ويذيل سفرها الثالث بتاريخ الفراغ من الترجمة : 28 رمضان ، عام 1268 هـ ·

وبعد هذا نعيد النظر فى مقدمة الترجمة ، لنرى فيها التعريف بقيمة التأليف المترجم فى دراسة علم الفلك الحديث ، وسنجد تأييدا لهذا التنويه بنفس التأليف ، يقوم به فلكى مصرى : هو الشيخ حسين زايد ، مؤلف «المطلع السعيد ، فى حسابات الكواكب على الرصد الجديد» ، فقد جاء فى خطبة هذا الكتاب (1) :

«وكان الاعتماد فى اخذ غالّب اصوله على زيج لالاند الشهير ، لما فيه من الدقة وزيادة التحرير» ·

وهذا كله يجعل لتعريب تاليف لالاند اهمية بالغة ، ولو اعيد النظر فى هذا التعريب ونشر فى عصره ، لكان المغرب قد اسدى الى رجال الفلك العرب يدا لن تنسى ، وهنا لاأتمالك أن اتساءل — ومعى بدون شك عدد من القراء — عن السبب الذى حال دون مراجعة هذه الترجمة ونشرها ، على مسيس الحاجة لها حينئذ بالخصوص ·

وهناك اهمية أخرى لهذه الترجمة حيث انها تقدم مثالا ناطقا لاحدى مظاهر الانبعاث العلمى الذى حاوله محمد الرابع ·

وفوق هذا · فان مقدمة الترجمة تمدنا بتلميحات عن نشاط العلوم الرياضية فى بلاط الامير الشاب ، الذى صار «مطافا للعلماء من جميع الآفاق : من كل عارف بالالسنة والاقلام» ، ومن سوء الحظ أن لا يعرف — لحد الان وبالضبط — ولا واحد من هؤلاء العلماء ·

هذا ومن تمام حديث هذه الترجمة المغربية ، أنها بعدما تحدثت عنها مجلة «دعوة الحق» فى العدد التاسع والعاشر من السنة الثامنة (2)، عادت نفس المجلة فى العدد السادس والسابع من السنة التاسعة ، فنشرت — ص 148 — عن صدى هذه الترجمة ما يلى :

---

1 — «المطبعة البارونية» بمصر عام 1304 هـ — ص 3 ·

2 — فى بحث لجامع هذه الدراسة أدرج معظمه هنا · وقد كان عنوانه : «الجامع المقرب النافع المعرب : ترجمة مغربية لكتاب فلكى بالفرنسية فى ثلاث مجلدات» — ص 107 — 110 ·

« **من الهند** : كتب الينا الاستاذ محمد ابو الجلال عميد الكلية الاسلامية رسالة ينوه فيها بمجلة دعوة الحق ·· ومما جاء فى كلامه :

قرانا فى مجلتكم الغراء ما جاء فيها من التعريف بكتاب الجامع المقرب ، النافع المعرب : جاء هذا التعريف فى العدد التاسع والعاشر من المجلة ، فاشتاقت قلوبنا الى مطالعة ذلك الكتاب لنستفيد منه ، ونحن فى حاجة ماسة الى نيل ذلك الكتاب وغيره فى مادة الفلك ، لعله يساعدنا فى تدريس علم الفلك فى كليتنا · » ·

ثانيا : التطـــارى

وهو محمد بن العربى التطارى الفاسى ، وقد وضع ترجمة سماها : « رياض الازهار التعليمية ، فى الاعمال اللوغاريتمية » ، قال فى أولها :

يقول كاتبه أبو عبد الله التطارى : الحمد لله المدبر الحكيم ، رفيع الدرجات ذى العرش العظيم ·· وبعد فهذا تأليف لطيف ، وجيز ظريف ، فى علم أعمال لوغاريتمية ، اختصرته من الاعجمى الكبير ، وجعلته فى غاية الاتقان والتحرير ، واقتصرت على أمثلته فى الغالب ·· ورتبته على مقدمة وثلاث مقالات ، فى كل مقالة اربعة أبواب :

المقدمة : فى معرفة الاصطلاحات المستعملة به ·

والمقالة الاولى : فى «1» ــ الحساب الاعشارى ، و «2» ــ شرح اعمال جيبية ، و «3» ــ الهندسة العملية ، و «4» ــ معرفة بيت الابرة ·

والمقالة الثانية : فى «1» ــ معرفة السنة العجمية ، و «2» ــ شرح الجداول ، و «3» ــ الكلام على القوس ومعرفة الارتفاع ، و «4» أشياء من علم الفلك ·

والمقالة الثالثة : فى «1» ــ معرفة الدائر وفضله بارتفاع الشمس ، و «2» ــ العمل بالكواكب الثابتة ، و «3» ــ معرفة حصص الاوقات ، و «4» ــ استخراج عرض البلد وطوله ، وهى مذيلة بجداول لوغاريتمية ·

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ، ضمن مجموع يحمل رقم 573 ، من ص 16 ، الى ص 84 ، عدى الجداول ، مسطرة مختلفة ، مقياس 185/215 ، مكتوبة بخط المترجم ، وهو خط مغربى مجوهر حسن سريع ، يتخلله الضرب والالحاق ·

وكما راينا اولا ، فقد سمى المترجم فى طالعة الترجمة أبا عبد الله التطارى ، ولاشك أنه محمد بن العربى التطارى ، حسبما جاء بخطه آخر نسخة من المقامات الحريرية فرغ من كتابتها فى 23 شعبان ، عام 1288 هـ/ 1871 م · «المكتبة الملكية» بالرباط ، رقم 71 ، كما سمى فى مخطوط آخر بمحمد بن العربى ابن تطارى ، «نفس المكتبة» ، رقم 304 ، ويوجد فى فاس بيت «بنى بنتطارى» ، وورد ذكره فى «زهر الاس ، فى بيوتات فاس» لابى محمد عبد الكبير بن هاشم الكتانى (1) فعلى هذا يكون المذكور فاسى البلدة ، وفى «الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام»(2) وردت ترجمة مقتضبة له قال فيها :

«محمد بن العربى التطارى ، الفقيه ، النقاد ، البحاث ، المحقق ، كان مفتيا بمراكش ، وقفت على بعض فتاويه المحررة فى قضايا عام 1282 ··» ولم يذكر تاريخ وفاته الذى لايزال غير معروف ·

ثالثا : احمد بن عبد الله

هناك ترجمة لرسالة باللغة الفرنسية ، فى طريقة العمل بآلة حسابية «اريتمومتر» Eritmométre وقد جاء فى افتتاحيتها :

«الحمد لله الذى جعل مفتاح علوم الرياضيات علم الحساب ·· وبعد : فهذه ترجمة رسالة على آلة حسابية ، من اللغة الفرنساوية الى اللغة الشريفة العربية ، ترجمتها بالمعنى ، وتصرفت فيها بعض التصرف ، بأن حشيت «يقصد تحاشيت» مالا طائل تحته ، وزدت أمثلة زيادة فى الايضاح ، ونبهت على نكث أغفلها فى الاصل ، واقتصرت على مجرد التحصيل والافادة، ورتبتها على مقدمة وخمسة فصول :

المقدمة : فى رسوم الآلة ، والفصول : فى أصول الحساب الخمسة : الجمع ، والطرح ، والضرب ، والقسمة ، وجذور الاعداد الصحيحة» ·

فرغ من تعريبها يوم الاربعاء 5 حجة عام 1291 هـ / «1875 م» ، وهى خالية من اسم المترجم ، وقد ذيل آخرها بطابع نقش بداخله اسم

---

1 — خ ، ع ، ك 1281 — ج 1 ص 327 ·
2 — ج 6 ص 46 — 47 ·

«أحمد بن عبد الله» ، فهل هذا هو اسم مترجم الرسالة ؟ أو انما هو اسم مالكها ؟ وهل يكون هو أحمد بن عبد الله الصويرى المتكرر الذكر ؟ ·

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ، رقم 1738 فى 11 ص · علاوة على صفحة أولى تحمل رسم الآلة المعنية بالرسالة المترجمة : «اريتمومتر» ، مسطرة 14 ، مقياس 230 /185 ، خط مغربى واضح مستحسن ·

رابعا : مترجمات مغربية مجهولة المترجم ، وهى :

أ ــ «تطبيق الجبر على الهندسة» ، قال فى أوله : «الحمد لله الذى خلق الانسان وأبدع فيه حكمته ·· وبعد : فالقصد بهذا التقييد تعريب تأليف عجمى جديد ، مضمنه تطبيق الجبر على الهندسة ، والتبرهن عليه بالكم المتصل ، المتضمن للاشكال الهندسية ، والمثلثات الكيفية» ·

رتبه على مقدمة فى بيان مصطلحه ، وثلاثة كتب ، وتذييلات ، ووزع ذلك كله على 195 فصلا ، كما وضحه برسم 76 شكلا هندسيا على الهوامش ، وقد جاءت موضوعات الكتب الثلاثة وذيولها هكذا :

الكتاب الاول : فى الكلام على حل المثلثات القائمة ، ثم حل المثلثات المائلة ·

الكتاب الثانى : فى علم مساحة المثلثات الكرية ، وتسمى بلسان العجم : «الطريقنومطرية» الكرية·

الكتاب الثالث : فى تطبيق الجبر على الهندسة ·

وذكر فى التذييلات أوائل مبادىء تطبيق الجبر على الاسطحة المحدبة ، وعلى المحدبات ذات تحديب مضعف ·

وأخيرا ختم بتنبيهات علق فيها على مواضع من التأليف ·

وكما لم يعرف اسم المترجم ، كذلك لم يذكر اسم مؤلف الكتاب المعرب عنه ، وانما أحال هذا الاخير على موضوع له يسميه «كتاب تمام مبادىء أصول الهندسة» ، ص 92 ، كما أحال على تأليف آخر له فى «الحساب الفضلى والتميمى» ص 246 و 472 ·

من هذه الترجمة نسخة فى المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 995 ، فى 472 ص ، مسطرة 16 ، مقياس 180/212 ، خط مغربى لابأس به ملون

مجدول ، خال من تاريخ الترجمة والنسخ واسم الناسخ ، وتتخلله الحاقات بالاصل والهامش مكتوب بعضها بخط مغربى مغاير ·

ويوجد بالهامش — ايضا — شىء من التعاليق ، بخط مغربى مغاير ، وبالحبر فى الاكثر ، وبعضها بقلم الرصاص ، وهى تتضمن بعض اصلاحات وتكميلات للاصل ، وهذا كله يدل على أن هذه الترجمة قد نقحت من طرف آخر ، وقد تكون وقعت تحت اشراف محمد الرابع ·

وهناك نسخة أخرى من هذه الترجمة ، بالمكتبة الملكية أيضا رقم 135، ويبدو ان هذه أصل لسابقتها ·

ب — **((العمل بالجداول اللوغاريتمية))** ، شرح فيه مترجمة المجهول الاسم 57 جدولا دون أن يثبتها ، وانما اكتفى ببيان طريقة العمل بها ، وهو يبتدى بشرح الجدول الاول دون أن يذكر أن هذا الموضوع أصلى أو مترجم، ويتبين أنه معرب من هذا التعبير الوارد — ص 27 — حيث جاء فيه :

«قلت : وهذا الجدول حسبه كابريت فأحضره — احسانا — للمؤلف بقصد ادخاله فى هذا التأليف» ·

منه نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ضمن مجموع يحمل رقم 850 ، من ص 21 الى ص 132 ، مسطرة 17 ، مقياس 190/240 ، مكتوب بخط التطارى السابق الوصف ، وهو هنا مجدول ·

ج — **((وصف قوس الزجاج والعمل به))** ، ويقصد به القوس الافرنجية المعروفة بالسكستان : Sextant أو «سدس هدلى» ·

وهو — ايضا — مجهول المترجم الذى يفيد أن هذا الموضوع معرب لما ينقل تعليقات لمؤلف الاصل المعرب عنه ص 153 ، 155 ، 165 ·

وقد استهله بمدخل عرف فيه بالقوس المعنية بهذه الدراسة : فذكر شكلها واجزاءها ، موضحا اسم ووظيفة كل جزء ، وبعد هذا تخلص للموضوع الذى شرحه حسب العناوين التالية :

— تعديل السكست «حسب تعبير المترجم» ·
— معرفة خطأ المرى ·
— العمل بالسكست ·

— رصد بعد ما بين القمر وثابت أو متحير ·
— الافق المصنوع ·
— معرفة الطول من الارصاد ·

وهو يخلل هذه الدراسة بالاحالة على رسوم توضيحية لم توضع فى هذه النسخة بالرغم عن ترك بياضات لبعضها ·

منه نسخة بالمكتبة الملكية ضمن المجموع الآنف الذكر ، رقم 850 ، من ص 133 الى ص 168 ، نفس مسطرة ومقياس وخط الترجمة الاخيرة ، مع بياض يسير فى الكتابة ، وفى مواضع بعض الرسوم ·

د — رسالة فى موضوع : «ربع هدلى» ، وهو غير قوس السدس السابقة ، قال فى «العروس البديعة فى علم الطبيعة» : وبعض الآلات من هذا الجنس يجعلون هذا القوس فيها ربع قائمتين ، ويسمونها «ربع هدلى»، ويقسمون السدس الى 120 ، فتكون كل درجة كناية عن نصف درجة ·· وهكذا سيتحدد موضوع هذه الرسالة الرابعة التى جاء عنوانها كالتالى : «رسالة فى طريقة استخدام قوس هدلى» ·

ودون سابق خطبة أو تخصيص عنوان مضبوط ، يبتدىء المترجم بتعريف تركيب الر بع الذى يعبر عنه بالقوس ، وينتقل — بعد هذا — الى موضوع تعديل القوس ، ورغما عن عدم ذكر الباب الاول يأتى الباب الثانى، ليتناول وضع زجاجة الافق على موازاة زجاجة المرى الاصغر ·

الباب الثالث : فى وضع الزجاجات الافقية التى فى مقدم الرأس قائمة على سطح الافق ·

الباب الرابع : وضع الزجاجة الافقية التى فى الضلع اليسرى من الربع قائمة على زجاجة المرى ·

الباب الخامس : وضع الزجاجة الافقية المذكورة على سطح الربع ·

وبعد هذا تأخذ الرسالة فى ترجمة عمليات استخراج المطالب الفلكية بواسطة «ربع هدلى» ، مع تخليل ذلك بأمثلة تدريبا للطلبة أو ارتياضا ·

والرسالة محفوظة بالمكتبة الملكية تحت رقم 10381 ، ص 53 ، مسطرة مختلفة : بين 20 ، 21 ، مقياس 185/230 ، خط مغربى حسن مجوهر يترجح أن يرجع الى عهد السلطان محمد الرابع ، وهو عار عن تاريخ التأليف والنسخ واسم المؤلف والناسخ ·

هـ ــ «قطعة فى مبادى الكيميا والطبيعيات وما الى ذلك» ، وهــى معربة عن تأليف عجمى حسب تعبير المترجم المجهول الذى لم يوضح اســم الكتاب المنقول عنه ولا واضعه ، وانما ورد اثناء القطعة أن مؤلف الاصل يحيل على كتابين من تأليفه : احدهما يسمى : «كميات الطب» ، والثانــى : «فرجة الطبيعيات» ٠

يتناول الموجود من هذه القطعة مبادىء الكيمياء والطبيعيات ، مــع أوائل البحث الذى يعرض شيئا من خواص بعض الحيوان والنبات ، وضاع من الترجمة ما بعد ذلك ٠

وأسلوب الترجمة مهلهل التعبير ، وتتخلله كثير من التسميات العامية المغربيــة ٠

يقع الموجود منها فى 55 ص ، مسطرة 17 ، مقياس 115/180 ، خط مغربى سريع ملون خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ ٠

و ــ «قطعة فى التنظيم العسكرى» ، وتعرب الباب الرابع من كتاب موضوعى لم يذكر عنوانه ولا اسم مؤلفه ، ويقول المعرب المجهول : ان ما قبل هذا الباب ليس فيه فائدة ، فلذلك بدأ الترجمة من الباب الرابع الذى يتناول ما يجب ــ أولا ــ على الداخل للجندية ٠

وهو الباب الوحيد المعرب ، فى 11 ص ، مسطرة 17 ، مقياس 115/180 ، نفس خط الترجمة الاخيرة ونفس أسلوبها ، مما قد يتبادر منه أن مترجمهما ــ معا ــ معرب واحد ، والقطعتان من محفوظات خزانــة كاتب السطــور ٠

ز ــ «ترجمة برنامج كتاب فى فن المدفعيــة» ، وقد سمى الكتــاب ــ حسب هذه الترجمة ــ «التفكير فى عمل ما يصلح للطبجية» ، وهــو موضوع بالفرنسية ، ولم تهتم الترجمة الا بتعريب عناوين مقالاته البالغة 21 مقالــة ٠

منها نسخــة بالمكتبــة الملكيــة ضمن مجموع يحمل رقم 124 ، من ص 71 الى ص 82 ، مسطرة 24 ، مقياس 195/235 ، خط مغربى لابأس به سريع ، خال من تاريخ النسخ واسم المترجم والناسخ ٠

والى هنا يكون هذا البحث قد استعرض عشر ترجمات مغربية ، وكما هو واضح ، فان هذه الترجمات لاتزال بحاجة الى دراسة ، بما فى ذلك مقارنتها بالاصول المعربة عنها ، مع ملاحظة انها كانت محاولات أولى فى هذا الصدد ، وهذا كله ما ادعه للمتضلعين فى اللغتين المعرب بها والمعرب عنها ·

واخيرا : فان هناك ترجمة ادارية كانت تقوم على تعريب لوائح الواردات والصادرات البحرية ، وعلى تعريب توصلات النواب الاجانب ، وقد كانت هذه المعربات تسجل فى دفاتر على حدة ، ورد ذكر عدد منها أثناء لائحتين رسميتين تضمنهما «سجل مخزنى» : (1) اللائحة الاولى : تشتمل على ما بداخل صناديق سبعة من الكنانيش والتقاييد المدفوعة لامناء البنيقة المراكشية فى أوائل قعدة ، عام 1311 هـ ، والثانية تشتمل على ما بداخل صناديق «13» من الكنانيش والاوراق والتقاييد وغير ذلك ، مما دفع لامناء البنيقة المراكشية فى أواسط ربيع الاول ، عام 1318 هـ ·

13 — موضوعات فلكية جديدة

فى هذا الباب نذكر موضوعات فلكية جديدة ، ساهمت — بدورها — فى هذه الانبعاثة ، ففى هذه الفترة عرف المغرب بعض الاعمال اللوغاريتمية، ويبدو أن لعبد الرحمن العلج — المتكرر الذكر — يدا فى هذا ، حيث عرب بعض مسائله (2) فأفادت المغاربة الى جانب المعربات والمؤلفات الشرقية ·

وفى هذه الفترة قام مغاربة بابتكار اكثر من آلة فلكية جديدة ، وسنعرض لها فيما بعد ، كما دخل للمغرب أجهزة حديثة فى الفلك والرياضيات : مثل القوس الافرنجية المعروفة بالسكستان (3) Sextent والآلة الحسابية المعروفة بأريتمومتر (4) · Eritmométre

---

1 — هو نفس السجل الذى اقتبست منه هذه الدراسة عند ص 31 — 34·
2 — سيرد ذكر هذا عند الاسم رقم 4 ·
3 — هذا يوخذ من الترجمتين المغربيتين آنفتى الذكر عند رقم ج و د ·
4 — أنظر الترجمة التى قام بها أحمد بن عبد الله فى هذا الصدد ·

والركلة العجمية حسب التسمية المغربية (1) : «مقياس جنتر» ·

والى هذاالعصر — أيضا — ترجع بعض تجديدات فلكية متنوعة ، وهكذا نفحت حصص أوقات الصلوات حسب عروض المدن المغربية التالية :

— حصة على عرض فاس ، من عمل موقتها الحاج محمد بن الطاهر الحبابى (2) مار الذكر ·

— حصة على عرض تطوان ، عمل الميقاتى محمد بن الفقيه الملقب بريدة الاندلسى التطوانى ، المتوفى بعد 1280 هـ/1863 — 1864 م (3)

— حصة على عرض مراكش ، على يد موقتها محمد الطائع الجنان المكناسى ثم المراكشى ، المتوفى بعد 1290 هـ/ (4) 1873 — 1874 م ·

— حصة على عرض الرباط ، عمل الموقت عبد الرحمن بن عبد الله لبريس الرباطى المتوفى عام 1307 هـ/ (5) 1890 م ·

وفى مكناس نذكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الطالب الحسنى الامرانى ، كان بقيد الحياة عام 1306 هـ/1888 — 1889 م · وقد وضع رسالة دقق فيها استخراج المطالب التوقيتية المتعلقة بحصص أوقات الصلوات فى عروض فاس ومكناس وسلا والرباط ، وسماها : «الياقوتة العصماء ، فى معرفة أوقات الصلوات لمناجاة الاه أهل الارض والسماء» ·

رتبها على مقدمة ومقصد جامع لمطالب عشرة من اصول هذا العلم ، واخيرا : خاتمة مذيلة بتقريظ للرسالة — نثرا وشعرا — من طرف محمد بن أحمد اكنسوس المؤرخ المغربى المعروف ·

---

1 — هناك رسالة فى طريقة العمل بهذه الآلة ، وضعها فلكى مراكشى : احمد بن محمد الحوزى التجانى أواخر سنة 1934 م/1353 هـ ، وسماها : «ايضاح الادلة ، فى مراصد الركلة» ، منها نسخة خاصة ضمن مجموع ، من ص 164 الى ص 251 ، والغالب أن هذه الركلة هى نفس «مقياس جنتر» ، انظر «الموسوعة العربية الميسرة» ، ص 649 ·

2 — «زهر الاس ، فى بيوتات فاس» ، خ ، ع ، ك 1281 — ج 1 ص 354

3 — مختصر تاريخ تطوان للاستاذ محمد داود — ص 311 ·

4 — الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام : القطعة المطبوعة من الجزء السادس ص 56 ، وقد وقفت عليها عند الاستاذ الكبير محمد ابراهيم الكتانى ·

5 — من خط بعض المعتنين بالتقييد من أدباء الرباط ·

وبعد هذا تذيل الرسالة بثمانين جد ولا لتوضيح المطالب التوقيتية على عروض البلدان الاربعة ، مع جدول ختامى للفروق بين التواريخ المشهورة لمعرفة ما بينها من السنين العربية وايامها وجملة أيام بسطها ·

والرسالة وذيولها بخط مغربى حسن ملون ، فى 97 ص من حجم متوسط ، منها 16 ص لكتابة الرسالة ، والباقى : 81 للجداول ، وفرغ من تاليفها أوائل ذى الحجة عام 1278 هـ/1862 م ، منها نسخة أثناء مجموع بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3817 (1) ·

* — *

والى جانب هذه الحصص الميقاتية نشطت حركة تخطيط المزاول الشمسية ، وتعرف — لحد الان — أربعة أسماء فى هذا الميدان :

أولا : محمد بن محمد الاشخم الزرهونى آتى الذكر ، وهو مخطط رخامتين اثنتين برسم «الزاوية التجانية» بحومة المواسين من مدينة مراكش، احداهما :بسطحها وهى مبسوطة ، والاخرى : بصحنها وهى منكوسة ، وورد اسم المخطط فى الشعر الذى نقش على كل من الرخامتين ، من انشاء مؤسس الزاوية : محمد بن أحمد أكنسوس المؤرخ المعروف ، فقد نقش أسفل الرخامة التى بالسطح ثلاثة أبيات هكذا :

ان أكن فى رياض زهر فعندى
فضل علم للزهر قد أدنانى
اجتلى للعيون ساعات يومى
بلسان الظلال كل أوانى
صانعى رافعى محمد فتحا
ثم ضما (2) وبالعلا (بشرانى)
عام 1263

ثم طوقت الرخامة الثانية التى بالصحن بالابيات الثلاثة التالية :

---

1 — لم يرد ذكر هذه الرسالة فى ترجمة مؤلفها من اتحاف أعلام الناس ج 4 ص 262 — 264 ·

2 — يقصد أن اسم مخطط هذه الرخامة هو محمد بفتح أوله بن محمد بضم أولـه ·

طرزنـــى محمد بن الاشخـــم
طـــرز همـــام عالـــم معلـــم
ألبسه الله ملابـــس الرضـــى
وحفه باللطف فيما قد قضـــى
ومظهرى اذ «الامان والسرور
أتى» وحيان بفتح وسرور (1)
عـــام 1268

ثانيـــا : السلطان محمد الرابع ، حيث يسجل عنه «ابن الموقت (2) » أنه عارف بطريقة تسطير هذه الرخامات ، وسنستفيد من النص التالى أنه ينسب لنفس العاهل تخطيط مزولتين بسطح جامع ابن يوسف بمراكش :

احداهما الرخامة المنكوسة الموضوعة بلصق المنار ، وهى للتوقيت طول السنة ، وتشتمل على وجهين : شمالى : للاشهر الستة التى تكـــون فيها الشمس بالبروج الشمالية ، والآخر جنوبى ، للاشهر الستة التى تكون فيها الشمس بالبروج الجنوبية (3)

أما الثانية : فهى للساعات ، وتعطـــى الوقت من الساعة الثامنـــة صباحا حتى الرابعة مساء ·

وقد تحدث عن المزولتين — معا — أبو حامد البطاورى فى كناشة (4) قديمة له ، وقال عن منار جامع ابن يوسف :

«وبأعلى المنار رخامتان مرسومتان على طريق التوقيت لاخذ الارتفاع، من صنعة أمير المومنين سيدى محمد بن عبد الرحمن أيام خلافته بمراكش

1 — الابيات المرسومة على الرخامتين من خط الفقيه السيد أحمد الكنسوسى من علماء مدينة مراكش ، وقد وردت نفس الابيـــات عند القاضـــى الفاضل أبى العباس سكيرج فى رفع النقاب ج 2 ص 139 ، غير أنه أدخل تعديلا على البيت الثالث من نتفة الرخامة التى بالصحن ، وما أثبته هو الذى بخط حفيد الناظم ·
2 — «السعادة الابدية ، فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية» ط ، ف ، ج 1 ص 76 — 77 ·
3 — ورد ذكر هذه الرخامة المنكوسة فى السعادة الابدية ج 1 ص 77 ·
4 — بالمكتبة الملكية ، ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2857 ·

فيما يقال ، لانه كانت له مشاركة ويد فى هذه العلوم ، ومكتوب على احدى الرخامتين — نقشا — هذه الابيات :

ظهرت ظلالى فى ضياء محمد
نجل الامام المالك ابن هشام
وبرزت كالفيداء فوق صفيحتى
هذى الخطوط تلوح مثل وشام
وازددت واو العطف فى مراكش
فزرت بتاريخى بمصر وشام
عام 1267 (1)

وعلى الاخرى منقوش هذه الابيات :

خير الملوك كلهم
محمد نجل الامير
امر ان ترسم لى
باليمن هذه السطور
ومن يرد تاريخه
«يجده أوقات السرور» (2)
عام 1267

والآن نذكر أن عبد الرحمن العلج سطر المزولة الشمسية الموضوعة بباب ضريح الشيخ أبى العباس السبتى م نمراكش ، مع مزولة أخرى بسطح جامع ابن يوسف ، وثالثة فى أعلى برج الريال من نفس المدينة ، وهو — أيضا — صاحب المزاول الشمسية التى توجد بداخل القصور السلطانية من فاس الجديد (3) .

---

1 — التاريخ مستخرج من كلمتى «مصر وشام» حسب الطريقة الابجدية المغربية، ولايستقيم الا مع الغاء حساب الحرف المكرر الذى هو الميم ، ومن الجدير بالذكر أن هذا البيت الذى يحمل التاريخ المشار له تعسر — اليوم — قراءته من الرخامة نظرا لاندثار عدد من حروفه .

2 — التاريخ يستخرج من مجموع الشطر الاخير ، مع الغاء كل من الالف والواو الاخيرين .

3 — «الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام» : القسم المخطوط ، عند ترجمة عبد الرحمن العلج ، مع بعض المشاهدات بالنسبة لمزاولة واحدة ، وسنستشف من هذا المصدر الاخير : أن عبد الرحمن العلج كان قد ساعد محمدا الرابع فى عملية احدى مزولتى جامع ابن يوسف .

وفى مكناس كان موقتها الجيلانى الرحالى ـ مار الذكر ـ قد خطط مزولة شمسية مستوية بجانب غريفة التوقيت بمنار الجامع الاعظم ، حيث لا تزال قائمة تحمل تاريخ عام 1286 هـ (1) ، وهو الذى قام بتسطير رخامات اخرى : مبسوطات ومنحرفات بفاس القرويين ، وبمدينة جبل زرهون ، مع نواحيها بمساجد الجبل شمالا وجنوبا ، وبغير ذلك من المدن (2) .

* * *

وهذه قطعة لشاعر فاس محمد الفاطمى الصقلى ، ويظهر من سياقها انها نظمت لترسم على جهاز ميقاتى قد يكون أسطرلابا ، وهكذا تقول القطعة :

يا ناظرا فى حسن شكلى الكامل
اهنا فانى بغية للأمل
انا شبكة من فضة منصوبة
لغزالة طلعت بنور شامل
عندى دقائق فى الجمال فحققن
فى الوقت فى حسنى وعلو منازل
قد قلت اذ أشرقت فى شرف العلا
تاريخ انشائى يقال الكامل (3)
1298

ومن ملحقات هذا قطعة اخرى للشاعر الكاتب ، الحاج ادريس بن الوزير محمد بن ادريس العمروى الفاسى ، نظمها لترقم على ساعة بيتية وقال فيها :

أنبه صاحبى بلطيف نقرى
واملأ من مؤانستى مكانه

---

1 ـ هذا استفدته من بعض المحادثات ، التى تتأكد اذا لوحظ أن المعنى بالأمر كان يتولى توقيت نفس الجامع وقت التاريخ المرقوم على المزولة .
2 ـ ورد هذا بخط احد تلامذة المذكور ، عند خاتمة نسخة خاصة كتبها من رسالة الكنبوى فى الربع المجيب .
3 ـ من شذرات من ديوانه .

ولى فى الوقت تقسيم صحيح
به حزت التقــدم والمكانــه
وللأحشــاء بالفلــك ارتبــاط
لذا سميت قدما بالمكانــة (1)

* * *

ومن الجدير بالملاحظة أن يكون هذا النشاط الفلكى قد انعكس أثــره على صياغة الوثائق الرسمية ، وهو ما نقرؤه فى هذا الظهير الحسنــى بتولية موقت مكناس ، ونصه بعد الافتتاح :

«يعلم من شريف كتابنا هذا لا زال كوكبه فى فلك السعادة سابحا ، وسماك عزه فى سماء المعالى رامحا ، اننا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ، عينا ماسكه الطالب السعيدى بن محمد المنونــى لخطة التوقيت بمنار الجامع الاعظم بمحروسة مكناس ، وقلدنــاه القيام بوظيفها المبنــى ــ فى الشرع ــ على اساس ، وأقررنــاه فى ذلك مقر الطالب الجيلالــى الرحالى رحمه الله ، وجعلناه فى مكانه وأجريناه مجراه ، على أن يسلــك فى حسن القيام بذلك المسلك المعتبر ، ويجرى فيه على الضابط المقصــود والشرط المقرر ، ويلازم المقابلة فى التعديل بتحرير المناط وتصحيح النظر ، من تعرف الازمنة وأحوالها ، والمواظبة على استخراج المطالب التى تحدث مدة انقلابى الشمس وتنعدم عند اعتدالها ، واستدامــة أخذ الارتفاعات ، وارتصاد تفاوت المطالع البلدية بالدقائق والدرجات ، واختلاف الظــلال والميل والفضلة والغايات ، لتحقيق تعديــل الساعات ، وتقويــم مواقيت الصلوات المبنية على عرض البلد ، الذى عليه يعتمد واليه يستند ، مــع استحضار ما يراد من تعديل الكواكب والدرارى ، المسخرة فى المنطقــة الفلكية بالقدرة الازلية وتأثير البارى ، عملا بمقتضى هذه الخطة الرياضية ، وقياما بمشروع حكمها المتردد بين الفرضية والكفائية ، لقوله تعالى فــى محكم الكتاب : هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منــازل

1 ــ من كناشة للعباس بن الفقيه محمد بن عبد الرحمــن السجلماســى الحجرتى ، خ ، ع ، د 34 36 ــ ص 470 .

لتعلموا عدد السنين والحساب ، وقوله صلى الله عليه وسلم : «تعلموا الوقت ولا تكونوا كالذين يؤذنون على أذان بعضهم بعضا» ·

وأذنا له فى قراءة الفرائض مع الطلبة بالمنار المذكور كما كان من قبله ·

وعليه فى ذلك كله بتقوى الله التى هى نتيجة التعديل ، وداعية الاستقامة لاقوم سبيل ·

ونأمر ناظر الاحباس الكبرى حينه ، أن ينفذ له من المشاهرة ما كان منفذا للرحالى قبله ، والله يلهمه الصواب فيما كلف به واسند له ·

والسلام ، 12 ربيع الثانى ، عام 1309 (1) ·

* * *

والآن سيستعرض هذا البحث زمرة من الفلكيين المبتكرين والمؤلفين فى هذه الفترة ·

1 — السلطان محمد الرابع

اخترع آلة لاستخراج المطالب التوقيتية ، ووضع فى طريقة العمل بها رسالة سماها : «نخبة الملوك لمن أراد الى الاوقات أو القبلة السلوك» ، ولا تزال هذه الآلة غير معروفة ، وانما الموجود هو الرسالة التى تصف خطبتها هذه الآلة هكذا :

«·· اخترعت شكلا ثابتا ، شافيا كافيا لما صنف قبله فى العروض ، والسموت ، والجهات ، والميول ، والظلال ، والارتفاعات ، والاطوال ، والاوقات ، والقبلة» ·

ثم يذكر المؤلف تكليف بعض اصحابه بصنع هذه الآلة طبق تصميم وضعه لها :

«فلقنت عمله المختصر البديع الافخم ، للطالب محمد الاشخم ، المتعين من بعض حذاق أصحابنا فى ذلك ، لينتج منه آلة على نحو الاشارة ، فأنقها وطرزها واتقنها ، ففاقت الرومية الآتية من هنالك ، وقد أسفرت عن وجه التحقيق اللثام ، وتحت الشمس ينسكب الغمام» ·

ولم يتوضح هنا شكل هذا الاختراع ، وانما تسميه الرسالة مسطرة

---

1 — من نسخة من اصل هذا الظهير ·

عند بيان طرق استخدامه فى المطالب التوقيتية ، فيكون شبيها بالآلة التى كانت تسمى بالمغرب «الركلة العجمية» : «مقياس جنتر» ·

والغالب ان هذه الآلة الاخيرة هى المعنية بالمقارنة التى جاء فيها : «ففاقت الرومية الآتية من هنالك» ·

والرسالة مفتتحة بمقدمة ذكر فيها من خاض فى هذه العلوم من الاعلام ، وحكم الاشتغال بها ، وقد جعله تعتريه الاحكام الشرعية الخمسة، مع استعراض ادلة الجواز ، وبعد هذا تخلص للموضوع ، واخذ فى ذكر طرق استعمال هذه الآلة فى المطالب التوقيتية ·

والمعروف — لحد الآن — من هذه الرسالة ثلاث نسخ : الاولى فى المكتبة الاحمدية ، والثانية فى المكتبة العبد الرزاقية بمراكش ، والثالثة فى الخزانة العامة بالرباط ، وهى تحمل رقم د 266 ، وتقع فى تسع صفحات ، مسطرة 20 ، مقياس 175/230 ، خط مغربى جميل ملون ، خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ ، ويلاحظ أن النسخ الثلاثة كلها خالية من رسم للآلة المخترعة ·

2 — محمد بن محمد الاشخم

وهو الذى ورد اسمه — قريبا — فى خطبة «نخبة الملوك» ، حيث تذكر أنه تولى اخراج الآلة الآنفة الذكر ، وهذا لايزال مجهول الترجمة ، وقد جاء ذكره فى وثيقة حبسية مؤرخة فى 3محرم عام 1274 هـ/1857 م، (1) وفيها يسمى : محمد الاشخم الزرهونى ·

3 — محمد ابن كيران الفاسى

ان هذا لم يوقف له على ترجمة ، وانما توجد معلومات متفرقة عنه سيرد ذكرها فى هذا البحث ، وقد بقى بقيد الحياة الى أيام السلطان الحسن الاول ، حيث كان يتولى توقيت منار جامع الرصيف بفاس عام 1306 هـ ، والمعروف من آثاره هو :

ا — اخترع «ثمن الدائرة» فى الاعمال التوقيتية وغيرها ، واستخدمه بدلا من «الربع المجيب» المتداول فى هذه الاعمال ، (2) وقد طبع هذا

---

1 — الوثيقة واردة فى «اتحاف أعلام الناس» ج 5 ص 123 ·
2 — «الدرر الفاخرة» لابن زيدان ص 96 ، مع قطعة من تاليف للمترجم سنتحدث عنها وشيكا ·

الثمن بالمطبعة الحجرية الفاسية ، وتفيد قطعة — آتية الذكر — للمترجم : انه أضاف لهذا الثمن ضلعا : ثابتا ومتحركا كالاقواس الرومية ، واستغنى بهذا عما يستخدم به الربع المجيب : من الخيط والمرى والشاقول ، ولم يطبع هذا الضلع مع الثمن ، وحسب نفس القطعة فقد كان الذى وجه المترجم لهذا الابتكار ، هو أحد الاشراف الوزانيين من اهل فاس ، فى عام 1264 هـ/1847 — 1848 م .

ب — رسالة فى طريقة العمل بالجهاز المبتكر ، أشار لها فى نفس القطعة ، ولم أقف عليها (1) .

ج — اختراعات أخرى مهمة ضاعت بموته ، وقد أشار لها ابن زيدان فى «الدرر الفاخرة» ؛ (2) دون أن يحدد موضوعها .

د — «شرح مقدمة فى الهندسة المساحية» لداود الانطاكى ، ويوجد من هذا الشرح قطعة من آخره فى الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 1051، وهى خالية من اسم المؤلف ، الذى يعرف بواسطة فقرات من نفس القطعة وردت فى مصدر آخر (3) ونسبت للمترجم باسم محمد بن المفضل ابن كيران الفاسى ، مع تحليته بالفقيه ، الموقت ، الحيسوبى ، المهندس ، الطبيب .

ومن محاسن هذه القطعة أنها ذيلت بأمثلة من معضلات الصناعة القديمة والحديثة ، حيث يبرهن المؤلف — فى هذا الصدد — على اقتدار هندسى ، وبعد هذا تأتى خاتمة الشرح ، وقد ذكر فيها فضيلة علم الهندسة المساحية ، وتحدث عن نهضة علم الفلك — بالمغرب — فى القرن الثالث عشر للهجرة ، ولاهمية الموضوعين فى التعريف بالمترجم ، سيكون من المرغوب فيه اثبات النص الذى يتناولهما — معا — فى ذيل هذا الباب .

وقد بقى — بعد هذا — أن نذكر أن هذه القطعة تقع فى ثمان صفحات، مسطرة 13 ، مقياس 180/233 ، خط مغربى مجوهر مليح ملون مجدول ،

---

1 — المعروف هو أرجوزة له فى نفس الموضوع من صفحة واحدة ، فى مجموع بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3651 — ورقة 127 أ .

2 — ص 96 .

3 — «الروض المنيف فى التعريف بأولاد مولانا عبد الله الشريف» ، تأليف أبى محمد عبد الله بن الطيب بن أحمد الوزانى الحسنى ، الجزء الثانى ، خ·ع ، ك 2304 .

خال من اسم المؤلف والناسخ ومن تاريخ التاليف والنسخ ٠

هـ ــ «الدرر اللوامع ، فى فنون الموقت الجامع المانع» ، **درس فيه** ثلاثة علوم : الحساب ، والهندسة ، والهيئة ، وقد وضح بعض مسائل هذا العلم الاخير برسوم كروية متنوعة ، كما أدرج فى علم الهندسة نص شرحه للمقدمة الانطاكية ، وهو الشرح الآنف الذكر عند رقم د ، غير أنه لم يورد خاتمته بتمامها ، وأخيرا يختم «الدرر اللوامع» بقصيدة فى مدح الحسن الاول ٠

منه نسخة فى 62 ص ، مسطرة مختلفة ، حجم متوسط ، خط مغربى مجوهر مليح ملون مجدول ، وهى بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 1966 ٠

4 ــ عبد الرحمن العلج

سبق الالمام بترجمته ، ونذكر هنا أن له يدا فى نشر العلوم الرياضية والعسكرية الحديثة بين المغاربة الذين أخذوا عنه بفاس ومراكش وغيرهما (1) ، ومن مؤلفاته :

أ ــ رسالة فى الكرة ، أولها : «أقول ــ بعد حمد الله والصلاة على رسوله المصطفى ــ أن الكرة لا ينتفع بها من لا يتقن دراسة خواصها ٠

رتبها على الاعمال ، وذكر فى الكرة السماوية 37 عملا ختمها بالكلام على صور الكواكب ، ثم ذكر فى الكرة الارضية 34 عملا ، وتحدث فى آخرها على الآلة التى اخترعها كوبيرنيك ٠

منها نسخة عند موقت مراكش ، العلامة الفلكى الجليل ، محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الرازق ، حيث وقفت عليها بمنزله عشية يوم الاثنين 13 شعبان عام 1380 هـ/30 يناير سنة 1961 م ٠

ب ــ **«رسالة فى الاعمال اللوغاريتمية»** نسبها له فى «الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام» (2) وفى «منهاج كشف الحجاب» (3) للحسن المشيشى آتى الذكر ، يفيد أن هذه الرسالة تعريب للاعمال اللوغاريتمية ٠

1 ــ «الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام» : القسم المخطوط ــ عند ترجمة المذكور ٠
2 ــ القسم المخطوط أيضا ٠
3 ــ ورقة 88 أ من المجموع الواقع به هذا المصدر الذى سنتحدث عنه قريبا ٠

5 ــ الحسن المشيشى

اسمه الكامل : الحسن بن عبد الرحمن المشيشى المراكشى ، ولم اقف على ترجمته التى يتوقع أن تكون ضمن القسم المخطوط من الاعلام للقاضى عباس بن ابراهيم ، وقد الف :

«منهاج كشف الحجاب ، عن التوقيت والقبلة بالآلة وغريتمو والحساب» افتتحه هكذا : «الحمد لله الذى جعل السماوات والارض وما فيهن دليلا على وحدانيته» ، ثم قال :

«هذا تقييد بعض ما يتعلق بالتوقيت بعمل الربع ، والحساب ، وعمل غريتمو · واسطرلاب ، والكرة ، وتسطير الساعات المعتدلة : المبسوطة ، والمنكوسة ، والمنحرفة ، وعمل غريتمو هو المقصود عندى بالذات ، وغيره كالبرهان على عمله» ·

ابتداه بمقدمة فى رسوم الربع والاسطرلاب والكرة واصطلاحات غريتمو ، ثم تخلص للموضوع حيث صنفه فى 18 بابا ·

منه نسخة فى الخزانة العامة بالرباط ، أثناء مجموع يحمل رقم د 1423 ، من ورقة 79 ب الى ورقة 127 ا ، مسطرة 23 ، مقياس 175/225 ، خط مغربى لا بأس به ملون مجدول ، خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ ، ثم وقفت على نسختين أخريين ، من نفس الرسالة، وهما ــ معا ــ بالمكتبة الصبيحية بسلا ، أول مجموعتين رقم 1620 ، ورقم 1622 ·

6 ــ عبد السلام الاودى

وهو عبد السلام بن ادريس بن أحمد بن عبد القادر الاودى السبيطى، ميقاتى الامير محمد الرابع أيام خلافته عن والده ، ويعرف بالفلكى ، لم أقف على ترجمته ، وانما تعرف له رسالته الآتية وشيكا ، مع رسالة أخرى فى العمل بالاسطرلاب، وضعها برسم الحسن الاول قبل مبايعته «نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 45» ، ويهمنا من هذه الاخيرة تاريخ الفراغ منها : فى 2 ربيع الاول عام 1288 هـ/1871 م · وهكذا نستفيد أن المترجم بقى بقيد الحياة حتى هذا التاريخ ، أما الرسالة المعنية بالامر فقد سماها :

«فتح الملك العلام ، على عبده الذليل الضعيف الاودى السبيطى عبد السلام ، فى التوصل الى معرفة الاوقات بالخيط والقلــم» ، جعلها فــى التوقيت ، وخللها بالهيئة وغيرها وبما تحتاج له من الهندسـة ، وهذا هــو موضوع المقدمة ، وقد استكثر فيها من الابواب فجعل لكل مسألة بابا تقريبا، حتى جاءت مرتبة على 120 بابا عدى المقدمة والخاتمة ، أولها :

الحمد لله فاتح الابواب ، مقلب القلوب مدبر الامور ومهىء الاسباب ٠

والجديد فى هذه الرسالة بالنسبة لزمنها : انها تستخرج المطالــب التوقيتية ــ الى جانب الربع المجيب ــ بالنسبة اللوغارتيمية ، وقد خصص لهذا الموضوع الابواب 106 حتى الباب 120 ، ثم جعل «الخاتمة» فى الرماية بالمدفع والمهراس ، وصنفها فى تسعة فصول ، وهو يستخــدم فى بعض مطالب هذه الخاتمة الربع المجيب ، كما يستعمل آلة يسميها الركلة العجمية: «مقياس جنتر» ٠

فرغ من تأليفها ليلة الخميس متم جمادى الاولى عام 1275 هـ/1859م٠ وقفت منها على نسختين: أهمها نسخة المكتبة الملكية بالرباط ، وهى تحمل رقم 1040 ، فى 64 ورقة ، مسطرة 18 ، مقياس 185/225 ، خط مغربى لا بأس به سريع ملون ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، وتتخللهــا الحاقات بخط مغاير قد يكون خط المؤلف ، وقد صدرت بتقريظ عليها بخــط شرقى مليح ، وامضاء عبد الله بن الرئيس على ، شيخ زمزم ، وصاحب الوقت بمكة المشرفة ، فى 19 حجة عام 1275 هـ / 1859 م ٠

7 ــ السعيد المراكشــى

كتب «رسالة فى الاعمال اللوغاريتمية» ، ولا تعرف الا بواسطة حفيده عمر بن محمد بن السعيد ، حيث اقتبس منها فقــرات أثبتها بنصها فــى كتابه : «شد الرحلة» آتى الذكر ٠

8 ــ أحمد الصويرى

وهو المتكرر الذكر فى هذه الدراسـة ، وكان حسب الاعلام ، (1) عارفا بالحساب ، والتوقيت ، والتنجيم ، وعلم الاحكام الفلكيــة ، والتعديــل ، وتسطير الرخامات ، وعلمها وما يتعلق بها ، وعلم الهيئة ، وقد وضــع

---

1 ــ للقاضى عباس بن ابراهيم ج 2 ص 266 ــ 267 ٠

مؤلفات وتعاليق فى الحساب والجبر والمقابلة ، وفى الاعمال اللوغاريتمية ، وحل أشكالا هندسية ونقلها الى الاعمال الحسابية ·

وهناك بعض أعمال فى اللوغاريتم ورد نقلها عن المترجم فى المؤلف الآتى الذكر : «الكواكب الدرية فى الاعمال اللوغاريتمية» ، أما آثاره فلا يعرف منها سوى :

رسالة فى شرح طريقة العمل بجداول اللوغاريتمات ، ويسميها : «غنية الطالب وتذكرة اللبيب ، واثمد لكل محب وحبيب» رتبها على ثلاث مقالات :

الاولى : فى استعمال العدة العشارية ، فى الاصول الحسابية ، وفيها مقدمة وثمانية فصول ·

الثانية : فى انشاء اللوغاريتمات ، وأعمالها الحسابية ، وفيها ثمانية عشر فصلا ·

الثالثة : فى وجوه استخراج مطالب الميقات ، وحساب مجاهل المثلثات ، بواسطة اللوغاريتمات ، وفيها ثمانية عشر فصلا وخاتمة ·

كتبها بمكناس ، وجعل حساباتها على عرض نفس المدينة وطولها ، وقال عن تاريخ التأليف : «وكان الفراغ من تقييده بعد زوال يوم الاثنين ، الحادى عشر من صفر الخير ، عام 1278 بمدينة مكناسة الزيتون» ·
مخطوطة خاصة بها 100 ص ، مسطرة 23 ، مقياس 113/180 ·

خط مغربى مجوهر دقيق جميل ، ووقع الفراغ من انتساخها يوم الجمعة 26 من صفر الخير ، عام 1279 هـ ، على يد قاسم بن محمد بن قاسم ابن ابراهيم أصلا ، التادلى المكناسى الدار منشئا حسب تعبير الناسخ ·

يتخلل الرسالة جداول ورسوم توضيحية ، على بياض وقع فى مكان جدول واحد ، وهناك نسخة ثانية منها ، وقد وقفت عليها أخيرا بالمكتبة الصبيحية بسلا ، وتقع ثانية مجموع يحمل رقم 1620 ·

ومن المصادر الحديثة للرسالة :

— «ثمرة الاكتساب ، فى علم الحساب» ، «معرب» ·

— مؤلفات اللوغاريتمات الفرنسية والانكليزية ·

— كتاب لالاند الفرنسى ·

— خرائط جغرافية حديثة ·

ومن أفكار مؤلف الرسالة ما يسجله عند الفصل الرابع من المقالة الثانية ، وهو يعقب (1) على ذكر مخترع الجداول اللوغاريتمية ويقول :

«اعلم أن الروم مسبوقون بما ادعوا اختراعه من هذه الاسوس الاصلية والنسب الاساسية ، ولا فضيلة اختراع لهم ، لان علماء الاسلام — أبقى الله بركتهم — هم المتكلمون فى ذلك ، والمؤسسون له قديما ، وقد نص على ذلك ابن البنا فى التلخيص وفى الاصول والمقدمات من علم الجبر ، ونظمه الامام الفارسى ، ثم الامام ابن غازى من بعده وأجاد ···

نعم للروم مزية الاعتناء بتلك الاصول ، وامعان النظر فيها ، واستقرائها ، وتنوع جزئياتها ، واستخراج ما هو منها فى القوة الى الفعل ، وتدقيق معانيها ، حتى صارت دعاويها النظرية كأنها بديهية ، ثم استعانوا على تسهيل ذلك بتركهم أخذ الجذر الغير المنطق بالكناية بأن أخذوه تقريبا ، ودققوه بواسطة الكسور الاعشارية ، وبعد تحصيلهم لذلك سطروه فى جداول ، وسموها جداول اللوغاريتمات ، فنسب لهم اختراعها ·

ومن الادلة الواضحة أن ما ادعوه باطل ، ان معنى اللوغاريتم بالعربية الأس ، وان النسبتين اللتين بهما استعانوا على تسهيل ما سطروه فى تلك الجداول ، هما النسبة الهندسية والحسابية ، أعنى التناسب على الكيف والكم ، وهذا أمر معلوم فى أصول الحساب ، وقد ضمنه ابن غازى فى نظم المنية ···

ومن خواص هاتين النسبتين استخرجوا ما سموه باللوغاريتم ·

---

1 — يهدف الرياضى المغربى بهذا التعقيب ، الى اثبات أن الرياضيين العرب — وبينهم المغاربة — كانوا قد مهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات ، خلافا للشائع بين علماء الافرنج ، ومن الاكيد اضافة هذا التعقيب المغربى ، الى ما ورد عند الاستاذ قدرى حافظ طوقان ، فى كتابه : «تراث العرب العلمى» ، الطبعة الثانية — ص 65 — 68 ·

وأما ما ادعوه (من) اختصاره من الاعمال الحسابية بواسطة اللوغاريتمات ، وذلك رد الضرب والقسمة للجمع والطرح ، وأخذ جذر أى درجة الى ضرب وقسمة بسيطين ، فأصله معلوم ومقرر فى كتب علمائنا أبقى الله بركتهم ، وذلك أن رد الضرب للجمع الذى هو أصله فى الحقيقة ، ورد القسمة للطرح الذى هو أصلها كذلك ، فطالع شرح المنية لابن غازى عند قوله :

الضرب والقسم من السطوح ٠

واصله ما نظمه ابن غازى فى المنية فى باب ضرب الاجناس ٠٠ و ٠٠ فى باب قسمة الاجناس ٠

وأما رد التجذير للضرب والقسمة الذين هما أصلاه، بقسمة أس العدد المطلوب ضلعه على عدة آحاد درجته لاستخراج ضلعه ، لأنا اذا أردنا ضرب أى عدد فى مثله : أى تضعيفه بقدر آحاده ، أو ضربه فى مثله — مرارا — لتخميسه وتسديسه الى آخره ، فعلى ما ذكر فى رد الضرب للجمع يلزم أن تجمع أسوس المضروبات ، ومجموعها يكون أسا لناتجها ٠

فاذا تقرر هذا يعلم منه أنه اذا أريد أخذ ضلع أى عدد يقسم أسه الذى هو النسبة اللوغاريتمية على عدة آحاد درجته ، أعنى على عدد المرار التى يضرب بها فى مثله ، وعلة هذه القسمة هو ما تقرر فى الاصول ، من أن خارج القسمة اذا قسم على أحد المضروبين خرج الآخر ٠٠ ومن حيث كون هذه المضروبات — اثنين كانت أو اكثر — متماثلة كما وكيفا ٠ اطرد فيها قسم ناتجها على عدة آحاد درجته أى قوته» ٠

ومن صفحات الرسالة ما جاء فى الفصل 16 من المقالة الثانية ونصه :

«الفصل 16 : فى البحث عن استخراج مقادير الجيوب والظلال ولوغاريتمياتها ، المثبوتة فى الجدول الثانى والثالث من جداول اللوغاريتميات الثلاثة من الجدول الاول الذى هو الاصل له ٠

لم أقف على من نص على ما يستخرج ما ذكر ، الا انى كنت سمعت من بعض المهندسين الممنون عليه : ان القاعدة فى ذلك أن تفرض تجزئته خطا مستقيما لاجزاء كثيرة ، ويتخذ أساسا لذلك ، فلم يفدنى منه هذا الكلام شيئا ، فأعرضت عنه واشتغلت أبحث عن المقصود فيما هو تحت اليد من

اللوغاريتميات الفرنساوية والنجليزية ، مع أن رسائلها كلها مكتوبة باللغة العجمية ، وانما أصفح أمثلتها لعلني أعثر عن المقصود أو على ما يشير اليه، فوقفت على ترجمة فى لوغاريتم النجليز تكلم فيها على استعمال الجدولين الاخيرين من اللوغاريتم ، المرقوم فى أحدهما نسب الجيوب والظلال ، وفى الآخر نسب الاعشار فى الاعمال الفلكية : أن نصف القطر يجزؤ لعشرة ملايين ، ومن أى جزء من أجزاء المحيط ، كثانية أو دقيقة أو درجة ، تنزل أعمدة على هذا القطر المجزء ، ثم تعلم نسبها من المذكورة .

فجمعت هذا لما سمعت من المهندس المذكور ، فغلب على الظن أنه المقصود ، فصورت له شكلا وامتحنته فوجدته المقصود ، وأعماله صحيحة لله الحمد وله المنة ، ولا أدرى لماذا سكت عن هذا المعنى مؤلف ثمرة الاكتساب ..

ثم لما استقرات أحوال الشكل المذكور ، تحقق لدى أن الاجزاء التى تجزأ بها القطر المذكور ، هى الاعداد المثبتة فى الجدول الثالثة من اللوغاريتم المكتوب أعلاه : «نسبة عشارية» ، وهى المسماة بالجيوب المحلولة ، ولوغاريتمياتها أى أسوسها هى أسوس الجيوب والظلال والسهام ، وتماماتها المثبتة فى الجدول الثانى من اللوغاريتم المكتوب أعلاه : «نسبة جيبية ، نسبة ظلية» ..»

9 ــ الحسن المزميزى

وهو أبو على الحسن بن محمد المزميزى المراكشى ، المتوفى أواسط العشرة الثانية من هذه المائة الهجرة : 14 ، وكان ــ الى جانب تضلعه فى كثير من العلوم ــ صدرا فى علم التنجيم والحساب والعمل بالآلات الميقاتية الحديثة (1) ، وله :

«حاشية على رسالة فى الاعمال اللوغاريتمية» ، وهى رسالة عبد الرحمن العلج سابق الذكر عند رقم 4 ، نسبها له فى الاعلام بمن حل بمراكش من الاعلام (2) .

1 ــ السعادة الابدية ، فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ــ ج 1 ص 104 عند ترجمة المذكور .
2 ــ القسم المخطوط : عند ترجمة العلج .

10 — الطاهر الحمرى

واسمه الكامل : الطاهر بن المحجوب بن محمد الحمرى السعيدى المراكشى ، لم اقف على ترجمته التى يغلب أن تكون ضمن القسم المخطوط من الاعلام المراكشى ، وورد ذكره فى المطبوع من هذا المصدر (1) بين الاخذين عن أبى العباس أحمد الصويرى ، محليا له بالبارع فى التعاليم ، وله :

أ — «الكواكب الذرية ، فى الاعمال اللوغاريتمية» ، وضعه برسم السلطان عبد العزيز بن الحسن الاول ، ورتبه على مقدمة وثلاثة وأربعين بابا ، وفى كل باب فصول ، وأوله :

الحمد لله مقدر الاوقات بقدرته ، ومدير الكواكب بارادته ·

فرغ من تأليفه يوم الجمعة 11 صفر بالروؤية ، الموافق لـ 12 بالعلامة ، من عام 1316 هـ / 1898 م ·

منه نسخة خاصة ضمن مجموع ، من ص 80 الى ص 131 ، مسطرة 20 ، مقياس 175/210 ، خط مغربى متوسط واضح ملون ، عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ الذى هو محمد بن أحمد المزوى الفاسى ، وهناك نسخة أخرى منه بالمكتبة الصبيحية بسلا ، ثالثة مجموع يحمل رقم 1620 ·

ب — «الدستور ، فى أوقات المعمور» ، نسبه له مؤلف «الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام» (2) ، ورأيت من ذكر وجود نسخة منه بخط مؤلفه ·

11 — عمر بن محمد بن السعيد المراكشى :

مؤلف «شد الرحلة ، لعملى لوغاريتمو والركلة» ·

وهو يستعرض فى افتتاحيته الآلات الفلكية المتعارفة ، ويذكر منها الاسطرلاب ، والربع المقنطر ، والربع المجيب ، ونصف الدائرة ، والربع المظلم ، وذات الحلق ، والكورة ، ومن الاجهزة الحديثة يسمى : الربع الشعاعى ، والثمن ، والقوس الزجاجى ، والمقاييس الحديثة التى يسميها بالركلات ، واخيرا : كتاب لوغاريتم ·

---

1 — ج 2 ص 267 ·

2 — ج 2 ص 267 ·

وبعد هذا يلاحظ انه وجد تحقيق العمليات الميقاتية باللوغاريتم أصح واضبط ، ويليه العمل بما يسميه بالركلة ٠

وهو يضع هذه الرسالة حتى يشرح بها طريقة العمل بالجهازين لاستخراج المطالب الميقاتية وما اليها ٠

وعن مصادره الاساسية يذكر ثلاثة :

— ما اخذه عن أستاذه عبد الرحمن العلج ٠

— ما وجده فى رسالة جده السعيد المراكشى فى الاعمال اللوغاريتمية٠

— كتاب الجامع الاسبانى ٠

هذا الى مصادر أخرى ثانوية ، نخص بالذكر منها كتاب لالاند الفرنسى ٠

والرسالة مرتبة على مقدمة وعشرين بابا ، وتتناول المقدمة :

1 — التعريف بكتاب لوغاريتمو : فتذكر تسميته ، وواضعه ، وطريقة العمل به ٠

2 — التعريف بمقياس جنتر «ويعرف فى المغرب باسم «الركلة» ، وهو يذكر وصفها ، ورسومها ، وطريقة العمل بها ٠

وبعد هذا يأخذ فى تقديم الابواب العشرين للرسالة ، ويلاحظ فى خاتمة الباب الاول : اهمال كثير من المؤلفين الميقاتيين للكلام على طريقة استخراج الدرجة ٠

ويتناول فى الباب الثالث معرفة أخذ الارتفاع ، حيث يستطرد الحديث عن القوس الزجاجية الملونة لتحرير طريقة أخذ الارتفاع بها ، لعدم من تعرض لذلك من المؤلفين المغاربة المعنيين بالامر ، ولا يستثنى من هذا سوى جده السعيد المراكشى الذى أخذ ذلك عن حكيم انجليزى وغيره ٠

وبالاضافة الى الابواب المتعارفة لاستخراج المطالب التوقيتية ، يتناول — فى الباب التاسع عشر — طريقة استخراج سموت فضل الدائر فى الرخامة على اختلاف أوضاعها ، وفى الباب العشرين يشرح كيفية التسطير على اللوحات أو الرخامات ٠

وقع الفراغ من تبييض هذه الرسالة عشية الثلاثاء 29 شوال عام 1318 هـ/ 1901 م ٠

ومنها نسخة فى حوزة الفقيه السيد احمد الكنسوسى من علماء ثانوية ابن يوسف بمراكش ، ص 82 ، حجم متوسط ، مسطرة 20 ، مكتوبة بخط مغربى مراكشى مليح ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

12 — الاغـــزاوى

محمد بن على بن عمرو بن على الاغزاوى الفاســـى ، المتوفى عـــام 1340 هـ / 1922 م ، شيخ علوم الفلك والتنجيم بفاس ، وآخر من صنـــع الاسطرلاب — بيده — فى المغرب (1) ، ويوجد من بين مؤلفاته :

«رغبة أولى الالباب ، من طلاب علم الميقات بلوغاريتم المستطاب» ، شرح فيه نظمه الرجزى لقواعد اللوغاريتمو ، وهى التى جمعها أستـــاذه عبد السلام العلمى مار الذكر ، وضمنها المقالة الثانية من المقدمة التى صدر بها شرحه للارجوزة المسماة بتحرير المواقيت لعبد العزيز الوزكانى آتـــى الذكر ، وقد أكمل المترجم مؤلفه هذا أواخر عام 1321 هـ ، وجاء فى آخره : «وقد كنت سودت على هذا النظم عدة رقاع فاغتالتها يد الضياع ، ثم أعدت هذه الاوراق .. ووافق الفراغ من تبييضه ليلة الاحد ، متم شوال الابـــرك بالعلامة ، عام واحد وعشرين وثلاثمائة والف» ؛ وبهذا يكون تأليف هـــذا الشرح وقع قريبا من الفترة التى ندرسها .

أوله : «الحمد لله بجميع المحامد ، والصلاة والسلام على سيدنـــا محمد الرسول الشاهد ، وعلى آله وصحابته الاعلام الاماجد» .

ومطلع النظم :

حمدا لرافع السماوات الطبـــاق

ثم على الشفيع فى يوم التـــلاق

يوجد من هذا الشرح ثلاث نسخ نواقص الاواخر ، أولاها بالمكتبـــة الملكية رقم 7083 ، وهى مكتوبة فى دفتر مدرسى فى 17 ورقة ، ووقع بياض فى أكثر الورقة الاخيرة ، مسطرة 23 ، مقياس 185/230 ، خط مغربـــى

---

1 — ترجمته عند القاضى احمد سكيرج ، فى فهرستـــه : «قدم الرسوخ ، فيما لمؤلفه من الشيوخ» ، خ ، ع ، د 3844 — ص 201 — 2 — 2 ، ثـــم فى «سل النصال ، للنضال بالاشياخ وأهل الكمال» ، للمؤرخ أبى خليل عبد السلام ابن سودة المرى ، «مخطوطة المؤلف» .

مليح سريع ، خال من تاريخ النسخ والتأليف واسم الناسخ ، الذى هو العلامة الفلكى محمد بن عبد المجيد بن عبد الرحمن اقصبى الفاسى تلميذ المؤلف ، أما النسخة الثانية فهى خاصة ، بخط أبى على الحسن بن محمد المنونى وغيره ، والثالثة بالمكتبة الاحمدية ، واخيرا : وقفت على مخطوطة رابعة من نفس الشرح بالمكتبة الصبيحية بسلا ، وهى تامة ، وتقع ضمن مجموع يحمل رقم 1650 ٠

وسيكون الفلكى محمد الاغزاوى ثانى عشر من تقدمهم هذه الدراسة، كأصحاب موضوعات فلكية جديدة ٠

وسينضاف لهؤلاء (13) اسم الحسن ابن جلون المراكشى، حيث ينسب له البعض تأليف «مقدمة» كتبها على «عمدة اهل الثبت ، فى منشأ اللوغاريتمات» ولم اقف عليها ٠

خاتمة :

وستكون خاتمة هذا الباب ، اثبات النص الذى ذيل به محمد ابن كيران الفاسى شرحه الذى وضعه على مقدمة فى الهندسة المساحية ، وحسبما تقدم فان هذا النص يشتمل على : « أ » ــ أمثلة من معضلات الصناعة القديمة والحديثة ، « ب » ــ فضيلة علم الهندسة المساحية ، ونهضة علم الفلك ــ بالمغرب ــ فى القرن الثالث عشر للهجرة ، ولاهمية الموضوعين فى التعريف بمحمد ابن كيران المذكور ، سنورد النص الذى يتناولهما ــ معا ــ فيما يلى :

«قلت ومما يتسلط به الذهن الثاقب على معضل الصناعة فى الزمان القديم : صناعة الكرة السماوية والارضية : أنظر السماوية فى حالة انشائها بعدما حقق صانعها قطرها ودورها وقسمها بادراج الثلاثمائة والستين ، وقسم البروج من نقطتى القطبين حيث ينتهى كل جزء من أجزاء البروج ، ثم وضع فيها صورها بعد رصد كل كوكب من كواكب الصور المتوسطة ، ووضعه فى محله بميله ومطالعه ، وقدره فى الاجزاء الستة ، وقاطع المنطقة بالمعدل ، واعتبر الحركة الاولى والثانية ، ثم فعل بالصور الشمالية الحادية والعشرين مثل ما فعل بالمتوسطة ، ورصد كواكبها كذلك بأميالها ومطالعها ،

وقدرها فوضعها بمكانها ، ثم فعل بالخمس عشرة صورة الجنوبية مثل الشمالية ، ثم وضعها مستوية على حالها فى أفق الاستواء ، ومائلة حيث يرتفع القطب ، وأخذ الاعمال بها فصحت ، فحق لصانعها ومنشئها الشرف والمزية بسبب هذه الاعمال ، حيث لم يسبق اليه ، كالارضية : حيث اعتبر بها صانعها البحار وقدرها فى العرض والطول ، وفصل الاقاليم المسكونة بها ، والمدن لكل اقليم ، وعرض كل مدينة وطولها حيث اقتضته المسامتة ، واعتبر حد كل مملكة فى طوائف الامم بها ، وجعلها نائبة عن السماوية فى الاعمال ، وهذا كله من بديع الصناعة ومعضلها ، كالجغرافيا المعبر عنها بالكارطة بالعجمية : البرية والبحرية كذلك ·

ومن معضل الصناعة أيضا : ما استخرجه الروم فى الزمان الحادث كزماننا هذا : من صناعة السفن البحرية والبرية المعبر عنها بالبابور ، والسلك المخبر به من أرض الى أرض ، وكل ذلك من ثمرة هذا العلم ، زيادة على صناعة الآلات المعبر عنها بالفابريكات بالعجمى — أيضا — لكل صناعة رقت أو دقت ، فسهل بها كل صعب : كأنواع المجانات ، والآلات المتحركة بأنفسها ولزمن مخصوص ولأمد كذلك ، وكونها تعمر فى جمعة وشهر وسنة ، وأن لاتعطى خللا ولا تزيد ولا تنقص بالمدة الطويلة ، وأن تخبر بالسوائع وأنصافها والارباع والاقسام الى غير ذلك ، وبالجمعة والشهر والسنة ، وطلوع أزمان الهياكل السبعة بها ، واستعمال النغمات بالصنطير والشبابات والطاسات بكل الساعات أو ببعضها (1) ، وكل هذه المذكورات انما توصل من توصل لها أو بعضها : انما كان سبب توصله التوغل فى هذا العلم ، وضبط أصوله وفروعه ، والضبط فى هذا الباب

---

1 — بخط أديب الرباط : محمد بن محمد التهامى ابن عمرو الاوسى ما نصه: دخلت يوما بيت الاخ الوفى الصادق ، العلامة ، أبى محمد صالح الحكمى — أمنه الله — فنظرت الى مجانة بديعة الشكل ، غريبة المثل ، معربة عن السنة والشهر والجمعة واليوم والساعة ودقائقها ، فقلت :

يا صالحا طاب فى الاخيار منبته ... وسالكا كل فج للهدى سلكوا
ما زلت تسمو الى العلياء مجتهدا ... حتى تدلى يزور بيتك الفلك

ـ بعد معرفة ما ذكـر ـ يكون بتحقيق الادوار : اى الدوائـر ونسبة مراكزها ـ حالة كونها متولدة : خماسية أو سداسية أو سباعية ـ الى الاربعة عشر والستة عشر فى الاكثر ، وغيرها فى الاقل ، وتحقيق الدافع والقابل فى الحركات ، والمرتفع : اى الرافع والخافض لها ، بعد تحقيـق التسامت والتقابل ، وما يحرك البعض ويترك البعض الى أوانـه الخاص به ، بحسب ما اقتضته النسب الهندسية ، واختصت به أعدادها لما يـراد منها ، واما معرفتها الحل والعقد والاصلاح والافساد فلكل نوع ضابط محقق·

وكذلك من معضل الصناعة ـ أيضا ـ تطابق الالحان والنغمـات العربية بالموسيقات الرومية الحادثة فى هذا الزمان ، فما كان منها علـى لسانهم العجمى فهو فى غاية الحسن والاتقان ، وما كان على لساننا العربى فهو فى غاية الاجحاف ، لكونهم اخذوه عن غير أهله : وهم اليهود (1) لعنهم الله ، ولم يخف على ذى لب أن الغالب عليهم اللحن والركاكة ، فلذلك لم تتقن ولم يكمل حسنها ، وانظر كيف وقع تساوى النغمات وترتيبها بالمشط وهى على خطة واحدة ، سوى ما كان فى نغمة الذيل والطبل والبوق مـن النذفات ، فاستثقلوه بثاقول ليتم أمره ويتقن ، وانظر ـ أيضا ـ كيف توضع الموشحات بها وما يتلفظ به الشخص يوضع فى البسيط ، حتى ينتهى دورا واحدا على أسطر بحروفه ، اينما استقرت نغمته علم ووسم بنقطة ، حتى يكمل الدور بكمال التوشيح ، ثم يوخذ فى غير طبعه كذلك : ان كان العمـل على أربعة من الطبوع أو ستة الى غير ذلك ، ثم يلف البسيط على المسمـى بالقنوط ـ اصطلاحا ـ منها ، وفى كل نقطة تجعل شوكـة هى الرافعـة لأسنان المشط ، أو لمطرقة الطاسات مع القابل والدافع لتبديل الطبع ، وهذا من معضل الصناعة والطفها ، واصل هذه الاشياء كلها : العلم الهندسى ·

خاتمـة : أذكر فيها فضيلة هذا العلم وبعض فروعه ، وجملة مـن اعتنى به من الاخيار والصالحين والملوك فى أفقنا المغربى ، فى هذه المائـة الثالثة عشر ، متبركا بذكرهم ، ومتمسكا بأذيالهم ·

أما فضيلته من حيث الصنائع فلا زالت موجودة مدة الازمان والدهور ،

---

1 ـ يقصد الاغانى العربية المسجلة بلسان اليهود ·

ما دامت النقطة وفروعها موجودة كذلك ، وأما من حيث العلوم فلا زالت ملوك مغربنا رحمهم الله حافظة ومحصنة لثغوره من العدو الكافر ، ومواسية لأهل العلم المساحي الذي هو من معظم فروعه ، ومسدلـــة نعمها عليهم ، ومقوية أعدادهم ، كالعلم الفلكي كذلك .

ومن جملة من اعتنى به من الاخيار والصالحين في صدر هذه المائـــة ــ كعلم الفقه ــ الولي الصالح ، والقطب المناصح ، سيدنا ومولانا علي بن احمد الحسني اليملحي الوزاني (1) ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، فكان يأتيه اهل هذا العلم من ثغر الرباط ويقيمون بحضرته المدة الطويلة ، فمنهم الفقيه المحقق المعدل السيد المعطي مرن «كذا» (2) ، كان ممن له في علم الفلك القدم الراسخ ، وعلى يديه ذلل ولد الولي المذكور : سيدي التهامي ابن علي (3) هذا العلم وانتفع به في حياة والده، ومنهم الفقيه الموقت الحاذق السيد علي مرسيل (4) ، وتلميذه السيد الحاج محمد التريكي (5) ، ولهـــم

---

1 ــ هناك تأليف في خصوص ترجمته بعنوان : «الكوكب الاسعد..» لمحمد بن محمد بن حمزة المكناسي : «مكناسة تازا» ، مطبوع بالمطبعة الحجرية الفاسية ، على هامش «تحفة الاخوان» لأحمد دعي حمدون الطاهري الحسني ، وفي «دليل مؤرخ المغرب الاقصى» ، ج 1 ص 190 : ذكر تأليفا ثانيا في ترجمته لمحمد بن أحمد بن محمد الرهوني الامام الشهير ، وله ترجمة مطولة في «الروض المنيف» : النسخة والجزء المذكورين في تعليق سابق ، ص 166 ، كما ترجمه أحمد بن العربي المدعو حسون ، الحسني الوزاني ، في فهرسته ضمن أشياخه ، حسب «فيلم» منها في الخزانة العامة بالرباط .
وأخيرا فان هذا هو الذي ورد ذكره أوائل «أوضح المسالك وأسهل المراقي» لأبي عبد الله الرهوني آنف الذكر ، ج 1 ص 5 ــ 6 ط . ف، بمناسبة استفادته من خزانته في وضع الديوان المذكور .

2 ــ ترجمته في تاريخي الرباط : «مجالس الانبســـاط» ج 1 ص 167 ، و «الاعتباط» ج 2 ص 116 ــ 117 ، حسب النسختيـــن السالفتـــي الذكر ، مع التاريخ الرجزي المعنون «باتحاف أشـــراف الملا. ببعض اخبار الرباط وسلا» ، لمحمد بن محمد بن علي الدكالي .

3 ــ ترجمته في «الكوكب الاسعد» ، الطبعة المذكورة قريبا ، ص 185 ــ 186 ، وفي «الروض المنيف» : النسخة والجزء المذكورين .

4 ــ لم أقف على ترجمته .

5 ــ ترجمته في «اتحاف أشراف الملا» و «الاغتباط» ج 1 ص 192 ، وقد سبق القلم مرجز المصدر الاول ، فجعل وفاة هذا في العقد الثالث من القرن 14 هـ ، وهو ــ بدون شك ــ سهو عن القرن 13 هـ :

بالحضرة الوزانية آلات متعددة في علم الفلك ، يصنعونها هنالك بحضرته، ومن صنع منها شيئا — في ارضه — بعث به للولى المذكور (1) ·

وكان — رضى الله عنه — يحض على تعلم هذا العلم ويبذل فيـه ، فممن فاق غيره فيه بالحضرة الوزانية وسمى على أهل زمانه من الاشراف : سيدهم ورئيسهم ولده سيدى التهامى بن على المذكور (2) ، وكذلك أخوه

---

1 — من هذا ما جاء في ترجمة محمد التريكى — آنف الذكر — من «الاغتباط» لدى ذكر أوضاعه الفلكية :
ومنها : ربع مجيب وضعه للامام العـارف ، أبى الحسن على بن مولانا احمد بن مولانا الطيب — رضى الله عنهم — وهو ربع متقن الصنعة ، محكم العمل ، نقش فيه أبياتا من انشاء الاديب ابن عمرو ، وتتضمن تاريخ وضعه، واسم من صنع له، وصاحب صنعه ، وهى :

تملكنـى امام العصر حقا على نجل أحمد ذى الثبات
أجاد محمد التركى صنعى فلى فضل على ماض وآت
اما أبصرت تاريخى برمز : «اعلم كل أوقات الصلاة»

1221 «هـ»

ونحو هذا وقفت عليه بخط شيخ الجماعة بالرباط ، الوزير ، محمد ابن عبد السلام الرندة الاندلسى الرباطى ·

2 — ذكر عنه في «الروض المنيف» : أنه كان يوقت بثلاثة عشر آلـة ، ولا يستبعد هذا ازاء الآلات الميقاتية التى كانت متداولة في وقته ، مثـل الاسطرلاب ، والربع ، والصفائح ، وتحت كل واحدة من هذه انواع ، وكذلك بعض الآلات الحديثة مثل الاقواس الرومية، اذا كان يستخدمها، وقد كانت وفاته عام 1250 هـ ·
وحسب طالعة الرسالة المعنونة بـ «كنز الاسرار ، وفيض الانوار ، في تعديل النيرين والخمسة المتحيرة بالادوار» ، فان هذا هو الـذى اقترح وضعها على مؤلفها : محمد المعطى بن احمد الطيب بن محمد مرين الاندلسى الرباطى المذكور شيخا له ، وموضوع هذه الرسالة في طريقة العمل بالزيج المعروف «بزيج زكوط» ، خ·ع ، د 2027 ، ضمن مجموع، وفي طالعة «حلية الكتاب ومنية الطلاب»، لأبى العباس احمد بن محمد الرفاعى : يذكر هذا المؤلف عن نفسـه : أنه كـان ينتسخ للمذكور — بوزان — كتب التعديل وما اليها، خ·ع ، د 254 ·

مولاى عبد الجليل بن على، كان له الحظ الوافر فيه وفى علم الطب كذلك (1) ولاسيما سيدى ووسيلتى الى ربى ، الولى الصالح ، والقطب الناصح ، مولاى الحاج العربى بن على ، رحمه الله تعالى ورضى عنه ، وكان كثيرا ما يحضنى على طلب هذا العلم فى حياته ، وعلى يديه نلته ، وباذنه تعلمته ، وجملة اخوانه أولاد الولى المذكور : سيدى أحمد بن على ، وسيدى محمد ابن على ، وسيدى عبد الجبار بن على ، وسيدى عبد القادر بن علـــى ، وسيدى ابراهيم بن على ، وسيدى عبد الله بن على ، كلهم تعلموا هذا العلم ونالوا منه فى حياة والدهم ، متعنا الله بذكرهم .

ثم ممن فاق غيره فيه من العامة بالحضرة الوزانية : الفقيه الحيسوبى الحاذق السيد عبد العزيز بن عبد السلام الوزكانى الوزانـــى ، رحمه الله تعالى ، ألف فى التوقيت بالحساب : أرجوزة فى غاية الاختصار والتحقيق ، ما سمح الزمان بمثلها ، وشرحها — بالعمل — فىزمن الولى المذكور ، وقال فى أولها :

الحمد للـــه قـــد جعـــلا   من آلـــة الشعاع ظـــلا بـــدلا

وقال فى تسميتها :

سميته التحريـــر للمواقيـــت   يرجـــح بالروضة واليواقيـــت

وله شرح على أبيات سيدى عبد السلام الرندى الملخصة القليلة العدد، التى أولها : فى نقطة أولى لميل بعد ، ومطلق فى آخرين يبدو .

اشتمل على علم التوقيت ، وله تأليف فى علم الموسيقى فى غاية الحسن والتحرير ، صور فيه آلة الطرب وأتقن قواعدها (2) واصولها ، وله نظـــم

---

1 — عبار قطعة «الروض المنيف» فى صدد السيد عبد الجليل هذا : «وكان — رحمه الله — ممن له فى هذا العلم وفى علم الطب والاسماء القدم الراسخ ، وقد صحبته وانتفعت به مدة من الزمن ، قدس الله روحـــه» .

2 — فى قطعة «الروض المنيف» : وأتقن قوائمها ، وهذا التأليف الموسيقـــى لا يزال مخطوطا .

ونثر على علم الجدول في سر التداخل ، وكان رضى الله عنه مشاركا (1) ، وممن قرا هذا العلم وبرع فيه في زمن هذا الولى رضى الله عنه : الفقيه السيد على الحداد (2) ، وكذا الفقيه البرنوصى الوزانى (3) ، وعدة من

---

1 — ان هذا النص يعدم معلومات فيها اشياء جديدة عن حياة عبد العزيز الوزجانى الذى لا نوجد له ترجمة كاملة ، وينبغى ان يضاف لهذا .
تاريخ ولادته الوارد فى اوائل «ابدع اليواقيت على تحرير المواقيت» لعبد السلام العلمى المتحرر الذكر ، وهو ليلة الاحد ، الثانى من صفر عام 1142 هـ ، وهناك مصدر ثالث يكشف عن ناحية أخرى من ثقافة المترجم ، وهو «فهرسة» ابى العلاء ادريس العراقى الفاسى «الحافظ» ، حيث يرد فيها شغف الوزجانى بالحديث والرواية ضمن اجازته من طرف استاذه العراقى الذى روى عنه وعن غيره من بعض اعلام فاس . مجموعة مهمة من كتب الحديث ، وقد سماها هذا فى استدعائه الاجازة من أستاذه المذكور ، وذلك بتاريخ عام 1167 هـ ، وقد ورد اسمه فى هذا الاستدعاء هكذا : عبد العزيز بن عبد السلام ابن احمد بن على بن احمد بن الحسين المعروف بالوزجانى ، ولتوضيح نسبة الوزجانى هذه نذكر ان هناك مخطوطا بالمكتبة الملكية بالرباط يحمل رقم 4031 ، وقد ذكر ناسخه نسبه هكذا : الحمدى ، ثم الوزكانى ، ثم الرهونى .
وبعد هذا : فانه يوجد بنفس المكتبة تقييد طبى للوزجانى لم يرد ذكره فى النص الذى نعلق عليه ، وهو : «رسالة فى أدوية الانسان من رأسه الى قدميه» ، وقد جاء فى أولها : قال الطبيب المتفنن فى العلوم، الموقت، السيد عبد العزيز الوزجانى : .. هذا كتاب الطب ، وما من مسألة فيه الا قد جربت وصح فعلها .. يقع فى 22 ص ، ضمن محفظة تحمل بهذه المكتبة رقم 2549 ، ويذكر ناسخه أنه حذف من آخره قطعة فى موضوع العزائم . وأخيرا فان الفقيه محمد بن عبد المجيد أقصبى يذكر من تلاميذ المترجم : محمد المعطى مرينو آنف الذكر ، ويفيد معلومات عن ابنه محمد المشهور بابن عبد العزيز : فقد لقى الشيخين الوزانيين : سيدى على بن أحمد وابنه الحاج العربى ، وعاصر الفقيه الرهونى ، وصار قاضيا بوزان ، وبنت الوزجانى كانت تخرج الفرائض العويصة .

2 — عبارة قطعة «الروض المنيف» : «ومنهم الفقيه ، الامام ، الذاكر ، المحقق، السيد على الحداد الخمسى، الوزانى، وقد ارتحل الى مدينة فاس فى آخر عمره ، واستوطن بها فكان من عدولها» .

3 — عبارة قطعة «الروض المنيف» : «ومنهم الفقيه ، الامام ، المحقق ، العدل ، الحيسوبى ، المنجم ، سيدى محمد البرنوسى ، الوزانى ، وقد أدركته الوفاة وهو ساجد بالمسجد الاعظم من زاوية وزان ، وقد أدركته وانتفعت به» . والغالب أن هذا هو المترجم فى «فهرسة» أحمد ابن العربى حسون ، باسم : محمد بن الحاج على البرنوسى الاصل ، الوزانى المنشأ والدار .

سـاداتنا الاشـراف غير المذكورين أولا (1) ·

ثم لما سـالنى بعض اخوان الصفا ، وخلان الوفا ، من أولاد المصطفى ، من الشرفاء الوزانيين القاطنين بالحضرة الادريسية ، وقال فى سؤاله : هل يمكن استخراج آلة من ربع الدستور (2) ، يصح بها العمل فيما هو مـــن الارض معمور ، ولتكن على الطريقة الجيبية ، جامعـــة للاعمال الليليـــة والنهارية ، سـافرت الى زيارة شـيخى ووسـيلتى ، مولاى الحاج العربى بن على ــ رضى الله عنه ــ فى تلك السـنة : وهى سنة اربعة وستين ومائتين والف ، فاتيت بالربع المجيب اليه ، وقلت : سـيدى نريد ان نقسم هذا الربع على نصفين ، ويقوم احد النصفين مقام الربع ، فان اذن بذلك سـيدى فعلت ، والا تأخرت ، ملتمسا البركة والاذن منه ، فقال رضى الله عنه : افعـــل ، واصنع منهما اثنين : احدهما ابعثه الى السلطان ، والثانى تقرؤ بـــه مـــع ولدى ، واجعل لهما رسـالتين ، ففعلت ، فلما تم عملهما واتيت بهما اليه مع الرسـالتين ، كان الامـــر كما قال رضى الله عنـــه ، فبعث بأحدهما ــ مع الرسـالة ــ الى السـلطان مولاى عبد الرحمان بن مولاى هشام ، رحمـــة الله تعالى عليه ، ونفعنا ببركاته ·

ثم بعدما توفى سـيدى رحمة الله عليه (3) ، وقع فى نفسى أن كثيرا ما تقع الزيادة والنقص به فى الآلة الجيبية انمـــا هو بسبب الخيط والمـــرى ، وقلت : لو كانا ثابتين ومتحركين لكان اتم ، ولم يقع خلل ، فجعلت للآلـــة ضلعة كالاقواس الرومية : ثابتة ومتحركة ، تنتقل منها واليها الاعمال بسرعة وشىء يسير من العمل ،فتم أمرها ، عند ذلك قلت : أنظر هذه الخاصية فى الربع ، حيث انطبق على الثلاثة ارباع من الدائرة واخبر عن جملتها ، فقام الجزء الذى هو الربع مقام الكل الذى هو الدائرة ، وكذلك تصفه ــ الذى هو الثمن ــ قد انطبق على ثمن مثله : اقواسا وجيوبا وظلالا ، فصار مخبرا عن السبعة أقسام الباقية من الفلك ، لان كل جزء جزء منه فى القوس كاف عن نفسه ــ كالحيوان كذلك ــ حيث كانت الاعمال تامة بـــه ، فوقـــع

1 ــ فى «الروض المنيف» : «وعدة من الطلبة غير المذكورين» ·
2 ــ هذا أحد أسماء الربع المجيب ·
3 ــ كانت وفاته ــ حسب «الروض المنيف» ــ فى الثانى من المحرم فاتـــح عام 1267 هـ / 1850 م ، وقد ورد ذكره فى هذا المصدر وغيره ·

الاختصار فى الجرم ، وحيث وقع فى الجرم وقع فى العمل لا محالة ، وضرورى عند اهل هذا العلم الهندسى أن الشكل اذا انطبق على شكل مثله صار مساويا ومماثلا ومعادلا له ·

وبه تبطل حجة من اراد ان يدعى القول فيه لعدم وقوفه على الاصول ، فيستحيل فى عقله القاصر ذلك ، ولذلك أنشدت هذه القصيدة على طريق السؤال من علماء الفن الميقاتى ، متبركا فيها بذكر ملك زماننا المنصور بالله ، مولانا محمد بن مولانا عبد الرحمان ، نصره الله ، لانه ممن يرجع اليه فى ذلك ، وذكرت فيها من اخلاقه واوصافه الجميلة ما هو كالشمس أو كفلق الصبح ، فقلت :

علماء الميقات دمتم هداة	يقتدى بكم ببر وبحر
هل اجاز برهان عقلكم السا	مى اختراعا من دورة ربع شطر
باختصار من الجيوب يضاهى	عمل الاصل وهو أسرع أمر
ثمن الدور فيه سر سباعى	تام عن نقطة وقوس وقطر
ليس بالخيط مع مر وشقول	هكذا فأقتضت صناعة حبر
تقضى فى نفس ولحظة منه	ما عسى ينقضى فى يوم وشهر
وله عمل المثل منه	تعلم الحركات ما دام يجر
والميول والارتفاعات والسمـ	ـت ، الجهات ، وقبلة منه تدر
ثم زيد علم المساحة فيه	وكذاك الرياح من علم بحر ؟
أم منعتم وجود هذا ولكن	انظروا صنعة الالاه بسر ··»

14 — موضوعات جديدة متنوعة

ويمتاز هذا الباب عن سابقه بأنه لايلتزم الفلكيات بمفردها ، وانما يستعرض المنتجين فى هذه المادة أو فى مواضيع أخرى ، ونقدم — فى هذا الصدد — اربعة من أعضاء البعثات :

1 — وسيأتى فى الطليعة العالم الميقاتى الطبيب : عبد السلام بن محمد بن احمد الحسنى العلمى الفاسى ، المولود بها عام بضع وخمسين ومائتين والف ، والمتوفى — بنفس المدينة — عام 1323 = 1905 ·

كان نبوغ هذا العالم المغربى فى ناحيتين : الاولى علم الميقات الذى

درسه ــ بالمغرب ــ على أشياخ لانزال لم نظفر بأسمائهم، (1) والثانية علم الطب الحديث الذى درسه بالشرق ، فلنحاول أن نتعرف على مدى نشاطه فى كلتا الناحيتين ، ولنبدأ بعلم الميقات الذى نجد له فيه الآثار التالية :

أ) اختراع آلة شعاعية سماها باسمين : «جعبة العالم» ، و «أسطوانة العالم» (2) وقدمها هدية للملك محمد الرابع ·

ب) اخترع آلة شعاعية أخرى سماها : «ربع الشعاع والظل» ·

واذا كان الاختراع الاول : «جعبة العالم» لا يعرف الا اسمه ، فان الاختراع الثانى نجد للمؤلف فى توضيحه ·

ج) رسالة سماها : «ارشاد الخل ، لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل»، وقد ضمنها صورة هذه الآلة، وكيفية استعمالها، وتاريخ اختراعها الذى هو عام 1283 = 1866 ، وصدرها بذكر الملك محمد الرابع الذى قدم هذه الآلة هدية لحضرته عام 1284 = 1867 ، وهــذه الرسالة طبعها مؤلفها بمصر لما كان يدرس بها فى صفحات «12» ، حجم صغير ، ومنها مخطوطة جيدة ضمن مجموع ، خ·ع ، ج 22 ·

وسوى هذ هالمبتكرات نجد للمترجم مؤلفا تناول فيه مبادىء علوم الرياضيات والهيأة ، وسماه :

د) «دستور أبدع اليواقيت ، على تحرير المواقيت» ، ضمنه عيون الفنون المبتكرة فى العصور الحديثة ، وجعله جامعا لمبادىء عدة فنون ، واستمد فيه كثيرا من الكتب المترجمة فى زمانه ، وهــذه هى الفنون التى تناولها هذا الدستور :

الفن الاول فى علم الحساب ، الفن الثانى فى فن النسبة العشارية اللوغريتموية ، الفن الثالث فى النسبة الستينية ، الفن الرابع نبذة من فن

---

1 ــ بعد هذا رايت الفقيه محمد بن عبد المجيد اقصبى يذكر من أساتذة المترجم والده محمد بن أحمد العلمى وأبا اسحاق ابراهيم التادلى الرباطى ه من خطه ·

2 ــ ذكر اختراعه لهذه الآلة أوائل مؤلفه «أبدع اليواقيت» الآتى الذكر ، وحسب أقصبى وبخطه : فان «جعبة العالم» التى ابتكرها المترجم كانت كالاسطرلاب الا أنها على شكل الطبل ، وقد جعل واحدة من هذه الآلة خاصة بعرض فاس واحتفظ بها لنفسه ، وأخرى جامعة قدمها للسلطان محمد الرابع ·

الترجمة فيما يتعلق بهذا الفن ، الفن الخامس مقدمات من فن الجبر بالاصطلاح الغربى ، الفن السادس فى الهندسة ، السابع المساحة ، الثامن علم المرآة وانعكاس الاشعة المعروف الآن بعلم الضوء ، التاسع علم الطبيعة ، العاشر علم الهيئة ، الحادى عشر علم التنجيم ، الثانى عشر علم الجغرافية ، الثالث عشر علم تسطيح الكرة ، الرابع عشر فن الرسم : يعنى تخطيط الآلات الميقاتية ، الخامس عشر فن حساب التواريخ، السادس عشر علم التعديل ، السابع عشر علم الميقات .

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا ، ومنه نسخة بمكتبة كاتب السطور تقف عند الفن العاشر الذي هو علم الهيئة ، يقع الموجود منها فى 64 ص ، مسطرة 23 . حجم متوسط ، ونسخة أخرى قريبة من التمام ــ بمكتبة موقت مراكش الحمراء العلامة الفلكى الجليل محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الرازق .

ومن موضوعات المترجم فى الميقات أيضا :

هـ) «حاشية على الرسالة الفتحية ، فى الاعمال الجيبية» للماردينى ، أحال عليها فى أبدع اليواقيت الآتى الذكر ، ونقل عنها تلميذه محمد بن على الاغزاوى الفاسى فى مواضع من شرحه على رجز ابن عاشر فى الربع المجيب ص : 36 ، 50 ، 51 ، 62 ، ثم صارت الى نسخة من هذه الحاشية فوجدتها تشتمل على ص 59 ، مسطرة 24 ، حجم متوسط .

و) «أبدع اليواقيت ، على تحرير المواقيت» اسم شرحه على رجز الوزكانى فى التوقيت ، ألفه عام 1285 = 1868 ، طبع بفاس عام 1326 = 1908 ، على هامش شرح البعقيلى على روضة الجادرى ، وهو أيضا من مصادر مؤلف الاغزاوى الآنف الذكر ، نقل عنه ص 67 ، ولهذا الشرح مقدمة مطولة أفردها بالتأليف على حدة ، وهى «دستور أبدع اليواقيت» المار الذكر .

ذلك ما توصلت اليه الآن من موضوعات المترجم الميقاتية ، ويفيد ما وقفت عليه منها : انه درس علم الميقات دراسة آخذة من آثار المتقدمين وأفكار المتأخرين ، فتراه فى هذه المؤلفات يأتى بدراسات الأقدمين مستقاة من المصادر العربية ، كما يأتى بدراسات المتأخرين مأخوذة من كتبهم المترجمة الى العربية .

وقد كان الى جانب اشتغاله بالتأليف يقوم بتدريس هذه العلوم حسبما لمح لهذا أول تأليفه : «ابدع اليواقيت» ، ومن المتخرجين عليه فيها : الميقاتى المؤلف الشهير محمد بن على بن عمرو الاغزاوى الذى يحليه بشيخه غير مرة فى مؤلفه المتكرر الذكر ، والميقاتى محمد بن ابى بكر الجامعى ، والفقيه الحاج عبد الكريم بن العربى بنيس (1) ·

* *

بقى السيد العلمى منكبا على اشتغاله فى الميدان العلمى بالمغرب حتى بويع السلطان الحسن الاول ، حيث حدث حادث جديد فى حياة المترجم ، ففى عام 1291 هـ بعثه هذا السلطان ليدرس الطب — على الطريقة الحديثة — بالشرق ، فى الكلية الطبية الكبرى المعروفة بقصر العينى بالقاهرة ، بعدما كان ابتدأ دراسته الطبية بالمغرب ·

والفنون التى درسها بهذه الكلية ، مع اسماء اساتذته العرب والاجانب الذين أخذ عنهم ، مع الاجازة الطبية التى أحرزها : كل هذا ثبت فى موضعه عند حديث «البعثات المغربية الى مصر» ، ص 117 — 123 ·

ومن ثمرات دراسته للطب انه بعدما عاد الى المغرب وضع فى هذه المادة مؤلفات عديدة طرزها بأعمال الطب الحديث ، ومنها :

ز — «ضياء النبراس ، فى حل مفردات الانطاكى بلغة أهل فاس» ، شرح فيه ما فى تذكرة الانطاكى من الرموز بما شاع من اسمائها بمدينة فاس ، وذيله بخاتمة شرح فيها أسماء الادوية التى ذكرها صاحب «كنوز الصحة» ، حيث كان بعضها من الادوية الجديدة ، وبعضها بأسماء كيماوية وافرنجية غير فصيحة على حد تعبير المؤلف ·

وفى الكتاب أيضا مقدمة وتذييل : بين فى المقدمة فعل الادوية فى البنية ، وذكر فى التذييل مجربات «67» مما تلقاه أو شاهده وقت دراسته بمصر ، فرغ من تبييضه أواسط رجب عام 1302 = 1884 ، وطبع على الحجر بفاس مرتين ، الاولى : عام 1318 = 1900 ، والثانية خالية من تاريخ الطبع ·

---

1 — أخذ هذا الاخير عنه الحساب والتوقيت والشطرنج ، حسب ابى العباس أحمد سكيرج ، فى فهرسته : «قدم الرسوخ ، فيما لمؤلفه من الشيوخ» ، خ·ع ، د 3844 — ص 189 ·

ح ــ «البدر المنير ، فى علاج البواسير» ، رتبه على مقدمة ومقالتين وخاتمة ، ورصعه بأعمال الطب الجديد ، حسبما حضره فى الكلية الطبية المصرية، فرغ من تبييضه عشية يوم الاثنين 15 محرم عام 1297 = 1879، وهو مطبوع على هامش «ضياء النبراس» ·

ط ــ منظومة رجزية فى علم التشريح سماها : «مفتاح التشريح»، تقع فى أبيات 78 ، طبعت بذيل «ضياء النبراس» ·

ى ــ «الاسرار المحكمة فى حل رموز الكتب المترجمة»، فسر فيه اصطلاحات وغريب الكتب المترجمة حديثا الى العربية ، أشار له فى طالعة «ضياء النبراس» ، وذكر انه لا يزال لم يتم ·

يا ــ «التبصرة ، فى سهولة الانتفاع بمجريات التذكرة» ، رتب فيه تذكرة الانطاكى ترتيب الامراض بدلا من الحروف ، ليسهل الفحص على من يطلب علاج مرض مخصوص حتى يجده فى باب واحد ، عوضا عن البحث فى الحروف 28 ، ذكر فى أواخر «الضياء» أنه لايزال فى مبيضته ·

يب ــ وسوى مادتى الفلك والطب ، وضع نفس المؤلف أرجوزة فى التعريف بلعبة الشطرنج حسب الطريقة المتعارفة ، ولا تزال مخطوطة فى 40 بيتا ، ضمن مجموع : خ·ع ، د 3408 ــ ص 255 ·

والى هنا ينتهى عرض آثار المترجم ، وسنذيل عليها بتقديم نصين جديدين عن حياته :

الاول : فقرة وردت فى «المفاخر العلية» (1) ، وقد سقط من هذا المصدر اسم المترجم المعنى بالامر حسب المخطوطة التى رجعت اليها ، وجاء النص ــ لدى تعداد أطباء الحسن الاول ــ هكذا :

«·· كان منهم الشريف الفاضل ، العدل ، الحيسوبى الكبير ، الموقت ، استنبط أشياء من علم الهيئة ، واعتنى به سيدنا الامام المقدس ، سيدى محمد بن مولانا عبد الرحمن ، وأمره بتدريس علم التوقيت بجامع القرويين ، وأدخله فى ديوان المدرسين ، ثم اشتغل بعلم الطب ، ورحل الى مصر وأخذه هناك ، ثم تصدر لكتابة الرسوم بدكاكين العدول من حضرة فاس·· ثم انتقل

1 ــ اسمها الكامل : «المفاخر العلية ، والدرر السنية ، فى الدولة الحسنية العلوية» ، تأليف عبد السلام بن احمد اللجائى ثم الفاسى ، نسخة المكتبة الملكية رقم 460 ·

للكتابة بحضرة مولانا المنصور بالله تعالى : مولانا الحسن ، ثم أصيب بعظيم بلاء ، وهو — سنة خمس وثلاثمائة والف — حي ، عافانا الله واياه» ·

أما النص الثانى فهو وارد عند ترجمته من «الاعلام ، بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام» (1) ، وقد جاء فيها :

«·· وقرأ العربية وغيرها من العلوم المتعارفة بالقرويين ، ووجهه السلطان المولى الحسن لمصر لتعاطى المعارف الطبية والتشريحية ، والتوقيت والتعديل والتنجيم والارصاد وتخطيط الساعات الشمسية المعروفة بـ «المزاول» ، واخذ عن شيوخ الطب بمصر · وقد أجازوه باجازات لازالت محفوظة عند ولده المكرم سيدى مشيش (2) ، وقد مهر فى الطب والتشريح ، وقرأ على أطباء فرنسويين واصبنيوليين وأجازوه كذلك ، وحضر تشريح 1600 جثة من موتى الحرب فى ثورة عرابى ، وشاهد العمليات الجراحية بمستشفى مصر ·

ولما عاد من مصر اختصه السلطان مولاى الحسن — رحمه الله — طبيبا لنفسه وعياله ، ولازم الاعتاب الشريفة بصفته طبيبا ، وكان فتح دكانا لاستقبال المرضى ووصف الامراض والعلاج فى فاس ، بناحية السلسلة الموالية للحمام بالنجارين ، ولم يطل ذلك ، فأصيب — رحمه الله — بفالج فى نصفه الاسفل ، فلزم داره من سنة 1304 الى أن ادركه اجله سنة 1323 ·

وكان يتردد اليه طلبة فاس لقراءة ما يحسن من تلك العلوم الرياضية الميقاتية ، منهم الشيخ محمد بن على الاغزاوى ، ومنهم السيد عبد الكريم ابن العربى بنيس مصحح طبع ضياء النبراس ·

وجلب من مصر كتبا غريبة المنحى ، لم تكن معروفة بالمغرب فى سائر العلوم العقلية والطبيعية والجغرافية وغيرها ··» ·

2 — والان : بعد العلمى يأتى ابن الكعاب : محمد بن محمد بن على الشركى ثم الفاسى ، وهو من أفراد البعثة الحسنية الى فرنسا ثم الى بلجيكا ، ابتداء من أواخر عام 1297 هـ / 1879 م ، ومن آثاره :

---

1 — ج 6 من القسم المخطوط — ص 496 — 497 ·
2 — توفى — بعد هذا — عام 1366 هـ·

أ ــ رحلة فى مجلد لاتزال مخطوطة ، وهى فى حوزة الاستاذ المجاهد محمد بن الحسن الوزانى (1) ٠

ب ــ مقيدات ، وقفت على كناشة منها لدى حفيده الحامل لدبلوم الدولة فى التمريض : محمد بن صالح بن محمد ابن الكعاب المترجم ، وتشتمل على نظائر المكاتب التى كان يبعث بها للموظفين المغاربة السامين أو الى أصدقائه ، ونقدم من هذه الكناشة رسالة يشرح فيها تطورات دراساته الحديثة بالمغرب وأوربا ، ونصها على هلهلة بعض تعابيرها :

« الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ٠

حفظ الله بمنه ، ورعى برعايته ، مقام الفقيه الاجل ، الفاضل الافضل ، السيد احماد بن موسى ، حفظ الله سناءك وسناك ، واظفر يمناك بمناك ، وسلام تام ، ختامه مسك ومزاجه من تسنيم ، ورحمة الله وبركاته ، ما دام الفلك وحركاته ٠

وبعد : ــ كما هو فى كريم علم سيادتك ــ واننا كنا بعثنا من جملة الطلبة الذين كانوا تعينوا لقراءة اللغة الرومية فى منتهى رجب سنة 1291 ، ثم بعد الاقامة نحو من الستة سنين ونصف بثغر طنجة ، كنا سافرنا فى 18 من ذى الحجة سنة 1297 الى مدينة باريس لتعليم اللغة الافرنساوية ، وكنا بقينا بالمصر المذكور أعلاه لتعليم ما كنا توجهنا بصدده مدة من أربعة سنين ونصف : أعنى الى 22 من شعبان سنة 1301 : اليوم الذى أتانا فيه الامر الشريف على يد الحاج محمد بركاش ، فى شأن انتقالنا من بلد افرانسة الى بلد بلجيكة ، لنقف على من كان بعث من المتعلمين الى بلد بلجيكة لاخذ علوم الصنائع المفقودات عن المغرب ، ولقبول الحاجات المطلوبات بإذن الحضرة العالية بالله عند جماعة ككريل : كبترية المدفع ومكينات فبريكة القرطوس ، فعند رجوع المتعلمين وتوجيه ما ذكر من الحاجات ، كنا طلبنا من وزير الامور البرانية السيد محمد بركاش ــ رحمة الله علينا وعليه ــ أن يرفع أمرنا لسيدنا نصره الله ، ليجد علينا بصلة الرحم ، فأجابنا : وان فى اثر كتابه لنا يأمرنا بأن نأذن جماعة ككريل فى شروع صناعة مكينات

1 ــ «دليل مؤرخ المغرب الاقصى» رقم 1522 ، دون تحديد آفاق الرحلة ٠

السكة ، وبعد تمام هذا الحاجة يوفى لنا بالعهد ، لاكن موت وزير الامور البرانية وولده قطمت علينا جميع الاخبار ، فلا اذن أعطي لصناعة مكينات السكة ، ولا نحن رجعنا لصلة الرحم وننظر ما بقي لنا من الاهل .

والان تفهم سيادتك : وان منذ مات السيد محمد بركاش ومكاتبنا تصب على نائب الحضرة العالية بالله السيد الحاج محمد الطريس ليرفع أمرنا اليكم ونعرف ما هو جلوسنا بهذا البلد : بقولنا له فى كل كتاب : ان لم يكن ما يقضى للحضرة العالية بالله نريد الرجوع .

وكذلك جماعة ككريل هذه ستة اشهر وهى تكتب وتطلب ما صيرته علينا وعلى السبعة المتعلمين القائمين ببلد بلجيكة لاخذ علم صناعة السلاح. رفقة رفيقنا السيد الطاهر بن الحاج الاودى ، فلا جماعة ككريل ولا نحن قبلنا جوابا عما كتبنا عليه : اعنى جماعة ككريل تتبع فيما صير علينا وعلى 7 المتعلمين — كما ذكر اعلاه — الى يوم السبت 9 من جمادى الثانى سنة 1304 هجرية ، الموافق الى 5 من مارس 1887 مسيحية : هو من الافرنك هكذا : 23200،50 .

ومفهوم فى هذا المال ما كان تأخر من ثمن صمطات الجلد ومكينات تلفيف القرطوس والحبة ، وهو من الافرنك : 2099،50 .

والان : فتفهم سيادتك : وان هذه سبعة سنين ونصف ونحن مفقودين عن الاهل والوطن ، والاعداء لاتنظرنا الا بعين الاحتقار ، حتى صرنا لانستلذ طعاما ولا شرابا .

وعليه فالمرجو من كمال فضل سيدى علينا وعلو همته ان يكون شفيعا لنا عند سيدنا نصره الله ، لينظر من حالنا ، ويجد علينا بطلق سراحنا لصلة الرحم ، فها نحن رفعنا أمرنا الى الله واليك ايه الوزير ، لتنظر من حالنا وللاخوة فى الاسلام ،فالله يجازيك بجاه خير الانام ، وفى 12 من جمادى الثانى سنة 1304 .

خادم الحضرة العالية بالله : محمد بن محمد بن الكعاب الشركسى ؛ وفقه الله ، فى بلد بلجيكة بمدينة صيرن عند جماعة ككريل» .

3 — الزبير بن عبد الوهاب سكيرج الفاسى نزيل تطوان ، والمتوفى

ـ بها ـ عام 1351 هـ / 1933 م ، من المبعوثين الاولين للدراسة بانكلترا، حيث برع فى الرياضيات والفلك والجغرافية ٠

أ ـ وقد ابتكر جهازا فلكيا أسماه : «ذات الكفين الافقية»، وهو عبارة عن رخامة أفقية رسم فيها البروج الشمالية والجنوبية ، لتقريب معرفة نقطة حلول الشمس فى أى من البروج ، وذلك بواسطة الظل الذى يرسمه خط المرى المركز بوسط الرخامة ٠

ويعقب ابو العباس سكيرج على ذكر ذات الكفين ويقول : «وعهدى بئاخر ما نصبه منها : فى صحن المسجد الكبير بثغر الجديدة ، وقد نصب رخامة من هذا النوع بسطح المسجدالكبير بالدار البيضاء ، أوائل عام تسعين ومائتين وألف» ٠

ب ـ وبعد هذا يضيف نفس المصدر الى هذا الجهاز ، رسالة وجيزة فى مقدمات الهندسة ، وهو يذكر عن المترجم : »وقد أخبرنى أنه ألف تويلفا فى مبادى علم الهندسة سماه : «تحفة الاخوان ، بتخطيط البلدان» ، ولم اقف عليه بعد ذلك الى الان» ٠

وبالاضافة الى هذا يذكر المصدر نفسه ما درسه على المترجم من المواد التى تخصص فيها : «وقد تلقيت عنه مبادىء علم المساحة ، والهيئة ، والجغرافية ، والهندسة ، وتخطيط الرخامات ، التى من أنواعها ذات الكفين الافقية ، وهى من اختراعه» (1) ٠

4 ـ الطاهر بن محمد بن العلامة عبد السلام بن الحاج الاودى الفاسى دارا ومنشئا (2) ؛ المتوفى عام 1365 هـ / 1945 م ، وقد علمنا من رسالة ابن الكعاب أنه كان معه فى بعثة واحدة ، كما سنذكر من بعد : أنه تقلد عدة وظائف فى العهد الحسنى وبعده ، وفوق ذلك فله كتابات فى موضوعات مختلفة منها :

أ ـ «الاستبصار ، فى عجائب الامصار ، والجبال والانهار ، والبحور

---

1 ـ «قدم الرسوخ ، فيما لمؤلفه من الشيوخ» : المخطوطة المارة الذكر ص : 165 ـ 166 ٠

2 ـ هكذا سمى نفسه فى مؤلفه «الاستبصار» ص 83 من نسخة كاتب هذه الدراسة ٠

ومنافيس النار ··» موضوعه فى الجغرافيا العامة كما يدل عليه اسمــه ، ولكن مؤلفه ملأه بالاستطرادات الكثيرة ·

استهله بالحديث عن الحرب العظمى الاولى : 1914 ، ليتخلص من هذا الموضوع الى الحديث — فى شىء من الايجاز — عن جغرافية العالم قــارة قارة : أوربا ، آسيا ، افريقيا ، أمريكا ، جزر المحيط ، ثم تحدث عن ترجمته وبعض حوادث المغرب قبل الحماية وبعدها ، وبعــد هذا نجد بالكتــاب مراسلات سياسية عديدة تأخذ قسطا مهما منه ·

وقد همش هذا المؤلف بتعليقات تكون ضافية فى بعض الاحيان ، وتتناول وقائع تاريخية ·

والى جانب استطرادات الكتاب الكثيرة ، فانه يوخذ عليه أيضا عدم مراعاته للتنظيم فى كثير من مواضيعه ، ويوخذ عليه أيضا تحريره بلغة قريبة من الدارجة المغربية ، ومع هذا كله فالكتاب مفيد فى موضوعاته ، وينم على أن لمؤلفه ثقافة حديثة لا بأس بها ·

توجد منه نسخة بمكتبة كاتب السطور عدد صفحاتها المستطيلة 211 ، وهى — فيما يظهر — محررة بخط مؤلفها ، ومنه نسخة أصغر من الاولــى بالمكتبة الاحمدية ، ونسخة ثالثة بها بعض مخالفة بخزانة الاستاذ العالــم المرحوم ادريس بن الماحى الادريسى بفاس ·

ب — «رحلة» الفها مدة الاعوام السبعة التى قضاها بأوربــا ، وأضاف لها ·

ج — «خريطة الكرة الارضية» التى بعث بنسخة منها من مدرسة باريز الى السلطان المولى الحسن عام 1300 = 1882 (1) ، لم اقف على هذه الرحلة ، أما الخريطة فيظهر انها هى التى أثبتها المؤرخ ابن زيدان فــى «الدرر الفاخرة» (2) ·

15 — خرط وتقنيات حديثة

ويتعلق الامر بأفراد من البعثات الذين برعوا فى رسم الخرائــط على الطريقة الحديثة ، أو فى انتاج ساعات تقنية جديدة ·

---

1 — المصدر الاخير — ص 31 ، 96 ·
2 — قبالة ص 105 ·

وبالنسبة للخرائط كانت تستخدم فى رسوم متنوعة : للمساكن والمسافات والمدن وللتخطيطات العلمية .

ونذكر — أولا — دفترا بالمكتبة الملكية يحمل رقم 1704 ، وهو يهتم بتسجيل املاك الدولة من الدور بمدينة مراكش ، مع اثبات تصميمات لاكثرها: كل دار فى خريطة على حدة ، حيث تستوعب معالم الدار المعنية بالامر ، فترسم بابها ، ومدخل أسفل الدار ، ومدخل علوها ان كان ، ثم صحنها والبيوت والمطبخ والمستراح ، والروض ان كان ، مع التنبيه على ما اذا كانت بعض الحجرات متهدمة ...

وقد صنفت الدور بالدفتر فى أربعة أقسام :

الاول : مؤرخ فى 21 رجب عام 1308 هـ ، ويتناول الديار الواقعة بناحية باب دكالة وما اليها ، مع تصميمات تبلغ 47 خريطة .

الثانى : مؤرخ فى 20 جمادى الآخرة عام 1308 هـ ، وهو خاص بديار روض الزيتون الجديد ، وحى القنارية ، ودرب ضباشى ، ويشتمل على 15 خريطة .

الثالث : مؤرخ فى 16 جمادى الثانية عام 1308 هـ ويشتمل على روض الزيتون القديم ، فى 10 خرائط .

الرابع : عند حى القصور ، وبه 13 خريطة .

وسوى هذا الدفتر هناك خرائط للمسافات التى يمر منها الموكب السلطانى فى تنقلاته عبر المغرب ، وهى تهتم برسم وضعية الطرق ، وتقدير المسافات الفاصلة بين المنازل بالساعات والدقائق ، وتحتفظ المكتبة الملكية ببضعة نماذج من هذه الخرط لا تزال دون ترقيم .

وثالثا : خرائط بعض المدن ، ومن نماذجها : تصميم الشكل البنائى لقصبة القنيطرة ، وخريطة طرفاية .

ورابعا : خرائط علمية تهتم بالتخطيطات الجغرافية : الارضية أو السماوية ، وقد سبقت الاشارة الى مصور الكرة الارضية من عمل الطاهر الاودى ، وهناك خرائط أخرى متنوعة سيرد ذكرها وشيكا .

اما عن المباشرين لوضع هذه التصميمات ، فنعرف — الان — منهم خمسة أسماء :

1 — الحسين بن الحاج خلوق الاودى ءاتى الذكر ، وكان ضمن بعثة طرفاية عامى 1312 ، 1313 هـ ، لوضع خريطة البنايات المحدثة بهذه المرسى برا وبحرا (1) .

2 — صالح بن محمد التادلاوى ، واضع تصميم قصبة القنيطرة عام 1314 هـ / 1897 م (2) ، والى معرفته بالهندسة كانت له ثقافة عسكرية تقنية، حيث جاء فى رسالة حسنية (3) هذه الفقرة : «ان صالحا أحد المتعلمين بفبركة المكاحل ببلجيكة ، وقد صنع بالفبريكة البلجيكية 72 مكحلة من المكاحل التى وردت ، واسمه مكتوب عليها» .

3 — محمد بن المكى المسفيوى ، مهندس رسم خرائط قصر ملكى ؟ (4) .

4 — علال بن محمد المهندس ، وكان قد كلف بتصوير خرائط لاملاك الاحباس وغيرها (5) .

5 — أحمد شهبون ، مار الذكر ضمن البعثات المغربية الى مصر ، وقد رسم مجموعة من اللوحات الجغرافية فى شكل أطلس سماه : «كتاب الجغرافية المغربية» ، وكان تخطيطه بفاس عام 1315 هـ / 1898 م ، وهو يضم 18 لوحة هكذا :

أ — عنوان الكتاب وفهرسته .

ب — مصور الفلك مع رسم الخطوط والدوائر .

ج — خريطة الكرة الارضية بنصفيها الشرقى والغربى ، وخطوط الطول والعرض .

د — صور فلك القمر .

---

1 — «اتحاف أعلام الناس» ج 1 ص 380 ، مع معلومات أخرى عن المترجم مقيدة بخط البعض .
2 — رسالة وزيرية مؤرخة فى 18 رمضان عام 1314 هـ ، حسب سجل مخزنى بالمكتبة الملكية رقم 429 — ص 18 .
3 — بتاريخ 29 ربيع الثانى عام 1302 هـ ، حسب سجل مخزنى بنفس المكتبة رقم 360 — ص 259 .
4 — رسالة مؤرخة فى 19 شعبان عام 1315 هـ ، حسب سجل بنفس المكتبة رقم 432 — ص 42 .
5 — رسالة وزيرية بتاريخ 6 رمضان عام 1315 هـ ، حسب السجل الاخير — ص 82 .

هـ ــ الكرة الارضية من وجه واحد . ومرسوم عليها دائرة الشمس .

و ــ لائحة تفسيرية لخواص قارة آسيا : من البحور ، والبحيرات ، والجزائر ، والسكان ، والانهار ، والجبال ، والعواصم ، والعروض ...

ز ــ خريطة آسيا .

ح ــ لائحة تفسيرية لخواص قارة اوربا ...

ط ــ خريطة أوربا .

ى ــ لائحة تفسيرية لخواص قارة افريقيا ...

يا ــ خريطة افريقيا .

يب ــ لائحة تفسيرية لخواص قارة أمريكا ...

يج ــ خريطة أمريكا ...

يد ــ خريطة أستراليا .

يه ــ خريطة نيوزيلندا .

يو ــ صورة البروج وصفاتها ، والمنازل والكواكب السيارة السبع .

يز ــ لوحة موافقة السنين : العربية الهجرية ، والعجمية الهجرية ، والمسيحية ، وبيان الكبس .

يح ــ خريطة المغرب الاقصى .

يوجد من هذه الجغرافية مخطوطة فريدة بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2388 ، وهى مرسومة رسما بارعا ، ومخططة بالالوان على لوحات مستطيلة فى مقياس 230/350 (1) .

❋ ❋

والان : نذكر ساعاتيا تقنيا درس الميكانيك بانجلترا ، وكان هو محمد ابن لحبيب الفيلالى المكناسى ، المتوفى بمراكش عام 1334 هـ / 1916 م ، وقد بقى من آثاره :

أ ــ ساعة فى غرفة الموقت بمنار جامع ابن يوسف بمراكش ، وقد رغبت من الاستاذ محمد بن العلمى أبى نصر المكناسى أن ينقل لى ما عليها من كتابات ودوائر ، فبعث لى بما يلى :

« .. كتب على رخامة الساعة المذكورة : «هذه المجانة مصنوعة

---

1 ــ ورد وصف هذه الجغرافية عند ابن زيدان فى كل من الدرر الفاخرة ص 95 ــ 96 ، مع العز والصولة ، ج 2 ص 161 ــ 162 .

بالوندريز : «الندرة» ، ومخترعها ابن لحبيب المجاني 1308» ، ويحيط بالرخامة الى الداخل خمس دائرات : اثنان منها : لحساب الشهور العجمية وأسمائها ، واثنان : لحساب الشهور العربية وأسمائها ، والخامسة : لاسماء الايام ، كما تشتمل الساعة فى أعلى رخامتها على دائرة أخرى مكتوب عليها : تسريح الضرب — ثقاف الضرب» .

ب — ساعة كبيرة يزيد طولها على أربعة أمتار ، وعرضها على مترين ، وقد كتب بأعلاها هذه العبارات : «ابن لحبيب» — «عام 1318» — «بمكناس» ، ولا يزال الهيكل الخارجى لهذه الساعة ينزوى فى بيت بـ : «اكدال مولاى الحسن» بمراكش ، حيث وقفت عليه هناك عشية يوم الجمعة 5 حجة عام 1378 هـ/12 يونيه سنة 1959 م، صحبة الاستاذين بثانوية ابن يوسف : السيدين أبى بكر الجرمونى ، وأبى نصر المكناسى المذكور ، ومنذ سنة 1961 م ذيلت الكتابة عن هذا الاثر بالفترة التالية : «وما أجدر هذه الساعة أن لو خرجت من انزوائها بذلك البيت ، ونقلت لدار الآثار بمراكش لتعرض هناك» .

ج — ساعة فى مشهد مولاى ابراهيم قرب مدينة مراكش حسب ذكر البعض ، ولم أقف عليها بعد .

ومن الوثائق المتعلقة بالمترجم : رسالة صادرة عن السلطان عبد العزيز عام 1314 هـ / 1896 م ، ونصها :

«أمناء البنيقة المراكشية :

وبعد فان ابن الحبيب المواكنى كلف بصنع البارود ، واحتاج الى صنع فابريكة لخدمته تكون مركبة فى محل على الماء الجارى ، ويأمركم سيدنا — أعزه الله — أن تحضروا معه ومع خليفة الباشا ويدة ، والمهندس ، والبناء ، والنجار ، واللواح ، والعدلين صحبته ، وتعينوا محلا صالحا لذلك يصوره المهندس ، ويقوم صائره المعلمون : البناء والنجار واللواح المذكورون ، ليرى سيدنا — أعزه الله — فى ذلك ، كما يأمركم — أيده الله — أن تقضوا له ما يتوقف عليه من الاقامة للفبريكة المذكورة بعد ذلك ، والسلام ، 18 جمادى 2 عام 1314» (1) .

---

1 — الرسالة واردة فى «سجل مخزنى» بالمكتبة الملكية رقم 199 .

16 ــ أطر حديثة من أفراد البعثات ومن اليهم

ويتعلق الامر بتقديم نماذج للاطارات الادارية أو الحرة التى حافظت المصادر على ذكر أصحابها ، وقد رأينا سابقا ــ ضمن لوائح البعثات المغربية الى أوربة ــ مجموعة من المتخرجين الذين شغلوا وظائف متنوعة ، ونضيف ــ الان ــ معلومات أخرى : تكميلية أو أساسية ، عن أفراد البعثات ومن اليهم ، الذين عملوا فى مختلف الاطر ·

ونذكر ــ أولا ــ 1 ــ محمد الدكالى من المثقفين ثقافة حديثة ، وقد أسند اليه السلطان محمد الرابع مهمة تنمية مؤسسات الاشغال العمومية بالمغرب ، وهو الذى أبرم مع ميكانيكى انجليزى اتفاقية فى شأن معمل السكر الذى أنشىء بمراكش (1) ·

2 ــ الحاج محمد بن العربى القباج الفاسى ، وكان عارفا ببعض اللغات الاوربية ، بصيرا بعوائد أهلها ، وأوفده نفس السلطان على رأس البعثة المغربية التى شاركت فى معرض باريس عام 1285 هـ / 1867 م (2)·

وقد ازدهر استخدام اطر البعثات أيام السلطان الحسن الاول ، فقد وظف بعضهم فى «دار السلاح» التى أنشأها بفاس ، ووزعهم على تسيير أقسامها :

فكان ــ 3 ــ محمد المنقرى رئيس قسم صناعة الزناد ، و ــ 4 ــ عباس بن قاسم رئيس قسم صناعة الجعاب ، و ــ 5 ــ الطاهر بن الحاج الاودى ــ سابق الذكر ــ رئيس العملة بنفس الدار (3) ·

وهذا الاخير شغل مناصب أخرى فى العهد الحسنى وبعده ، ففى عام 1298 هـ / 1880 م كان ترجمان سفارة الوزير على المسفيوى الى فرنسا فى غرض ضرب السكة الحسنية ، وفى عام 1307 هـ / 1890 مكان ترجمان سفارة المعطى بن الكبير الى فرنسا ، وفى عام 1324 هـ / 1906 م صار ترجمانا فى مؤتمر فاس الذى انعقد بين نائب فرنسا من جهة ، والوزراء المغاربة وأعضاء مجلس الاعيان المغربى من جهة أخرى ، وفى نفس العام كان ترجمان الوفد المغربى فى مؤتمر الجزيرة الخضراء (4) ·

1 ــ «اتحاف أعلام الناس» ــ ج 3 ص 561 ·
2 ــ «الاستقصا» ــ ج 4 ص 232 ·
3 ــ اتحاف أعلام الناس ــ ج 2 ص 468 ·
4 ــ الاستبصار للطاهر الاودى ــ ص 95 ــ 96 ·

ومن الذين استعان بهم السلطان الحسن الاول ، يوجد — 6 — الحاج ادريس الشاوى الذى صار فى قيادة المدفعية المغربية (1)، و — 7 — المهندس الزبير سكيرج الفاسى ، كان من أكبر المهندسين ، وهو الذى ساعد المهندس الانجليزى فى مباشرة أبراج طنجة ، حيث نال من هذا الاخير تنويها مكتوبا ، كما ساعد المهندس الالمانى فى بناء البرج الكبير بالربـــاط عام 1303 هـ / 1886 م ، وفى عام 1307 هـ / 1889 م توجه — ضمن بعثة فنية — الـــى المانيا ، ثم عاد اليها فى بعثة أخرى عام 1308 هـ / 1890 م ، وسكيرج هذا كان — أيضا — ترجمان الوفد المغربى فى مؤتمر مدريد المعروف (2) .

ومن العهد الحسنى ايضا نذكر — 8 — ادريس زولو الصفار ، وكان يشرف على تجهيز مصنع القرطوس بمراكش (3) .

وقد لمع فى عهد السلطان عبد العزيز اسم — 9 — المهندس الحسين ابن الحاج خلوق الاودى — سابق الذكر — درس بألمانيـــا ، وكان عارفـــا بالفنون الحربية ، وقام بتمرين الجيش المغربـــى فى نفس العهد ، وهـــو الذى تولى هندسة الطريق التى جلب منها ماء عين غبولة الى القصر الملكى بالرباط (4) .

ومن الذين شغلوا اطرا حرة نذكر اعضاء بعثة مدينة العرائش ، وكانت تتألف من :

10 — المهندس عبد السلام أزود من جامعة المانيا .

11 — المهندس ادريس الشرادى من جامعات انجلترا .

---

1 — اتحاف أعلام الناس — ج 2 ص 466 .

2 — «المصدر الاخير» ج 2 ص 466 ، 488 ، 489 ، وانظـــر عن بقيـــة وظائفه كتاب «العز والصولة» ج 2 ص 150 ، تعليق رقم 2 .

3 — يوخذ من لائحة فى حوزة أسرة المذكور ، وجاء فى عنوانها : «بيان زمام فابركة القرطوس ، وتطبيق زمام المعلم ادريس زولو ، على تعريب أصل زمام بركاش ، قيد 27 رجب 1304» .

وفى العز والصولة لابن زيدان وردت هذه الفقرة : «.. فابركة القرطوس المشتراة من البلجيك ، ونزلت بمرسى الجديدة ، ونقلـــت كلها لحضرة مراكش ، ونزلت بخزين دار البديع ولم يبق بالجديدة منها شيء ، والكل على يد المعلم ادريس زولو ، وما يخصها ذكر زولو أن بركاش وجه عليه» ، حسب البقية غير المنشورة من نفس الكتـــاب ، مخطوط المكتبة الملكية رقم 8049 — ورقة 272 أ .

4 — من مقيدة بخط البعض .

12 — المهندس على السوسى من جامعات ايطاليا ·

وقد نشر ثلاثتهم روحا جديدة بمدينتهم ، وكونوا فيها حياة علمية ، وشعورا قوميا ، ونشاطا اجتماعيا (1) ·

13 — وأخيرا نختم بالطبيب أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن قاسم التمسمانى الطنجى ، المتوفى — بفاس — عام 1347 هـ / 1928 م ، وحسب الكانونى (2) فانه درس الطب فى أوربا وأحرز على شهادة فيه ، وبعدما عاد الى المغرب انتصب لمداواة الناس ، وفى «زهر الاس» (3) أنه استوطن مدينة فاس ، واتخذ مستوصفا فى دكان بعين علون ، حيث قصده الناس من بدو وحضر ، وكان له علاج حسن ، ويقابل زائريه بليونة خطاب ·

17 — الطباعة الحجرية الفاسية

وسيأتى تصنيف هذا الموضوع حسب العناوين الرئيسية التالية :

نشأة الطباعة وشيوعها — الطباعة الحجرية — تطلع مغربى للطباعة — وصول المطبعة الحجرية للمغرب — المطبعة الحجرية الاولى مؤسسة حكومية — المطبعة الحجرية الاولى مؤسسة فردية — مطابع حجرية جديدة :

مطبعة الحاج الطيب الازرق — مطبعة العربى الازرق — المطبعة الجديدة لابن عبد المولى — المطبعة الجديدة للذويب — المطبعة الحفيظية — مطبعة أحمد بن عبد الركيم التادرى — مطبعة الشركة المحدثة لطبع الكتب بفاس — ملاحق : وعددها أحد عشر ·

نشأة الطباعة وشيوعها

ينسب اختراع المطبعة الى يوحناغو تنبرج الالمانى ، وقد وضعت محاولاته الاولى موضع التنفيذ منذ سنة 1450 م / «854 هـ» حيث قام بطبع أول كتاب وهو التوراة ، ثم شاع اختراعه فى أوربا ، وأخذ فى التحسن حتى بلغ ما هو عليه الان ·

1 — «علماؤنا المنسيون» ، مجلة «المصباح» بتطوان ، العدد الاول : مارس 1951 — ص 63 ·

2 — تاريخ الطب العربى بالمغرب ، مبيضة المؤلف بالمكتبة الاحمدية ·

3 — المخطوطة المتكررة الذكر باسم «زهر الاس ، فى بيوتات فاس» خ،ع،ك 1281 — ج 1 ص 368 ، 370 ·

أما الطباعة العربية بالحروف · فقد ظهرت بايطالية فى أوائل القرن السادس عشر للميلاد ، وأول مطبعة عربية وأحرفها عربية ظهرت فى فانو بايطالية ، وهى التى دشنها البابا «ليون العاشر» سنة 1514م/ «920 ». وقد طبع فيها — خلال القرن السادس عشر م — عدد من الكتب الدينية المسيحية والعلمية باللغة العربية ، وفى رومة طبع سنة 1593 م / «1002هـ» «القانون» و «النجاة» لابن سينا فى مجلد ضخم ·

ولم تصل الطباعة بالاحرف العربية الى الاستانة الا فى الثلث الاول من القرن الثامن عشر م · وفى سنة 1129 هـ / 1716 م أفتى شيخ الاسلام بتركية : عبد الله أفندى بجواز استخدام الطباعة فى حدود خاصة ، ثم رخص بعد بطبع جميع أنواع الكتب (1) ·

وكانت الطباعة العربية قد ظهرت فى لبنان منذ سنة 1583 م /991 — 992 هـ ، ثم ظهرت فى حلب من سورية سنة 1706 م / 1118 هـ ، وفى سنة 1798 م / 1213 هـ دخلت لمصر مطابع الحملة الفرنسية · ولما استقر الامر لمحمد على باشا فى مصر أنشأ مطبعة بولاق على أنقاض مطبعة بونابرت فى 8 صفر 1237 هـ / 4 نوفمبر 1821م (2) ، والظاهر أن أول ما طبع بالعربية فى شمال افريقية كان هو صحيفة «المبشر» ، وقد صدرت فى الجزائر سنة 1847 م / 1264 هـ ، وكانت اللسان العربى للسلطات الفرنسية (3)، وفى تونس تأسست أول مطبعة عربية فى غرة المحرم سنة

---

1 — «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجى زيدان ، مطبعة الهلال 1931 — ج 4 ص 54 — 55 ، وانظر عن حيثيات فتوى شيخ الاسلام : «المعيار الجديد» للوزانى — ج 11 ص 336 — 337 ·

2 — «تاريخ الطباعة فى الشرق العربى» للدكتور خليل صابات ، ط · دار المعارف بمصر — ص 33 ، 93 ، 121 ، 136 ·

3 — «الصحافة العربية» ، تأليف أديب مروة ، نشر مكتبة الحياة ، بيروت ص 223 ·

واستدرك هنا فأذكر انى وقفت — بعد هذا — على طبعة لـ : «كتاب الاخبار المبينة ، لاستيلاء الترك على قسنطينة» — خ ، ع 709 د — وهو مكتوب بخط ابن العنترى : محمد الصالح ، ومطبوع — على الحجر — فى قسنطينة بدار فاند ، قرب دار الامارة ، فى سنة 1262 هـ / 1845 م ، وحسب ذكر البعض ، فان هذا ثانى كتاب مطبوع — بالعربية — بالجزائر ، وعلى هذا لا تكون صحيفة «المبشر» أول ما طبع بالعربية فى شمال افريقية ·

1277 هـ/1860 م (1) ، واول ما طبع بها هو «الموطا» للامام مالك بن أنس الاصبحى المدنى (2) ·

وفى نفس هذه السنة الاخيرة — 1860 م / 1277 هـ — انشئت أول مطبعة افرنجية بتطوان على يد الاسبانيين (3) ، أما أول مطبعة عربية استخدمها المغاربة فكانت هى : المطبعة الحجرية العربية التى سيذكر أنها دخلت للمغرب سنة 1281 هـ / 1864 م ، ثم ظهرت بعدها بالمغرب «المطبعة السلكية العربية» ، وهذه الاخيرة ليست من موضوع هذه الدراسة التى تهتم بـ «تاريخ المطبعة الحجرية المغربية» بالخصوص ، وانما موضع حديثها هو الطور الثالث بمشيئة الله سبحانه ·

الطباعة الحجرية

وقع اختراع «المطبعة الحجرية» على يد الويز سنيفلدر فى مدينة مونيخ بالمانية ، وكان ذلك فى الاربع السنين الاخيرة من القرن الثامن عشر للميلاد ·

أما الطبع عليها فهو يتطلب لوحات حجرية خاصة للكتابة عليها ، كما يتطلب جهازا للطبع هو «المطبعة الحجرية» ، وتبتدى العملية من الناسخ الذى يكتب ما يراد طبعه بحبر خاص ، وعلى ورق خاص يضغط عليه — بعد كتابته — بين ورقتين نشاشتين مبتلتين ·

وحسب الطريقة التى كانت متبعة فى «المطبعة المغربية» ، كان الناسخ يكتب على الورقة كتابة مستقيمة غير مقلوبة ، وبعد هذا توضع اللوحة التى يراد نقل الكتابة اليها فى مكبس بعد ان يحمى ، ثم تبسط الورقة عليها بطريقة عكسية ، بحيث يقع وجهها المكتوب على وجه اللوحة الحجرية ، ويضغطان مرارا كثيرة ، فتلتصق الورقة باللوحة ، ثم يرطب ظهر الورقة ، وتدار اللوحة وتضغط مرارا كثيرة أيضا ، وترطب مرة أخرى وتفرك بالانامل لكى يسهل نزعها عن اللوحة ، فتنزع عنها تاركة الكتابة عليها ، ثم يصب على اللوحة قليل من الصمغ ، وتبل خرقة بقليل من حبر الطباعة ويمسح

---

1 — «اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الامان» لابن أبى الضياف — ج 5 ص 31 ·
2 — «نزهة الابصار» للمشرفى ، خ ، ع ، ك 579 ·
3 — محمد داود : «مختصر تاريخ تطوان» — ص 194 ·

بها ، فيلصق الحبر حيث كانت الكتابة · وحينما تبرد جيدا يصب عليها مزيج يسير من الحامض ومذوب الصمغ مرة أو أكثر ، حتى اذا تنشفت توضع فى المطبعة · وتبلل بالماء ثم الحبر ، ثم يطبع الورق عليها حسب العدد المطلوب، ويعاد تبليلها بالماء وتحبيرها قبل طبع كل ورقة (1) ·

هكذا كانت طريقة الطبع على هذه الآلة الحجرية ، ويوجد باللائحتين رقم 4 ، 9 المرفقتين بهذه الدراسة ، عدد من لوازم المطبعة الحجرية ، وهى تدل على أن المطبعة الحجرية المغربية كانت يدوية بسيطة ، ولم تكن من نوع المطبعة الحجرية التى تدور بالبخار ، كما تدل اللائحة رقم 4 على أن بعض هذه اللوازم كانت تستورد من مصر ·

تطلع مغربى للطباعة

لقد بات من المحقق أنه قبل دخول الطباعة للمغرب ، وجدت رغبة من بعض المفكرين المغاربة فى تزويد المغرب بمطبعة عربية ، وقد ظهرت هذه الرغبة على لسان سفير مغربى عقب عودته من سفارة قام بها الى فرنسا أواخر سنة 1276 هـ / 1860 م ، ثم دون عنها رحلة عنونها بـ «تحفة الملك العزيز بمملكة باريز» ، ويعنى بهذا السفير : الحاج ادريس بن الوزير محمد بن ادريس العمروى الفاسى ، الذى أعلن فى رحلته (2) عن هذه الأمنية العزيزة بعدما مهد بتعداد مزايا المطبعة ، فى فقرات مشجوعة جاءت هكذا :

«وهذه الآلة التى اتخذوها للطبع ، هى فى كل الامور عامة النفع ، معينة على تكثير الكتب والعلوم ، وأثرها فى ذلك ظاهر معلوم ، وقد اتخذوها فى جميع بلاد الاسلام ، واغتبط بها مشاهير العلماء الاعلام ، ويكفيك من شرفها وحسن موقعها ، رخص الكتب التى تطبع بها ، وقد اعتنوا بتصحيحها ، وبالغوا فى تهذيبها وتنقيحها ، مع جودة الخط ، وايضاح

---

1 — أنظر مجلة «المقتطف» ، المجلد السادس ، الجزء الرابع — ص 193 — 194 ، مع مجلة «الجنان» البيروتية ، ج 1 كانون الثانى سنة 1882 م — ص 9 — 10 ·

2 — «تحفة الملك العزيز بمملكة باريز» ، المطبعة السلكية الفاسية ، دون تاريخ — ص 54 — 55 ، وانظر عن ترجمة مؤلف الرحلة : «اتحاف أعلام الناس» ج 2 ص 32 — 41 ، مع «فواصل الجمان» ص 142 — 162 ·

الضبط ، وهذه نسخة القاموس المطبوعة عام اثنين وسبعين بمصر ، يباهى بوجودها هذا العصر ، لا تجد فى النسخ القديمة مثلها ولا ما يقرب منهــا ، فقد كانت عدت عليها أيدى الناسخين ، حتى عجزت عن تداركها عقــول الراسخين ، وكادت تنبذ لاجل التحريف ، وتطرح لاجل التصحيف ، مع شرف موقعه من الدين ، واعتناء المتأخرين به والمتقدمين ، حتى قيض الله له بعض علماء مصر فصرفوا اليه وجه اعتنائهم ، بهمة دولتهم ورؤسائهم ، فجاءت هذه النسخة فى غايــة الاتقان ، وبرزت فى ميــدان الجودة والاحســـان ، واتسمت حسنتها فى غرة الدهر ، وفاز الساعون فيها بعظيم الاجر وجميل الذكر ، ومن عجيب سعدها أنها تباع بنصف ثمن النسخ المحرفة (1) ٠

ونطلب الله بوجود مولانا أمير المومنين أن يكمل محاسن مغربنا بمثل هذه المطبعة ، ويجعل فى ميزان حسناته هذه المنفعة ٠٠»

هكذا يلح هذا المفكر المغربى على تزويد المغرب بمطبعة عربية من سنة 1276 هـ / 1860 م ، ويبدو أن المغرب كان يتطلع لهذا الاختراع العلمى قبل هذا التاريخ بكثير ، فهناك رحالة مغربى يحمل اسم «الشيخ محمد الفاسى»:

وقف ــ سنة 1801 م / 1216 هـ ــ على مطبعة الحملة الفرنسيــة بالقاهرة وأبدى اعجابا شديدا بها ، وكــان هذا الشيــخ قد شاهد ــ من قبل ــ مطبعة الاستانة (2) ٠

وصــول المطبعــة الحجريــة للمغــرب

وصلت المطبعة الحجرية للمغرب فى شعبان سنة 1281 هـ / 1864 م 1865م (3) ، وكان دخولها يتسم بشكل فردى ، حيث جاء على يد قاضى

---

1 ــ لاشك انه يشير الى الطبعة الاولى للقاموس عام 1272 هـ ، بمطبعة بولاق فى مجلدين مشكولين ، مع مقدمة تصديرية فى معرفة اصطلاحات الكتاب ، بقلم الشيخ نصر الهورينى ٠

2 ــ «تاريخ الطباعة فى الشرق العربى» ــ ص 25 ٠

3 ــ أنظر الملحق رقم 1 ٠

تارودانت محمد الطيب بن محمد السوسى التملى الروداني (1) ، الذى اشتراها من الشرق لما حج ، ثم أتى بها للمغرب ومعه طبيع مصرى ليشتغل بها .

ويحتوى الملحق رقم 3 لهذه الدراسة على نص الاتفاق الواقع — فى هذا الصدد — بين القاضى الروداني والطبيع المصرى محمد القيانى بن ابراهيم المصرى الذى حرر الاتفاق بخطه ، وفيه يلتزم بأن يأتى برفقة السيد الروداني الى مدينة «رودانة» بأرض المغرب ، ويشتغل عنده فى هذه المطبعة الحجرية مدة من سنة كاملة ، تبتدىء من ربيع الاول سنة 1281 هـ ، وتنتهى فى صفر الخير سنة 1282 هـ ، وفى مقابل ذلك يتحمل السيد الروداني للطبيع المصرى بأن يقوم بلوازمه فى مأكله ومشربه وملبسه على طبق مراد هذا الاخير ، وفى كل شهر ينقذه مائتى قرش مصرى خالصة لجيبه ، وفى حالة ما اذا انتهت السنة المذكورة وأراد المصرى العودة لوىنه ، فان القاضى الروداني يرحله على نفقته الى حد بلاده .

وقد تم تحرير هذا العقد فى يوم الاربعاء 14 ربيع الاول المبارك ، سنة 1281 هـ .

هذه خلاصة الاتفاق الذى يستفاد منه أن القاضى الروداني كان — فى أول الامر — سيستخدم المطبعة فى اسمه ، غير أنه لا يلبث أن يقدمها

---

1 — له ترجمة وجيزة فى «خلال جزولة» ج 4 ص 120 — 121 ، ويوجد بخط القاضى أبى عيسى المهدى ابن سودة مبيضة اجازة كتبها للمذكور بتاريخ ذى القعدة عام 1265 هـ . وفيها يذكر أنه رحل لفاس فى طلب العلم ولازم رياضه أزمنة وأعصرا ، فجنى جل ما طاب ، حتى ملأ الوطاب ، وقيد ماند وشرد ، واستكثر من أحكام قضاياهكل ما قصد ... مع تحليته فى مقدمة المبيضة بقاضى وجدة، كأنه كان قاضيا بها قبل أن يتولى قضاء تارودانت ، والمبيضة توجد ضمن كناشة من محتويات «المكتبة الاحمدية» .

وهناك تأليف صغير يسمى : «بكرة الاقتضاض ، فى بغية الانقضاض» ، وهو شرح على قصيدة وضعهما — معا — البشير بن محمد بوحدو السلاوى أصلا ودارا ومنشئا ، وتتناول القصيدة — حسب تعبير الشرح — مدح قاضى قضاة سوس ونواحيه: الحاج الطيب بن العلامة محمد يمل ، حيث بذل المجهود فى حفر عين من الماء العذب ، واجراه بتارودانت ، وعم النفع بها فى المساجد والحمامات ، والمطاهر والسقايات ، وقع الفراغ من تأليف الشرح ونسخه صبيحة الخميس 13 رمضان عام 1284 هـ وهو يوجد ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 97 ج .

هدية للسلطان «محمد الرابع» وقد وقع ذلك بمجرد رجوعه الى المغـرب ، فان نفقات الطبيع المصرى فى الميزانية المغربية · تبتدى ـ حسب الملحـق رقم 1 ـ من شعبان سنة 1281 هـ ، اى بعد نحو أربعة أشهر ونصف من تاريخ توقيع العقد الآنف الذكر ·

وفى المفاخر العلية (1) تحدث عن اهداء هذه المطبعة من طرف القاضى الرودانى هكذا :

«وجاء الامير سيدى محمد هذا : «السلطان محمد الرابع» المطبعة التى تطبع فيها الكتب هدية ، أهداها له خادمه الفقيه العلامة سيـدى الطيب الرودانى قاضى تارودانت من سوس لما حج ورجع من الحـج ، وجـاء ـ أيضا ـ بشيخ كبير عارف بكيفية الطبع ، فقبل سيدنا الامير منه الهدية ، وأكرم الشيخ المذكور وأجرى عليه النفقة ، وأعطاه ما يحتاج اليـه ممـن يخدمـه» ·

وحسب الملحق رقم 1 فان المدن المغربية التى مر بها الطبيع المصرى قبل أن يلتحق بفاس كانت هى: الصويرة ابتداء من 2 شعبان سنة 1281 هـ، حيث يظهر أن المركب الذى أقله من مصر مع رفيقه الرودانى أرسى بميناء هذه المدينة ، ثم كان فى مكناس من 28 شعبان سنة 1281 هـ حتى 17 ربيع الاول النبوى سنة 1282 هـ ، وأثناء هذه الفترة وقع طبع أول كتاب أخرجته هذه «المطبعة الحجرية» ، وهو «الشمائل الترمذية» الذى سنتحدث عنـه بعـد ·

ومن ربيع الثانى 1282 هـ يبتدىء ـ فى نفس الملحـق ـ حسـاب المصرى والمطبعة بفاس ، لما استقر هو والمطبعة بهذه المدينـة ، وهنـا يبتدىء ـ بعد نحو سنة ـ عمل هذه المؤسسة بصفة قارة ، حيث تمـر بعدة أدوار سنتحدث عنها بالتتابع فيما يلى :

المطبعـة الحجريـة الاولـى مؤسسـة حكوميـة

يبتدىء هذا الدور من ربيع الثانى سنة 1282 هـ / 1865 م ، وينتهى آخر سنة 1287 هـ / 1871 م ، وفى هذه المرحلة كانت تحمل اسم «المطبعة

---

1 ـ مخطوطة المكتبة الملكية السالفة الذكر عند ترجمة عبد السلام العلمى ·

السعيدة» او «المطبعة المحمدية» نسبة للسلطان محمد الرابع ، وتتعاون فى نفقاتها الخزينة العامة والاحباس ، وكان مقرها فى دار بالكراء تقع فى زنقة «جزاء برقوقة» (1) من فاس الادريسية ٠

أما جهازها التوظيفى فكان يشتمل ــ بعد الطبيع المصرى ــ على ناسخ ، ومصحح ، ومعاونين يبلغ عددهم عشرين (2) ٠

وكان المصحح هو ابو حفص عمر (بن عبد القادر) الرندى (الاندلسى) ثم الفاسى ، المتوفى فى 27 صفر سنة 1290 هـ / 1873 م (3) ٠

وأول ناسخ توظف بها هو محمد ابن سليمان (الفاسى) ، المتوفى عام نيف وعشرة وثلاثمائة وألف (4)، ثم أبو العباس أحمد الخضر بن عبد النبى ابن المجذوب الفاسى الفهرى ، ولما توفى خلفه اخوه أبو يعقوب يوسف (5)٠

ويوجد من بين المعاونين افراد تدربوا على استخدام هذه المطبعة وصاروا بعد: طبيعيين ممتازين، ومنهم الطيب بن محمد الازرق الفاسى ، والمكى ابن الوزير محمد بن ادريس العمروى الفاسى (6)، وقد يكون فيهم ــ أيضا ــ العربى الازرق أخو الطيب لأبيه ٠

---

1 ــ جاء تعيين هذا المتر آخر حاشية احمد بن الحاج على شرح الاجرومية لخالد الازهرى ، المنشور بالمطبعة الفاسية أوائل ربيع الثانى عام 1295 هـ ، حيث ذيلت الكلمة الختامية لهذه النشرة بطابع نقش داخله : «المطبعة المولوية بجزاء برقوقة ، فاس الادريسية» ٠

2 ــ هذا مأخوذ من الملحق رقم 2 ٠

3 ــ المفاخر العلمية لعبد السلام اللجائى ، وعن ترجمة الرندى ، ارجع الى «سلوة الانفاس» ج 2 ــ ص 368 ٠

4 ــ الدرة السنية ، فى ذكر الدولة الحسنية «لمحمد بن احمد بن محمد المدرومى الحسنى نزيل مراكش ــ نسخة المكتبةالملكية بالرباط رقم481، وعن ترجمة ابن سليمان ارجع الى فواصل الجمان» ص 200 ـــ 201٠

5 ــ «النهضة العلمية فى عهد الدولة العلوية» لابن زيدان ــ مقتبسات من نسخة المؤلف ٠

6 ــ انظر ص 213 ــ 214 من هذه الدراسة٠

وقد كانت أجور موظفى هذه المطبعة كالتالى :

الموظف	مياومة	مشاهرة	مصدر النفقة
الطبيع المصرى :	26 اوقية	20 مثقالا	الأحباس
المصحح :	12،/ أوقية		الأحباس
الناسخ :	12،/ أوقية		الأحباس
المعاونون «20» :	56 اوقية		الخزينة (1)

يضاف لهذه الاجور انعامات ، فقد جاء فى نفقات الخزينة العامة بتاريخ 27 رمضان سنة 1284 ه :

صاير 21 كسوة كاملة للطبيع المصرى ومعاونيه العشرين ، ومن تفاصيل هذا الصائر يستفاد ان المصرى وأكثر معاونيه كان لباسهم يشابه اللباس التركى القديم ، حيث يذكر اسم «جبدور» و «بدعية» و «منتال» (2)٠

* *

ولم تكن منشورات المطبعة فى هذا الدور كثيرة ، حيث كانت لاتزال فى البداية ، ولقصر مدة هذه المرحلة ، ولهذا لم يتجاوز عدد هذه المنشورات ستة :

الاول : «الشمائل المحمدية» — لابى عيسى محمد بن عيسى الترمذى، وهى أول ما نشر بهذه المطبعة ، وكان طبعها بمكناس فى 4 صفر سنة 1282 ه ، أثناء المدة التى كانت فيها المطبعة بمكناس قبل استقرارها بفاس ٠ وقد جاءت الكلمة الختامية لهذه الطبعة هكذا :

«الحمد لله ، كمل كتاب شمايل المصطفى بحمد الله تعالى وتوفيقه ، بالمطبعة السعيدة بالحضرة المولوية العلية : بمدينة مكناسة الزيتون ، بأمر من توج برئاسته الاعصار ، وتباهت بسياسته البوادى والامصار ، مجدد معالم الدين ، ومحيى آثار الائمة المهتدين ، مولانا امير المومنين ، المتوكل

---

1 — أنظر الملحق رقم 2 ٠

2 — سجل نفقات مخزنية بالمكتبة الملكية رقم 297 — ص 32 ٠

على رب العالمين ، أبقاه الله لحفظ نظام الاسلام ، وأيد به شريعة جده عليه أفضل الصلاة وازكى السلام ، ونصره نصرا عزيزا مؤيدا ، والسلام ، فى رابع صفر الخير سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف» ·

جزء واحد ، فى 144 ص ، مسطرة 13 ، مقياس 165/200 ، خال من اسم الناسخ الذى يبدو — من ملامح الخط — انه من خطاطى مكناس ·

الثانى : «شرح المقدمة الاجرومية» لخالد بن عبد الله الازهرى · وهو أول ما نشر بهذه المطبعة بفاس ، وتم طبعه فى 18 جمادى الثانية سنة 1283 هـ ·

جزء واحد ، فى 69 ص ، مسطرة 19 ، مقياس 140/190 ·
مكتوب بخط محمد ابن سليمان سالف الذكر ·

الثالث : «مختصر الدر الثمين ، والمورد المعين ، فى شرح المرشد المعين» ، لمحمد بن أحمد ميارة الفاسى ·

وقع الفراغ من طبعه فى 15 شعبان سنة 1283 هـ ·

جزء واحد ، فى 228 ص ، مسطرة 19 ، مقياس 157/200 ، مكتوب بخط ابن سليمان سالف الذكر ·

الرابع : «حلى المعاصم ، لبنت فكر ابن عاصم» ، تأليف محمد التاودى ابن الطالب ابن سودة المرى الفاسى ، كمل طبعه فى 17 جمادى الاولى سنة 1284 هـ ·

جزء واحد ، فى 555 ص ، مسطرة 21 ، مقياس 160/200 ·

يذكر محمد المدرومى فى «الدرة السنية ، فى ذكر الدولة الحسنية» (1): أن محمد ابن سليمان سابق الذكر ، رشحه السلطان محمد الرابع لكتابة مطبوعات هذه المطبعة ، وعين من منتسخاته «حلى المعاصم» هذا ، فأفاد انه هو كاتب هذه الطبعة بخطه ، فاذا قوبل ، خط هذه مع الخط المكتوب به كل من شرحى الازهرى على المقدمة الاجرومية وميارة على المرشد المعين ، مع الجزء الاول من شرح المختصر الخليلى للخرشى ، توجد الخطوط متماثلة، فيستفاد أن هذه الثلاثة مكتوبة هى الاخرى بخط ابن سليمان أيضا ·

الخامس : «الشرح الصغير على المختصر الخليى» لمحمد بن عبد الله ابن على الخرشى المصرى ·

---

1 — مخطوطة المكتبة الملكية سابقة الذكر ·

فى ستة أجزاء : الاول ، تم طبعه يوم الاربعاء 24 محرم سنة 1284 هـ، فى 305 ص ، مقياس 215/310 ·

الثانى : تم طبعة يوم الخميس 23 ربيع الثانى سنة 1285 هـ ، فى 350 ص ، مقياس 210/300 ·

الثالث : يوم الاثنين 6 محرم سنة 1286 هـ ، فى 342 ص ، مقياس 210/300 ·

الرابع : يوم الاثنين 10 شعبان سنة 1286 هـ ، فى 339 ص ، مقياس 205/280 ·

الخامس : الخميس 23 ربيع النبوى سنة 1287 هـ ، فى 306 ص ، مقياس 210/300 ·

السادس : 8 حجة سنة 1287 هـ ، فى 328 ص ، مقياس 205/300، مسطرة جميع الاجزاء 27 ·

جاء فى «النهضة العلمية فى عهد الدولة العلوية» لابن زيدان : أن أبا العباس أحمد الخضر الفاسى سابق الذكر ، توفى قبل أن يتمم كتابة شرح الخرشى هذا ، فأكمله — بخطه — صنوه يوسف مار الذكر ·

السادس : «قصيدة مولدية» نظم أبى عبد الله محمد بن السيد أحمد الرفاعى المدنى ·

وقع الفراغ من طبعها زوال يوم الخميس 17 حجة سنة 1287 هـ ·

جزء صغير ، فى 14 ص ، مسطرة 15 ، مقياس 110/147 ·

وهذه القصيدة — فيما يبدو — كانت آخر ما نشر بالمطبعة الحجرية فى هذا الدور الاول ·

وتمتاز هذه المطبوعات عما نشر بعدها ، بالمبالغة فى اتقانها ، تصحيحا ، وطبعا ، وورقا ، كما أنها مشكولة ، واذا استثنينا «القصيدة المولدية» ، فان باقى هذه المطبوعات الحجرية كانت كتبا دراسية فى الدرجة الاولى ·

* *

وقد كانت نهاية المطبعة فى هذا الدور انها توقفت عن متابعة العمل ، وتفيد الرسالة التى هى الملحق رقم 5 : أن سبب هذا راجع لمفارقة الطبيع

المصرى للمطبعة وسفره» والظاهر أن هذه الفترة امتدت طوال سنة 1288هـ، ثم انتقلت بعد : هذه المطبعة لدورها الثانى حيث صارت مؤسسة فردية ، وهو ما سنتحدث عنه بعد ·

ونذكر هنا أن دخول هذا الجهاز المطبعى للمغرب صادف استحسانا ، وكان ممن أعلن عنه اللجائى فى «المفاخر العلية» ، ثم العربى المشرفى فى «نزهة الابصار» ، كما أن بعضهم أنشأ قصيدة ضمنها مدح هذه المطبعة (1)·

ويبدو أن السلطان محمد الرابع حاول تطوير الطباعة المغربية ، وتأسيس مطبعة بالحروف الى جانب المطبعة الحجرية ، فهناك رسالة من اسماعيل باشا خديوى مصر ، الى محمد الرابع سلطان المغرب ، وهى تحمل تاريخ شوال سنة 1283 هـ / 1867 م ، وقد جاء فيها :

«هذا : وقد سررت بورود مشرفكم الكريم ، المتضمن لزوم المطبعة لذلك الجناب الفخيم ، وما يحتاجه المخصوص الوارد بشأنها من مزيد التمرين والتفهم ·· وقد أرسلنا المومى اليه الى دار الطباعة ، وأكدنا على مأمورها باراءته كل ما يلزم لهذه الصناعة ، والاعتناء بتمرينه على استعمال أدواتها ، وتوقيفه على كيفية ادارة آلاتها وسائر كيفياتها» (2) ·

ومن المؤسف أن لاتتعدى هذه المحاولة تسجيلها فى هذا الخطاب ، حيث لم يعد يرى لها اثر بعد ·

وأخيرا فان بعض العلماء المغاربة عارض فى نشر الكتب بواسطة المطبعة ، فقد جاء فى ترجمة محمد بن ابراهيم السباعى المراكشى : أنه ألف رسالة فى الترغيب فى المؤلفات الخطية ، والتحذير من الكتب المطبوعة ، وبيان انها سبب فى تقليل الهمم ، وعدم حفظ العلم ونسيانه (3)، ثم وقفت على قطعة من هذه الرسالة بمكتبة العالم الاستاذ محمد ابراهيم الكتانى ، وهى مرتبة على ثلاثة فصول ، ويقف الموجود منها آخر الفصل الاول ، فى 9 ص ، حجم متوسط ، حسب النسخة التى استخرجتها ·

---

1 — توجد ضمن مجموع خ ، ع ، د 1115 ·
2 — أنظر عن مصدر هذه الفقرة ص 44 — 45 من هذا الجزء ·
3 — معجم الشيوخ للقاضى عبد الحفيظ الفاسى — ج 1 ص 57 ·

المطبعة الحجرية الاولى مؤسسة فردية

تركنا المطبعة الحجرية توقفت عن العمل طوال سنة 1288 هـ ، وحسب الملحق رقم 5 فقد قام بها — بعد هذه الفترة استجابة لرغبة طلاب العلم بفاس — الحاج الطيب ابن محمد الازرق الفاسى ، المتخرج فى هذه المهنة على يد الطبيع المصرى ، وبهذا دخلت فى دورها الثانى ٠

ولم تعد المطبعة — فى هذه الحالة — على نفقة الحكومة ، وانما صارت مؤسسة فردية ينشر بها هذا الطبيع المغربى ، على أساس أن يقدم للحكومة عشرة فى المائة من منشوراته ، وكان يشارك الازرق فى بعض هذه المدة الشريف الحسين بن محمد الدباغ الفاسى فيما يرجع للنفقات المالية ، وهذا الاخير — فيما يظهر — هو الذى وقع التصريح باسمه العائلى — الى جانب اسم الازرق — آخر «شرح العمل الفاسى» للسجلماسى ، المنشور بهذه المطبعة بتاريخ أواسط رجب سنة 1291 هـ ، كما جاء التصريح باسمه — كاملا — آخر الجزء الثانى من حاشية محمد الطالب ابن الحاج على شرح المرشد المعين لميارة ، وقد تم طبعه أول محرم عام 1293 هـ ٠

وفى هذا الدور لم تعد تسمى «المطبعة السعيدة» أو «المطبعة المحمدية» كما كان الحال من قبل ، وانما صارت تحمل — فى الغالب — اسم «المطبعة الفاسية» ، نسبة لمدينة فاس التى كانت — آنذاك — تنفرد بهذا الجهاز فى المغرب المستقل ، وقد تسمى «المطبعة العامرة» ، وأول ذكر لهذا الاسم الاخير جاء ختام طبعة «دلائل الخيرات» للامام الجزولى وما معه ، وهو منشور بهذه المطبعة بتاريخ الجمعة 10 صفر سنة 1289 هـ ٠ ومن هنا نستفيد — ولو على وجه التقريب — تاريخ استيناف «المطبعة الحجرية» للعمل فى دورها الثانى ٠

أما اسم «المطبعة الفاسية» فكان هو الغالب فى هذه المطبوعات ، وحسبما وقفت عليه ٠ فقد كان أول ظهوره فى طبعة شرح المرشد المعين لميارة ، المنشور فى 13 جمادى الثانية ، سنة 1289 هـ ، وبعد هذا ورد نفس الاسم مقترنا باسم الطبيب الازرق ، فى شرح العاصمية للتسولى ، وقد وقع الفراغ من طبع جزئه الاول فى 13 قعدة سنة 1289 هـ ٠

وهكذا تتوضح بداية هذه المطبعة الفردية وشخصيتها ، والظاهر ان مركزها استمر فى مكانها الاول بزنقة «جزاء برقوقة» ، ومن المؤكد أن المطبعة — فى هذا الدور — لم يكن النشر بها مقصورا على الطيب الازرق وحده ، وانما صار يستخدمها بعض طبيعين آخرين ٠

والمعنى بالامر هنا اثنان : الاول : العربى الازرق اخ الطيب لابيه ، وأول ما وقفت عليه من عمله فى هذا الصدد : «كتاب تحرير أصول الهندسة» لاقليدس ، تأليف نصير الدين الطوسى ، الذى تم نشره فى 23 شوال سنة 1293 هـ ، فقد جاء فى آخره ، انه تم بـ «المطبعة العامرة» بفاس ، خدمة المعلم العربى الازرق ، ثم ورد اسمه آخر نوازل الشريف العلمى ، التى نجز طبعها أوائل ربيع الثانى سنة 1294 هـ ، وبعد هذا جاء ذكر «مطبعة العربى الازرق» آخر شرح العمل الفاسى للسجلماسى ، الذى تم طبعه فى 14 ربيع الثانى سنة 1298 هـ ، وهذا اول ذكر لهذه المطبعة ٠

اما الثانى الذى كان يستعمل هذه المطبعة فهو المكى بن الوزير محمد ابن ادريس العمروى الفاسى ، وقد لمع اسمه منذ سنة 1292 هـ ، آخر شرح المختصر الخليلى للهلالى ، الذى كان طبعه بمباشرة المذكور ، مع تذييل القصيدة الختامية بطابع نقش بداخله اسم «المكى ابن ادريس» ، وفى السنة التالية ظهر اسمه آخر «بهجة البصر ، فى شرح فرائض المختصر» ، لمحمد بن أحمد بنيس الفاسى ، المهمش بحاشية عليه لمحمد بن المدنى كنون الفاسى ، ووقع الفراغ من طبع ذلك فى 14 جمادى الاولى سنة 1293 هـ ، وقد ذيلت كلمته الختامية بطابع نقش بداخله : «المكى ابن ادريس أصلحه الله» ، ثم ظهر اسمه للمرة الثالثة مع شرح التحفة للتسولى ، الذى تم طبع النصف الاول منه فى 15 قعدة عام 1293 هـ ، وللمرة الرابعة جاء ذكره آخر «الحصن الحصين» لابن الجزرى ، وقد تم طبعة أول ربيع الثانى سنة 1294 هـ ، وفى نفس السنة باشر نشر شرح الخلاصة للمكودى ، وتم طبعه أوائل ذى الحجة متم سنة 1294 ، ومن منشوراته «دلائل الخيرات» للجزولى ، وتوابعه ، وفى آخر ذلك ورد اسم «المكى ابن ادريس» دون ذكر تاريخ الطبع ، فهى ست منشورات تحمل اسم المذكور ، وبعدها لم يعد

يسمع له ذكر ، وبهذا لم يستمر لامعا فى هذه «المطبعة الفاسية» سوى اسمى الاخوين الحاج الطيب والعربى ابنى محمد الازرق ·

وقد كانت «المطبعة» فى هذا الدور الثانى بسيطة فى جهازها التوظيفى، ولم يكن قارا بها — حسب الملحق رقم 9 — سوى الطبيع ومعاونيه والقيم ، اما من عداهم من خطاط ومصحح وناشر ، فلم تكن تتوفر عليهم بشكل قار ، ولهذا تنوعت خطوط المطبوعات ، وتعدد المصححون والناشرون ، وحسب نفس الملحق فقد كانت تسير فى الطبع بمعدل ملزمة واحدة فى اليوم ، من حجم شرح مرتضى على الاحياء الذى لم تتعد المطبوعات منه 200 نسخة ، كذلك كانت تعطل العمل فى يوم الجمعة (1) ·

مطابـــع حجريـــة جديـــدة

حسبما يتبين من الدور الثانى ، فقد كان الطبيعون المغاربة الثلاثة — بما فيهم الاخوان ابنا الازرق — جميعهم ينشرون فى مطبعة الحكومة الحجرية ، ثم دخل للمغرب — بعد هذا — مطابع حجرية جديدة ، منها مطبعتان صار يستخدمهما الاخوان ابنا الازرق، ومطابع أخرى ، وهى التى ندرسها فى هذا الدور الثالث ونتناول جميعها فيما يلى :

1 — مطبعة الحاج الطيب الازرق

وكان مركزها يقع في «درب الحمام» قرب الجوطية (2) من فاس القرويين ، ولا يعرف تاريخ انشائها بالضبط · ومن بين مطبوعات الحاج

---

1 — تعطيل العمل يوم الجمعة وارد فى وثيقة بـ «النهضة العلمية ، فى عهد الدولة العلوية» ·

2 — «فاس قبل الحماية» تأليف روجيه لوتورنو ، حسب تعريب الاستاذ الكريم السيد الصديق بن العربى أمين خزانة ابن يوسف بمراكش ·

ويوخذ على هذا المصدر أنه يسمى صاحب هذه المطبعة : الحاج الطالب ، وانما هو الحاج الطيب ، كما يذكر عنه انه استقدم صانعا تركيا ، والغالب أنه التبس عليه الامر بالطبيع المصرى الذى استجلبه محمد الطيب الرودانى من القاهرة ·

وبعد هذا يقول نفس المؤلف : «وكان أول كتاب طبع بفاس هو شرح الشيخ مرتضى على الاحياء» ، هذا فى حين أن شرح الاحياء انما تم طبعه عام 1304 هـ ، بعدما كانت المطبوعات الحجرية الاولى ابتدأ طبعها بالمغرب من عامى 1282 — 1283 هـ ·

الطيب الازرق ، توجد «الشمائل الترمذية» سنة 1310 هـ ، وتمتاز هـذه النشرة بطابع موضوع أسفل ما قبل الصفحة الاخيرة ، وفى داخله كتـب : «بمطبعة الحاج الطيب الازرق» ، وقد اختفى اسمه من المطبوعات الفاسية أثناء سنة 1313 هـ ، حيث باشر فى هذا التاريخ طبع «الشمائل الترمذية» و «الشفا» لعياض ، فى 12 جزءا .

وقبل هذا التاريخ لمع — فى الطباعة الفاسية — ذكر ولده الحاج أحمد ابن الحاج الطيب الازرق ، وبرز اسمه آخر «الحصـن الحصيـن» لابن الجزرى ، المطبوع سنة 1308 هـ ، ثم تتابع ظهور اسمه فى المطبوعـات الفاسية حتى سنة 1326 ، لما نشر مفاكهة ذوى النبل والاجادة ...» ، انظر رقم 15 و 39 من «لائحة منشورات أبناء الازرق» الآتية وشيكا .

والغالب أن هذا الاخير لم يشتغل — أول الامر — بمطبعة على حدة ، وانما كان يتعاون مع والده ، فهناك طبعة لدلائل الخيرات للامام الجزولى ، وما معه ، وهى تحمل تاريخ 24 رمضان سنة 1310 هـ ، وقد جاء فـى آخرها : وذلك بمطبعة المعلم الانمق ، الحاج الطيب الازرق ، ونائبه فى الطباعة : ولده المعلم الشاب ، الحاج أحمد الازرق .

وأخيرا : فان هناك ظهيرا صادرا عن السلطان الحسن الاول بتاريخ 29 ربيع الثانى سنة 1291 هـ ، وفيه يسدل أردية التوقير والاحترام ، على ماسكه الطيب الازرق الفاسـى ، معلم مطبعـة الكتب العلمية ، بفـاس الادريسية ، ويجدد له — فى هذا الصدد — على ما بيده من ظهير السلطان محمد الرابع ، أنظر الملحق رقم 10 .

2 — مطبعـة العربـى الازرق

كان يقع مركزها فى درب حسان من حى البليدة بفاس القرويين (1) ، وهى — أيضا — مجهولة تاريخ التأسيس ، ومن بين مطبوعاتها توجـد رسالـة «صلة المترحم . على صلة الرحم» للشيخ ماء العينيـن ، وهـى منشـورة سنة 1323 هـ ، وجاء فى آخرها : «.. على ذمة معلم الطباعة ومديرهـا

1 — حسب افادة الفقيه المعمر سيدى محمد بن الطالب ابن سودة المرى .

ومنشئها ومزينها .. السيد العربى بن سيدى محمد الازرق» ، فهل يدل هذا على أن احداث هذه المطبعة الجديدة كان فى سنة 1323 هـ أو قبيلها ؟ ، ثم وقفت على ما يؤكد هذا فى ختام طبعة الرسالة التى تحمل اسم «منيل البش . فيمن يظلهم الله بظل العرش» للشيخ ماء العينين أيضا، فقد جاء فى آخرها : «طبع على ذمة صاحب المطبعة ... السيد العربى الازرق ، وذلك بالمطبعة الثانية ، وكان الفراغ من طبعه عشية الاربعاء سادس رمضان عام 1324» ، فهذه المطبعة الثانية يظهر انها هى التى أنشأها هذا الطبيع بعد مطبعة الحكومة التى نشر بها الكثير .

وقد استمر اسم «العربى الازرق» يظهر فى المطبوعات الفاسية حتى اثناء العقد الرابع من هذا القرن الهجرى الجارى (1) .

* *

هذا ونذكر أن بنى الازرق الثلاثة — وفى مقدمتهم العربى الازرق — برزوا فى ميدان هذه الطباعة الحجرية ، خلال الدورين الثانى والثالث ، فنشر على يدهم اكثر المطبوعات الفاسية ، وقد شملت منشوراتهم — الى جانب الكتب الدراسية — مطبوعات عديدة تناولت — بصفة خاصة — النوازل الفقهية ، والتراجم ، والرحلات ، مع بعض مؤلفات من فنون أخرى .

كما نذكر أن الخطاطين والمصححين والناشرين كانوا غير قادرين بالنسبة لمطبوعات بنى الازرق، ونستطيع معرفة زمرة من هؤلاء — بالنسبة للدورين معا — بواسطة مصدر هام فى هذا الموضوع بالخصوص ، وهو كلمات المطبوعات الختامية التى تذيل بها أغلب المنشورات الفاسية ، وتذكر اسم المصحح والناشر ، وفى بعض الحالات تصرح باسم الخطاط الذى كتب

---

1 — هناك مقال بعنوان : «تدريس العلوم وطبع الكتب العلمية بالمغرب» ، بقلم الدكتور رينو ، «هسبريس 1932 م ص 78» : تعريب الاستاذ الفاضل الصديق بن العربى الآنف الذكر ، وقد ورد فى هذا المقال : «وفى سنة 1906 لم يبق بفاس سوى ناشر واحد وهو الحاج الطيب الازرق» .

ولا شك ان ذكر اسم الحاج الطيب غلط واضح ، وانما المعنى بالامر أخوه العربى الازرق ، حيث ان اسم الاول اختفى من المطبوعات الفاسية من عام 1313 هـ / 1895 — 1896 م .

المطبوع ، وبمقارنة خط الطبعة المصرح باسم ناسخها ، مع المنشورات المماثلة لها فى الخط ، والخالية من اسم الناسخ ، نستطيع نسبة خطوط كثير من المطبوعات الى أصحابها ٠

ولهذا سنتعرض ــ قريبا ــ ما عثرت عليه من أسماء الخطاطين فى الدورين الثانى والثالث ، مرتبين حسب تاريخ أول مطبوع كتبه الخطاط بيده ، مع تذييل ذلك بخطاطين اثنين استفدتهما من بعض المشافهات ، ثم نقدم ٠

ثانيا ــ لائحة توضيحية ومحدودة ببعض المطبوعات الفاسية التى باشر نشرها بنو الازرق فى كلا الدورين ، حتى نتعرف بواسطتها على المنشورات التى دبجها أولائك الخطاطون، مع أسماء المصححين والناشرين٠

الخطاطون بمطبوعات أبناء الازرق

1 ــ محمد الطالب بن عثمان بن الطالب ابن سودة المرى (1) ٠
«لائحة منشورات أبناء الازرق» الآتية : رقم 1 و 11 ٠
2 ــ أحمد بن محمد الفلالى ثم الفاسى ٠
اللائحة المشار لها ، رقم 6 ٠
3 ــ محمد الهادى بن ابراهيم ابن سودة ٠
نفس اللائحة رقم 7 و 10 ٠
4 ــ محمد بن محمد جنون ٠
نفس المصدر رقم 8 ٠
5 ــ الغالى بن الحسن المحمدى (2) ٠
المصدر رقم 9 ٠

---

1 ــ له ترجمة فى أحد تعاليق «النهضة العلمية» لابن زيدان ٠
2 ــ يوجد بخطه الجميل نسخة من «الشفا» للقاضى عياض فى سفر واحد ، «المكتبة الملكية رقم 6» ، فرغ من انتساخها صبيحة الاربعاء 6 جمادى الاولى ، عام 1298 هـ ، وسمى نفسه هكذا : «محمد الغالى بن الحسن الحسنى المحمدى ، الفاسى الدار ، الزرهونى النجار» ٠

6 — الفاطمى ابن سودة (1) ·

المصدر رقم 13 و 16 و 19 ·

7 — اخوه الوافى بن ابراهيم بن الطالب بن احمد بن محمد التاودى ابن سـودة ·

المصدر رقم 15 و 22 و 23 و 31 ·

8 — أحمد بن محمد الحضرى الشهير بالخمسى ·

المصدر رقم 26 و 39 ·

9 — أحمد بن محمد المهدى بن محمد بن العباس ابن صابر البوعزاوى (2) ·

المصدر رقم 28 ·

10 — محمد بن الطالب بن عثمان ابن سودة المرى ، وهو الوحيد الذى لا يزال على قيد الحياة من خطاطى هذه المطبعة ، مد الله تعالى فى عمره ·

المصدر رقم 34 ·

11 — عبد السلام بن عبد النبى الذويب الفاسى ، آتى الذكر ·

المصدر رقم 35 ·

12 — محمد بن محمد ابن عبد الله (3) ·

المصدر رقم 36 ·

13 — محمد بن قاسم بن الحاج عبد السلام البادسى الاندلسى الانصارى السعدى العبادى ، صاحب مكتبة بالسبيطريين بفاس (4)·

المصدر رقم 37 و 38 ·

14 — عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد التاودى ابن سودة المرى ، كتب بخطه «الموطا» للامام مالك بن انس المطبوع بفاس

---

1 — فى كناشة الفقيه الفرضى محمد بن عبد الرحمن الخصاصى الفاسى : توفى الفقيه سيدى الفاطمى ابن سودة فى 4 رمضان عام 1318 هـ ، صح من خط المؤرخ أبى خليل عبد السلام ابن سودة فى كناشته ·

2 — ترجمته فى «معجم الشيوخ» ج 1 ص 111 — 116 ·

3 — هو العلامة المقرى بفاس ، المتوفى — بها — عام 1374 هـ ·

4 — انتقل — بعد اعلان الحماية الفرنسية — من فاس لسكنى مدينة القصر الكبير ، وبها كانت وفاته ومدفنه نحو عام 1341 هـ ·

فى اربعة اجزاء ، حسب افادة الفقيه العدل سيدى محمد بن الطالب ابن سودة آنف الذكر ، كما افاد اخوه الفقيه الخطيب سيدى العربى ابن سودة، ان من منتسخات ابى حفص هذا : «المصحف الشريف» المطبوع بفاس سنة 1313 هـ ·

15 — المهدى بن عبد الرحمن ابن سودة ، اخ ابى حفص المذكور قبله· من خطاطى هذه المطبعة أيضا ، حسب ذكر سيدى العربى ابن سودة الذى لم يعين منتسخاته بها ·

جملة من منشورات أبناء الازرق :

1 — الفتح الودودى على المكودى : لاحمد بن محمد بن حمدون السلمى المرداسى المعروف بابن الحاج ، الفاسى : (جزءان) ·

ط · مطبعة الطيب الازرق — سنة 1290 هـ ·

الكاتب : محمد الطالب بن عثمان بن الطالب ابن سودة المرى ·

الناشر : بأمر السلطان محمد الرابع ·

2 — شرح نظم العمل الفاسى لابى زيد الفاسى الفهرى ، تأليف محمد ابن أبى القاسم السجلماسى ثم الرباطى : (مجلدان) ·

ط · الازرق وشريكه الدباغ — سنة 1291 هـ ·

المصحح : محمد بن عبد الواحد ابن سودة ·

3 — نوازل لابى الحسن على بن عيسى العلمى : (مجلدان) ·

ط · مطبعة فاس بمباشرة الطيب الازرق — سنة 1292 هـ ·

المصحح : ابراهيم بن محمد الدباغ ·

4 — تحرير اصول الهندسة لاقليدس — تأليف نصير الدين محمد بن محمد ابن الحسن الطوسى : (مجلدان) ·

ط · المطبعة العامرة بفاس، بمباشرة العربى الازرق — سنة 1293 هـ·

المصحح : ادريس بن الطابع البلغيثى ·

الناشر : باشا فاس ، عبد الله بن أحمد السوسى ·

5 — مصحف شريف فى مجلد ·

ط . الحاج الطيب الازرق ــ سنة 1296 ــ وهو اول مصحف طبــع بالمغرب .

6 ــ المختصر الخليلى فى حجم صغير .

ط . مطبعة الحاج الطيب الازرق ــ سنة 1297 هـ .

الكاتب : احمد بن محمد الفلالى أصلا ، الفاسى دارا ومنشئا .

7 ــ شرح نظم العمل الفاسى ، لابن أبى القاسم السجلماســى المتقدم : (مجلدان) .

ط . مطبعة العربى الازرق ــ سنة 1298 هـ .

الكاتب : محمد الهادى بن ابراهيم ابن ســودة المــرى .

المصحح : محمد بن قاسم القادرى .

8 ــ شرح لامية الزقاق لمحمد بن احمد ميارة الفاسى ، مع حاشية عليه لاحمد بن على بن احمد بن محمد الشدادى الحسنى .

ط . مطبعة العربى الازرق ــ سنة 1298 هـ .

الكاتب : محمد بن محمد جنون .

الناشر : العربى الازرق .

9 ــ الاتقان والاحكام فى شرح تحفة الحكام ، لابن عاصم ــ تأليف محمد ميارة المتقدم ، مهمش بحاشية عليه لابى على الحســن ابن رحــال المعدانى : (مجلدان) .

ط . المطبعة الفاسية بمباشرة العربى الازرق ــ سنة 1299 هـ .

الكاتب : الغالى بن الحسن المحمدى .

المصحح : محمد بن التهامى الوزانى .

الناشر : محتسب فاس الحاج محمد بن محتسبهــا الحاج المهــدى البنانــى .

10 ــ الفتح الودودى ، على المكودى ، لاحمد ابن الحاج المتقــدم : (جزءان) .

ط . المطبعة الفاسية بمباشرة الحاج الطيب الازرق ــ سنة 1299 هـ.

الكاتب : الهادى بن ابراهيم ابن سودة المتقدم .

المصحح : جعفر الكتانى .

الناشر : الحاج الطيب بن ادريس بنونة ·

11 — حاشية على شرح بحرق الصغير على لامية الافعال لابن مالك — تاليف محمد الطالب بن حمدون السلمى المرداسى المعروف بابن الحاج ·

ط · الحاج الطيب الازرق — سنة 1300 هـ ·

الكاتب : محمد الطالب بن عثمان ابن سودة المتقدم ·

المصحح : محمد التهامى بن المدنى جنون ·

12 — نوازل محمد التاودى ابن سودة ، جمع ولده ابى العباس احمد ، مهمشة بنوازل ابى محمد عبد القادر الفاسى ·

ط · المطبعة الفاسية على يد العربى الازرق — سنة 1301 هـ ·

المصحح : احمد بن الجيلالى الامغارى ·

13 — اتحاف المقتنع بالقليل فى شرح مختصر خليل ، لابى العباس احمد بن عبد العزيز بن الرشد الهلالى السجلماسى ·

ط · المطبعة الفاسية بمباشرة الحاج الطيب الازرق — سنة 1303 هـ·

الكاتب : الفاطمى سودة ·

المصحح : محمد بن الطاهر البنانى ·

14 — اتحاف السادة المتقين ، بشرح اسرار احياء علوم الدين للغزالى — تاليف محمد مرتضى الحسينى الزبيدى — 13 مجلدا ·

ط · المطبعة الفاسية ، بمباشرة الاخوين الحاج الطيب والعربى ابنى محمد الازرق — سنة 1304 ·

المصححون : عبد الله البدراوى — ابو العباس احمد بن الخياط الزكارى — عبد الملك العلمى — التهامى جنون ·

كتب افتتاحيته مع الكلمة الختامية : محمد الفاطمى بن الحسين الصقلى ·

الناشر : بامر السلطان الحسن الاول ·

وقد كان نشره موضوع وثائق مهمة ، تضمنتها الملاحق ذات الارقام 6 ، 7 ، 8 ، 9 ·

15 — الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ، لمحمد بن محمد بن على المعروف بابن الجزرى ·

ط · المطبعة الفاسية بمباشرة الحاج احمد بن الحاج الطيب الازرق — سنة 1308 هـ ·

الكاتب : الوافى بن ابراهيم ابن سودة ·

16 — مصحف شريف فى مجلد ·

ط · الحاج الطيب الازرق — سنة 1309 هـ ·

الكاتب : الفاطمى بن ابراهيم ابن سودة ·

17 — الشروح الاربعة على الاربعين النووية، تأليف أربعة من علماء فاس ، وهم : احمد بن محمد التاودى ابن سودة ، وعبد القادر بن احمد ابن شقرون ، ومحمد بن احمد بنيس ، والطيب بن عبد المجيد ابن كيران ·

ط · مطبعة حاضرة فاس بتنميق العربى الازرق — سنة 1309 هـ ·

المصححان : الطيب ابن كيران ، والمامون العراقى ·

الناشر : محمد بن القاضى عبد السلام الهوارى ·

18 — نشر المثانى لاهل القرن الحادى عشر والثانى ، لمحمد ابن الطيب القادرى : (جزءان) ·

ط · مطبعة فاس بمباشرة العربى الازرق — سنة 1310 هـ ·

المصحح : محمد الفاطمى الصقلى سابق الذكر ·

الناشر : العربى الازرق ·

19 — مصحف شريف فى مجلد ·

ط · الحا جالطيب الازرق — سنة 1311 هـ ·

الكاتب : الفاطمى ابن سودة المتقدم ·

20 — تعليق على الموطا للامام مالك — لابى عبد الله محمد بن المدنى كنون «الكبير» (جزءان) ·

ط · العربى الازرق — سنة 1311 هـ ·

المصحح : احمد بن المامون البلغيثى ·

21 — ختمه المختصر الخليلى ، لمحمد بن التهامى الوزانى الفاسى ·

ط · الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق — سنة 1313 هـ ·

الناشر : محمد بن القاضى أبى العباس أحمد بن عبد الرحمن السجلماسى ·

22 — الدرر البهية والجواهر النبوية · فى الفروع الحسنية والحسينية ، لابى العلاء ادريس بن أحمد العلوى الفضيلى : (مجلدان) ·

ط · الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق — سنة 1314 هـ ·

الكاتب : الوافى بن ابراهيم ابن سودة المتقدم (1) ·

المصحح : المؤلف ·

الناشر : عمر بن أبى العباس احمد ابن الخياط ·

23 — لؤلؤة الانوار ، وقلائد الجوهر ورياض الازهار ، فى الصلاة على التبى المختار ، لمحمد بن المدنى البوعنانى الحسنى المراكشى (2) ·

ط · الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق — سنة 1315 هـ ·

الكاتب : الوافى ابن سودة المتقدم ·

المصحح : محمد الرايس ·

الناشران : الحاج الخضر بن الحاج محمد برادة ، والشريف سيدى على بن أحمد ·

24 — السير والسلوك الى مالك الملوك ، تأليف قاسم بن صلاح الدين الحلبى الخانى ·

ط · مطبعة العربى الازرق سنة 1315 هـ ·

المصحح : عبد الكريم بن العربى بنيس ·

الناشر : عبد الله بن عبد السلام الوزانى (3) ·

25 — سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس ، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، لمحمد بن جعفر الكتانى : (3 مجلدات) ·

ط · مطبعة الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق — سنة 1316 هـ ·

المصحح : المؤلف ·

كاتب الكلمة الختامية : أحمد بن عبد المولى بن المامون العلمى ·

الناشران : التهامى بن العربى ابن موسى ، والعباس بن المختار حفيد الشيخ أبى العباس البدوى زويتن ·

---

1 — التصريح باسم هذا الكاتب انما يوجد فى بعض النسخ المطبوعة من «الدرر البهية» ، والمذيلة — ايضا — بملاحق مهمة ·

2 — لهذا المؤلف ترجمة فى «السعادة الابدية ، فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية» — ج 1 — ص 148 ·

3 — له ترجمة فى «الاعلام ، بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام» : القسم المخطوط ، ج 6 — ص 323 — 324 ·

26 — زهرة الافكار فى الرد على المخالف بالقبض فى هذه الاعصار ، لعبد السلام بن الطيب بن عبد الرحمن الشرفى ·

ط · المطبعة الفاسية بمباشرة العربى الازرق — سنة 1316 هـ ·

الكاتب : أحمد بن محمد الحضرى الشهير بالخمسى ·

27 — المحاضرات لابى على الحسن بن مسعود اليوسى ·

ط · مطبعة العربى الازرق — سنة 1317 هـ ·

المصححان : احمد البوعزاوى ، ومحمد بن عبد السلام اللجائى ·

الناشر : محمد بن قاسم بن الحاج عبد السلام البادسى ·

28 — الازهار الطيبة النشر ، فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادىء العشر ، لمحمد الطالب ابن الحاج السابق الذكر — سنة 1317 ·

المصححان : محمد بن قاسم القادرى بالنسبة للبعض ، والباقى على يد كاتبه أحمد البوعزاوى ·

الناشر : محمد بن قاسم البادسى آنف الذكر ·

29 — الموطا للامام مالك بن أنس الاصبحى المدنى (4 أجزاء) ·

ط · مطبعة فاس — سنة 1318 هـ ·

المصحح : محمد التهامى جنون ·

الناشران: محمد التهامى بن الفقيه السيد العربى ابن موسى، والعباس ابن العلامة سيدى المختار حفيد الشيخ أبى العباس البدوى زويتن ·

30 — نوازل ابن هلال — جمع على بن أحمد الجزولى ·

ط · مطبعة العربى الازرق — سنة 1318 هـ·

المصححان : محمد بن محمد ابن عبد الله ، ومحمد بن على الاغزاوى·

الناشر : أحمد بن قاسم بن عبد القادر العراقى ·

31 — «شرح تائية الشيخ الحراق» — تأليف أبى حامد المكى ابن سودة المرى ·

ط · الحاج الطيب الازرق — سنة 1311 هـ ·

الكاتب : محمد الوافى ابن سودة المتكرر الذكر ·

32 — الرسائل الكبرى لمحمد بن ابراهيم بن عبد الله ابن عباد النفزى الرندى نزيل فاس ودفينها ·

ط · مطبعة العربى الازرق ــ سنة 1320 هـ ·
المصحح : أحمد البوعزاوى ·
الناشر : محمد بن عثمان التكناوتى ·
33 ــ الرحلة الناصرية لابى العباس أحمد بن الشيخ محمد ابن ناصر ·

ط · المطبعة الفاسية ــ سنة 1320 هـ ·
الناشر : الطيب الناصرى ·

34 ــ دليل الرفاق على شمس الاتفاق ، تأليف الشيخ مصطفى ابن محمد فاضل بن مامين الملقب بماء العينين (3 مجلدات) ·
ط · مطبعة فاس بمباشرة العربى الازرق ــ سنة 1321 هـ ·
الكاتب : محمد بن الطالب بن عثمان ابن سودة المرى القائم الحياة ·
المصحح : أحمد البوعزاوى ·
الناشر : قايد المشور السلطانى : ادريس ابن يعيش ·

35 ــ اظهار الطريق المشتهر ، على اسمع ولا تغترر ، وبهامشه قرة العينين فى الكلام على الرؤية فى الدارين ، الاثنان للشيخ ماء العينين الآنف الذكر ·
ط · المطبعة الفاسية ــ سنة 1321 هـ ·
الكاتب : عبد السلام بن عبد النبى الذويب الفاسى ·
المصححان : أحمد بن الشمس محمد فال ، وعبد الرحمن بن جعفر الكتانى ·
الناشران : الناسخ والمصحح الاول ·

36 ــ ايقاظ المفتون المغرور ، مما تذم عواقبه يوم النشور ، للحاج محمد بن المدنى كنون ·
ط · مطبعة العربى الازرق ــ سنة 1323 هـ ·
الكاتب : محمد بن محمد ابن عبد الله ·
37 ــ التحرير بمسائل التصيير لابى العباس أحمد بن محمد البويعقوبى الشهير بالملوى ·

ط · مطبعة العربى الازرق ــ سنة 1323 هـ ·
الكاتب والناشر : محمد بن قاسم البادسى سابق الذكر ·

38 ــ بيان الغلط وطلب التوبة ، **ممن يقول فى المقمل الملصق : كان صلى الله عليه وسلم يفلى ثوبه** ، لأبى محمد عبد السلام بن أحمد اللجائى الفاسى ·
ط · مطبعة العربى الازرق ــ سنة 1324 هـ ·
الكاتب : محمد بن قاسم البادسى المتكرر الذكر ·

39 ــ مفاكهة ذوى النبل والاجادة ، حضرة مدير «جريدة السعادة» لمحمد عبد الحى بن عبد الكبير الكتانى ·
ط · مطبعة الحاج احمد بن الحاج الطيب الازرق ــ سنة 1326 هـ ·
الكاتب : أحمد بن محمد الحضرى سابق الذكر ·

40 ــ نوازل ، لابى الحسن على بن عيسى العلمى السابق الذكر ، (جزءان) ·
ط · بمباشرة العربى الازرق ــ سنة 1332 هـ ·
المصحح : عبد الكريم بن العربى بنيس ·

* *

3 ــ المطبعة الجديدة لابن عبد المولى

وهى مطبعة حجرية ثالثة ، وتسمى فى عدد من منشوراتها : **«المطبعة الجديدة»** ·

وفى بعض مطبوعاتها جاء ذكر صاحبها هكذا : منشئها ومديرها وقيمها: احمد بن عبد المولى بن المامون العلمى اليملاحى، وكانت وفاته عام 1322 هـ، وقد وصف فى بعض المطبوعات الفاسية الاخرى بالفقيه العدل ، ولا يزال مركز هذه المطبعة غير معروف بمدينة فاس ·

وحسبما عثرت عليه فان منشوراتها تبتدىء فى الظهور من سنة 1310 هـ : «مفيد الراوى لماء العينين» ، ثم تختفى بعد سنة 1318 هـ : «شرح نظم اوضح المسالك لابن هشام» : النظم والشرح لمحمد بن حمدون

ابن الحاج ، وقد تعددت منشورات هذه المطبعة وتنوعت ، ولكنها كانت أقل بكثير من مطبوعات أبناء الازرق .

وقد خلت منشورات هذه المطبعة الجديدة من أسماء الخطاطين ، وانما ورد فى عدد منها ذكر المصححين والناشرين الذين سنعرف أسماء بعضهم من خلال استعراض جملة من تلك المنشورات فيما يلى :

1 — «**الزواهر الافقية فى شرح الجواهر المنطقية**» للمولى عبد السلام القادرى — تأليف أبى العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالى المتقدم ، سنة 1313 هـ .

المصححان : الحاج محمد بن عبد السلام كنون ، وأحمد بن الجيلانى الامغارى .

2 — «**زهر الافنان ، من حديقة ابن الونان**» — شرح القصيدة الشمقمقية — لابى العباس أحمد بن خالد الناصرى السلوى — (مجلدان) سنة 1314 هـ .

المصحح : أحمد بن المامون البلغيثى .

الناشران : الحاج ادريس ابن جلون مع قيم المطبعة .

3 — **سنن المهندين ، فى مقامات الدين** ، لمحمد بن يوسف العبدوى المعروف بالمواق الغرناطى ، سنة 1314 هـ .

المصحح : عبد العزيز بنانى .

الناشران : محمد بن ادريس بوطالب ، وعبيد الله بن المفضل أفيلال التطوانى .

4 — **الازهار العاطرة الانفاس ، بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس** .

لابى عبد الله محمد بن جعفر الكتانى ، سنة 1314 هـ .

الناشر : قيم المطبعة .

5 — **شرح الفقهية الفاسية** لمحمد بن قاسم جسوس سنة 1315 هـ .

الناشر : قيم المطبعة .

6 — **ديوان** للشيخ ماء العينين المتقدم ، سنة 1316 .

المصححان : جعفر الكتانى ومحمد بن رشيد العراقى .

الناشر : بأمر الوزير أحمد بن موسى السوسى .

4 ــ المطبعة الجديدة للذويـــب

أنشأها عبد السلام بن عبد النبى الذويب الفاسى سابق الذكـــر بين الخطاطين المطبعيين ، وبخطه كان يكتب مطبوعاتها ، وكان تأسيسها بتوجيه من الشيخ ابى الفيض محمد بن عبد الكبير الكتانى ، وبها وقع طبع مؤلفاته واوضاعه الاخرى ·

واول ما عثرت عليه من منشوراتهـــا : «الايضـــاح لبعـــض الاصطلاح» تأليف الشيخ ماء العينين المتقدم ، وقد تم طبعه فى 22 جمـــادى الاولى سنة 1321 هـ · الثانى : «مجموعة قصائد فى المديح النبوى» لثلاثـــة ادباء : الاولى لابن وهيب ، الثانية للحاج مالك ماجور الاندرى ، الثالثة لمحمد مولود بن احمد الجواد ، وقع الفراغ من طبعها زوال الاربعاء 14 جمادى الثانية سنة 1321 هـ ، بتصحيح عبد الرحمن بن جعفر الكتانى ، وهـــى مكتوبة بخط الذويب صاحب المطبعة ·

وآخر ما وقفت عليه ــ مؤرخا ــ من منشوراتها : «ختم صحيـــح البخارى» للشيخ ابى الفيض الكتانى الآنف الذكر سنة 1323 هـ ، وقـــد كتب على الصفحة الاولى منه : «محل مبيعه : المطبعة الجديدة قرب ضريح سيدى احمد الشاوى من فاس ، على يد كاتبه : عبد السلام الذويب» ·

وهكذا نستفيد هنا مركز هذه المطبعة التى كانت منشوراتها تقل عـــن المطابع الحجرية الاخرى ، ونذكر ــ اخيرا ــ أن لصاحب هذه المطبعـــة ترجمة فى «الاغتباط بتراجم أعلام الرباط» لمحمد بوجندار (1) ·

5 ــ المطبعـــة الحفيظيـــة

أسسها السلطان عبد الحفيظ العلوى ، وجعل مركزها فى نفس مكان المطبعة الحجرية الاولى ، بزنقة جزاء «برقوقـــة» من فاس الادريسيـــة ، واندمج فى العمل بها عملة مطبعتى العربى الازرق وعبد السلام الذويب ، ولهذا لـ متظهر ــ فى فترة هذه المطبعة الحفيظية ــ منشورات باسم المطبعتين القديمتين ، والغالب أن نفس السلطان جهزها تجهيزا جديدا ، حيث كان قد

1 ــ مخطوط خ ، ع ، د 1287 ــ ج 2 ص 178 ·

مضى على انشاء المطبعة الاولى مايزيد على الاربعين عاما، وكان المشرف عليها هو أبو العباس احمد بن محمد الشامى المتوفى سنة 1364 هـ ، (1) وقد استمر نشاطها أعوام 27 ـ 28 ـ 1329 هـ ، نشرت خلالها مؤلفات مهمة وعديدة على نفقة مؤسسها ، ونذكر من هذه المؤلفات :

1 ـ «**نشر البنود ، على مراقى السعود**» ، تأليف عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوى الشنجيطى ، مهمش بـ «**الضياء اللامع ، فى شرح جمع الجوامع**» تأليف أحمد بن عبد الرحمن القيروانى الشهير بابن حلولو ، فى ثلاثة أجزاء ، سنة 1327 هـ .

2 ـ «**مشرب العام والخاص ، من كلمة الاخلاص**» لابى على الحسن ابن مسعود اليوسى المتقدم ـ 5 حجة سنة 1327 هـ .

3 ـ «**مفتاح الاقفال ، ومزيل الاشكال ، عما تضمنه مبلغ الامال من تصريف الافعال**» ، لمحمد بن أبى القاسم السجلماسى المتقدم ـ 10 ربيع النبوى سنة 1328 هـ .

4 ـ «**شرح نظم الخريدة**» فى المنطق لابى الفيض حمدون ابن الحاج ، تأليف الشيخ الطيب بن عبد المجيد ابن كيران ، مهمش **بشرح عليها** ـ أيضا ـ لمحمد بن حمدون ابن الحاج ـ 20 محرم سنة 1329 هـ .

5 ـ «**فيض الفتاح على نور الاقاح**» ـ فى علوم البلاغة ـ المتن والشرح لعبد الله بن الحاج ابراهيم الآنف الذكر ، جزءان ـ 25 رمضان سنة 1329 هـ .

ولم يذكر اسم كاتب هذه المنشورات الخمسة ، أما مصححها ـ جميعا ـ فهو أبو زيد عبد الرحمن بن جعفر الكتانى المتوفى سنة 1334 هـ وهذه الخمسة هى التى ورد فيها اسم المصحح بين منشورات هذه المطبعة التى وقفت عليها .

وأخيرا فمن الواضح أن هذه المطبعة الحجرية غير المطبعة السلكية

---

1 ـ تعيين هذا المشرف مع مركز المطبعة : عن المؤرخ أبى خليل عبد السلام ابن سودة المرى .

الفاسية التي طبع بها هذا السلطان مؤلفات كثيرة ومهمة ، وسنتحدث عنها — على حدة — باعانة الله تعالى في موضعها الذى هو الطور الثالث ·

6 — مطبعة احمد بن عبد الكريم القادرى

الشريف الحسنى الشهر الذى لا يزال بقيد الحياة ·

7 — مطبعة الشركة المحدثة لطبع الكتب بفاس

وقد جاء الاعلان عن تأسيس هذه الشركة آخر رسالة **«كمال الاعتراف بالعمل بالتلغراف»** ، لمحمد بن عبد السلام الطاهرى المكناسى ، ويحمل هذا الاعلان تاريخ 2 صفر عام 1335 هـ / 28 نونبر سنة 1916 م ·

ولا تزال المعلومات عن هذه وسابقتها غير مكتملة ، وسنتوسع في الحديث عنهما عند الطور الثالث ، وانما ذكرنا هنا مع المطبعتين : 4 — 5 ليتناسق حديث المطبعة الحجرية ·

والآن : نذيل بثلاث تتمات ، لتأتي — بعدها — نصوص الملاحق :

أولا : ان الطباعة الحجرية خضعت الى قانون تنظيمى صدر في شكل ظهير من جهة السلطان عبد العزيز ، بتاريخ 4 رمضان عام 1314 هـ / 1897 م ، وهو يسمى المطبعة بآلة انتشار العلم ، ويسند الى محتسب فاس مراقبة اشغال الطبيعين ، على أن يسيروا في مزاولة مهنتهم حسب الشروط التالية :

— التزام الاتقان والجودة في منشوراتهم ·
— العناية بالتصحيح على يد العلماء المختصين ·
— أن لايزيدوا على العدد الذى وقع الاتفاق على طبعه ·
— أن لايطبعوا كتابا سبق نشره الا بعد مرور عامين اثنين من تاريخ الطبعة الاولى ·
— أن لايقدموا على طبع كتاب الا بعد اشعار مسبق لقضاة فاس ، تفاديا من نشر ما يخل بالآداب المرعية ·

وبعد هذا : فان الظهير يحظر على الكتبيين أن يشتروا من الطبيعين منشوراتهم ، حتى لا يضايقوا الملتزمين للنشر ·

وأخيرا : فان من خالف هذه التوجيهات يعاقب ، ويصادر ما بيده من النسخ ، ويوقف عن الاشتغال بالطباعة ، أنظر الملحق رقم 11 ·

ثانيا — كانت آخر مطبعة حجرية مغربية هى مطبعة القادرى الآنفة الذكر ، وقد حطمتها السلطات الفرنسية سنة 1944 م (1) ·

ثالثا — ان منشورات المطبعة الحجرية الفاسية قد ورد كثير منها ضمن :

أ — «تقويم المطبوعات الفاسية» الذى اشترك فى وضعه — بالفرنسية — كل من الاستاذين محمد بن شنب الجزائرى ، وليفى بروفنسال ، ونشر فى «المجلة الافريقية» سنة 1922 م ·

ب — «معجم المطبوعات المغربية» الذى يشتغل باخراجه الاستاذ بالمدرسة الادريسية الثانوية بفاس : ادريس بن الماحى الادريسى القيطونى (2) ·

وقد كانت اللائحتان حافزا لعدم تذييل هذا الموضوع بفهرس للمطبوعات الفاسية ، التى اكتفيت منها بنماذج توضيحية تخللت مباحث هذه الدراسة ، والله — سبحانه — ولى التوفيق ·

ملاحق حول المطبعة الحجرية

ان الملاحق الاربعة الاولى مأخوذة من سجل كان للسيد الطيب بوعشرين وزير السلطان محمد الرابع ، وهو — الآن — فى حوزة العالم الاستاذ ادريس بن الماحى الادريسى القيطونى الفاسى ·

ملحق رقم 1

نفقات الطبيع المصرى والمطبعة فى الاربعة الاعوام الاولى ، وهى واردة فى السجل هكذا :

الحمد لله ، تحصل من زمامات نظار فاس وأمنائها : انه صير على

1 — تحطيم آخر مطبعة حجرية مغربية : رواه مؤلف كتاب «فاس قبل الحماية» ·

2 — توفى — رحمه الله — أثناء الاشتغال بتنسيق هذه الدراسات ، عام 1391 هـ / 1972 م ·

المصرى صاحب المطبعة من مستفاد أحباس القرويين ، فى مدة مبدؤها ربيع الثانى عام 1282 ، وآخرها متم رجب عام 1285 فى :

صائر مطبعة ومئونته اليومية	«31»
والشهرية	200
وكراء داره للمطبعة	180
وأجرة النساخ (مياومة)	12 /
والمصحح مياومة	12 /

حسبما هو مفصل فى زمامهم ـ الجميع هذا : وهو اثنا عشر الف مثقال ، ومائة مثقال ، وأربعة وستون مثقالا ، وثمان أواقى 121648 (1).

وصير عليه أمناء فاس فى المدة المذكورة : فى كساويه ومئونة أصحابه : «20» ، وكساويهم وكراء دار سكناه وفى تسفير كتب ، حسبما هو مفصل فى حسابهم الاول والاخير هذا : الجميع عشرون الف مثقال ، وستمائة مثقال ، وستة وسبعون مثقالا هكذا : 206760

يضاف له ما كان صيره عليه أمناء الصويرة فى شعبان عام 81 : فى :

مئونته	150
وزاده	270
وكراء سفره	1160
وصائر مطبعته	874
الجميع هذا	2454

وما صيره عليه نظار مكناسة ، من 28 شعبان عام 81 . الى 17 ربيع الاول عام 82 . فى :

كسوته	836
ومئونته	4000
وصائر مطبعته	1268
الجميع هذا	6104

وما صيره عليه أمناء طنجة فى مسائل المطبعة على يد الحاج سعيد كسوس (2) الى أوائل ذى الحجة عام 1283. هذا 32576

1 ـ الرقم الاول من جهة اليمين للاواقى ، وما بعده للمثاقيل .
2 ـ كان قنصلا للمغرب بجبل طارق ، أخذا من «اتحاف أعلام الناس» ج 5 ـ ص 59 .

يصير الجميع اربعة وعشرين الف مثقال ، وسبعمائة وتسعة وثمانين مثقالا ، واربع أواقي هكذا 247894

ملحـــق رقـــم 2

مرتبـــات موظفـــى المطبعـــة

الحمد لله ، المصرى يقبض فى مئونته اليومية من الاحباس ، هذا 31
كان يقبض هذا : «31» أولا ، ثم صار يقبض ـــ الان ـــ هذا : 26
كل يوم .

ويقبض ـــ أيضا ـــ مشاهرة من الاحباس : عشرين مثقالا 200
والنساخ له يقبض من الاحباس كل يوم : هذا 12
والمصحح يقبض من الاحباس كل يوم هذا 12
والمتعلمون ـــ عددهم «20» ـــ يقبضون كل يوم من الامناء 56
كانوا يقبضون هذا : «56» فى اليوم ، فصاروا يقبضون الان هذا 67
كل يوم ، حسبما بزمام أهل فاس .

ملحـــق رقـــم 3

ويتضمن العقد الواقع بين القاضى الروداني والطبيع المصرى، فى شأن عمل الاخير بالمطبعة ، وهو محرر بخط المصرى الشرقى على ورقـــة خاصـــة كتب بأعلاها :

ورقة ضمان وشروط ومقادله : «مقاولة» وما اشبه ذلك من السندات الخالية عن وضع مبلغ ، ثمنها قروش «6» ، واسفل هذا ـــ بعد مقـــدار أربعة أسطر ـــ جاء نص العقد هكذا :

«انه لما كان فى يوم الاربعاء المبارك 14 يوم خلت من شهر ربيع الاول سنة 1281 : اتفق حضرة العمدة الفاضل السيد الطيب الرودانى ، ابن المرحوم السيد محمد الرودانى، من أهالى مدينة رودان «مغـــرب» ، مـــع الفقير الى الله تعالى كاتب الاحرف : الفقير محمد القيانى المطبعى ، بـــن

المرحو مابراهيم ، من أهالى مصر المحروسة ، على انه يتوجه برفقته الى مدينة رودان بأرض المغرب ، ويشتغل عنده على مطبعة حجر لو عدة سنة كاملة ، ابتداها «كذا» شهر ربيع الاول سنة 1281 ، وانتهاها «كذا» شهر الخير «كذا» سنة 1282 ، وله فى نظير ذلك راحته مما جميعه «كذا» من اكل وشرب وكسوة على طبق مراده ، وفى كل شهر يعطى له مائتان غرس مصروف لجيبه ، وقد رضى الفقير محمد القيانى بذلك ، ومن بعد وفاء السنة المذكورة اذا أراد الفقير محمد القيانى بأن يرجع الى بلده مصر المحروسة ، بأن يرحله العمدة السيد الطيب الى حد بلده على طرفه ، وقد رضى السيد المذكور بذلك .

وأيضا الفقير محمد القيانى استلم من حضرته تسعة بينتو سلف الله تعالى ، لاجل يوفى «كذا» بهم ما عليه من الديون الذى عليه بالمحروسة ، وفى محل الاقامة يوفيهم لحضرته ، مع التدارك : بعد انقضاء السنة المذكورة فى دفعة واحدة ان أراد الرجوع الى بلده ، ما على أمر «كذا» ان أراد القيام مع السيد المذكور .

وقد رضى كلاهما بذلك على يد من حضر من المسلمين ، والاسما «كذا» ، والختم فى 14 ربيع الاول سنة 1281 ، كاتبه الفقير محمد القيانى المطبعى ، العمدة الفاضل السيد الطيب الرودانى» .

واسفل هذا — فى نفس الورقة — بخط القاضى الرودانى :

«الحمد «كذا»، اخذ الكاتب أعلاه من كاتبه «9» بنتو ، ومسمى بنتو بمصر : الشخص المسمى بالغرب باللويز ، الرائج بأربع ريالات من سكة الفرنسيس، وبمائة وخمسة وثلاثين قرشا بالحساب المصرى ، قيده — بيانا — محمد الطيب بن محمد التملى ، غفر الله له ولطف به» .

ملحق رقم 4

حساب لوازم موجهة للمطبعة من جبل طارق .

وقد قدرت أثمنتها حسب العملة الانكليزية :

«الحمد لله وحده ، حساب لوازم المطبعة للجانب العالى بالله :

وجهنا فى الرفقة الاولى ما تخلصنا فيه من الامناء ، كما أخبرنا سيدنا بذلـك : 14 = 3 = 0

ثم فى الرفقة الثانية ـ ايضا ـ وجب 4 = 4 = 8

ثم ـ أيضا ـ بعده هذا 33 = 3 = 0

الجميع خلصنا فيه الامناء ، وقدره هذا 37 = 7 = 8

ثم ثمن «150» رزمة كاغيد ، ومداد ، وأحجار الطبع ، وكاغيد من غير نشا ، وبدر ، ومس ، ومنضار ، وصابون أبيض ، وغير «كذا» وجب 367 = 2 = 3

ثم صابون مصرى وصاير عليه الى طنجة 5 = 1 = 2

الجميع ، وجه لنا الامناء ثمنه وقدره هذا 372 = 3 = 5

ثم ثمن صابون ، وجفافة البحر ، وماء قاطع ، وماء لغسل الخروق ، وجه الامناء ثمنه 17 = 7 = 8

جميع ما وجه لنا الامناء ثمنه هذا 441 = 9 = 5

ثم ـ أيضا ـ ما طلبنا من الامناء ثمنه يوم تاريخه كما هو مبين أسفله : أوله ثمن صندوق الذى قدم من عند السيد الحاج محمد افروخ ثمنه = H20 ، فيه لوازم المطبعة التى أمر سيدنا ـ نصره الله ـ بجلبها من مصر ، صائر عليه هذا 1 = 6 = 0

الجميع هـذا H 21 = 6 = 0

ثم اثنان أرطال من غرا السمك بهذا H 11 = 6 = 0

ثم اثنان أرطال صوفة البحر ، يجب 10 = 9 = 0

الجميع هـذا 22 = 3 = 0

ثم ثمن ستة شناديل «كذا» وصاير عليهم ، يجب هذا 8 = 4 = 21

ثم 10 صناديق كاغيد كتابى ، داخلهم مائتين «كذا» وعشر رزمات : 0210 ، سوم الرزمة ـ 4=11=1 H ، يجب هذا 406 ـ 10 = 8

ساير «كذا» عليهم فى كراء البابور لطنجة وكراء فلوكة 3 = 6 = 0

جميع ثمن الكاغيد هذا H 410 = 4 = 8

جميع لوازم المطبعة الذى طلبنا ثمنه من الامناء يوم تاريخه هـذا H 475 = 6 = 0

الجميع كما ذكر أعلاه هذا ، مفصلا كل رفقة وحدها 5 = 3 = 917

قيد فى جبل طارق فى 5 من ذى الحجة الحرام ، عام 1283 ·

مجموع القائمة أعلاه : تسعمائة ريالا ذهبا ، وسبعة عشر ريـــالا ذهبا ، وثلاث بلاطات ، وخمسة أكوارط ·

ملحـــق رقـــم 5

رسالة فى شأن قيام الطيب الازرق بالمطبعة بعد سفر الطبيع المصرى :

«الحمد لله وحده» ، محبنا الفقيه الاديب ، اللبيب ، الحاجب ، الوزير الاعظم ، والملاذ الافخم ، سيدى موسى بن أحمد ، سلام عليك ورحمـــة الله تعالى وبركاته ، عن خير مولانا نصره الله ·

وبعد : فبعد تقديم الاهم من تجديد العهـــد بكم ، والســـؤال عـــن احوالكم ، واستجلاب صالح الدعاء منكم ولكم ، لاسيما فى أوقات الانابـــة ، ومظان الاجابـــة ·

فليكن فى كريم علمكم أن المطبعة الشريفة التى كان سيدنا المقدس بالله أحدثها فى هذه البلاد المباركة ، جعلها الله فى ميزان حسناته — لما بقيـــت مهملة بتوجه المصرى الذى كان قيما عليها لحال سبيله ، ورد طلبة العلـــم الشريف على حامله المعلم الطيب الازرق الذى كان تخرج فى معرفة كيفيـــة الطبع على يد المصرى ، وطلبوا منه القيام فيه مقامه ، فلم يجد بـــدا من مساعدتهم ، وأنهى مطلوبهم لمولانا قدس سره ، فأجاب اليه برد الله ضريحه لما رأى فيه من نشر العلم الشريف ، بعد أن التزم المعلم المذكور بدفع العشر من الكتب التى يطبع فيها، لجانب المخزن فى مقابلة احجاره ومطبعته التـــى يقع الطبع فيها ·

وحيث مضى العمل على هذا وكانت يده فارغـــة ، طلب منى المعلـــم الطيب مشاركته فى المطبعة المذكورة اعانة له على تحصيله بالصائر ، لانـــه لابد منه ، فأجبته اليها باشارة من مولانا الوالد رحمه الله ومتعنا برضاه ، لما رأيت فيها من النفع والبر الذى أمر الله بالمعاونة عليه ، ولا زلنا على هذه الحالة ، الى أن قام السيد الطالب الشامى ناظر مسجد القروييـــن ،

يطالبنا باعطاء ثلاثة كتب من كل ما طبعناه زيادة على العشر المذكور ، مع انه لا مدخل (1) لجانب الحبس فى هذا العمل ، ولا تعلق له به الا ما كان الزمه لنفسه المعلم المذكور ، وبسبب ذلك لما ورد الامر المولوى من سيدنا المرحوم باعطائه للمطبعة والاحجار امتنع الناظر من ذلك الا بالتزامه ما ذكر ، ولما رأى امتناع الناظر من ذلك ، الزم نفسه ما وصلكم ، فدفع الناظر بعض حوائج المطبعة وترك البعض تحت يده ، فاستظهر الناظر بالاشهاد المذكور ، ورام قبضه منى ، مع انه لا مدخل للحبس فى ذلك ، وانما النظر لمولانا المؤيد المنصور بالله ، وقد التزم له بالعشر وصار يدفعه لامنائه ، فلم يبق لقائل ما يقول ، ولا لمريد الزيادة ما يزيد .

فنحب من الله ثم منك : أن تنهى لسيادته هذه القضية ليأمر أعزه الله بكف الناظر عن خطابه ايانا بما زاد على مايدفعه للجانب العالى بالله. كما نحب أن تخبر جنابه العالى بالله بأن الاحجار المشار اليها فسدت ، ونظره السديد أوسع فى اصدار أمره الشريف بأمر الناظر بدفع ما بقى تحت يده من الاحجار والمطبعة ، لتبقى هذه الحسنة جارية على يده الشريفة .

وسلم منا على محل الاخ نجلك سيدى أحمد ، بارك الله لنا فيكم ، والسلام ، فى 21 شوال الابرك عام 1291 . الحسين بن محمد الدباغ، كان الله له ولوالديه آمين» ، صح من أصله بواسطة المرجع التالى :
النهضة العلمية ، فى عهد الدولة العلوية للمؤرخ ابن زيدان — خ

ملحق رقم 6

وهذا مع أرقام : 7 — 8 — 9 بعده : اربعتها تشتمل على وثائق حول نشر «اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين» . للسيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى ، وهذه الوثائق تتسلسل ابتداء من رسالة رئيس العلماء بمكة المكرمة الشيخ احمد دحلان للسلطان الحسن الاول ، حيث كان هذا الشيخ يحاول طبع شرح الاحياء بالشرق ، وكاتب نفس

1 — فى الاصل لاخل ، ولا معنى له .

السلطان يطلب منه احدى نسختى هذا الشرح المحفوظتين بالمغرب ، ليقع الطبع عليها . وهذا نص الرسالة :

«اللهم انا نسألك بأسمائك الحسنى ، ونتوسل اليك بنبيك الاسمى ، ان تلحظ بعين رعايتك الربانية ، وتحفظ بحفظ وقايتك الصمدانية ، من ملكته زمام السلطنة السنية ، وأقمت بدولته منار الشريعة المحمدية ، السلطان ابن السلطان بن السلطان، الملك المظفر المعان، مولانا السيد الشريف في النسب الحسن ، مولانا السلطان حسن ، أيد الله بدولته الاسلام والمسلمين ، وقمع بسيف صولته الكفرة والملحدين ، آمين .

أما بعد تقبيل الاقدام ، والدعاء لدولتكم ببلوغ المرام ، فالداعي لتسطيره ، والموجب لتحريره ، التشرف بالسؤال عن ذاتكم السنية ، لا زالت آمنة محمية ، فان أوصافكم الحميدة أوجبت على محبكم محبتكم الاكيدة ، وما زال داعيا لكم تجاه البيت الحرام ، والركن والمقام ، والمشاعر العظام ، بالحفظ والنصر وبلوغ المرام ، جعل الله ذلك في حيز القبول ، بجاه سيدنا الرسول ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه وأنصاره وأحزابه .

ثم المعروض على مسامعكم الكريمة ، وعواطفكم الرحيمة ، أن شرح العلامة السيد مرتضى على احياء علوم الدين من الكتب التي يحصل بها النفع العام ، لجميع الاسلام ، وهو مفقود من الحرمين الشريفين ، مع انه ينبغي وجوده في كل من البلدتين ، ومفقود أيضا من اليمن ومصر والشام ، مع الاحتياج اليه لاهل الاسلام ، وهو موجود في خزانة كتب سلطنتكم السنية ، وفي خزانة كتب القروية .

فالمرجو من مراحم دولتكم العلية ، ومكارم همتكم المرضية ، صدور أمركم الكريم ، بالتفضل بنسخه من فيض احسانكم العميم ، بأن يصدر الامر من دولتكم بنسخ نسخة من احدى النسختين ، ليحصل النفع بها في الحرمين الشريفين ، أو تأمر بارسال احدى النسختين ليحصل نسخها بالحرمين ، ثم تعاد لمقرها المصون ، وموطنها المبارك الميمون ، واذا حصلت نسخة باحدى الحرمين ، يحصل ان شاء الله طبعها من غير مين ، فينشر بطبعها الوف من الشرح المذكور ، ويكتب الله لكم بذلك أوفر الاجور ، والدال على الخير كفاعله ، ومن دل على هذا فله مثل أجر من عمل به ، ومن سن سنة حسنة فله مثل أجر من عمل بها .

لا زلتم موفقين للخيرات ، فائزين بأعلى الدرجات ، واقدامكم الكرام ، مقبلة على الدوام ، فى غرة ربيع الاول ، سنة 1300 ٠

الداعى لدولتكم : رئيس العلماء ، ومفتى الشافعية ، بمكة المحمية : أحمد بن زينى دحلان» ٠

«النهضة العلمية ٠ فى عهد الدولة العلوية»

ملحـــق رقـــم 7

كتاب السلطان الحسن الاول لقاضيى فاس ، فى شأن ما وجد مـــن شرح الاحياء بخزانة القرويين ، وهو مؤرخ فى 25 ربيع النبوى عام 1301 هـ:

«القاضيين بمحروسة فاس : السيد حميدة بن محمد ، والسيد أحمد ابن عبد الرحمـــان ، وصل جوابكما عما أمرنا كما به من البحث فى خزانة القرويين عن شرح الشيخ مرتضى على احياء علوم الدين ، ومراجعة كناش كتبها : بأنكم ألفيتم ثلاثة أرباعه : الثانى والثالث والرابـــع فى أحد عشر جزءا ، كما ألفيتم من الربع الاول سبعة أجزاء ، وبينتم ما فيه من البتر من المحال التى سميتم ، فكان جميع الاجزاء الموجودة فى الخزانة ، المقيدة فى الكناش الحادث ثمانية عشر، ذاكرين أن الكناش القديم لم تعثروا عليه، وان نحو النصف من كتب الخزانة متلاش غير ممكن الاصلاح ، وفى بقائه بهـــا ضرر على الباقى ، طالبين ما يكون عليه العمل فيه ، وفى المتلاشى المكن الاصلاح ، وصرنا من ذلك على بال ٠

فاما ما عثر تم عليه من الاجزاء الثمانية عشر بخزانة القرويين فقـــد عرفناه ، وحيث تعين البتر فى الربع الاول فليكمل كتابة بالمواجرة عليه من النسخة التى بالخزانة الملوكية ، فقد أمرنا المكلفين بها بدفع المنتسخ منـــه لكم من محل البتر الذى عينتم ، فلتطلبوه منهم بعد تعيينه لهم ، واشرعوا فى العمل من الان على بركة الله ، وقد أمرنا ناظر القرويين بالصائر على ذلك، كما أمرنا المكلفين بالخزانة الملوكية بأن يكملوا ما خص من النسخة التى بها من آخرها على يدكم ، والصائر على ذلك أمرنا به أمناء دار عديل ، وعليه فلتقوموا على ساق فى وصل البتر من كلتا النسختين ٠

وأما الكناش القديم فلتبحثوا فيه عند من كان حتى تعثروا عليه ، فان في اخفائه دسيسة واضحة ، واعلمونا ...»

«سجل مكاتيب حسنية» م ۰ م ۰ 348

ص 271

ملحــق رقــم 8

جواب السلطان الحسن الاول عن رسالة الشيخ دحلان ، وهو مؤرخ في 25 ربيع النبوى عام 1301 هـ :

المحب في الله ، الخير الإحظى ، فقيه الشافعية ومفتيها ، العلامـــة المرتضى ، السيد أحمد دحلان ، المكى ، الشافعى ، سددك الله ، وكنفتك مرضاته ۰

أما بعد : فقد وصل كتابك سائلا عن الاحوال ، المرجو من الكريـــم سبحانه دوام اجرائها على أصلح منوال ، وداعيا لجانبنا تلقاء البيت الحرام، والركن والمقام ، بما يرفع لمواطن القبول ، ويتـــأرج بنفحـــات اجابتـــه الجنوب والقبول ، بجاه مولانا الرسول ، عليه وعلى عترته وأسرته الصلاة الكاملة والسلام الموصول ، وراغبا في توجيه نسخة من الشيخ مرتضى على الاحياء ، للتوقف هنالك عليه ، لكونه بذلك الاقليم مفقودا ، مع احتياج أهل الاسلام اليه ، كي يحصل بطبعه المقصود من ايقاظ البواعث الوسنة، فتكون دالا على الخير ويثبت به في صحيفتنا أجر من سن السنة الحسنة ، الى آخر مسطوركم السعيد ، المتلقى بالاجلال والترحيب المزيد ۰

فأما ما اسفر عنه ثغر محبتك ، ودل بالمطابقة عن صدق مودتك ، من انتسامك بعنوان موضوعها ، وروايتك من أحاديثها المتصلة غير مقطوعها ، فحكم مسلم الثبوت بقوى الاستدلال ، وامر بحول الله قاض — يوم لا ظل — بمزية الاستظلال ۰

وأما ادمانك لجانبنا على صوالح الادعية ، فمن مزيد التوفيق والتأييد والظفر بقصارى الامنية ، لاسيما في ذلك المقام الاكبر ، الكفيـــل بسرعـــة الاجابة ومنال الحظ الاوفر ، فهو من شأن الهداة المرشديـــن ، ومن أداء النصيحة التى هى معظم أركان الدين ، فليجعل المحب ادمانه على ذلك أمرا

اكيدا ، وليستوجب بمزيده من مذخر المتوبة عند الله مزيدا ، جزاك الله عنا خيرا ، ورضى سعيك المشكور بفضله العميم ذخرا ، آمين ·

وأما شرح الاحياء المذكور فقد تيسر ، وعما قريب يوافيك بحول الله ، والسلام ·

«سجل مكاتيب حسنية» م ، م ، 348 — ص 270 ·

ملحق رقم 9

وهو يتضمن العقد النهائى الواقع مع الطبيعين ابنى الازرق فى شأن طبع شرح الاحياء بالمطبعة الحجرية الفاسية ·

«الحمد لله ، لما أن صدر أمر مولانا المعتز بالله ، أدام الله نصره وتأييده وعلاه ، على أمناء صائره السعيد بدار عديل وفره الله ، بأن يصيروا مع جانب حبس مسجد القرويين عمره الله بدوام ذكره ، على طبع مائتى نسخة من شرح الشيخ مرتضى على احياء علوم الدين ، للامام الغزالى نفع الله بهما ، بالمطبعة الفاسية ، ذات المحاسن الفاشية ، التى هى من جملة مفاخر مولانا المنصور بالله الفاخرة ، وحسنات سلفه الجارية المتواثرة ، قدس الله أرواحهم فى عليين ، وأعاد بركتهم على مولانا أمير المومنين ، وأحيا به معالم الدين آمين ، وأمر — أعز الله أمره — بأن يكون نصف الصائر على جانب الحبس المذكور ، والنصف على جانب بيت المال السعيد ، وذلك على يد الفقيهين الجليلين النزيهين العالمين المتقنين القاضيين حينه بمحروسة فاس ، أعزهما الله وحرس ولا يتهما من كل سوء وبأس ·

فحضر لذلك — أولا — المعلمان المباشر ان لطبع الكتب بفاس فى حينه ، وهما : الحاج الطيب بن المرحوم سيدى محمد الازرق الفاسى ، وأخوه للأب المعلم العربى ، وكان الفصل وقع معهما — أولا — فى ذلك بأن يطبعا — معا — ملزمة واحدة فى اليوم ، أى مائتى ورقة وعشر ورقات ، بأجرة قدرها لهما معا على الملزمة عشرة مثاقيل ، وللمتعلين معهما خمسون أوقية ، وللمصححين أربعون أوقية ، ومثلها للكاتبين ، وللقيم خمس عشرة أوقية ، وكراء المحل ثمان أواقى فى اليوم ، وذلك دون الاقامة وغيرها من الصائر اللازم للمطبعة ، وكان الاشهاد وقع عليهم بذلك ·

ولما طولع بها أمناء الصائر المذكورين وسئلوا من قبل من يجب سدده الله وارشده هل سلموا ذلك فيقع عليهم الاشهاد به ، أو ظهر لهم خلافه مما فيه مصلحة لجانب المخزن وجانب الحبس فيبينوه ، فجددوا البحث والنظر فى عمل المطبعة وقاعدتها ولوازم صنعتها ، فاقتضى نظرهم أن لايقتصر المعلمان معا على طبع ملزمة واحدة فى اليوم لقلة عملها وكثرة الاجرة المقدرة لهـــا ، ولما يقتضيه ذلك من طول المدة لكمال الكتاب ، بل يطبع كل واحد منهمـــا ملزمة فى اليوم ، فيكمل الكتاب فى نصف المدة المقدرة له أولا ، وأن تكـــون اجرة الملزمتين — معا — خمسة عشر مثقالا : لكل ملزمة خمس وسبعون أوقية ، فينقص لكل ملزمة خمس وعشرون أوقية ، وأن تكون أجرة المتعلمين على ملزمتين ستين أوقية ، يجب للزمة واحدة ثلاثون أوقية ، فانتقص عما كان أولا عشرون أوقية ، وأن تكون اجرة المصححين مثقالين لكل ملزمـــة ، ولهما عن ملزمتين اللتين هما خدمة اليوم أربعون أوقية فى اليوم ، فانتقص من كل ملزمة عما كان أولا مثقالان ، وأن يكون ثمن القطران الذى يصنع من هبائه مداد الطبع داخلا فى الخمس والسبعين أوقية التى هى أجرة المعلم على الملزمة ، وقدر ثمنه مثقال واحد لكل ملزمة ، فتوفر منه الف مثقـــال بالافراد ومائتا مثقال ، كما توفر من كراء المحل عن نصف المدة التى انتقصت بسبب طبع ملزمتين فى اليوم نحو الستمائة مثقال ، فاجتمع فيما انتقص من الاجرة والاقامة وتوفر لجانب الحبس والمخزن بسبب ما ذكر : عشرة آلاف مثقال وخمس مائة مثقال ، واجتمع فى أجور المعلمين والمتعلمين والمصححين والكاتبين وكراء المحل على ماوقع به الفصل ثانيا: سبعة عشر مثقالا بموحدة، وسبع أواقى ونصف الاوقية لكل ملزمة تطبع ، وهى مائتا ورقة وعشـــر ورقات ، وهى اثنان واربعون كراسا فى القالب الكبير ، وهى خدمة معلـــم واحد من المعلمين ، فهما معا يطبعان اربعة وثمانين كراســـا فى اليـــوم ، واجتمع فى ثمن الكاغد الواجب لخدمة الملزمة عشرة مثاقيل وثلاث أواقى ، وفى الاقامة لكل ملزمة تسع عشرة أوقية وربع الاوقية ، كما ذلك مبيـــن ومفصل بالزمام طرته ، فأجتمع فى صائر كل ملزمة اجـــرة واقامة وكاغيدا تسعة وعشرون مثقالا وتسع أواقى وثلاثة ارباع الاوقية ، فاذا ضرب هذا العدد فيما فى الاصل المنتسخ منه من الملازم ، واضيف للخارج ما تتوقـــف

عليه الخدمة من الاقامة فى بعض الاحيان عن المدة كلها ، وقسم المجتمع على عدد الكتب المراد طبعها ، يخرج ثمن الكتاب الواحد ، وقدره أربعة عشر ريالا ، وتسع وعشرون أوقية ، ونصف الاوقية ، كما فصل وبين آخر الزمام يمنته ·

وبعدما استوعب المعلمان المذكوران الصائر المبين بالزمام المذكور ، من أجرة واقامة وغيرهما ، أشهدا معا انهما رضياه وقبلاه ووافقا عليه ، والتزما طبع الكتاب المذكور بالاجرة والاقامة المذكورة ، وعلى أن يطبعا ملزمتين اثنتين فى اليوم : ملزمة لكل واحد منهما ، طبعا جيدا متقنا لا عيب فيه ولا محو ولا تقطيع فى حروفه ، غير ناقصة من المداد ، مع ما يجب لها من اقامة الطبع، كماالتزما — أيضا — بدرك ماعسى أنيفسد من يد الكاتبين الذين عيناهما لذلك ، لكونهما اختبرا خطهما فى الطبع فوجداه صالحا لعمل المطبعة ، التزاما لازما لما لهما وذمتهما ، واتفقا معا على أن يختص كل واحد منهما بطبع نصف الكتاب المذكور ، وأن يختص كل واحد منهما بكاتب يكتب له ، ليكون نصف الكتاب بخط كاتب ، والنصف الآخر بخط كاتب آخر ، وليتميز عمل كل منهما من الآخر ·

حضر أمناء الصائر المذكورون ، ووافقوا على ما ذكر كله الموافقة التامة ، عرفوا قدره ، شهد به عليهم بأكمله وعرفهم ، وفى حادى وعشرى شعبان الابرك ، عام واحد وثلاثمائة وألف ، فلان بشكله ودعائه ، وفلان بشلكه ودعائه» ، صح من أصله ·

وبطرة هذا العقد بيان تكاليف طبعه وفيه فوائد : منها معرفة ما كان يحتاج اليه يومئذ فى الطباعة الحجرية ، وأجرة المواد والعمال :

«الحمد لله ، هذا بيان الصائر على طبع مائتى نسخة من شرح الشيخ مرتضى على احياء علوم الدين للغزالى ، نفع الله به ، وهى التى صدر الامر الشريف بطبعها ، مع زيادة عشر نسخ لجبر ما عسى أن يتمزق حال الطبع ، أو يخرج غير صالح ·

ففى الاصل المنتسخ منه على ما قدره المعلمان المباشران للطبع اثنتى عشرة مائة ملزمة ، والملزمة عبارة عن صفحة من الكاغد يكتبها الكاتب وتطبع فى الحجر ، ثم يطبع منها أوراق بعدة ما يراد من الكتب ، ثم يكتب

الكاتب التى تليها وتطبع فى الحجر كذلك بعد محو الاولى ، وهكذا الى انتهاء ما فى الاصل من الملازم ، ولذلك اذا أريد ثمن الكتاب الواحد قبل الاخذ فى طبعه ، بحسب صائر ملزمة ويضرب فيما فى المنتسخ منه من عدة الملازم، يخرج صائر الكتب كلها ، فيقسم على عدتها يخرج ثمن كل كتاب منها ·

«بيان أجرة ملزمة واحدة أعنى مائتى ورقة وعشرة» :

فللفقيهان المصححان «كذا» على كل ملزمة 20

وللكاتبين لكل ملزمة 40

وللمعلمين لكل ملزمة بادراج القطران كما وقع به الفصل 75

وللمتعلمين عدتهم خمسة للملزمتين ، وأجرتهم على واحدة هذا : 30

أجرة القيم حيث تطبع ملزمتين فى اليوم هذا : 15 وعلى

واحدة هذا / 07

كراء المحل لكل ملزمة بحسب 240 فى الشهر وزيادة يسيرة

لمقابلة أيام البطالة هذا فى اليوم عن ملزمة واحدة 05

ج / 177

«ما قدر من الاقامة لكل ملزمة بموافقة المعلمين»

فمن زيت الكتان 10 ، وزيت الزيتون 1 ، ولبم /2 ، مع ماء قاطع ، وفحم 2 ، ودلاكة 1 ، ومداد الاصل 3 : / 19

بيان الكاغيد الواجب للملزمة 210 وميزانه وثمنه

يجب فى المائتين والعشرة المذكورة من الكراريس 42 ، ويزاد كراسان على كل ملزمة فى مقابلة الاوراق التى يكتبها الكاتبان وما تغطى به الاوراق حال الطبع ، مع ما عسى أن يتمزق بذلك : نصف رزمة غير كراس ، وميزانها من العينة التى اشتراها أمناء الصائر الآن : ارطال 7 عدى ثلاث أواقى ، سوم 15 للرطل يجب : 103

اجتمع فى صائر ملزمة أجرة واقامة وكاغيدا / 299

وهى بكراريس 42 ، وهى خدمة معلم واحد فى اليوم ، وضعفهما : 84 للمعلمين ، فاذا ضرب الصائر « / 299 » المذكور فى عدة ما فى الاصل

المنتسخ منه من الملازم : وذلك 1200 بتقدير المعلمين : يخـــرج 359700 ، يضاف له ثمن بعض الاقامة الباقية المحتاج لها فى بعض أوقات مدة الخدمة ، وذلك ثمن شحمة : 1200 لترطيب الجلود التى بالمرمتين ، وثمن صابـــون : 3000 ، 1500 لغسل الزيوف وأيدى الخدمة :

وثمن جفائف البحر 1000 لمباشرة الخدمة عن المدة ، وثمن 600 رملة مكناسية لحك الحجر ومحوه ، وثمن فتائل 1800 حياتى لوقود القطـــران واستعمال الهباب منه للمداد عن المدة كلها : 3400

«اجتمع فى الاقامة الثانية هذا ما رفع» 004900

اجتمع فى صائر المائتين والعشرة كلها هذا / 364899

يقسم هذا المال المجموع على مائتين وعشرة ليتبين صائر كل كتاب على الانفراد . يخرج هذا 1737/8 عنه ريال بصرف 122 هذا : 14 مع أواقى 8/ 29» .

«النهضة العلمية . فى عهد الدولة العلويـــة»

ملحـــق رقـــم 10

ظهير حسنى بتوقير :

الطبيع الطيب الازرق .

«جددنا ــ بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ــ لماسكه : الطيب الازرق الفاسى معلم مطبعة الكتب العلمية ، بفاس الادريسية ، صانهـــا الله ، على ما بيده من كتاب مولانا الوالد قدسه الله ، المتضمن سدل أردية التوقير والاحترام عليه ، وحمله على كاهل المبرة والاحترام . وفى ربيع الثانى عام 1291» ، صح من أصله ..

ملحـــق رقـــم 11

ظهير صادر عن السلطان عبد العزيز ، فى تنظيم المراقبة على الطبيعين بالمطبعة الحجرية الفاسية :

«يعلم من شريف كتابنا هذا اعز الله أمره ، وخلد فى الصالحات ذكره، اننا ــ بحول الله وقوته ــ كلفنا خديمنا المحتسب محمد بن حفيد الشامى ، بحرفة المعلمين الذين يطبعون الكتب العلمية بمطبعة فاس ، المحمية من كل بأس ، وتفقد شغلهم وعملهم فيها ، على أن يلزمهم التمشى فى ذلك على شروط مخصوصة ، ووجوه منصوصة ·

منها أن لا يطبعوا كتابا الا بعد اتقان صنعته وجودتها ·

ومنها ان يبالغوا فى تصحيح أصله على يد المصححين العارفين بالفن المطبوع كتابه ، بحيث لا يكون فى النسخ المطبوعة محو ، ولا حذف فى الحروف والكلمات ، ولا لحن فى الالفاظ والتراكيب ·

ومنها أن لايزيدوا على العدد الذى أوجروا عليه نسخة : لا لهم ولا لغيرهم ممن عدا المؤجر ·

ومنها أن لايطبعوا لأحد كتابا تقدم طبعه الا بعد مضى عامين اثنين من تاريخ طبعه ·

ومنها أن لا يقبلوا المؤاجرة على طبع كتاب الا بعد ان يعلموا به القضاة ، خشية أن يقدموا على طبع ما لا يأذن الشرع فيه ·

كما نأمره أن يلزم المشترين الذين يروجون فى بيع الكتب بحوانيت الاسواق عدم شرائها من المعلمين المباشرين للطبع ·

بحيث من وجد بيده من المعلمين أو المشترين المذكورين نسخة من الكتاب المطبوع ، أو نسخ على خلاف الشروط المذكورة ، يعاقب العقاب الشديد ، ويحاز ما بيده من النسخ لجانب المخزن مجانا ، وترفع يده عن طبع الكتب ، لتبقى حرفة المطبعة ــ التى هى آلة انتشار العلم ــ متقنة العمل ، مصونة الجانب من عوارض الخلل ، فعلى المكلف المذكور أن يتحرى الصواب فى ذلك ، وأن يقف فيه عند الحد ولا يتعداه ·

صدر به أمرنا المعتز بالله ، فى 4 رمضان المعظم عام 1314» ·

18 ــ الطباعة السلكية

وقد تأخر ظهورها بالمغرب المستقل عن الطباعة الحجرية ، وكان نشاطها محدودا ، وفى مدينة طنجة بالخصوص ، حيث كان يطبع بها

ـــ فى هذا الطور الثانى ـــ جريدة «المغرب» ، التى صدر أول عدد منهـــا عام 1306 هـ / 1889 م ، وقد جاء فى نفس العدد : «وانا قادرون على طبع ما يطلب منا فى اللغة العربية على اتم ما يكون من الضبط والاتقان بأسعار معتدلـــة» .

غير أنه لاتزال هوية هذه المطبعة مجهولة ، كما لايعرف ـــ لحد الان ـــ من منشوراتها سوى جريدة المغرب ، وسنستوسع فى الحديث عن نشـــاط هذا الجهاز عند الطور الثالث ، حيث تأسست مطابع سلكية جديدة فـــى مدينتى طنجة وفاس .

* — *

ونسجل ـــ الآن ـــ انه لمع فى الطور الثانى الذى ندرسه ، أسمـــاء مغربية استخدمت المطابع السلكية المصرية ، فى نشر مجموعة مهمة مـــن المؤلفات المتنوعة ، وهذه نماذج من الناشرين المغاربة ومطبوعاتهم .

1 ـــ الحبيب البلغيثى الحسنى (1) .

2 ـــ عبد القادر الشفشاونى (2) .

3 ـــ الحاج أبو بكر ابن موسى .

4 ـــ محمد يـــزرور .

نشر ـــ اربعتهم ـــ بالمطبعة الكبرى بالقاهـــرة : التصريح لخالـــد الازهرى ، مهمشا بحاشية ياسين عليه ، عام 1294 هـ ، فى جزءين .

5 ـــ الحاج محمد الازرق .

6 ـــ عبد الملك العلمى (3) .

---

1 ـــ هو عم العلامة الشهير ، القاضى احمد بن المامون البلغيثى ، وكانت وفاته فى ربيع الثانى عام 1323 هـ ، عن سن ناهز الثمانين فأعلـــى ، قضى نصفها فأكثر فى قاهرة مصر للمتاجرة ، ثم كانت وفاته بفاس ، حيث اقبر خارج باب الفتوح عند مطرح الجلة ، هكـــذا عرف بـــه بعضهـــم .

2 ـــ هو المترجم فى «الاعلام» لخير الدين الزركلى ـــ ج 4 ص 165 .

3 ـــ من علماء فاس ، وبها كانت وفاته عام 1320 هـ .

نشرا بالمطبعة الاميرية بالقاهرة : شرح الشمائل الترمذية لمحمد بن قاسم جسوس ، مهمشا بشرح الهمزية البوصيرية لمحمد بن احمد بنيس ، عام 1296 هـ ، فى جزأين .

— الحبيب البلغيثى الآنف الذكر .

7 — عبد الوهاب لوقش التطاونى (1) .

8 — على زنيبر السلاوى (2) .

9 — أحمد بن عبد السلام اللجائى ثم الفاسى (3) .

نشروا بمطبعة محمد افندى مصطفى بالقاهرة ، وبمباشرة وملاحظة رابعهم : شرح التحفة العاصمية للتسولى ، وبهامشه شرح نفس المنظومة للتاودى ابن سودة ، عام 1304 هـ ، فى جزأين .

— الحبيب البلغيثى المتكرر الذكر .

10 — الحاج محمد بن قاسم لحلو .

نشرا بمطبعة محمد افندى مصطفى المساهم الثالث فى النشر :

أ — التصريح للازهرى مهمشا بحاشية ياسين عليه ، عام 1305 هـ، فى جزأين .

ب — الشرح الصغير للخرشى على المختصر الخليلى ، مع حاشية عليه للصعيدى ، عام 1306 هـ ، فى خمسة أجزاء .

11 — الحاج علال الازرق التاجر بفاس .

12 — الحاج عبد الواحد التازى قنصل المغرب بمصر .

ساهما فى نشر شرح صحيح البخارى للقسطلانى ، مهمشا بشرح صحيح مسلم للنووى ، بالمطبعة الاميرية بالقاهرة ، عام 1306 هـ ، فى عشرة أجزاء .

13 — الحاج محمد بن حمادى الازرق .

14 — أخوه الحاج فضول .

---

1 — علامة جليل ، خلف تفسيرا للقرآن الكريم فى عشرة اسفار لا تزال مخطوطة ، وتوفى عام 1341 هـ .

2 — الاديب السلوى الغيور ، صاحب القصائد الوطنية المتنوعة ، رحل الى الشرق واستوطن بمصر مدة من 23 عاما ، ثم عاد الى المغرب ، وكانت وفاته ببلدته سلا عام 1332 هـ .

3 — توفى عام 1346 هـ .

نشرا بالمطبعة الاميرية بالقاهرة : حاشية الرهونى على شرح الزرقانى للمختصر الخليلى ، مع اختصارها بالهامش ، عام 1307 هـ ، فى ثمانية أجزاء ·

— الحبيب البلغيثى ·

— الحاج محمد لحلو آنفا الذكر ·

نشرا — مع الغير — بمطبعة محمد افندى مصطفى بالقاهرة :

ا — شرح المختصر الخليلى للزرقانى ، عام 1307 هـ ، فى ثمانية أجزاء ·

ب — انسان العيون للحلبى ، عام 1308 هـ ، فى ثلاثة أجزاء ·

— الحبيب البلغيثى المتكرر الذكر ·

شارك فى نشر الاستقصا للناصرى ، بالمطبعة البهية المصرية ، عام 1312 هـ ، فى اربعة أجزاء ·

— الحاج محمد بن قاسم لحلو المتكرر الذكر ·

نشر بالمطبعة البهية المصرية : الشرح الكبير لميارة على المرشد المعين ، عام 1313 هـ ، فى جزأين ·

15 — الحاج الطيب التازى ·

نشر بالمطبعة الاميرية بالقاهرة عام 1318 هـ :

ا — الشرح الصغير للخرشى على المختصر الخليلى ، مهمشا بحاشية عليه للصعيدى ، فى ثمانية أجزاء ·

ب — شرحا بنانى وقصارة على نظم السلم للاخضرى ، مع التعليقات على الشرحين ، فى جزء واحد ·

* *

وستكون هذه الطباعة السلكية ثامنة الابواب التى يغلب عليها الطابع العلمى ، بعد المواضيع التى كان يغلب عليها الطابع الحكومى ، ومن الواضح أن هذه الدراسات كلها تساير الطور الثانى من ملامح اليقظة المغربية الجديدة ، وكما رأينا : كانت المبادرة فى هذه المعطيات تأتى من الدولة أو من الافراد ، وتارة بصفة مشتركة ·

* *

والآن ، وفى نفس الطور : ستأتى المبادرة من جهة الشعب خاصة ، وتجسم آفاق يقظة المغرب الحديث ، فى تفكير المثقفين من العلماء والادباء ، وعلى مختلف المستويات ، وهذا ما سنتناوله بعد : حسب الابواب التالية :

- مثقفون يتأثرون بالنهضة الغربية الحديثة ·
- مواقف ضد الامتيازات الاجنبية ·
- توجيهات حول تنظيم الجيش ·
- الدعوة الى الجهاد ·
- توجيهات لاصلاح الحالة بالمغرب ·
- ظهور الصحافة العربية ·
- صدى حرب تطوان فى الادب المغربى ·
- طلائع المعارضة الشعبية ·
- كلمة ختاميـــة ·

* *

19 — مثقفون يتأثرون بالنهضة الغربية الحديثة

ونقدم منهم نموذجين اثنين :

1 — أبو اسحاق التادلى :

ابراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلى الرباطى ، المتوفى بها عـــام 1311 هـ / 1894 م ·

وكان من علماء المغرب الكبار المشاركين مشاركة واسعة فى العلوم التى كانت موجودة بالمغرب فى وقته : دينية ، وأدبية ، ورياضية ، قرأ هذه العلوم وأقرأها بالمغرب والمشرق ، وألف فيها تآليف مهمـــة ، وهذا كلـــه

مبسوط فى ترجمته (1) وليس من موضوع بحثنا ، وانمـــا الذى يهم هـــذه الدراسة من حياته ، انه من علماء المغرب الذين تأثروا — بعض التأثر — بالثقافة الغربية فى هذا الطور ، اكتسب هذا من اقامته ببعض جهات أوربا المجاورة للمغرب ، ومن جولاته الواسعة برا وبحرا فى الشرق الاسلامى : الحجاز ، ومصر ، وفلسطين ، ولبنان ، وسوريا ، وتركيا ، ومن اطلاعه على بعض العلوم والكتب الحديثة ، ووقوفه على كثير من المخترعات التى درس بعضها دراسة دقيقة ٠

وان كل هذا كيف نفسية الرجل تكييفا خاصا ، فعلى خلاف الشائـــع بين كثير من أهل طبقته ، كان يستطيـــع — ولو الى حد — التحدث بعـــدد من اللغات الاوربية الحية : الانكليزية ، والفرنسية ، والاسبانية ، تعلمها بجبل طارق ، الذى تلقى فيه أيضا بعض علوم البحر والبوصلة ، واطلع فيه — لاول مرة — على صورة الكرة الارضية وعرف اصطلاحها ٠

كذلك تعلم عددا من اللغات الاسيويـــة : التركيـــة ، والفارسيـــة ، والهندية ، أخذها عن بعض أهل بغداد ٠

وقد ساق تلقيه لهذه اللغات الاسيوية والاوربية فى بعض مؤلفاته (2) مساقا لا يخلو من فائدة فى الموضوع ، وهذا ما يهمنا منه :

«هذا وقد كنا قبل رحلتنا الاولى أخذنا بعض اللغات عن بعض أهـــل بغداد ، وكان عارفا بالسن : خصوصا التركى ، والفارسى ، والهنـــدى ، فقيدت عنه منها ما لابد منه فى تأليف مرتبا لها ، اذ هذه اللغات هى المعروفة بالمشرق اليوم : عام 1285، خصوصا بالحجاز ، اذ سكن به جمهور هـــذه الامم لما استولى الكفر على بلادهم ، خصوصا لسان الترك ، فقد كان يعرفه جميع أهل مكة حتى نساؤهم وصبيانهم ، لان الدولة منهم ، وعمال الحجاز منهـــم ...

كما قيدنا بجبل الطر (3) من بلاد الروم أيام اقامتنا به بعض الســـن

---

1 — من مراجع ترجمته «الاغتباط بتراجم الرباط» للمؤرخ محمد بوجندار ، خ ، ع ، د 1287 ، والمترجـــم ممـــن تكـــرر ذكـــره فـــى هـــذه الدراســـة ٠

2 — فى اختصاره لتذكرة الانطاكى ، حسب قطعة مخطوطة منه تكـــرر ذكرها فى هذه الدراسة ٠

3 — جبل طارق ٠

الروم ، كاللنكليزية ، والفرانصيصية ، والاصبنيولية ، وقيدتها عن بعض المسلمين هناك ، لاضطرارنا الى السفر مع النصارى ومخالطتهم ، فيعرف الانسان لا أقل أسماء الماء للوضوء ، والحجر للتيمم ، والماء البارد ، والحار ، والنار ، والفحم ، والطبخ ، ونحو ذلك من ضروريات الانسان ، فقد ندب لذلك عليه السلام سيدنا زيد بن ثابت لما كثرت عليه الوفود من كل جهة بألسن مختلفة ، قال له : تأتيني كتب لم يعلمها أحد ، فهل تستطيع أن تتعلم السريانية؟ فقلت نعم، فتعلمتها في سبع عشرة ليلة ، فكان يترجم عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بحضرته بالفارسية والرومية ، والقبطية ، والحبشية ، وتعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الالسن ، وكان يكتب الى الملوك ، وكان من أشهر كتاب الوحى ، ولذا اختاره أبو بكر رضى الله عنه لجمع القرآن أولا ، وعثمان لجمعه ثانيا ، فكان هو رئيس الجمع مع الصحابة ، مع فرط ذكائه رضى الله تعالى عنه .

وقد أشار شراح خليل لحكم التكلم بالعجمية لكن مع القدرة ، كما لو كان في بلاد الاسلام ، كبلادنا ، كالرباط وفاس ، في قوله في كتاب الصلاة : أو بعجمية لقادر ، فان اللسان العربى أفضل الالسن اليوم ، كيف وهو لغته عليه السلام ، ولغة القرآن أشرف الكتب ، فمن أكرمه الله تعالى بمعرفة العربى — ولا ضرورة تحوجه لغيره — لايتكلم بغيره ، أدبا مع كتاب المسلمين : «القرآن العظيم» ، وقد قيل : من علم لسان قوم أمن من مكرهم، وكان شيخنا الفقيه المرنيسى يقول : لا أقل في البربرية لمن خالطهم : أن يعرف آلة حربهم كالمكحلة والسكين ، خوفا منهم ...»

بعد هذا نذكر أن تأثر المترجم بهذه النهضة ظهر أيضا في عدد من مؤلفاته ، ومنها :

أ — تأليف في تفسير بعض اللغات مثل لغة الفرس ، والترك ، والفرنسية ، والانكليزية ، والبربرية .

ب — اختصار أقوم المسالك ، في معرفة احوال الممالك لخير الدين التونسى .

ج — رسالة في علم الجغرافيا .

د — رسالة في البوصلة التى تكون في السفن .

هـ ـــ زينة النحر ، بعلوم البحر ·

والمؤلفات الاربعة الاولى لم اقف على واحد منها ، ولا تعرف الا مـــن خلال ذكرها فى ترجمته ، ووقفت على خامسها : وهو «زينة النحر ، بعلوم البحر» قال فى خطبته :

«·· لما من الله على بالتوفيق لاداء فرض الحج ، وزيارة بيت المقدس والشام وأرض الروم ، فاضطررت الى ركوب البحر مرارا ، تارة فى سفن الشراع ، وتارة فى سفن النار المسماة بالبابورات ، وتلاقيت مع أهل العلم والخبرة بسفر البحر من المسلمين والنصارى ، فاقتطفت منهم ما أمكننى من حكم سفره ، لما ورد : «الحكمة ضالة المومن يلتقطها ولو من كافر» ، كمـــا أشار له ما ورد : «اطلبوا العلم ولو بالصين» ، مع أن الصين فى ذلك الوقت للكفار ، قيدت ذلك فى هذه الرسالة لينتفع بها من اضطر لركوب البحر ان شاء الله تعالى » ··

وقد رتب هذه الرسالة على مقدمة وبابين : الباب الاول فى سفينـــة النار المسماة بالبابور وهى الحديثة ، تكلم فيه على أنواع هذا البابـــور ، وآلاته ، وأدواته ، وقدم بعض الارشادات لركابه ، ثم أتى بمسائل مـــن الجغرافية ، واخيرا تحدث عن التلغراف ·

أما الباب الثانى الذى موضوعه سفينة الشراع القديمة ، فقد ذكر فيه بعض أنواعها وأسمائها وآلاتها ، فرغ من تاليف هذه الرسالة عام 1305 هـ/ 1887 م ·

ولا تزال مخطوطة ، ومنها نسخة بمكتبة كاتب السطور تقـــع فى 16 ص ، مسطرة 23 ، حجم متوسط ، وأخرى بالمكتبة الصبيحية بسلا ، ضمن مجموع يحمل رقم 1640 ·

2 ــ أبـــو العبـــاس الناصـــرى :

وبعد أبى اسحاق التادلى يأتى ابو العباس احمد بن خالد الناصـــرى السلوى ، المتوفى بها عام 1315 هـ / 1898 م ·

وهو ـــ ايضا ـــ من أعلام المغرب الكبار ، الذين اقتبسوا من الحضارة الحديثة وتأثروا بها ، فقد جاء فى ترجمته أنه كان متشوقا دائما الى الاطلاع

على المعارف الحديثة ، والوقوف على حقائق العلوم العصرية ، والمخترعات الاوربية ، معجبا بما يصدر منها ، ومعطيا لذلك حظه من النظر ، معتنيا بمطالعة المجلات العلمية ، مولعا بالجرائد السيارة ، وترجمتها ان كانت بغير اللغة العربية ، واقتباس ما فيها من الفوائد والشوارد ، وتقييدها والتمعن فيها وانتقادها ، وكانت تأتيه من مصر والشام واسبانيا وفرنسا ، وما زال الكثير منها محفوظا بخزانته بسلا ·

وان هذه اللفتة نحو الحضارة الحديثة أثرت فى عقلية الرجل تأثيرا واضحا ، فكان يحب تعلم اللغات الاجنبية ، ويخالط رجالات أوربا للاقتباس من معارفهم ، وكان يهم بارسال بعض أنجاله الى أوربا بقصد أخذ العلم فى مدارسها ·

وان المترجم أول مؤرخ مغربى حديث اقتبس من المصادر الاوربية ، وترجم منها الى العربية ، كما نراه متكررا فى تاريخه : «الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى» ، الذى تضمن — نصفه الثانى بالخصوص — معلومات كثيرة استقاها مؤلفه من مصادر اسبانية ، وبرتغالية ، وانجليزية ، ونقلها الى العربية بواسطة ترجمان خاص اتخذه لهذه الغاية ·

وسوى كتاب «الاستقصا» فقد ظهر المترجم بالنهضة الحديثة فى آثار أخرى ذكرت أسماؤها فى ترجمته (1) ·

20 — مواقف ضد الامتيازات الاجنبية

تعددت مظاهر اليقظة الوطنية فى هذا الطور ، ومن أروعها ما كان لعلماء المغرب من مواقف وطنية صريحة ضد أصحاب الحمايات المغاربة ، وهم الذين كانوا يدخلون تحت حمايات الدول الاجنبية ضدا على الدولة المغربية ·

ومن المعروف أن مقاومة هذه الحمايات كان موقفا اجماعيا من طرف كل علماء المغرب ، وقد حملوا راية معارضتها بروح اسلامية قوية ، وحمية وطنية مثالية ·

---

1 — لابى العباس الناصرى ترجمة حافلة استقيت منها ما كتبته عنه هنا ، وقد نشرت فى مقدمة الجزء الاول من «الاستقصا» : الطبعة الثانية — دار الكتاب — الدار البيضاء — 1954 ·

ومن بين هؤلاء أفراد عارضوها بالتأليف ، وبواسطة الخطب الجمعية، حتى يخلدوا هذه المواقف الوطنية المبكرة ، ونذكر — الآن — منهم سبعة نماذج حسب التسلسل التاريخي لوفياتهم ، وهكذا سيكون :

الاول : هو أبو محمد المامون بن عمر الكتانى الحسنى الفاسى ، المتوفى عام 1310 هـ / (1) 1892 م ٠

وهو مؤلف كتاب «هداية الضال المشتغل بالقيل والقال» ، حيث شرح فيه بيتى ابن فارس اللغوى :

اذا كنت فى حاجة مرسلا ٠٠

وقد استطرد فى هذا الشرح ذكر أصحاب الحمايات ، وأعلن بالنكير عليهم ، فى نفس طويل استوعب أربع صفحات : ص 26 — 29 ، حسب مخطوطة الشرح الواقعة أول مجموع : خ ، ع ، ك 320 ٠

الثانى : أبو حامد الحاج العربى بن على المشرفى الحسنى المعسكرى ثم الفاسى، المتوفى بها عام 1313 هـ / (2) 1895 م ، كتب فى الموضوع عجالة سماها «الرسالة فى أهل البصبور الحثالة» ، قال فى أولها :

الحمد لله ، وبعد فقد توجه سؤال لاهل العلم حفظهم الله بحفظ أهل السنة ، وحشرنا فى زمرتهم آمين ، عن حادثة حدثت فى قرننا هذا فى حدود السبعين والمائتين والالف ، وهى دخول المسلمين تحت كلمة الكفر — أعاذنا الله منه — ويعبرون عنها بالحماية ، معتذرين بها عن تحصين مالهم من ثقل المغارم ، مع انهم يجعلون حظا وافرا لمن يحميهم باذلال وطيب نفس ، فهل يكون المحتمى بالحماية على هذه الحالة مسلما عاصيا ، أو خرج عن دينه بالكلية ، وللامام أن يحكم فيه باجتهاده ؟

ألفها فى حدود 1290 هـ / 1873 م ، ومنها نسخة مخطوطة بمكتبة كاتب السطور ، تقع فى 8 ص ، مسطرة 24 ، فى حجم متوسط ٠

الثالث : أبو الحسن علال بن عبد الله الفاسى الفهرى المتوفى

---

1 — ترجمته فى «النبذة اليسيرة النافعة ، التى هى لاستار جملة من أخبار الشعبة الكتانية رافعة» ، لمحمد بن جعفر الكتانى ، مخطوطة الاستاذ الجليل محمد ابراهيم الكتانى ٠

2 — ترجمته عند ابن زيدان فى أحد تعاليق النهضة العلمية ، فى عهد الدولة العلوية، مع «الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام» : القسم المخطوط — ج 6 ٠

عام 1314 هـ / (1) 1896 م ، له عدة خطب ضد أصحاب الحمايات ، اشهرها الخطبة المعنونة بـ «ايقاظ السكارى ، المحتمين بالنصارى» ، أو «الويل والثبور ، لمن احتمى بالبصبور» ، خطب بها بمحضر السلطان المولى الحسن الاول فى ابتداء دولته ، ويوجد بالمكتبة الفاسية بفاس نسخة منها بخط محررها ضمن مجموعة خطب أبى الحسن المذكور فى سفر ضخم ، تقع هذه النسخة فى 14 ص ، مسطرة «23» ، حجم متوسط ، وقد اطلعت عليها بواسطة حفيد محررها العلامة المتضلع محمد العابد الفاسى الفهرى ، امين الخزانة القروية الكبرى بفاس ٠

الرابع : ابو محمد جعفر بن ادريس الكتانى الحسنى الفاسى المتوفى عام 1323 هـ / (2) 1905 م ، وتأليفه «الدواهى المدهية ، للفرق المحمية» اجمع واكبر تأليف فى هذا الباب ، الفه جوابا عن سؤال فى الموضوع ، وبناه على خمس عشرة آية قرآنية ناطقة بتحريم موالاة الكفار والاحتماء بهم ، واتى فى كل آية بكلام المفسرين عليها ، مضيفا لذلك — فى كثير من الآيات — كلام المحدثين وائمة الفروع وأهل التاريخ والصوفية والادباء ، وقد أطال النفس فى الكلام على بعض الآيات ، ولا سيما آية : «ولا تركنوا الى الذين ظلموا ٠٠» : اولى الآيات التى استدل بها ٠

وبعدما اتى على الآيات الخمسة عشر ، نقل الكلام الى الحديث — بتوسع — عن مفاسد موالاة الكفار التى أوصلها الى عشرين مفسدة ، وسار فى شرحها سيره فى الآيات القرآنية الى تمام العشرين ، حيث انتهى الكتاب الذى وافق الفراغ من اخراجه من مبيضته 14 ربيع الثانى عام 1303 — 1885 ٠

يقع هذا الكتاب فى مجلدة صغيرة ، ومنه نسخة بخط المؤلف لدى حفيده الاستاذ الجليل محمد المنتصر الكتانى ، الاستاذ بكلية الشريعة بالجامعة السورية ، وهى تحتوى على صفحات 119 ، مسطرة 19 ، فى حجم متوسط ٠

الخامس : ابو عبد الله محمد بن ابراهيم السباعى الحسنى المراكشى،

---

1 — ترجمته فى «سلوة الانفاس» ج 2 ص 302 ٠
2 — ترجمته فى «فهرس الفهارس» ج 1 ص 131 — 132 ٠

المتوفى عام 1332 هـ / (1) 1914 م ، الف «كشف النور ، عن حقيقة كفر أهل بصبور» ، وصدره بسؤال عن النازلة يشتمل على ثلاثة فصول ، ثم عقب عليه بالجواب ، يقع هذا التاليف فى ورقات 12 ، ومنه نسخة — غير معزوة لمؤلفها — بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1326 د ، واخرى خاصة .

السادس : ابو عيسى المهدى بن محمد بن محمد بن الخضر الوزانى الحسنى الفاسى ، المتوفى عام 1342 هـ / (2) 1924 م ، له فتوى فى الموضوع رد فيها على من أفتى — من غير المغاربة — بجواز الاحتماء بالاجنبى ، وهى مثبتة فى «المعيار الجديد» (3) ، ويوجد فى هذا المصدر أيضا فتويان آخريان بمنع الاحتماء بالاجنبى، احداهما لبعض معاصرى أبى عيسى الوزانى ، أنظر «المعيار الجديد» (4) .

السابع : محمد بن جعفر الكتانى الحسنى ، المتوفى عام 1345 هـ/ (5) 1927 م ، وقد وضع — فى الاحتماء بالاجنبى — رسالة لاتزال مخطوطة بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3204 ، فى ست صفحات من الحجم المتوسط .

ومرة أخرى انشأ — فى نفس الموضوع — «خطبة» مطولة خطب بها بجامع أبى الجنود من فاس ، فى يوم الجمعة 18 قعدة عام 1317 هـ ، ومنها نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط ، واخرى خاصة مستخرجة منها فى ست صفحات من الحجم المتوسط ، وقد كان لهذه الخطبة صدى كبير لا فى فاس ، ولكن فى كثير من جهات المغرب ، حسب افادة فقيد العلوم الحديثية وما اليها : الشيخ محمد المدنى ابن الحسنى ، فى منزله ضحوة يوم الاثنين 9 ربيع الثانى عام 1374 هـ / نونبر سنة 1954 م .

ومن الجدير بالذكر أن المترجم من المخضرمين بين هذا الطور الثانى

---

1 — ترجمته فى «معجم الشيوخ» للقاضى عبد الحفيظ الفاسى ج 1 ص 55 — 61 .
2 — ترجمته فى المصدر الاخير ج 2 ص 48 — 51 .
3 — ج 3 ص 47 — 50 .
4 — ج 3 ص 50 — 53 ، مع ص 60 — 61 .
5 — كتب لنفسه ترجمة موسعة آخر مؤلفه : «النبذة اليسيرة» الآنفة الذكر .

والذى بعده ، وقد تأخر تأليف كتابه : «نصيحة أهل الاسلام» الى الطور الثالث ، ولهذا سيكون تقديمه من مواضيع هذ الفترة الثالثة بمشيئة الله سبحانه ٠

فهذه ثمان موضوعات مما حرره علماء المغرب ـ فى هذه الفترة ـ ضد الحمايات الاجنبية ، وان هذه الموضوعات لتفتح لقارئها نافذة يطل منها على مدى الغيرة والايمان الذى كانت تتسم به مقاومة الامتيازات الاجنبية اذ ذاك ، وانها لتزخر بصفحات لامعة تصور الوطنية الحقة ، والحمية الاسلامية التى كان القوم يتوفرون عليها ٠

هذا ولاجل ان يطلع قارىء هذه الدراسة على قبس من تلك الصفحات الناصعة ، نذيل هذا الموضوع بمقتبسات من صرخات بعض أولئك الاعلام ، فمن صرخات ابى المواهب جعفر الكتانى فى تحريم الاحتماء بالاجنبى ومفاسده هذه النفثة الواردة فى «الدواهى المدهية» :

«٠٠ فثبت بهذه الآيات القرآنية التى هى الدلائل اليقينية ، وما نقلناه عليها من كلام الائمة واهل التفسير ، صحة ما ذكرناه من تحريم موالاة الكفار والاحتماء بهم ، وبلوغ ذلك الغاية فى القبح ، وانه من العظائم المؤذنة بكل رذيلة ، اذ هى نص صريح فى ذلك ، وتكرار الآى وجريها على وتيرة واحدة مؤكد له ، ورافع للاحتمال المتطرق اليه ، فان المعنى اذا نص عليه وأكد بالتكرار ارتفع الاحتمال فيه ، وهل بعد بيان الله بيان ، أو بعد حكمه حكم ، «ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون» ، واذا تعاضدت هذه الآيات على هذا التحريم ، فلا تجد فى تحريمها مخالفا من اهل القبلة المتمسكين بالكتاب العزيز ـ الذى «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد» ـ فى جميع معمور الارض الاسلامية من مطلع الشمس الى مغربها ، فهو تحريم مقطوع به كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق ، واخواته من الكليات الخمس التى أطبق أرباب الاديان على تحريمها٠٠
ومن خالف الآن فى هذا التحريم اورام الخلاف ، فهو مارق من الدين ، ومنخرط فى سلك الملحدين ، ومخالف لجماعة المسلمين ، ومحجوج بما لا مدفع فيه لمسلم ابد الابدين ٠٠»

والى هنا ينتهى المراد من الشق الاول من صرخة ابى المواهب الكتانى،

ثم ها هو يأخذ فى ذكر مفاسد الاحتماء بالاجنبى وما الى ذلك فى العبارات التاليـــة :

«والمفاسد الدينية والدنيوية المترتبة على موالاتهم الواقعة والمتوقعة ، ويأباها الاسلام ومن فيه عذوبة طبع ، وانقياد للشريعة المطهرة : كثيرة جدا لا حصر لها ، ولا عد ولا احصاء فسحقا لاهلها ولها ، منها ظهور شعائـــر الكفر ·· ومنها الركون الى العدو ·· ومنها الرضى بحكمه ·· ومنها التحريض على الضلالة واستنان الشر ، وذلك ان كثيرا من الموالين له لم يقتصـــروا على تلطيخ انفسهم بذلك ، بل زادوا الى تحريـــض من لم يوالـــه عليهـــا وتحسينها له ·· ومنها اعانة العدو وتقويته ·· ومنها تكثير سواده ولو من غير حلول معه أو اقامة ببلده ، لان الموالين له من جملة رعيته ·· ومنها الدخول تحت قهره وغلبته ، وينبو منصب الاسلام عن اعلاء غيره عليه ، بل يعلـــو ولا يعلى عليه ·· ومنها مفارقة جماعة المسلمين ·· ومنها نبذ العزة الاسلامية، والطاعة الامامية ، والبيعة السلطانية ، وظهور السلطان النصرانى عليها ، واذلاله اياها ··

واذا علمت هذا فاحتجاج الموالين للعدو لجواز موالاتهم له : بظلـــم الولاة لهم وتعديهم عليهم باطل ، ويكفى فى رده مصادمته للآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، وكلام ائمة الملة الحنيفية ، ودلالته على ضعف الايمان ، وقلة الايقان ، بترجيح عرض دنيوى محتقر ، على بهاء دين أخروى يذخر ، أو ليس للانسان الا دينه ، اذ به نجاحه وسعادته ولينه ، وعليه يبذل نفسه، فضلا عن جملة ما له الا أن فقد حسه ، فهى حجة شيطانيـــة نفسانيـــة ، وركوب للهوى وترك للنظر الى الشرعة ·· وما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بالصبر على ظلم الولاة وتعديهم ـــ ما لم نر كفرا بواحا ـــ الا لذرء مثل هذه المفسدة العظيمة ، التى لا مفسدة أعظم منها سوى الكفر صراحة أعاذنا الله منه ، ومعلوم أنه اذا التقى ضرران ارتكب أخفهمـــا ، وبالله عليك أيها الموالى للعدو أى الامرين أخف ؟ أضرب ظهرك وأخذ مالك وقتلك بالكلية ، ويقتص الله لك من ظالمك يوم القيامة ، أو اذلال الديـــن بانحياشك للعدو الكافر ، وتكثير سواده بك وتقويته ، وتسلطه على هـــذا الجم الغفير من المسلمين ، «فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» ·

رب ان الهدى هداك وآياتك نور تهدى بها من تشاء .

أترى ما يوليه من الاحسان اليك محبة فيك أو عدلا منه ، لا والله ، بل حيلة ومكيدة ليستجلب قلوب كثير من الضعفاء اليه ، فيتمكن بذلك من مرامه ، ولو وجد عدو الله السبيل الى نبذ العزة الاسلامية من الدنيا بأسرها ، وقتل المسلمين واستئصالهم عن آخرهم ، وسبى ذراريهم ونسائهم، والتمكن من بلادهم وأوطانهم ، والاستمتاع بحورهم وقصورهم ، لكان ذلك غاية مطلوبه ومناه ...

وانظر الى حال الصحابة والسلف الصالح والعلماء وائمة الدين المقتدى بهم ، والمهتدى بهديهم ، وما قاسوه من شدة الاهوال والامتحانات ، وعظيم الاذى ، وهتك الحريم ، والضرب والسجن والقتل ، وغير ذلك من انواع العذاب التى لايسع شرحها المجلدات العديدة ، أيام اليزيد والحجاج وغيرهما من ولاة الجور الى هلم جرا ، هل حصل لهم من ذلك شك وريب ، أو ما زادهم الا ايمانا وتثبيتا ، أو بلغك عنهم انهم راموا شيئا من هذه الجريمة الفظيعة ، حاشا منصبهم الجليل ، ومقامهم المرفع الاثيل ، من شىء منها أو ما يحوم حولها ، اانت أعرف منهم بدين الله ، أو وصل اليك من الظلم ما لم يصل اليهم ؟ كلا ولا عشر عشره ، ولكن قلة الدين ، وضعف اليقين ، والانهماك فى دواعى النفس الامارة ، والغرور اللعين ، يوذن بهذا وأكثر منه ...

نعم لو راقب الولاة الله تعالى ، وتذكروا الوقوف بين يديه ، والعرض عليه ، ومحاسبته لهم على كل جليل وحقير ، وكفوا عن المسلمين وعدلوا فيهم ، وحكموا بحكم الله تعالى ، ووقفوا عند أمره ونهيه ولم يتجاوزوا حدوده ، لكان ذلك خيرا لهم فى دينهم ودنياهم ، ومحياهم ومماتهم ، وأزكى عند مليكهم ، وأرضى لنبيهم ، وأقرب لانحياش رعيتهم اليهم ، وانقيادهم لهم، وعونهم ونصرهم .

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا ولم أر مثل الجور للمرء واضعا ..»

هذه نفثة أبى المواهب الكتانى مقتضبة اقتضابا ، وبعدها نقرأ صرخة «رسالة» أبى حامد المشرفى — التى تنادى بمقاطعة أهل الحماية — فى الكلمات الآتية :

«·· فواجب على كل من يومن بالله واليوم الآخر أن لا يجالس أهل الحماية ولا يصادقهم ، ولا يؤاكلهم ولا يعاشرهم ولا يناكحهم ، وأن يوصى كل من لقيهم بمجانبتهم ومباعدتهم وترك معاملتهم ردعا لامثالهم ، لان هذا المنكر — وهو التعلق بالعدو — من أعظم المفاسد فى الدين ، التى يتعين فيها الزجر والتغليظ ، ولا يسمح فيه بوجه ولا حال ، وحيث لم يكفهم من له الكلمة من أهل العقد والحل ، زادهم ذلك غلظة وفضاضة ، وربما شارك المحتمى مسلم آخر ، فقوى العدد ، وانتشر المدد ، واتسع الخرق على الراقع ، وعظمت المصيبة ، وفسد اعتقاد العامة ، حتى ظنوا أن ذلك الدين الفاسد هو الدين الحق ، وأساءوا الظن بدين الاسلام والعياذ بالله ، ومن اعان المحتمى أو عاشره أو خالطه أو أرضته حالته، فهو فاسق ملعون ··» ·

والآن — وقد استعرضت هذه الدراسة صرخات بعض المؤلفين فى الموضوع — نقفى على ذلك بالزواجر والقوارع ، والتحذيرات والانذارات ، التى كانت توجه من علياء المنابر ضدا على المحتمين بالاجانب ، ها هى فقرات من خطبة أبى الحسن الفاسى : «ايقاظ السكارى المحتمين بالنصارى» :

«·· فكيف يا أهل لا اله الا الله ، يسعكم جحود هذه النعم العظام ، أم كيف تقومون بواجب شكرها على ممر الليالى والايام ، وقد أصبح سفهاؤكم بها كافرين ، ولما رضى الله سبحانه لجميعكم مبدلين ومغيرين ، الى أن افضى بهم الحال ، فارتكبوا أحلولك الاوحال ، واستفزهم الشيطان ، وقيدهم بأشطان، حتى صاورا يتخذون دين الله هزؤا ولعبا، ويميلون لمن عنه من أهل الشرك والضلال ابى· ويرضون بهم أوليا وأعوانا، وجيرانا وأحبابا وأخدانا، ويعلنون باتخاذ حمايتهم ، ويجهرون بالاتقاء بموالاتهم ، كأنهم ما علموا انه لا يحل لاحد يومن بالله واليوم الآخر أن يتخذ صاحبا أو صديقا أو وليا منهم، ولا تحققوا أن ذلك يحزنهم ، يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم ، وقد حذر الله ورسوله المومنين من ولايتهم والاستعانة بهم عليهم ، وأوعد على ودهم ومصافاتهم ولو كانوا من قرابتهم ، بالنص الصريح ، فى غير ما آية وحديث صحيح ··» ·

وبعد الخطبة الفاسية ، فان محمد بن جعفر الكتانى يفتتح خطبته بتمجيد الشريعة الاسلامية ليتخلص الى الموضوع ويقول :

«وان كثيرا منا — يا عباد الله — قد دنسوها بالركون لاعداء الدين ، وموالاة الكفرة الاشرار المعتدين ، والدخول تحت حكمهم وسلطانهم ، أو الكون فى خدمتهم ومن جملة أعوانهم ، والتردد الى أبوابهم ، والتملق بين اعتابهم ، نابذين بذلك الغيرة الاسلامية ، والطاعات الامامية ، جهلا منهم بما ينشأ عن ذلك من البلايا ، وما يترتب عليه من المفاسد العظيمة والرزايا، وما علموا أن ذلك أصل كل بلوى ، وطريق لهدم الاسلام وخراب أساس التقوى ..» .

21 — توجيهات حول تنظيم الجيش

وقد علمنا — سالفا — (1) أن السلطان محمدا الرابع استفتى عشرة من العلماء حول مشروعية تنظيم الجيش المغربى على الطريقة الحديثة ، وكانت أسماؤهم كالتالى :

— القاضى محمد بن عبد الرحمن العلوى المدغرى .
— الشيخ أحمد المرنيسى الفاسى .
— القاضى محمد الصادق بن محمد الهاشمى العلوى المدغرى .
— الشيخ عبد السلام بوغالب الفاسى .
— القاضى محمد المهدى بن الطالب ابن سودة .
— أخوه الشيخ عمر ابن سودة .
— الشيخ محمد بن محمد بن حمادى الحمادى المكناسى .
— الشيخ محمد مسواك بن محمد التازى .
— القاضى الحاج محمد بن محمد الفيلالى .
— الشيخ أحمد كلا بن أحمد بنانى الفاسى .

والمعروف — لحد الآن من فتاوى هؤلاء — هى الاجوبة التالية وعددها خمسة :

— جواب المرنيسى ، بالمكتبة الزيدانية ضمن مجموع (2) .
— جواب محمد الصادق العلوى : فى كناشة خاصة .

1 — ص 58 .
2 — «دليل مؤرخ المغرب الاقصى» — رقم 2065 .

— جواب محمد المهدى ابن سودة ·
— جواب أبى حفص ابن سودة ·
— جواب القاضى الفيلالى ·

وهذ الاجوبة الثلاثة الاخيرة يجمعها — حسب ترتيب ذكرها — كراسة صغيرة مخطوطة بالمكتبة الاحمدية (1) ، وأكبرها هو جواب أبى عيسى ابن سودة ، حيث صاغه فى شكل رسالة سنقدمها من بعد : ضمن آثار أخرى ·

وبالاضافة الى هؤلاء العشرة ، ساهم — بالكتابة فى نفس الاتجاه — ثلاثة من العلماء فى دراسات موضوعية مطولة ، وهذه هى التى سنعرضها مع الرسالة السودية ، لنرى — من خلالها — لونا جديدا من يقظة المغرب الشعبية فى هذا الطور ، فيعلن الفقهاء حماسهم للتنظيمات العسكرية الحديثة ، ويرفعون أصواتهم بالمطالبة بتحقيقها ، ويشرحون آراهم فى طرق تطبيق هذا الاصلاح الجديد ، والآن : سنقدم هؤلاء المؤلفين الاربعة حسب تسلسل وفياتهم :

الاول : الغالى بن محمد الحسنى الادريسى العمرانى المعروف باللجائى ، نزيل فاس والمتوفى — بها — عام 1289 هـ/ (2) 71 — 1872 م·

الف : «مقمع الكفرة بالسنان والحسام ، فى بيان ايجاب الاستعداد وحرب النظام» ، وضعه — حسب افتتاحيته — مساهمة فى الجواب عن الاستفتاء الملكى المشار له فى صدر هذا الباب ، ورتبه على خمسة عشر بابا وردت عناوينها هكذا :

الاول : فى ايجاب صرف الهمة للاستعداد ، وجبر الامام الرعية عليه لكون العدو الكافر بالمرصاد ·

الثانى : فى عقوبة من أعرض عن الاستعداد ، بعدما عينه الامام لأمر الجهاد ·

---

1 — كما أن جواب كل من أبى حفص والفيلالى ، يوجدان — معا — ضمن أوراق «خاصة» ، بخط أبى حفص ابن سودة المتكرر الذكر ·

2 — له ترجمة مقتضبة عند المشرفى فى «نزهة الابصار» : المخطوطة المتكررة الذكر ، ص 448 ، وترجمة اخرى بقلم المؤرخ المعاصر : عبد السلام ابن سودة المرى ، حسب مجلة «البحث العلمى» ، السنة التاسعة ، العدد التاسع عشر — ص 103 — 108 ·

الثالث : فى ايجاب حرب النظام ، وزجر من رغب عنه بعد التعيين من الامام .

الرابع : فى حرمة ترك الرعية على قبيح فعلها ، ووجوب زجرها على عصيانها وغيها .

الخامس : فى الجند والعلم الواجب عليه وأمرائه ، والوصايا المختصة بعرفائه ونقبائه .

السادس : فى موجبات الظفر والهزيمة ، وشرح أحوالهما وصفاتهما المحمودة والذميمة .

السابع : فى ايجاب الصبر والجهاد على الرعية ، وان لم يحز المتولى الصفة السنية .

الثامن : فى مدح الشورى ، وفضل عاقبتها فى الدنيا والاخرى .

التاسع : فى جواز المهادنة والصلح مع العدو الكافر ، وذلك لما يعرض من المصلحة والغرض الظاهر .

العاشر : فى الخصلة التى يفزع الملك اليها عند الشدائد ، وما فيها من المحاسن والفوائد .

الحادى عشر : فى محاسن العفو ومناقبه ، وسمو قدره ومحمود عواقبه .

الثانى عشر : فى الخصلة التى يسترق بها كل موجود ، وهى السخاء والكرم والجود .

الثالث عشر : فى العدل وعدم الثقة بالولاة والعمال ، ليصفو الامر للامام ويزول عنه الخبال .

الرابع عشر : فى ذكر الشجاعة والشجعان ، وعظيم قدر الخصلة المحمودة بين الاقران .

الخامس عشر : فى مطلوبية تسهيل الحجاب ، لان به يدوم الملك ويحصل الاجر والثواب .

يقع الكتاب فى مجلد مخطوط بالمكتبة الملكية التى تتوفر على ثلاث نسخ تحمل أرقام : 965 ، 1030 ، 1443 ، وتمتاز النسخة الثانية بوجود خط المؤلف بها ، وهى تشتمل على 485 ص ، مسطرة 19 مقياس 185/225 .

خط مغربي مستحسن ملون مجدول ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، ووافق الفراغ من اخراجه من مبيضته أواسط شعبان ، عام 1282 هـ ٠

ومن صفحات الكتاب ، هذ الفقرات الواردة أثناء الباب الاول :

«٠٠والآلة والاستعداد المطلوبان فى هذا الزمان ، هما ما يقاتل العدو الكافر — دمره الله وأهلكه — بهما المسلمين ، من حرب النظام ومدفع ومتعلقاتهما ، ليقابل بمثل ما كافح به وقابل ، ويقاتل بنحو ما حارب به وقاتل ، لان من لم يقاتل بما ذكر فى هذا الزمان ، فقد وقع فى الاخلال بالاستعداد والسلاح ، فيلحقه الوعيد المتقدم فى الآيات القرءانية ٠

فالشأن كل الشأن الاكثار من المدافع والمهاريس فى هذا الوقت ، ومن يرمى بهما مع احسانه واتقانه للرمى أى معرفة الاصابة فيه ، مع أمر صاحب الخيل بضرب الصفوف والركوب ، والموكل بالمدافع والمهاريس بالرمى بهما لتتدرب على الحروب ، لان خيل المغرب لم تعتد قتالا بالمدافع الصغار، فأحرى أن تحضر قتالا بالمدافع والانفاض الكبار ، فمهما عاينت ذلك استعملت الفرار ، ولم يقع منها صبر ولا وقوف واستقرار ، والغرض ثباتها وصبرها وعدم انجفالها ، ولا يحصل ذلك الا بمشاهدتها للرمى بالمدافع والمهاريس مرارا ، فعند ذلك تصير معودة للصبر والثبات ، وبصبرها وثباتها يقع العز والنصر المطلوب ، ويظفر الامام — أيده الله — بالمرغوب ، واذا لم تشاهد الخيل قتالا بما ذكر انجفلت بأهلها ، وان حاولوا الجامها وثباتها وصبرها ، وبانجفالها ينهزم الجيش ويختل النظام ، فتقع الدائرة على الاسلام ٠

فالمخاطب بهذا : الامير أعزه الله ونصره ، وأظهر جنوده وعساكره ، لان بيده الحل والعقد فليأمر بذلك ، ثم بعده فليحرض رعيته على مقاتلة العدو — دمره الله — بالحرب الذى يقاتل به المسلمين وهو حرب النظام الآتى ، بعد معرفتهم له ، فاذا لم تستعد الرعية بهذا الاستعداد ، فقد وقعت فى الاخلال به والسلاح فى الجهاد» ٠

وبعد هذا يأتى فى خاتمة نفس الباب الاول :

«اذا تقرر هذا ظهر أن الامام — أحسن الله اليه ومنحه ما يبتغيه —

عليه المدار ، فى الجبر على الاستعداد والاستنفار ، وان الاستعداد بئالة المدافع والمهاريس وعسكر النظام ، أمرحتم قطعا على الامام ، يجبر عليه الرعية ، وبه يحصل قمع وقهر اعداء الملة المحمدية ، ولا جرم أن مضادة الكفرة ، ومدافعة أعداء الدين الفجرة ، لاتحصل فى هذا الاوان الا بذلك ، دون غيرها من الحروب والمعارك ، فحقيق على الامام أن يسلك بالرعية تلك المسالك ، والا وقعت فى الردى والمهالك ، فان الروم — أذلهم الله — داكت عقولهم فى استنباط واستخراج حرب لاتطاق محاربته ، ومن قاتلهم ودافعهم دونه لم تغنه مدافعته ، فأحدثوا عسكر النظام ، وأطبقوا على ان به يحصل المرام، ثم أضافوا له ما احدثوا قبله من الرمى بالمدفع والمهراس ، واجمعوا على ان بهما يحصل الفزع والرعب للناس ، فتمت حيلتهم ، وأمنت بذلك هزيمتهم ، الا من رام الحرب المذكور من بابه ، واتخذ النظام بمتعلقاته واسبابه ، وحينئذ فيتعين الاتخاذ ، ، ويجب بالنظام وما أضيف اليه الاستعداد» .

الثانى : محمد المهدى بن الطالب ابن سودة المرى الفاسى ، المتوفى عام 1294 هـ/ 1877 م .

استهل رسالته بتمهيدات موضوعية ، بنى عليها اعلان الرغبه فى اتخاذ تلك التنظيمات الحديثة ، ثم استخرج أصول ذلك من صميم التشريع الاسلامى : آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، ليعلن — بعد ذلك — أن «النظام» — اليوم — يتأكد طلبه ، بل يتعين ويتحتم ، وبعدما أفاض فى الاستدلال لهذا الوجوب ، ختم الرسالة بتوجيهات ضمنها آراءه فى طريقة تنظيم الجيش المغربى الحديث .

تقع هذه الرسالة فى ست صفحات وثلاثة أسطر من السابعة ، وهى مكتوبة بخط مؤلفها ضمن كراسة صغيرة بالمكتبة الاحمدية ، فى حجم متوسط ، وسنذيل هذا الباب باثبات النص الكامل للرسالة السودية .

الثالث : محمد بن محمد الفلاق السفيانى الامغيطنى العبدلاوى ، المتوفى عام 1312 هـ/ (1) 1894 م .

---

1 — له ترجمة مقتضبة عند المشرفى فى «نزهة الابصار» : المخطوطة المتكررة الذكر — ص 488 .

وضع ــ برسم السلطان محمد الرابع ــ كتابه : «تاج الملك المبتكر ، ومداده من خراج وعسكر» ، ورتبه على مقدمة من فصليــن ، وعشــرة أبــواب :

الاول : فى الملك ، من ثلاثة فصول .

الثانى : فى الجند ، من فصلين .

الثالث : فى المال ، وفيه فصلان .

الرابع : فى الخراج ، من فصلين .

الخامس : فى العمارة ، وفيه فصلان .

السادس : فى العدل .

السابع : فى اصلاح العمال ، وبه فصلان .

الثامن : فى استقامة الوزراء ، من فصلين .

التاسع : فى افتقاد الملك .

العاشر : فى اقتدار الملك .

منه نسخة فريدة بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2502 ، بها 71 ورقة ، مسطرة 22 فى الغالب ، مقياس 180/230 ، خط مغربى ملون جميل فى الاكثر ، ومصحح بخط قد يكون للمؤلف نفسه ، خال مــن تاريخ النسخ واسم الناسخ .

ووقع الفراغ من التأليف فى ربيع النبوى عام 1279 هـ .

ورد ذكره عند ابن زيدان فى «العز والصولة» (1) .

4 ــ وممن كتب فى هذا الموضوع : ابو العباس احمد بن خالد الناصرى السلوى المار الذكر ، فقد خصص فى كتابه «الاستقصا» (2) فصلا ضافيــا ضمنه آراء تقدمية فى تنظيم الجيش وبعض آدابه .

وسيكون الناصرى رابع المؤلفين الذين استعرضــت هذه الدراســة كتاباتهم حول اصلاح الجيش المغربى .

والآن سنذيل هذا الباب باثبات نص الرسالة السودية نقلا عن مبيضة مؤلفهــا :

---

1 ــ ج 2 ص 215 ــ 216 .
2 ــ ج 4 ص 222 ــ 225 .

«الحمد لله ، ولكاتبه مجيبا مولانا الامام ، المنصور بالله المظفر سيدى محمد بن مولانا عبد الرحمان بن هشام، لما سأل أئمة العلم: «10» من فاس ، عن حكم اتخاذ النظام ـ لما كان الطاغية اصبنيول استولى على تطوان وأخذها وقهر الناس ، بعدما دام الحرب نحو الخمسة أشهر ، واعيا الناس النظام الذى كان مع الطاغية ، وكان المسلمون انما يقاتلون بكيفية الحرب القديمة ـ وذلك فى رمضان عام 1276 ما نصه :

«الحمد لله الذى أمر خصوص عباده المومنين بنظم عموم كلمة المسلمين ، وصرف جيش القوة فى الكافرين ، والصلاة والسلام على امام المتقين ، وسيد المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله المؤيد بصحاح الآيات وباهر المعجزات وقواطع الحجج والبراهين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الخيرة المنتخبين ، الدالين على سنته وطريقته ، والناصرين لشريعته ، والبائعين أنفسهم وأموالهم فى جهاد أعداء الدين ، واخماد نار الكفرة الضالين .

هذا وان مما بلغ حد الاشتهار ، وتقرر فى مسيرات الافكار ، ان البارود لم يكن فى زمانه صلى الله عليه وسلم ، ولا زمان الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضى الله عنهم أجمعين ، حتى كانت أواخر المائة الثامنة ، فحدث البارود وظهرت فيه مزيد قوة على الرمى بالوتر والمنجنيق ، فعلم أهل الاسلام أن غيظ الكفار لايكون الا باتخاذ البارود والقتال به ، اذ الشىء لايقابل الا بمثله أو اقوى منه، فاتخذوا ـ بدل السهام والمنجنيق ـ رصاص البارود والمدافع ، فقاتلوا العدو بهذا المتخذ فصانوا وحفظوا دينهم وبلدانهم وأهليهم وأولادهم وأموالهم من الكفار بذلك ، بل فتحوا ـ جزاهم الله ـ به مدن الكفار وأرضهم ، ولم يروا ـ رحمهم الله ـ فى ذلك بدعة مذمومة ، وأفتى علماؤهم بأكل المصيد ببندق الرصاص ، كمصيد السهام الذى هو محل النص ، فقيل :

وما ببندق الرصاص صيدا جواز أكله قد استفيدا

بل هى بدعة محمودة ، قال الابى : «ما شهد الشرع بأصله من البدع هو محمود ، كالتحضير للصلاة وزيادة الاذان» انتهى . فان أصله الذى هو الاذن والطلب لاظهار القوة على الكفار ـ بحسب الاستطاعة ـ هو

موجود ، قال تعالى : «يأيها النبىء جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم»

ثم ان الكفار — لعنهم الله — أحدثوا قبل تاريخه — الذى هو سنة 1276 : ستة وسبعون ومائتان والف — بنحو الاربعين سنة : عسكر النظام ، فنسوا وأنسوا به كيفية الحرب الماضية ، لما فيه من غاية الترتيب، وشدة الحزم ، وتمام مراعاة الحذر ، وعموم القتال برا وبحرا ، قربا وبعدا، فما قابلوا به محلا الا نالوا واضروا بأهله ، فقد قابلوا به الجزائر سنة 1246 ، واضروها واقليمها على التمام ، واستولوا على النساء والصبيان وكافة من بها من أهل الاسلام ، فقام عند ذلك ملوك الاسلام : ملوك مصر والشام وتونس وقسطنطينية العظمى على ساق الجد ، فأحدثوا فى بلدانهم جيوش النظام ، والتزموه بجميع وجوهه وترتيب كيفيات حروبه على التمام، فحمى الله بذلك دينهم ودنياهم : بلدانهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم وصانها، فاستراح الناس وأمنوا على دينهم ودنياهم ، وكثرت أموالهم وتجارتهم ، ولم يبق لعدو الدين طمع فيهم ولا التفات الى صوبهم وجهتهم حينئذ ٠

فالمطلوب من سيدنا الهمام ، المنصور بالله المظفر بالقصد والمرام ، المنتظم بخلافته شمل الامة من خاص وعام ، فأفاض الله على رعيته — بساعد طلعته — سجال الخيرات والاكرام ، وأنام بعدله وحلمه جميع الانام ، فى ظل الامن والانام ، أدام الله لنا وجوده ، وخلد فى صفحات الدهر نصره وعزه وسعوده : هو اتخاذ جيش يكون ردءا لاهل الاسلام ، وحفظا لشريعة جده عليه أفضل الصلاة والسلام ، فيقاتل به أهل الخزى والآثام ، ويسقى الكفرة كؤوس الحمام ، فانه لا وجه فى الشرع يمنعه ٠ لان النظام — كما علم وربما أشعر لفظه بمعناه — هو عبارة عن نظم أمور فى الجيش راجعة لتقوية فائدته ونتيجته :

منها ان الجيش يكون فى الحرب مرتبا على طوائف أتت على جميع وجوه الحرب المكنة ، قال تعالى : «واذ غذوت من أهلك تبوىء المومنين مقاعد للقتال» ، حتى ان كل طائفة منهن مكلفة بأمور فى الحرب بحسب استطاعتها وقدرتها ، حتى يكون كل فى خدمته لايشغل باله غير خدمته ، فقد قال تعالى : «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» ٠

ومنها ان الجيش يكون على غاية الامتثال والانقياد لاميره ، حتى ان تدبيرهم هو تدبيره ، وارادتهم هى ارادته ، فقد قال تعالى : «يأيها الذين

آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكـــم» ، وورد فى حديث المقداد بن الاسـود ــ رضى الله عنه ــ «والله لو خضت بنا يا رسول الله هذا البحر لخضناه .

ومنها : ان المقاتليـــن يكونـــون فـــى الحـــرب صفـــا كالبنيـــان أو الجبال ، قال تعالى : «ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا» الآيـــة ، ولذا قيل فى الصحابة رضى الله عنهم :

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم .

الى آخره ، ومنها انه لا ادبار ولا فرار ، وقد قال تعالى : «ومن يولهم يومئذ دبره» الآية .

ولا يخفى أن التدبير فى الحرب أكيد ، وتحصيل الحيل والخديعة فيـــه محمود ، وفى الحديث : «الحرب خدعة» ، اذ «رب حيلة أنفع من قبيلة» ، وفى الصحيح : انه كان صلى الله عليه وسلم : لا يريد غزوة الاورى بغيرها الا فى غزوة تبوك ، فانه لما كان الزمن زمن الحر والسفر بعيد جلا للنـــاس أمرهـــم .

وكذا المشاورة مطلوبة فى الحرب لاظهار وجه نافع ، وقد قال تعالى : «وشاورهم فى الامر» ، فقد شاور صلى الله عليه وسلم فى الحديبيـــة فقال أبو بكر : «يا رسول الله نرى أنك خرجت لبيت الله» ، الى آخره، وشاور صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وقال لما لبس لامته : «ما كان لنبى اذا لبس لامته أن ينزعها حتى يحكم الله» ، وان كانت مشاورته صلى الله عليه وسلم انما هى تطييبا لخواطرهم ، وتعليما للامة ، لا لاستخراج أمر من عندهـــم محتاج اليه لم يكن عنده صلى الله عليه وسلم ، بل هو أعلم الناس .

على أن النظام اليوم يتأكد طلبه ، بل يتعين ويتحتم ، لما شاهده الناس من عدم مقابلة العدو بكيفية قتال سواه ، كما اتضح ورأى الناس هذه الآية، فقد قال تعالى : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» الآية ، وفى صحيح مسلم عن عقبة بن عامر: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول على المنبـــر : «الا ان القوة الرمى» قالها ثلاثا ، قال الابى : «هو نحو حديث : «الحـــج عرفة» ، وانما كان الرمى أقوى عمل الجهاد ، لانه أنكى للعدو ، ويستـــوى فيه الجبان والشجاع ، وأما السلاح فلا يقاتل به الا الشجاع ، ولان الرمى ربما يصيب رئيس العدو فينهزم الجيش» انتهى ، وقد قال تعالى : «قاتلـــوا

المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة» ، وقال عز وجل : «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم» الآية ، وعنه صلى الله عليه وسلم : «رحم الله امرءا أراهم من نفسه قوة» ، وقال تعالى : «ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون» الى آخره ، وقال تقدست اسماؤه وصفاته : «يأيها النبىء جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» ، الى غير ذلك من الآيات والاحاديث ، فذلك مفيد للوجوب ، ومنتج لتعين اتخاذه ، ألا ترى الى بسط الدليل من الآية الاولى فى قياس من الشكل الاول ، نظمه هو أن يقال : اتخاذ النظام اليوم قوة مستطاعة للمسلمين على الكفار ، وكل قوة مستطاعة للمسلمين على الكفار تجب عليهم ، فينتج : اتخاذ النظام اليوم يجب على المسلمين ، وهذا هو المدعى المطلوب ، أما دليل صدق المقدمة الصغرى فضرورى أو كالضرورى ، وأما صدق المقدمة الكبرى فمن الآية ، اذ الامر هو — كما عند الاصوليين — للوجوب حقيقة ، وكذا يقال فى بسط الدليل من الآية الثانية فى قياس من ذلك الشكل ، فيقال : اتخاذ النظام اليوم هو غلظة على الكفار ، وكل غلظة على الكفار واجبة ، فينتج : اتخاذ النظام اليوم واجب ، وهو المراد المطلوب ، ودليل صدق مقدمتى القياس هو على نحو ما تقدم فى القياس قبل .

هذا وان الدين النصيحة ، قيل لمن يا رسول الله ؟ فقال لله ولرسوله ولكتابه وعامة المسلمين وخاصتهم ، وفى الحديث «لا ضرر ولا ضرار» ، وهو من الاحاديث التى عليها مبنى الفقه والشريعة ، فلا بأس بذكر أمور اربعة :

الاول : انه لابد من حكم العسكر حتى لا يضر بابضاع المسلمين وأموالهم واولادهم ، لانه انما كان لمضى الحكم ورفع الضرر ، ومن كان فاسدا فى نفسه ، مفسدا لغيره ، فكيف يرتفع به الفساد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «انهوا جيوشكم عن الفساد ، فانه ما فسد جيش قط الا سلط الله عليهم الرجلة : أى موت دوابهم وخيلهم ، وانهوا جيوشكم عن الغلول ، فانه ما غل جيش قط الا قذف الله الرعب فى قلوبهم ، وانهوا جيوشكم عن الزنى ، فانه ما زنى جيش قط الا سلط الله عليهم الموتان : أى الوباء العام» ، فالحدود واضحة مقدرة ، واما التعازير فى المعاصى فهى موكولة لاجتهاد الامام ، قال خليل : «وعزر الامام لمعصية الله» الى آخره .

الثانى : انه يوسع عليه أكلا وشربا ولباسا ودراهم لقضاء بعض حاجاته المباحة ، لانه قد سلم نفسه للمسلمين فى جميع الاوقات ، ليس له خدمة الا فى معنى الحرب : ان أمر ائتمر ، وان استنفز الآن كان جوابه الفعل والسير ، وان حضر صف القتال لا يفر الا أن مات ، فالتوسعة — حينئذ — هى فى مقابلة ما بذله وباعه ، وقد قال الامام الطرطوشى — رضى الله عنه — ما معناه : الجيش حصن الملك ، وجنوده ، ومعاقله ، وحماة البيضة ، والدافعون عن العورة ، وحصون الثغور ، وأمن السبيل ، الى غير ذلك ، ومن تمام التوسعة عليه والبرور أن من مات منه أو قتل وله أهل ، ينفق على أولاده ، قال صلى الله عليه وسلم : «من ترك كلا أو ضياعا فالى وعلى» .

الثالث : انه بعد مدة ليس عليه فيها كبير ضرر ، يخير بين الخروج فيستبدل خلافه ، أو البقاء ، لان ما عقد عليه هو كالاجارة : فلا يبقى الى الموت ، لانه جهل ، بل يوقف بعد المدة المذكورة ويخير ، والبقاء فى ربقة الحجر والرقية الى الموت ضرر ، والضرر يزال ، وأيضا فان التخيير المذكور هو استيلاف به ، فيكثر الداخلون ، ويشحون بالخروج ويبخلون به .

الرابع : ان كل واحد من تاجر وحراث ومحترف ومتكسب بالغنم والبقر وغير ذلك : هو داخل فى النظام وساع فى أمره ، لان تلك هى أسباب للعمارة وتكثير الاموال ، فتكثر حينئذ الجباية والاعشار الاموال ، فان الاموال هى مدد جيش النظام وقوامه ، اذ لولا المال ما دام نظام ، بل ولا كان ، ومن كلام الحكماء : «لا ملك الا من جند ، ولا جند الا من مال ، ولا مال الا من جباية ، ولا جباية الا من عمارة ، ولا عمارة بلا عدل»، فالعدل أساس الجميع .

فالعدل اذا انتشر فى الرعية مات الباطل ، ونمت التجارة والزرع والانعام ، وامتلأت الايدى بالخير ، وحصلت المروءة حتى للعامة ، وحفظ الدين ، وكثر الداخل على الملوك ، واستراح الرئيس والمرءوس ، والله أعلم ، وكتبه — رادا العلم الى العلى الكبير — عبد ربه ،وأسير ذنبه : محمد المهدى بن الطالب ابن سودة ، لطف الله به فى الدارين ، وفى 28 رمضان عام 1276» .

22 ـ الدعوة الى الجهاد

وهذا مظهر آخر من ملامح يقظة المغرب فى هذا الطور الثانى ، ويتجسم فى الدعوة الى الجهاد لمقاومة المد الاستعمارى داخل التراب المغربى، ولم يكن هذا الاتجاه موضع اجماع المهتمين بالامر ، وانما برز أكثر عند بعض قادة تافيلالت ، كرد فعل ضد الوجود الاجنبى فى بعض المواقع الشاطئية أو التخوم المغربية .

وفى مقابل هذا الاتجاه كان فريق من المفكرين يجنحون الى الحلول السلمية ، متأثرين بواقع المغرب سياسيا وعسكريا واجتماعيا ، وكان من هذا الفريق المؤرخ الناصرى السلوى ، وهو يشرح وجهة نظره فى هذا المذهب ويقول أثناء كلام (1) :

«.. فهذا القطر المغربى ـ تدارك الله رمقه ـ على ما ترى من غاية الضعف وقلة الاستعداد ، فلا تنبغى لاهله المسارعة الى الحرب مع العدو الكافر ، مع ما هو عليه من غاية الشوكة والقوة .. بل لو فرضنا أن أهل المغرب ـ اليوم ـ مماثلون للعدو فى القوة والاستعداد لما كان ينبغى لهم ذلك ، لانه ليست العدة ـ وحدها ـ كافية فى الحرب ، ولا كثرة الرجال والمقاتلة ـ وحدها ـ بالذى يغنى فيها شيئا ، بل لابد مع ذلك من اجتماع الكلمة ، وكون الناس فيها على قلب رجل واحد ، ولابد ـ مع ذلك ـ من ضابط يجمعهم ، وقانون يسوسهم ، حتى تكون الجماعة كالبدن الواحد ، يقوم جميعا ، ويقعد جميعا ، وهذا معنى ما صح فى الحديث ، من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «المومن للمومن كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضا» (2) ، فان لم يكن ضابط وقانون فلابد من نفاذ البصيرة فى الدين ، وقوة اليقين ، والألفة فيما بين المسلمين ، والغيرة على الوطن والحريم ، وجودة الرأى ، والتمرس بالحروب ومكايد المشركين .

وأهل المغرب ـ اليوم الا القليل ـ منسلخون من هذا كله أو جله ،

---

1 ـ «الاستقصا» ج 4 ـ ص 269 .
2 ـ الحديث رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، حسب السيوطى فى الجامع الصغير ج 3 ص 365 من شرحه للعزيزى ، غير أنه لم ترد فيه كلمة المرصوص ، ولهذا يقال فى هذا الصدد : ادراج المرصوص ، غير منصوص .

فقد توالت عليهم الاجيال فى السلم والهدنة ، وبعد عهد أسلافهم — فضلا عنهم — بالحرب وشدائدها ، ومعاناة الاعداء ومكايدها ·· فكيف يحسن فى الرأى المسارعة الى عقد الحرب مع أجناس الفرنج ··»

* *

ونعود — بعد هذا — للفريق الاول الذى يمثله بعض القادة الصحراويين ، وهو يصمم على أن الجهاد هو الحل الوحيد للمأساة المغربية ، ولا يكتفى بالرد على دعاة الحلول السلمية ، وانما يسخر منهم سخرية لاذعة ، وهذا ما يسجله ناطق بلسان القوم (1) فى هذه الفقرة :

« ·· ومن استبصر وتبصر ، رأى انحطاط همة ولاة الامور ، مع استيلاء العدو على كثير من بلاد المسلمين ، واشتغالهم بالملاهى ، ولعمرى انهم لو أنفقوا أقل القليل مما يصرفونه على فضول الشهوات ، لما بقى بلد من بلاد الاسلام الا استردوه ، ولما أبقوا للكافر حصنا الا استخلصوه للدين ومهدوه ، وقد عللوا تقاعدهم بضروب من العلل كلها مكسوفة الانوار ، مهتوكة الاستار ··»

1 — والآن : نقدم ثلاثة من قادة الدعاة للجهاد فى هذه الفترة ، وقد كان زعيم هذه الفئة هو محمد العربى بن محمد الهاشمى الحسنى العلوى المدغرى، المتوفى — بها — عام 1309 هـ/ (2) 1892 م، من الاشياخ البارزين للطريقة الدرقاوية ، ومن مواقفه فى هذا الصدد نذكر نموذجين اثنين :

الاول : عام 1280 هـ/ 1863 م ، حيث وزع منشورا مطولا للتحريض على الجهاد ، وخاطب فيه كافة المومنين بأرض المغرب : عامتهم وخاصتهم ، وهو يؤكد — فى لهجة حازمة — أن الذى حفزه لهذا الموقف ، ما وقع فى المدن المغربية الساحلية من تهافت الاجانب على السكنى فيها ، وأخذهم فى البناء بها ، وانتشارهم فى بواديها : بالزراعة وتربية الماشية وغير ذلك ، مما ينذر بالاستيلاء الكلى على المغرب والمغاربة ، وهنا يقول المنشور (3) :

1 — هو الحبيب بن عمر بن الحسن فى تقريظه على كتاب «تحفة الراغب»، آتى الذكر ·

2 — ورد ذكره فى «سلوة الانفاس» ج 1 ص 261 ، وترجمته عند الفضيلى فى «الدرر البهية» ج 1 ص 274 — 275 ، حيث أرخ وفاته بعام 1310 هـ ·

3 — ص 61 من المجموع الذى يحتوى على المنشور ·

« ... والمسلمون لا مندوحة لهم عن القتال : اما أن يقاتلوا الكفرة لنصرة دين الله ، واما أن يستولوا فيحملوا المسلمين على قتال اخوانهم قهرا ، ولابد لنا من أحدهما ، وقد اختارت لنا الشريعة المطهرة — التى بها صلاح الدنيا والدين — مقاتلتهم ومنازلتهم ، واغزاء طائفة منا فى كل سنة الى بلدهم : تدعوهم الى الاسلام ، وترغبهم فيه ، وتكف أذاهم ..» .

وبعد هذا يعقب المنشور (1) هكذا : « ... ولا يخلصنا ويخرجنا من عهدة الوجوب ، وما أتانا به الرسول الطاهر المحبوب ، سماع أخبار اجتماع أجناس الكفرة ومظاهرتهم على قتالنا ، والوعد بأنهم يد واحدة على منازلتنا : أن لانستعد لقتالهم ، ولا نظهر القوة والعدة والاستعداد لمحاربتهم ، اذ المتوقع منهم هو الواقع ، وتحصيل للحاصل ، أليست الملتان متضادتان اسلاما وكفرا ؟ فلو قوتلت شيعة منهم ، وبفضل الله انهزمت وانكسرت شوكتها ، وفلت حدتها ، ما عادت شيعة أخرى لحربنا ، لنصرنا ربنا ..» .

ومرة ثالثة يقول نفس المنشور (2) : «... ومقدمة البوار الامن من عدو الدين ، وعدم المبالات بما يفعله فى أرض المسلمين ، وترك التفطن اليه حتى يصير يأمر وينهى ، ويمتثل أمره فى سواحل أهل الايمان والدين ، ولا يتفطن ويتنبه اليه حتى يتفاقم الواقع ، ويتسع الخرق على الراقع ..» .

وكما علمنا — سالفا — فان المنشور مطول ، وتحتفظ الخزانة العامة بمخطوطة منه ضمن مجموع يحمل رقم د 3353 — ص 57 — 81 .

وبعد هذا نقدم الموقف الثانى للمترجم من الدعوة الى الجهاد ، وقد برز حين أخذ الزحف الاجنبى يهدد صحراء تافيلالت ، وهنا يندب الزعيم الصحراوى المسلمين الى القيام بالدفاع عن حوزة الوطن بما أمكن ، حيث فاجأهم العدو ، وصدع كثيرا من قبائلهم ، وأجلاهم عن أراضيهم (3) .

وفى عام 1305 هـ/87 — 1888 م بعث بالرسل الى سائر الجهات المغربية يستنفرون الناس الى الجهاد، ويندبون قبائل الصحراء والمغرب الى

---

1 — ص 62 من نفس المجموع .
2 — ص 70 من المجموع .
3 — تقريظ الحبيب بن عمر بن الحسن على كتاب «تحفة الراغب» ، آتى الذكر وشيكا .

جعل عامين هدنة بينهم ، حتى يكونوا أمة واحدة ، ويدا متحدة على من سواهم من المغيرين المعتدين ، فأجابوا الى ذلك ، واستعد أهل الجد منهم بما يحتاجون له من عدة وخيل وسلاح ، وانست انفسهم بالظفر والنجاح ، وهنا يعقب المصدر المهتم بالامر (1) على هذه الاجراءات ، ويقول عن المترجم :

«... فلما رأى — رضى الله عنه — من الحزم أن يشارك مولانا السلطان بالرأى السديد ، أرسل له بعض أصحابه الملحوظين عنده بالتأييد، بعد أن عول على الخروج فى فصل الربيع ، فأضاف السلطان الرسول نحو شهرين ، ولم يرجع من عنده الا بخف حنين ، والناس — من أهل الجد — يتحسسون الاخبار ، وينتظرون : البدار البدار ، والشيخ — رضى الله عنه — يأمرهم بالتأنى وانتظار الفرج» .

2 — ومن أصداء هذا الموقف الجهادى ظهور شخصية ثانية فى الميدان ، لتعزز هذه الدعوة بالمقال والتأليف ، وكان هذا هو أبو العباس أحمد بن الهاشمى (بن صالح) الغالبى الادريسى الحسنى الفيلالى ، المتوفى — بها — عام 1327 هـ/ (2) 09 — 1910 م ، من تلاميذ الشيخ محمد العربى المذكور قبله .

وقد كان موقف شيخه الجهادى ، هو الذى حفزه — عام 1305 هـ — الى تعزيزه بتأليف كتاب موضوعى سماه بثلاثة أسماء ، أولها : «تحفة الراغب فى السعادة ، فى الترغيب لطلب الشهادة ، وآداب الغزو وحكمه وفضل الشجاعة» .

وهو مرتب على : مقدمة من ستة فصول .

— وكتابين فى كل منهما ثمانية عشر بابا .

— واخيرا خاتمة تشتمل على ستة فصول .

يقع مجموع الكتاب فى سفرين : الاول به 280 ص ، والثانى به 465 ص ، مسطرة مختلفة ، حجم متوسط ، ووقع الفراغ من تاليفه صبيحة يوم الاثنين فاتح شوال ، عام 1305 هـ .

---

1 — هو مؤلف كتاب «تحفة الراغب» ، آتى الذكر قريبا .
2 — ترجمته فى المعسول ج 16 ص 357 — 360 .

وهو مذيل بتقريظين اثنين : الاول بامضاء الحبيب بن عمر بن الحسن، بتاريخ 11 جمادى الثانية عام 1306 هـ ، والثانى : بامضاء ادريس بن سعيد الحسنى ، بتاريخ 5 رمضان عام 1307 هـ .

وتوجد مخطوطته الاصلية فى حوزة ولد المؤلف : الفقيه الفاضل السيد الحاج محمد نزيل مكناس ، وبالخزانة العامة بالرباط مصورة منه على شريط يحمل رقم 475 .

والآن : نذكر الثالث والاخير ، وهو الشريف المصطفى بن الحنفى الحسنى العلوى المحمدى (1) ، وكان من مواقفه الجهادية الرسالة التالية :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

طابع مكتوب بداخله

لا اله الا الله محمد رسول الله

أحباؤنا وخدام أسلافنا كافة قبيلة بنى امكيلد : كل واحد باسمه ، نخص منهم كبراءهم وأعيانهم وأهل الحل والربط منهم ، والقائد حمو ، والقائد على ، والقائد الحسين ، وفقكم الله وأعانكم ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فموجبه اعلامكم انه ورد علينا كتاب عند أهل تفلالت كافة ، مضمنه أن العدو دمره الله وشتت شمله ، جيش جيوشه ، وجمع عساكره وجنوده ، ونزل بها على بلد اتوات ، وحارب أهله وتقاتلوا معه قتالا شديدا، فصنع لهم مكيدة عظيمة كما هو دأبه وعادته ، فانهزم المسلمون ، وسبى منهم رجالا ونساء عديدة ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، ودخل على قصور وسعى فيهم فسادا عظيما ، ولا زال القتال قائما بينه وبين المسلمين ، وقد خرجت منه فرقة أخرى ونزلت بأكلى قرب وادى كير ذوى منيع .

وها أهله يستغيثون بالمسلمين ، وهم فى كل يوم يبعثون الرسل يطلبون الاعانة من أهل تفلالت ونواحيها ، وعليه فنحبكم — أحبكم الله ورسوله — ان تقفوا على ساق الجد ، وتكونوا مشمرين للجهاد الذى أمرنا

---

1 — ورد ذكره فى «الدرر البهية» ج 1 ص 280 .

به مولانا فى كتابه ، وتأهبوا للعدو الذى حرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتاله، ولا تقصروا، وكونوا عند الظن بكم، واياكم والتراخ، فان عدو الله طمع ببلادنا ، ولتعلموا أنكم ان تأخرتم فقد تعرضتم لهلاك المسلمين ، ويخاف علينا وعليكم أن يحل بنا ما حل باخواننا أهل اتوات ، فالله الله فى اخوانكم المسلمين ، فأغيثوهم فانهم يستغيثون بكم ولا تهملوهم، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحتره ولا يسلمه ، الحديث ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، وكيف لا وقد أمرنا الله تعالى بالجهاد فى غير ما آية ، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرضنا عليه فى غير ما حديث ، وها أهل تفلالت كلهم قائمين (كذا) على ساق الجد، فيجب عليكم أن تحضروا معهم ، وقد حذرناكم وأنذرناكم ، وهذا ما وجب به اعلامكم ، وعلى المحبة والسلام ، من الشريف الضعيف : المصطفى ابن الحنفى الله وليه .

وها المسلمون اتفقوا على النهوض فى الحادى عشر من عاشوراء ان شاء الله (1312) .

23 — توجيهات لاصلاح الحالة بالمغرب

ويتعلق الامر برسالة لعالم مغربى تتضمن أفكار اصلاحية ، ويحاول مؤلفها أن يستخدم هذه الافكار لانقاذ المغرب من الازمة الاقتصادية والعسكرية والسياسية التى كان يتخبط فيها خلال هذا الطور ، ومن سوء الحظ أن لايتيسر الوقوف على نفس الرسالة ، وانما المعروف منها — لحد الآن — هو برنامجها الذى أثبته فقيد التاريخ المغربى محمد بن أحمد الكانونى العبدى ثم الاسفى فى احدى مقيداته التى وقف عليها العلامة السلفى البحاثة محمد ابراهيم الكَتانى أمين قسم المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط ، وهذا نص ما فى المقيدة عن المؤلف والتأليف المذكورين :

«أبو عثمان سعيد بن عبد الله الخليفى المحمدى الدكالى ، الفقيه المشارك ، النبيه ، الذكى ، السريع الحفظ ، السيال الذهن ، ولد بثغر الجديدة ، وجال بالمغرب ، ورحل للمشرق ، فمكث فى رحلته نحو «20» سنة قرأ فيها العلم ، ورجع يتأبط علما جما ، ويتوقد ذكاء وفهما ...

وكان ـــ رحمه الله ـــ من نبغاء دهره ، وناهيك به من رجل رحل من بلده دكالة ، ودخل الجزائر ، واستوطن صحراء الـــزاب ، ودخل مصـــر وغيرها من الديار المشرقية ، واستفاد معلومات جمة ، ورأى نهضة أوربا فى علومها واستفاد منها ، ولما رأى خطرها محدقا بالمغرب ، ورأى المولـــى الحسن يحيط به أصحاب علم الجدول والتنجيم ، كتب له تأليفا فى السياسة الرشيدة التى ينقذ بها المغرب ، سماه : «وردة الناشق ، وروضة العاشق» ثم سماه : «التحفة الدكالية ، الى الحضرة العلية» ، أوله :

الحمد لله الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، وأمره بالعدل والاحسان.. رتبه على خمسة أبواب ، فى كل باب ثلاثة فصول :

الباب الاول : فى المغرب وأحواله ، ورجوع صحته بعد اعتلاله .

الفصل الاول منه : فى «النقذ» أى السكة وما وقع فيه من النقص .

الثانى : فى ثغور البحور المغربية ، وما تحتاج اليه من الامور الحربية .

الثالث : فى العساكر والاجناد ، وما تحتاج اليه من مؤونة وزاد .

الباب الثانى : فى الدين ومكانته ، وكيف دخل الوهن على أركانه .

الفصل الاول منه : فيما اعتادته النفوس ، من الترفه فى المأكـــول والمشروب والملبوس .

الثانى : فى الامور الداعية ، الى تعطيل الحدود الشرعية .

الثالث : فى الامور الداعية الى الفجور ، الحاملة على الكذب وشهادة الـــزور .

الباب الثالث : فى حال دول الروم واستفحالها ، واقتدائهـــا بكتـــب الاسلام وانتحالها .

الفصل الاول منه : فيما يستحسن من أمورهم الدنيويـــة ، وبيـــان الخصلة التى أصبحت قلوبهم بها متساوية .

الثانى : فى خبر الجنس الجائر ، وما أدخل من المظالم والمكاره علـــى عرب الجزائـــر .

الثالث : فى الاسباب الداعية الى فساد الملك واختلالـــه ، المبشـــرة بانقضائه وزواله .

الباب الرابع : فى خبر صاحب هذه الخطبة وترجمته وتاريخ ولادتـــه ورحلتـــه .

الفصل الاول منه : فى نشأته يتيما ومحنته ، واغترابه الى صحـــراء الزاب ورحلته ٠

الثانى : فيما له من المحفوظات التى لايشك فى حفظها ، ولا يتوقف فى سردهـــا ٠

الثالث : فيما له من الرسائل ، المشتملة على ضروب المدح والوسائل٠

الباب الخامس : فى خبر الامير المؤيد ، مولانا الحسن بن محمد ٠

الفصل الاول منه : فى تاريخه ونسبه ، وحسن سيرته ومذهبه ٠

الفصل الثانى : فى أحواله المرضية ، وشفقته على الرعية ٠

الثالث : فى سيرته مع أجناس الروم ، وكيف قاومهم مقاومة التريـــاق للسمــــوم ٠

وكان تأليفه له بمصر سنة 1304 ، وقدمه للسلطان مولاى الحســـن ارشادا له وتنبيها ٠

وقد اجتمع به العلامة ابن التهامى الوزانى الفاسى بدكالة ، وصادف ـــ أيضا ـــ فقهاء دكالة مجتمعين عليه ، فلما اختبره ورأى فهمه وحفظـــه قال : «لو أن السلطان بنى له مدرسة بأبى ينور لاستغنى الناس به عـــن فاس ومصر» ، وناهيك بها شهادة من مثله ٠

توفى ـــ رحمه الله ـــ بأسفى فى العشرة الاولى من القرن الرابـــع عشر الهجرى» ٠

هذا كلام المؤرخ الكانونى عن هذه الشخصية ومؤلفها (1) ، واذا كان لى ما أعلق به على هذه الترجمة ، فهو الرغبة فى أن تتظافر جهود الباحثيـــن للعثور على هذا الكتاب القيم ، وأخيرا : أدى البحث الى أن نسخة من هذا المؤلف توجد فى خزانة العلامة المحقق الثبت ، سيدى عبد الكريم ابن الحسنى الحسنى ، ثم حال مرضه ـــ شفاه الله ـــ دون الوقوف على الكتاب ٠

24 ـــ ظهـــور الصحافـــة العربيـــة

لم تظهر الصحافة العربية ـــ فى هذا الطور ـــ على يد المغاربة ، وانما

---

1 ـــ وقفت ـــ بعد هذا ـــ على هذه الترجمة ملحقة بهامش قطعة من كتاب «جواهر الكمال» للمؤرخ الكانونى ، وهى بخط مؤلفها ضمن خزانـــة المرحوم الاستاذ ادريس بن الماحى الادريسى القيطونى ٠

كان يتولى ادارتها افراد من الجالية الغربية بالمغرب ، والجريدة الوحيدة التى صدرت — اذ ذاك — هى : «المغرب» (1).

ويتناولها هذا البحث باعتبارها أول جريدة عربية صدرت بالمغرب المستقل ، وباعتبار أنها كانت تمهيدا لنشأة صحفيين مغاربة أسسوا جرائد مغربية ، كما هو الواقع فيما بعد هذا الطور .

فلهذين الاعتبارين يكون من حق هذا البحث أن يقدم عن جريدة المغرب المعلومات التالية :

ان هذه الجريدة كانت تحمل — كما عرفنا — اسم «المغرب» ، وتعتبر نفسها أول جريدة عربية طبعت بمراكش ، كما تكتب هذا بجانب عنوانها ، وكانت تصدر بمدينة طنجة مرة فى الاسبوع .

ويرجع تاريخ صدور أول عدد منها الى يوم الاربعاء 14 رمضان عام 1306 الموافق 15 مايو سنة 1889 ، وقد ثبت فى خاتمة العدد الاول منها أسماء: عيسى — كلارجى — كسبانى — كأصحاب لجريدة المغرب ، وفى عدد آخر منها كتب — فى طليعة الجريدة — أسماء أصحابها هكذا : عيسى فرج ، وسليم كسبانى ، وقد كانت هذه كلها أسماء مستعارة .

وكانت قيمة الاشتراك : فى طنجة عن عام خمسين بليونا ، وعن نصف عام ثلاثين بليونا ، وفى الجهات الاخرى عن عام ستين بليونا ، وعن نصف عام خمسة وثلاثين ، وثمن النسخة الواحدة بليون .

حجم العدد الاول من الجريدة : 405×257 م م. وعدد صفحاتها أربعة ، فى كل صفحة ثلاثة أعمدة ، وليس بها رسوم .

أما عن خطة الجريدة فانها تعلن عن نفسها بأنها : اخبارية أدبية علمية ، وقد وضحت خطتها أثناء الافتتاحية المطولة للعدد الاول التى جاء فيها :

«واذ كانت هذه البلاد مفتقرة الى جريدة عربية اللغة والمشرب ، لنشر الانباء الحقيقية ، والحقائق العلمية ، والاستنباطات المستحدثة الصناعية التى من شأنها ترقية منزلة البلاد ، بأن تثير فى رؤوس أهلها نار الحمية العربية ، وتدب فيهم النخوة الوطنية ، وتنهض همم الرجال ، من حضيض الاهمال : الى التدرج فى مراقى الكمال ، لكى يسعوا فى اصلاح حالة

1 — ورد ذكرها ضمن دراسة عن نشاط الصحافة بطنجة فى القرن 19 وأوائل 20 م ، مجلة «هيسبريس» سنة 1954 .

بلادهم ، باذلين النفس والنفيس فى درء المفاسد عنها ، وجلب المنافع اليها ، وكل ما يعود الى رفع رتبتها ، عاملين على مكانتهم فى مجاراة بقية البلدان مضمار النجاح والقوة ، ومجال العلوم والصناعات ، وتوسيع دائرة التجارات ، حتى ينتصر فيها أناس ذوو غيرة وطنية ، يذبون عن مصالح بلادهم ، ويحومون عن حقوقها ، يدافعون عن الحق ولا يرهبون فيه لومة لائم ، وتذكرهم أيضا بما حازوا من قصب السباق فى ميدان التقدم والرفعة فيما سلف من العصور ، وأحرزوا من المجد والشرف فيما كر من الايام ، وغبر من الاعوام ...»

ثم جاء فى ختام هذه الافتتاحية :

«واننا قد اعتضدنا على بذل وسعنا فى خدمة البلاد ، ونشر فوائد العلم ، والله يعلم أن قصدنا بهذه الجريدة نصرة العلم وخدمة الانسانية على الاطلاق ، وجل غرضنا خدمة السلطان ، والذود عن حقوق جلالته ، والانتصار لمصلحته اذا اقتضت الحال ، ناشرين فيها ما يسر رأيه الكريم ، ويظهر حكمته الفائقة ، وسياسته القويمة ، ويعلن فضله العميم ، وخيره الجسيم ، على الرعية التى قد ملكه الله من أمرها ، حريصين على توسيع دائرة المعارف ، وامتداد نطاق العلم ، متجنبين كلما يخل فى سياسة البلاد وخير العباد ، أو يرجع الى اختلاف الاهواء والمشارب ، بل مما يؤلف بين القلوب ، ويجمع بين الافكار ، فان أحسنا فانا قصدنا الاحسان ، وان أخطأنا فالانسان موضع الخطأ والنسيان» .

وقد تممت هذه الجريدة الحديث عن خطتها فى خاتمة مقالة أخرى من نفس العدد جاء فيها :

«اننا قد عزمنا على اصدار هذه الجريدة يوم الاربعاء فى كل أسبوع ، متخذين لها ما هو أقرب تناولا من الكلام ، وأدنى لتقرير المعانى فى الافهام ، متنزهين عن جانب المبالغة والاطراء ، غير متصدين للعبارات الوعرة المسالك ، التى لايدرك كنهها الا نفر قليل من الناس ، محاولين على بسط ما رق من الالفاظ ، فى عبارات سهلة الاسلوب والمأخذ .

وقد اخترنا لها هذا النوع من الترتيب والتبويب ، مشتملة على المهم من أخبار السياسة ، والأنفع من مباحث العلم والادب ، حتى اذا رأينا اقبال الناس عليها ، ورغبتهم فيها ، لانلبث أن نزيد حجمها ، ونوسع دائرتها ،

ونعمم فوائدها ونعظمها ، آملين اننا لانحرم من اعانة ذوى الفضل من أهل الحلم والعدل ، راجين أنهم يتحفوننا بما يسنح لهم من الآراء السديدة ، ويقفون عليه من الاخبار المفيدة ، والحوادث التى تعود بالنفع العميم ، فان المغرب لايعدم عددا ليس بقليل من أولياء الادب ، الذين يعززون التعاون على المصلحة العمومية .

فعلى كل من يرغب الاشتراك معنا فى هذه الخطة ، ويروم الحصول على هذه الجريدة ، أن يعرفنا كتابة باسمه والقابه ومكانه ، حتى نرسل له الجريدة فى حينها ، وانا — وان كنا بادىء بدء — بعيدين عن درجة الكمال ، قاصرين عن ارضاء بعض العالمين ، فاننا نعرف من انفسنا سلامة النية ، ونبالة القصد ، ونجهد جهد من يفوته بعض ما يروم الحصول عليه ، ولو كان مشروعنا هذا مما تبيض منه وجوه وتسود منه وجوه ، وما تسود منه الا وجوه الظالمين ، ولا يأباه الا ذو الطبع اللئيم .

ولئلا يتوهمن أحد أنا من ذوى الغايات والاغراض السياسية (1) آراء ذوى السياسة من أهل الحل والعقد ، غير متعرضين لبث ما يبدو لنا فيها ، مراعين جانب الاعتدال فى كل الاحوال ، حذرا من أن نرمى بأسهم الشكوك والظنون ، ودفعا للتمويه عن أفكار المريبين ، ولكنا فى بعض الاحيان لا نرى مندوحة عن كشف الحقيقة واظهار الحق للعيان ، لانخاف فيه لوما ولا نخشى وعيدا .

وقد فتحنا بابا للاعلانات لتسهيل أمور التجارة والمعاملات ، لكى يجد كل من يروم من التجار والشركات اشهار محل تجارته وما يتعاطاه من الاصناف لجمهور الناس فى الاقطار المغربية ، وسيلة تبلغه من نيل مأربه فى وقت وجيز ، فعلى كل من يرغب فى ذلك أن يخابرنا بشأنه ، وانا مستعدون لادراج كل ما يصل الينا من أخبار جهات بلاد المغرب المختلفة ، بشرط أن تكون الرسائل الواردة الينا خالية عن كل ما يشوش الاذهان ، حسنة الخط ، مذيلة بامضاء كاتبها ، ومن قصد مراسلتنا فعليه بمخابرتنا كتابة وله الفضل ومزيد الشكر .

وانا قادرون على طبع ما يطلب منا فى اللغة العربية على أتم ما يكون

---

1 — تعبير غامض .

من الضبط والاتقان ، بأسعار معتدلة ، ونسأل الله أن يدخلنا مدخل توفيق ، ويخرجنا مخرج توفيق ، والسلام» .

والى هنا تنتهى الفقرات الخاصة بخطة الجريدة ، والواردة فى عددها الاول ، وقد تعمدت ان اثبتها على طولها ، لنقرأ تلك الفقرات من ظواهرها وبواطنها ، ولنستشف من وراء ذلك خطة الجريدة ومقاصدها ، وأيضا لنعرف طريقتها فى الكتابة ، والاسلوب الصحفى بالمغرب المستقل اذ ذاك .

وبعد ، فان الذى وقفت عليه من هذه الجريدة عددان اثنان لا غير : العدد الاول الذى تكرر الحديث عنه فى هذا الباب ، وهو محفوظ ضمن المجموعة القيمة للصحف العربية التى تنفرد بها مكتبة مؤرخ تطوان العلامة الجليل سيدى محمد داود حفظه الله ، أما العدد الثانى فهو محفوظ بمكتبة كاتب السطور ، ويحمل تاريخ السبت 4 ذى الحجة عام 1306 = 3 غشت 1889 وهو العدد «11» ، وما سوى هذين العددين لم أقف عليه .

25 — صدى حرب تطوان فى الادب المغربى

تعددت مظاهر اليقظة فى أدب هذا الطور ، وتقدمت أمثلة منها فى ثنايا هذه الدراسة ، ونأتى هنا بقبس آخر مما يتصل بمأساة حرب تطوان ، وقد خلفت وراءها مجموعة لا بأس بها من أدب اليقظة المغربية ، وكنماذج من تلك المجموعة ، نقدم — أولا — قطعتين من عبرات المغاربة على تطوان، وصرخاتهم ضد الاسبان (1) :

الاولى : خطبة القيت — فى احدى الجمع — من منبر جامع القرويين بفاس ، بعد الاعتداء على تطوان ، وهى من انشاء والقاء أبى محمد عبد الكبير ابن المجذوب الفهرى الفاسى المتوفى عام 1295 = 1877 .

الثانية : قصيدة السيد مفضل بن محمد بن الهاشمى أفيلال التطوانى المتوفى بها عام 1304=1886 .

1 — فى «تاريخ تطوان» ، لمؤرخها الاستاذ الكبير محمد داود : نماذج أخرى من عبرات المغاربة على مأساة تطوان : ج 5 ص 238 — 244 ، مع ص 255 — 274 ، ووردت الاشارة لنفس النماذج فى : «مختصر تاريخ تطوان» — ص 188 — 190 ، يضاف لذلك قصيدتان فى نفس الموضوع من شعر أديبين من مكناس ، محمد بن محمد ابن فقيرة، ومحمد التهامى بن المهدى المزوار ، ووردتا — معا — بخط ناظميها ضمن كناشة : خ ، ع ، د 3736.

فمن الخطبة الفاسية :

عباد الله : اخرج الامام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ، فطوبى للغرباء ، فعلى غربة الدين يا عباد الله فليبك دما من كان باكيا ، وعلى ضعف أهله فليتمن المومن الموت لنفسه رائحا وغاديا ، روى الامام أحمد والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل على قبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه ، وفى رواية الديلمى عن أبى ذر : «لا تقوم الساعة حتى يرى الحى الميت على أعواده فيقول يا ليته كان مكان هذا» ، وفى أخرى يأتى على الناس زمان ·

وقد أظل المومنين ذلك الزمان ، الذى أظلم جوه وليس الخبر كالعيان، لا يأتى يوم الا والذى بعده شر ، ولا ساعة الا وما بعدها أدهى وأمر، ونحن غافلون نعسا ، نعلل أنفسنا للخير بلعل وعسى ، كما كنا هذه مدة نعللها بأخبار الواردين ، وأن النصر والغلبة لحزب الله المجاهدين ، وأغفلنا ذلك عما نعلمه من أن الحروب سجال ، فتارة وآونة ندال ، وان من ظن فى الحروب أن لايصاب ، فقد أخطأ وما أصاب ، الى أن دهينا بأمر يروع الافئدة ويذهل العقول ، ويفنى الحيل ويكل فيه المقول ، وقويت فينا أطماع الخبيث ، ومنه الينا يساق الحديث ، وشن علينا الغارة ، وأنشب فينا أظفاره ، وأعلق بنا أطماعه ، ومد الينا ذراعه وباعه ، مع ما بنا من التغافل عنه والتهاون ، الى أن فاجأ بالمكر يتيمة عقد مدائن المغرب تطاون ، دار اسلام من لدن نشأتها ، على حسنها وبهجتها ، وما بها من العلم والدين ، وشعائره وعدة الجهاد وذخائره والفضلاء والصالحين ، وضعفة عباد الله المومنين ، باتت دار اسلام ودين ، فأصبحت مثوى كفرة متمردين ، كانت فى مدائن الاسلام تاجا واكليلا ، فصارت مقر المردة يعبدون الاوثان ولا يهجعون الا قليلا ، فما أعظمها من مصيبة طامة ، أصابت الخاصة من المومنين والعامة ، وما أفزعها من رزية ، فتتت اكباد المومنين من البرية ، هل يأسف المومن على خصوص دينها واسلامها ، أو على ذلك مع ضعفة أهلها وذراريها وحريمها وأيتامها ، أنستنا مصيبة الجزائر وأعمالها ، وذهاب

دينها وملكها ومالها ، ولم يقع منا بذلك اتعاظ واعتبار ، بل اتخذناه قصصا وخبرا من الاخبار ، حتى سرى شؤم ذلك الينا ، وطمحت نفس العدو الكافر للهجوم علينا ، كما قال بعضهم : ان من الناس من لو مات نصف أحدهم ما اتعظ النصف الآخر ، ولا أحسبنى الا منهم ..

فانهضوا — رحمكم الله — لاعلاء كلمة الله سراعا ، وكونوا لقتال أعداء الله أطول الناس باعا ، وتداركوا رمق الدين قبل أن يفوت ، وبادروا عليل الاسلام قبل أن يموت ، فهل هو ينظر اليكم نظر السقيم الى الطبيب ، ويتشوف اليكم تشوف المحب للحبيب ، فاجعلوا — أعانكم الله — يد الاسلام واحدة على جهاد أعدائكم، وخيبوا مطمعكم (كذا) الفاسد فى نيل بلادكم ، ولا تقتصروا على نصر كنصر النساء بالبكاء والتحسر ، والتأوه والتشكى والتضجر ، عسى الله أن يهيىء للمسلمين فرجا ، ويجعل لهم من أمرهم مخرجا ، فان انتظار الفرج مع الصبر عبادة ، والتضرع بين يدى الله سبب يرحم الله به عباده ...» (1)

وقال السيد مفضل أفيلال :

«يا دهر قل لى على مه	كسرت جمع السلامه
نصبته للدواهى	ولم تخف من ملامه
خفضت قدر مقام	للرفع كان علامه
ملكته لاعاد	ليست تساوى قلامه
فالدين يبكى بدمع	يحكيه صوب الغمامه
على مساجد أضحت	تباع فيها المدامه
كم من ضريح ولى	تلوح منه الكرامه
علق فيه رهيب	صليبه ولجامه
ومنزل لشريف	وعالم ذى استقامه
صار كنيفا لعلج	ولم يراع احترامه
وكم وكم من أمور	للدين فيها اهتضامه
تبكى عليها عيون	كآبة وندامه
تطوان ما كنت الا	بين البلاد حمامه

1 — يوجد النص الكامل لهذه الخطبة ضمن كناشة بمكتبة جامع هذه الدراسة .

أو كخطيب تردى	من بعد لبس العمامه
بل كنت روضا بهيجا	زهرك أبدى ابتسامه
أو كمحيا عروس	علاه فى الخد شامه
فقت بهاء وحسنا	فاسا ومصر وشامه
رماك بالعين دهر	ولا كزرقا اليمامه
ففرق الاهل حتى	لم يبق الا ارتسامه
ما كان أحلى زمانا	وما ألذ غرامه
مضى لنا مع بدور	دوى نهى وفخامه
ما بين انشاد شعر	وبين انشا مقامه
وشملنا فى التئام	والبسط يهوى التئامه
حن السرور اليه	شوقا ورام التثامه
ساعده السعد حتى	نال المنى ومرامه
يا حسنها من ليال	لو لم تصر كالمنامه
تطوان يا دار أنس	وخيس أهل الزعامه
هل للوصال سبيل	فالهجر أكمل عامه
والقلب ذاب اشتياقا	وحسرة واستهامه
والوجد أضعف جسما	وكاد يبرى عظامه
ياأهل تطوان صبرا	فما لخطب ادامه
دوام حال محال	وهل لظل اقامه
ان غاب نجم سعود	ولاح نجم شآمه
فسوف يطلع بدر	يمحو سناه ظلامه
فاعتصموا برجاء	وارعوا بصدق ذمامه
وحسنوا الظن تنجوا	دنيا ويوم القيامه
وفوضوا الامر لله	يكف عنا انتقامه
ما فاز الا ذكى	قدم خيرا أمامه
حيث أقامه يرضى	ولو بقصر كتامه
ولا يزل ذا انتظار	فى كل وقت ختامه
يراقب الله سرا	وجهرة باستدامه
يطلب حسن ختام	وحل دار المقامه (1)

1 — الاستقصا ج 4 ص 217 — 218 .

ومن ذيول أدب مأساة تطوان ، هذه الرسالة التى كتبها أحد أعـــلام سوس : يندب المومنين الى الدفاع عن تخوم القطر السوسى ، بعدما يتوقع أهلها غارة أسبانية ، والرسالة من وضع عالم جزولة : العربى بن ابراهيم الادوزى السملالى المتوفى عام 1289 هـ، وهى مؤرخة فى 12 من ذى القعدة عام 1278 هـ ، ونصها :

«كافة المسلمين ، المتدينين بدين سيد المرسلين ، عليه أفضل صـــلاة المصلين ، السلام ورحمة الله وبركاته ·

وبعد : فقد استغاث بكم اخوانكم من أهل «وادى نـــون» و «بنـــى بعمرانة» ومن جاورهم فى تلك الجهات ، من هجوم العدو الكافر عليهـــم ، وارادوا أخذ بلدهم وغيره مما وصلوه من أرض المسلمين ·

فأغيثوهم عاجلا بلا توان ولا تراخ ولا اشتغال بأشغال ، فالامر أشد من ذلك ، «فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله» ، كما قال الله تعالى فى محكم تنزيله : «فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم» ، ولا عهد ولا رأفة ولا حنانة ·

فاسمعوا وأطيعوا لامر الله تعالى ، فلا يسعكم التكاسل والتهاون ، والاخذ بالقال والقيل ، واحذروا أقوال المبطئين ، «وان منكم لمن ليبطئـــن» قال : اذا استنفرتم فانفروا ·

واعلموا أنه قد ورد علينا كتاب من الفقيه : سيدى محمد بن صالـــح البعمرانى ، وكتاب آخر من سيدى الحسين بن هاشم ، فى أن نأمر الناس بالنفير ، والتبريح فى أسواقهم بتعجيل الخروج للجهاد ···

فعلى من وقف عليه من هشتوكة وهوارة وهلالة وغيرهم : من خاصة المسلمين وعامتهم شدة الحزم ، وتعجيل المسير والنفير ، وقد قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفــروا فى سبيل الله اثاقلتم الـــى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة» ، «ولا تكونـــوا كالذين قالـــوا سمعنا وهم لايسمعون» ، ونسألكم الدعاء» (1) ·

---

1 ــ الرسالة واردة عند مؤرخ سوس المرحوم محمد المختار السوسى ، فى كتاب «المعسول» ، ج 17 ص 227ــ228، ويعلق المؤلف عليها هكذا : « قد كانت رسائـــل لأبى على الحسن بن أحمـــد التيمكيـــدشتى وغيره تفرق فى الناس يوم هوجمت تطوان ، ذكرناها فى محل آخر» ·

* *

وبعد هذا فان مأساة تطوان ، اثارت — من جهة اخرى — مشاعر الادب الشعبى فى قصيدة زجلية باكية ، من نظم الحاج ادريس بن الحاج على السنانى سابق الذكر ، وهى مطولة وتعرف بـ « التطاونية » (1) ، ونقدم نصها فيما يلى :

القسم الاول

نبدا باسم الجبار
واسم المولى ربحى مع اتجارا
اخيار ما يقول القايل · مفتاح كل قول أو تذكارو
وصلاة الله اجهار
والتسليم على بازع لمنارا
أصلا مشرفا مكمولا · وسلام ما ينتهى تكرارو
وعلى آل المختار
واصحابو من هزمو اهل ادسارا
اضراغم اضراغم من خربو · أبليمان للكفر اديارو
فبواديها وامصار
صبروا للبرد وغايت لحرارا
باعوا نفوسهم للمولى · بنعيم جنت الخلد وسارو
كانوا بيزان احرار
يصطادو على لعداة فلقطارا
حتى وضحوا دين امام · لنبيا وخبرو بسرارو
بفضلهم يا حضار
نسأل مول الملك واقتدارا
يهدى قلوبنا ويتبتنا · بليمان حتى ننصارو

1 — من املاء المرحوم الشيخ العربى الزهرانى المكناسى ، المتوفى — بها — نحو عام 1383 هـ/1963 م : من كناشته ·

السلازمة

«من دار نفديو التار

ويفدنا رب مع النصارا

نسعو النصر والفتح من الله بالمفضل وانصارو»

عروبي :

نسعاو الله فالنصر نعم الرحمان والفتح الا يزول والظفر والتمكين

وجب نتوجه ونحتال ببيان لقتال الكافرين ونسأل المعين

فلوفق مع ليمان وينصر السلطان نعم المنصور سيدنا سبط الحسنين

الله يجود بالنصر لعلام الدين

القسم الثاني

يا ساهي خذ اخبار

وافهم تعبير القول ولشارا

نوصيك يا غفيل احتال· لأمر الجهاد والعدا جارو

مهما سكنو فديار

تطوان بلحيلت واشطارا

حازوا حوازها وامنازه · كيتانها وغلات اشجارو

ما تستهل لغيار

ما لحقتها من قومها ايغارا

وعد الكريم كيتصرف · ولا بيدينا ما نختارو

ويلا راد الستار

ايفج عل لسلام ذلكدارا

يرحم ضعفنا ويعملنا · بالفراج فعسى نجبارو

وانغزر فلكفار

حتى يرضو الغلب بلجهارا

ويبدد الكريم شملهم· وسفونهم لهم يكسارو

تكمل لنا لوطار

ونلبسوا ثوب العز واتيارا

ويعود المغربى صايل • فى كل فج عانى بخبارو

اللازمة

عروبى :

كف ايكن لعمال يا ناس الديوان الامر اشتد لا غنا يالمسلمين

الغرب بلا خفا لبس كسوت لحزان وضياق لجون كيف سارو عاد احزين

وشهاوناد هونا على الحتلان **واعدانا بلجميع لنا محتالين**

الله ايجود بالنصر لعلام الدين

القسم الثالث

حارت لنا لفكار

من هاذ الامر عقولنا احيارا

وحنا غافلين اولعدو • مشغول كيحصن فجدارو

بلجهد مع الكدار

وانوا يسقى لقلوبنا مرارا

والبعض غابطين فالدنيا • وهل ليمان بالغصا حارو

والبعض نسى ما صار

ما يعرف بين الروم اهل لكارا

مهبول كل من يتغر • أفهذا الزمان والكافر جارو

الرومى مثل النار

قالوا ناس التشبيه والعبارا

الى ما طفتها فساعا • تزيد هذا تحكارو

ليس بحالو غدار

طامع فمدون الغرب بتمارا

لهلا يوصلو ولا يوفى • ليه ظن هو وانظارو

يا رب بالمختار

واصحابو أهل نكرايم لبرار

وبحق من تزهد واخلص • لعمال لك ليلو وانهارو

شتت لعدو يدمار

واقطع دابرو يلتق مرارا

كيدو خرجو فنحرو ٠ يا رافع السما واطف نارو
اللازمة

عروبي :

يا عينى بدلى منامك بالسهران وابك عن غربت لسلام بدمع اهتين
ما يستهل غربنا هذا الختلان أمع كثر لجنود والمال ولبنين
خلفنا قول به أمرنا الديان واغبطنا فلهتوف عن أمر المبين
الله يجود بالنصر لعلام الدين

القسم الرابع

فحديث بن عمار
ايلى التهات الناس باتجارا
والغو لجهاد أغشاهم ذلن ٠ اكثر ويعم اديارو
هذا لقول أفلسفار
مروى فلحلى حق بليمارا
نقل الشيخ أبو نعيم ٠ موضح لحدايث فاسفارو
أيأولى لبصار
اعتبرو اونظرو فذى العبارا
واتأملوا فهاد القول ٠ اللى بان يا سيادى عتبارو
التهينا بالدينار
واغبطنا فالدنيا بخود وارا
وتوىالحسد والبغض٠ فهذا لجيلفاكبارو واصفارو
لا ناهى على المنكار
لا توقير الشياب اتمارا
وقليل من تصيب ٠ فهذا الجيل ليس كياذى جارو
رب يشفى لضرار
ويفرج هم الغرب بلبشارا
سلطانا يشعشع نور ٠ فى من اعصاه يظهر عتبارو
اللازمة

غروبـــى :

ميزت يامن تسال بلعقل اولدهـــان فالامر اللى عـــم فألغـــرب بتبييـــن
وانصب الغرب فيه يا صاح قومان واقبايل تهريـــن شتـــى معلوميـــن
بالمال والخيل والسناح اللى مزيـــان اخطانا غير صبر حـــق أو ليقيـــن
الله ايجود بالنصر لعـــلام الديـــن

القســـم الخامـــس

نلغرب جنود اكثـــار
ما يرضاو التدمـــام أو لحـــزارا
فيهم أبطال · اللى لو صاب الجهاد يوقع لوســـارو
فرسان ليوث أحرار
والرمات هل الصيـــد أولشـــارا
داب غربن يتعافا · ويفرج المهيمن تكضارو
لا يجعلنـــا فـــرار
بل يجعلنـــا كـــرار للغـــزارا
نمشو كف كان يمشو · الفايزيـــن من كايذكـــارو
ونصيـــرو بالادكـــار
وكـــلام الخير اللى بلا تجـــارا
والدين والصـــلا والمحننـــا · تكن بهـــا نشكـــارو
ونكونـــوا فالمقـــدار
قـــد واحـــد الا مـــن اتـــوارا
فالحرب بازعم هـــذك · اشرفنـــا ايعل مقـــدارو
والمونـــا كـــل نهـــار
ما يقهـــر جوع النفس بختصارا
لجهاد ما يكون بغير التقويم · كيف جانا بشارو
الـــلازمـــة

عروبـــى :

احديث فشرح النـــواوى بتضمـــان عن أبى ذر قـــال طه زين الزيـــن

ليس يقوم لجهــاد يلمــت لخــوان   دون تقويم مع الصبر هذو باثنيــن
أمثيل لساس للــدى رايد بنيـــان   أش من بنيان دون يساس يكن احصين
الله ايجود بالنصر لعــلام الديــن

القســم الســادس

يا من رايد يحشـــار
في زمــرة طـــه طيب لمـــزارا
احض ايمانك اودينك • واصبر فازمان لماذاق مرارو
الوقت قرب باجهـــار
والنجـــم اللي بديل بان شــــارا
هذو علايم الفرج • كيف انضرت صح لخبار ماجفارو
ما بقى لــــك توخـــار
عن تعليـــم التلحيق والعمـــارا
والرمي ما خفا • واحساب البارود كيف وجب عبارو
واجميـــع ما يذكـــار
و نحتالـــو لحـــروب انصـــارا
ويدير كل مسلم سكيـــن • أوجج دلمكحل فـــدارو
اعتبـــروا يا لابـــرار
من غرنـــاط وامــدن فلقطـــارا
باتو اسلام صبحو كفار • جميع او ندمو عن ما دارو
كيف مدينت لجـــدار
من قصتهـــا نجلاتـــي اسهـــارا
بقعا ونعم بقعا • شيذ فيها الشرك بنيان اســـوارو
الـــلازمـــة

عروبـــي :

أيا حمات دينـــنا لعنو الشيطـــان   هذ الغفلا على عداكم حتـــى ليـــن
ما تتفكرو نهـــار دخـــل لتطـــوان   وخـــرج منهـــا الكافـــر لمسلميـــن
وابقت النـاس حايـــرا بين الطرقان   و هل ليمان كتقول بصوت حنيـــن
الله ايجود بالنصر لعـــلام الديـــن

القسم السابع

خرج فالليل ابكار

والصبيان ونسوان بلجهارا
فالباب كينوحو على المدينا· أو كل جار أفرقجارو

كم من شياب أكبار

واعكايز صاروا فلخلا حيارى
واشحال من المرضى يبك· عنها شفيقبدموع ابصارو

يا حسرا عن اديار

واجوامع بادوا بعد العمارا
وامسايد للقراى بالواح · مسطرين جاحوا واهجارو

هذا حكم القهار

من نسعوه لعفو مع الطهارا
ينصر ديننا على ملة العدا · بجاه طه مختارو

ببا بكر وعمار

وعثمان وعلى او بلبكارا
وبحق أمهم الزهر · وأزواج لمفتضل واصهارو

قال الناظم لشعار

عربى من هل لجحاف لخيارا
ادريس بن على حج لبت · اوشف قبر لحبيب وزارو

انمجد خاتم لبرار

من جا لنا مبعوث بلبشارا
اعليه اصلى ما لمعت لرماح · أو لخيول أو ما غارو

و ما جاهد غزار

أو قتل لكشط اختازرا نصارا
او ما دع أديب اللجهاد · او قال بلفصاح فاشعارو

اللازمة

مدر نفديو الثار

ويفادينا ربى مع النصارا
نسعو النصر والفتح · من الله بلمفضل وانصارو

ويتعلق الامر بموقف المغرب — على مختلف المستويات الشعبية — من ضريبة المكس ، وكان الذى نظم هذه الجباية فى المغرب العلوى هو السلطان محمد الثالث ، ويشرح مؤرخ معاصر (1) أبعاد هذه الضريبة ضمن أحداث عام 1176 هـ حسب الفترة التالية :

«وفى هذه السنة ترتب على فاس من الامكاس نحو الف مثقال عن كل شهر ، ووظف ذلك على الموازين والاسواق وأبواب المدينة ، وكان — قبل ذلك — على القشينة والجلد والكبريت فقط ، ثم صار عاما فى كل شىء ، حتى ان أهل الوزيعة بسوق الخميس جعل عليهم المكس» .

ويعلق نفس المؤلف على هذا الحدث ويقول : «وضاق الامر بالناس غاية الغاية ، والحول والقوة بالله» .

وفى صفوف العلماء : يحافظ التاريخ على اسمين ممن أعلنوا بالمعارضة لهذا النظام الجبائى الجديد ، وكان أولهما : هو محمد بن الحسن الجنوى التطوانى (2) ، والثانى : محمد التاودى ابن سودة المرى الفاسى (3)

وعند مبايعة السلطان العلوى : المولى سليمان ، كان الغاء هذه المكوس من بين الشروط التى انعقدت عليها ولايته ، وهذا ما يسجله الجبرتى (4) : المؤرخ المصرى المعاصر ، بمناسبة ترجمة محمد التاودى ابن سودة ، وهو يقول فى هذا الصدد :

«ولما توفى مولاى محمد سلطان المغرب ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده ، اجتمع الخاصة والعامة على راى المترجم ، فاختار المولى سليمان وبايعه على الامر ، بشرط السير على الخلافة الشرعية ، والسنن

---

1 — «تقاييد تاريخية» ، لأحمد بن محمد ابن ابراهيم المشترائى الفاسى ، مخطوطة الاستاذ المرحوم ادريس بن الماحى الادريسى القيطونى ، بواسطة الاستاذ عبد القادر زمامة الباحث المعروف .
2 — «نزهة الاخوان ، فى أخبار تطوان» ، لعبد السلام سكيرج التطوانى ، مخطوطة المكتبة الداودية بتطوان — ص 56 .
3 — «السعادة الابدية ، فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية» — ج 1 ص 94 ، أثناء ترجمة الحكيم عبد الله بن عزوز ...
4 — «عجائب الاثار ..» ، الطبعة المصرية الاولى — ج 2 ص 244 .

المحمدية ، وبايعه الكافة بعده على ذلك ، وعلى نصرة الدين ، **وترك** البدع والمظالم ، **والمكوس** والمحارم ، وكان كذلك» .

* *

والان : نصل الى الفترة التى ندرسها ، حيث كان علماء المغرب لا يزالون يستنكرون استمرار هذه الجبايات المكسية ، ونقدم النموذج الاول من فاس ، ومن خلال مواقف أحد أعلامها الكبار : محمد بن **المدنى كنون** ، المتوفى عام 1302 هـ ، وقد جاء فى ترجمته (1) :

«...وكان يقول فى الملوك عند تعرض الكلام عليهم فى قراءة ميراث بيت المال ، وأخذ الزكاة وتفرقتها ، والاستعداد لفريضة الجهاد ، **وتحريم المكوس** ، ونحو ذلك من تغيير السنن والفرائض ، ما هو معلوم فى محله من أقوال الائمة ، من غير شعور بأحد ..» .

وفى الرباط : فان شيخ علمائها أبا اسحاق ابراهيم التادلى المتكرر الذكر ، كان يجاهر بالتنديد بالمكوس ، ويبعث للسلطان الحسن الاول — بواسطة المتصلين به — بالنكير ضد هذه الضريبة ، وله — فى هذا الصدد — كلام طويل (2) نقتطف منه ما يلى :

«... وفى ليلة 27 رمضان عام 1302 ، طلب منى السلطان : **مولاى** الحسن نصره الله واصلحه ، أن أحضر معهم بمسجده بالرباط — على العادة عنده فى تلك الليلة — بواسطة قاضى الرباط حينه : **السيد أحمد** ملين ، فامتنعت ، واعتذرت له بأنى غير صحيح ، ونويت أنى غير صحيح مما يفعلونه من المظالم : **كالمكوس** ..» .

وبعد هذا يقول عن الحاجب : أحماد بن موسى :

«... وقد كان السيد أحمد المذكور — قبل ذلك — طلب الاذن فى زيارتنا ، فأذنا له ... فلما أراد الانصراف وضع — بيدى — ضبلونين ذهبا، فقلت له : زيارتكم عندنا ، أن ترغبوا سيدنا — نصره الله — **حتى يعطف** الله قلبه **لزوال المكس** ..» .

---

1 — «الدرر المكنون ، فى التعريف بشيخنا سيدى محمد كنون» ، تأليف محمد بن محمد بن مصطفى المشرفى ، ط . ف — ص 25 .

2 — فى مقيدة له فى نفس الموضوع ، وقد وردت — بنصها — عند محمد بوجندار فى كتابه : «الاغتباط» ، حسب مخطوط الخزانة العامة المتكرر الذكر — ج 2 ص 18 — 20 .

ويتابع نفس العالم حديثه في هذا الموضوع حسب الفقرة التالية :

«وقد كنت — قبل تاريخ رمضان 1302 المذكور بنحو ست سنين ، لما زارنا بدارنا السيد محمد بركاش — اغلظت له القول في المكس ، وقلت له : **المكس حرام** نحو مرتين او ثلاث بحال عظيم ، حتى هم بالخروج من حينه ، ثم أعقبته بكلام لين حين تذكرت قوله تعالى : «فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى» ، وذلك بمحضر ولده : الحاج محمد ، فأثر ذلك فيهما ٠

ثم — **بعد نحو سنة** — أراد ولده المذكور **السفر من الرباط لفاس عند** السلطان المذكور وفقه الله ، فأكدت — عليه مرارا — **في أن يكلم السلطان** في **ازالة المكوس** أن تلاقى معه ، ولا يقصر في ذلك ، فامتثل وقال له : الى متى **تسود صحيفتك بأخذ المكوس** وتعطيها للناس يأكلونها ٠٠» ٠

❋ ❋

وعلى المستوى الشعبى جاءت مبايعة السلطان الحسن الاول فرصة مواتية، وقد اثيرت قضية المكس بفاس من طرف الحاضرين — لهذه المناسبة — من الشعبيين، وبالخصوص فريق الدباغين، وطالبوا أن تنعقد البيعة على أساس الغاء المكس عنهم ، قال في «الاستقصا» (1) : «فيقال : ان بعض من أراد جمع الكلمة من العلماء والاعيان ، تكفل لهم بذلك عن السلطان» ٠

وسيبرز نفس المصدر (2) — بعد هذا — من بين هؤلاء : اسم العالم الغيور : المولى عبد الملك «الضرير» بن محمد العلوى المدغرى ثم الفاسى (3) ٠

وقد بدأ الوضع يتأزم بعدما تمت البيعة ، فتبين للمعنيين بالامر أن مطلبهم صار مرفوضا ، حيث استمر المشرف على الامكاس بفاس في متابعة الترتيبات الجبائية ، وكان رد الفعل قيام ثورة شعبية ضد الامين الحاج محمد بن المدنى بنيس عام 1290 هـ/1873 م، وهو الذى كان يشرف

---

1 — ج 4 ص 235 ، وقد تتبع نفس المصدر سير هذه الاحداث التى نعرضها — ج 4 ص 235 — 237 ، مع ص 239 — 240 ٠

2 — ج 4 ص 239 ٠

3 — ترجمته في «معجم الشيوخ» المتكرر الذكر — ج 2 ص 96 — 97 ٠

على هذه الجباية ، وبعدما هدأت الثورة نصب أمين جديد ، واستقر الجباة بمراكزهم من نفس المدينة ٠

وأثار هذا التصرف الجديد استياء الدباغين ، حيث قصدوا المولى عبد الملك الضرير ، وحملوه مسؤولية التزامه باسقاط المكس ، واقترحوا للخروج من المأزق : اما الغاء المكس ، أو ابعاد بنيس حتى لا تدول له دولة عليهم ٠

وبهذه المناسبة قام نفس الفقيه بزيارة السلطان الحسن الاول ، وكان آنذاك بفاس ، وقرر له تدمر الدباغين ومطلبهم ، فأعرض السلطان عن ذلك وقابل بالجميل ، وهنا صارحه المولى عبد الملك الضرير ، وقال ان لم يتحقق شيء مما ذكرت ، فان الاولى بى أن أنتقل الى تافيلالت ، ولا أستمر بين أظهر هؤلاء ، فأسعفه السلطان وهيأ له وسائل انتقاله ٠

ولما علم الدباغون نتيجة المقابلة ، حالوا دون رحيل الفقيه ، وعمدوا الى الحمارين فطردوهم ، وهكذا : تدهوت الحالة مرة أخرى ، وافضى الموقف الى نشوب ثورة جديدة عام 1291 هـ/ 1874 م ، وتطورت المأساة الى صدام مسلح بين الدباغين والقصر ٠

ولسنا هنا بصدد تقديم تفاصيل عن سير هذه الثورة والتى سبقتها (1)، وانما يهمنا من هذا العرض المقتضب ، أن تسجل الموقعتان أول ثورة عمالية يشهدها المغرب الحديث ٠

ومما يزيد فى أهمية هذا الموقف ، أن السلطان الحسن الاول أخذ بعين الاعتبار مطلب الدباغين ومعهم العلماء ، واستجاب جزئيا ولو بعد حين ، وألغى المكوس الموظفة على سائر الابواب بالمدن والقرى المغربية كلها ، وقد أثبتت فى «الاستقصاء» (2) نص الامر الصادر فى ذلك الى عامل سلا ، ويحمل تاريخ 2 ربيع الاول ، عام 1303 هـ، «1885» م٠

ومن الجدير بالملاحظة : أن طبقة العلماء لم يقتنعوا بهذا الالغاء الجزئى للمكس ، ولهذا يعلق أبو اسحاق التادلى على الامر السلطانى فى

---

1 — من بين المصادر التى فصلت أحداث الثورتين : نذكر — بعد الاستقصا — «اتحاف أعلام الناس» ، ج 2 ص 134 — 143 ، مع ص 152 — 153 ٠
2 — ج 4 ص 264 ٠

هذا الصدد بقوله : «... تمم الله نعمتـه علينـا بـزوال باقى المكوس عن قريب .. » (1) .

كما أن مؤلف «الاستقصا» يعقـب ـ بدوره ـ علـى نفس الامـر السلطانى هكذا : «... نطلب الله تعالى أن يتمم نعمتـه على المسلميـن بتسريح ما بقى موظفا من مبيعات الاسواق ، ويريح الناس من شؤمـه ، فانه لا شىء أشأم من هذه المكوس على الدول، نسأل الله «العافية» (2) .

واستدرك هنا لاذكر أنى وقفت ـ أخيرا ـ على ثلاثة أسماء جديدة كان أصحابها ـ بدورهم ـ وراء ثورة فاس ، وهم ـ حسب السباعى (3) ـ العلماء : احمد بن الطالب ابن سودة المـرى ، وعبد الله بن ادريس البدراوى الحسنى ، وعبد الواحـد ابن المواز السليمانى الحسنى ، وقد صار ثلاثـتهم يحرضون عامل فـاس : ادريس بن عبد القادر السراج ، ويفتونه لصالح مساندة الثورة .

---

1 ـ وردت هذه الفقرة الصغيرة : ضمن مقيـدة ابى اسحاق التادلى المشار لها وشيكا، وبالضبط فى : ج 2 ص 19 من مخطوط «الاغتباط» .
2 ـ «الاستقصاء» ، ج 4 ص 264 .
3 ـ « البستان الجامع .. » : المخطط المتكرر الذكر .

كلمـــة ختــاميــة

الى هنا ينتهى عرض ما طالت اليه اليد من معطيات الانبعاث المغربى انطلاقا من سنة 1830 حتى نهاية القرن التاسع عشر م، ومن الواضح أن ما يقدمه هـــذا الجزء الاول لا يعد وبعض الجوانب من ملامـــح الانبعاثة المغربية الاولى ، اعتبارا بما تمليه مجموعة من العوامل :

فان عددا من المؤلفات الموضوعية لم يتأت الوقوف عليها ، واكتفت هذه الدراسة بالاشارة لها ، ومن المؤكد أن هناك أوضاعا أخرى فى نفس الاتجاه لا تزال مجهولة ، وقد تكتشف من بعد .

وبخصوص أعضاء البعثات المغربية : رأينا فى ثنايا الكتاب أن بعضهم خلف مؤلفات أو شبه مذكرات أو ابتكارات ، كما هو واقع :

الحسين الزعرى: ص 135 — 144

ومحمد بن المفضل ابن كيران : ص 165 — 167

وعبد السلام العلمى : ص 185 — 189

ومحمد ابن الكعاب : ص 190 — 192

والزبير سكيرج : ص 192 — 193

والطاهر الاودى : ص 193 — 194

وأحمد شهبون : ص 196 — 198

ومن المتوقع أن يكـــون زملاؤهم الآخرون أو بعضهـــم على الاقل ، خلفوا — بدورهم — آثارا لم نطلع عليها .

وبالنسبة الى الوثائق التى تهتـــم بهذه الفترة ، يلاحظ أن مجموعات منها تحتفظ بها جهات خاصة من أسر الذين كانوا يقومون بمهمات رسمية خــلال نفس الحقبة ، وفى اكثـــر الحالات لا يتيسر الاطلاع على هـــذه المستندات .

أما الوثائق الاخرى التى تحتفظ بهـــا المؤسسات العامة ، فان كثيرا منها لا يزال بحاجـــة الى تنظيمها لتسهل الاستفـــادة منها على الـــوجه المطلوب .

ومن جهة أخرى : فان مستندات خارجيـــات الدول التى اتجهت لها البعثات المغربية ، ، ستضم ــ هى الاخرى ــ معلومات جديـــدة فى هذا الصدد ، وهو موضوع لا يزال بحاجة الى دراسة كاشفة .

هذا بالاضافة الى مـــا سينشره كتاب البـــلاد المشار لها عن تلـــك البعثات ، ولحد الآن لا يعرف من ذلك الا اقل القليل .

فلهذه الاعتبارات وسواها ، سيكـــون المجال لا يزال فسيحا لتوسيع دراسة معطيات هذه الانبعاثة وتعميقها .

×

وبعد هـــذا : أود أن أتساءل عن الاسباب التى أدت الى فشل هذه المحاولات الاصلاحيـــة ، وقد كان فى طليعتها حركـــة البعثات التى اتجهت للدراسة فى أوربا بالخصوص ، وكان من المتوقع ان أعضاء هذه الارساليات، يقومون ــ بعد عودتهم للمغرب ــ بنشاط على نطاق واسع ، ويضطلعون بمسؤوليات رئيسية ، أو يؤسسون طليعة حركة سياسية .

وسنتخذ من مصير هـــذه البعثات نموذجا للظروف التى قضيت عليها نفسها ، وعلى المحاولات الاصلاحية الاخرى ، وقـــد كان من بين الاسباب التى أدت بهذه النخبـــة الى مصيرها المؤسف ، أن مشروع البعثات لم يكن يخضع الى تصميم ثابت ، وهذا ما يشير اليه الناصرى (1) بمناسبة ذكر الطلبة الذين وجههم السلطان الحسن الاول الى أوربـــا ، وهو يقول تعليقا على هذه البارقة :

« .. الا ان ذلك لم يظهر له كبير فائدة ، اذ كان ذلك يحتاج الى تقديم مقدمات ، وتمهيـــد أصول ، ينبغى الخوض فى تلـــك العلوم والعمل بـــها عليها » .

---

1 ــ «.زهر الافنان » ج 2 ص 304

يضاف لهذا : ان حاشية نفس السلطان كانت لا تنظر بعين الارتياح الى حركة البعثات ، وهذا ما يسجله أحد طلبتها وهو الطاهر ابن الحاج الاودى ، فقد نصح الحكومة المغربية بالاستعداد لمواجهة التدخل الاجنبى، ولكن الوزراء والكتاب رموه بالالحاد (1) ·

ومرة أخرى قالوا للسلطـــان الحسن الاول : ان أعضاء البعثات ، بعد ما أقاموا بأوربا سنين عادوا منها جهالا متنصرين (2) ·

ومن هذا الموقف ـــ على المستـــوى العالى ـــ نتبين احد الاسباب الرئيسيـــة لركود المحاولات الاصلاحيـــة بعد وفاة الحسن الاول ، حيث وقفت ـــ بالمرة ـــ مسيرة البعثـــات الى الخارج ، وفترت حركة المنشآت الدفاعية والاقتصادية ، ويشرح محمد السائح (3) أبعاد هذه الظاهرة فى فقرة مطولة هكذا :

« .. ولما مات المولى الحسن وخلفه ابـــنه المولى عبد العزيز على العرش ، قام بتدبير الملك حاجبه بـــا احمد وذلك لصغر الملك ، وهذا الحاجب سياسى محنـــك ، ولكن فى خصوص سياسة البلاد التى درسها ـــ من قديم ـــ على عتبة القصر ، أما المدنيـــة الجديدة والتطور العصرى فلم يكن نضج فى فكره ·

ولما ورد علـــيه بعض المتعلمين من تلـــك البعثات ـــ وقد أتموا دروسهم ـــ لم يجعل لهم قيمة ، ولم يقـــدر لهم قدرا ، والقاهم فى زوايا الاهمال ، فضاعت معارفهم ، وخسرت صفقة المغرب .

وقد عرفت (يقول نفس المصدر) كثيرا منـــهم يستعين على معاشه ببعض الحرف ، ولله الامر من قبل ومن بعد » .

وسبب رابع لفشل هذه المحاولـــة التعليمية ، ويلوح له كل مـــن الناظرى والسائح ، حيث لم يقع اعـــداد شعبى لتقبل حركـــة البعثات ،

1 ـــ « الاستبصار » : المخطوط المتكرر الذكر ـــ ص 38 .
2 ـــ « نفس المصدر » ص 96 ·
3 ـــ مجلة « دعوة الحق » : العدد الثانى ، السنة الثالثة ـــ ص 31 .

وهكذا يترجم محمد السائح (1) هذه الحقيقة ضمن المامته بالاصلاحات الحسنية ، وهو يقدمها حسب الصياغة التالية :

« .. لان الشعب المغربى ــ اذذاك ــ لم يدرك ما كان يدركه سلطانه ، وما كان الناس يبعثون أولادهم لاوربا عن رغبة » .

وأخيرا : لا ننسى واقع المغرب ــ فى هذا الظرف بالذات ــ أمام التدخل الاجنبى ، وقد كان له آثار بعيدة فى شل المحاولات التقدمية أيا كان نوعها ، ثم كان خاتمة المطاف وضع المغرب تحت الحماية ،ليتبخر ــ فى ظلها ــ ما تبقى من معالم الاصلاحات المغربية الاولى ·

وبعد : فأرجو أن أكون قد بذلت جهدى ــ ولو الى حد ــ فى الكشف عن آفاق يقظة المغرب فى تجربته الاصلاحية الاولى ، والله ــ وحده ــ ولى التوفيق .

---

1 ــ المصدر الاخير : فى نفس العدد والصفحة .

ملحــــق أول

وهو تابـــع لباب : « تشريع لموظفى الديوانات » رقم 9 ، ويتصـــل بالصفحة 88 بعد السطر 11 ، حيث يتعلق الامر بقانون تنظيمى يرجع الى عهد السلطان محمد الرابـــع ، وهو يشتمل على 28 فصـــلا ، ويتناول الانظمة التى يتبعها أمناء المراسى فى تسيير مهامهم ، وهذا نصه على بتـــر فيه يبتدىء خلال الفصل 18 :

« الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانـــا رسول الله ، والدعاء بالنصر والتمكين ، والظفر والفتح المبين ، لسيدنا ومولانا أمير المومنين .

وبعد : فهذا تقييد يشتمل ــ بحول الله ــ على كيفية خدمة أمنـــاء المراسى مرتبا على ثمانية وعشرين فصلا :

الفصـــل الاول

تكون للديوانة مفاتيـــح بعدد الامناء ، ولا تفتح الا بمحضر الكـــل والعدول ، وان وقع عذر لاحد الامناء أو العدول يقيـــم من ينوب عنه فيما كلف به ، ويطلع العلم الشريف ــ أسماه الله ــ بذلك .

والعدول حسبهم التقييد ومعاينة الداخل والخارج والصائر ، والاطلاع على المكاتب الشريفـــة والاجوبة عنها ، وغيـــر ذلك مما يرجع لضبـــط الكنانيش .

وفتح الديوانة يكون فى الساعـــة الثامنة من النهار ، وسدها يكون فى الساعة الثالثة بعد الـــزوال ، وان لم يكن لهـــم شغل بالديوانة فيجعلون الجلوس بها شغلا لعمارة محل المخزن ، اللـــهم ان كان يوم عيد أو وقت صلاة جمعة .

الفـــصل الثـــانى

عند دخول الامناء للخدمة بالمرسى ، يحوزون من الامناء قبلهم ما بقى بالخزين هناك : مـــا كان منه لجانب المخزن يكون بتقييد خاص : مـــا هو بالعد فليعد ، وما هو بالوزن فليوزن ، وما هو من السلعة لجانب التجار يكون له تقييد خاص :

يبين فيه عدد القطـــع ، واسمها ، وماركتها ، ونمرها ، ومع أى بابور وردت ، لتكـــون على عمل المانفيسط (1) ، ويكون هذا أول العمل عندهم ، وبه تبرأ ذمة من قبلـــهم ، ثم يوجهون نسخة ما حـــازوه من أمور المخزن الى الحضرة الشريفة بشهادة عدول المرسى بذلك ، بعد اثبات جميع المحوز فى آخـــر كناش الامناء قبلهم الوافدين بـــه على الاعتـــاب الشريفـــة .

الفصـــل الثـــالث

بمجرد وصول البابـــور أو المركب وملاقاة رئيس المرسى معـــه أو خليفته لا تنزل منه سلعة حتى يحاز منها المانفيسط ، طبق ما هو منعقـــد بين الجانب الشريف وبين الاجناس ، حسبما هو مقرر فى الشرط التاسع والـــعشرين من شروط النجـــليز ، وفى الرابـــع والثـــلاثين مـــن شروط الصبنيول ، وكذا مانفيسط السلعة الموسوقة يحاز بعد تمام وسقها .

والامناء يقيمون من ينوب عنهم ساعـــة نزول السلعة من البحر أو وسقها ، وهذا النائب يكون يقيد كلا من الموضوع والموسوق : بالماركة ، والنمرة ، واسم القطعة ، ثم يقيـــد على ظهر القطع الموضوعة ــ بفور نزولها ــ اسم البابـــور أو المركب الواردة معه ، وتاريخ وروده ، لتعرف كل قطعة عند التعشير مع أى بابور وردت .

وهذا الفصل تعلق به تفقـــد احوال القوارب والمقاديف وما تقوم به

---

1 ــ Manifiesta تعبير اسبانى عن التصريح المكتوب

الخدمة ، بحيث اذا وقع تعطيل فى شىء من ذلك يكون دركه على الامناء .

الفصـــل الرابــع

وبعد تمام نزول السلعـــة من البابور أو المركب يحوز الامـــناء من رئيس المرسى تقييدا باسم البابور أو المركب ، وجنسه ، وتاريخ وروده ، وما وجب فى مخطافه على حسب جرمـــه ، وهل ورد خاصا بأحد التجار هناك أو لجملتهم ؟ وكم حـــمل من الاوطان (1) الى تلك المرسى ؟ وعدد ما أنزله بها من القطع مفصلة باسمها : من فرود (2) وصنادق وبراميل وغير ذلك .

وكذا يكون العمـــل فى الوسق ، يحوزون — أيضـــا — من رئيس المرسى تقييدا بعـــدد الموسوق صحبة البابور أو المركب : من خناشى الحبوب أو البراميل أو غيـــر ذلك على نهج ما ذكر ، بعد تعليـــم رئيس المرسى بخط يده على ذلك كلـــه ، ويبقى هذا التقييد تحت يد الامـــناء ، حتى يدفعونه « كـــذا » بالحضرة الشريفة مع الكناش بعد انفصالهم عـــن الخدمة الشريفة .

الفصـــل الخامـــس

يكون لخزين المرسى واقف خاص ، ويتخذ كـــناشا يقيد فيه جميع الداخل للخزين من السلع بالماركة والنمر ، ولا يخرج لاحد من التجار سلعة حتى ياتيه بالتقييد المسمى عندهم بالبليسة ، ويتحقق عنده وعند الامناء أن السلعة المقيـــدة بتلك البليسة هى لمـــن اتى بها ، أو مسلمة له من قبل صاحبها ، لانه كثيرا ما يأتى بعض التجار ببليسة غيره زاعما انـــها له ، وبعد اخراج التاجر ماله من السلعـــة بالخزين ، يضع ختمه أو خط يده على البليسة بأنه حاز جميع ما فيـــها أو بعضه ، ثم يسلمها للواقف على

1 — تصحيف عن الاطنان

2 — قطع من السلعة على حدة

الخزين بعد أن يتوصل بجميع ما فيها من السلع ، فتبقى محفوظة بيد صاحب الخزين الى وقت الحاجة اليها .

الفصل السادس

عند فتح السلعة بقصد التعشير ، يكون الامناء من عد ما بداخل الفرود على بال ، لما يرتكبه بعض التجار من اخفائه سبانى الحرير ونحوها فى داخل أنصاص الملف ، ومن جعل شقتين طى شقة واحدة ، وما يقيدونه على أنصاص الملف وغيره من عدد اليرضات أو المتر ناقصا عما هو فيها .

وينبغى رد البال لاثمان السلع المعشرات ، ليقع التعشير على حسب ما تساويه فى الوقت ، والعمل فى تعشير الملف والتوبيت ونحوهما يكون باليرضات أو المتر ، ولا يرد عند التعشير الى حساب القالة ، حذرا مما يقع فى ذلك من التهور .

وما يعشر بالوزن ـ موضوعا كان أو موسوقا ـ يكون دخوله كله أو جله للميزان ، ولا يكتفى بوزن أقله ، ويجب رد البال للميزان لما يقع فيه من تساهل الواقف عليه ، مع أن جل القطع الواردة من بر النصارى يكون وزنها مقيدا عليها ، ولا يعشر الامناء من سلع السوق الا ما هو حاضر منها بين أيديهم ، ولا يقيسون وزن ما حضر منها على ما ياتى بعده ، بل يعشرون كلا منهما على حدته بعد حضوره ومعاينته ، لما يقع بين القطع من التفاوت فى الوزن ، وميزان الحبوب يكون فى رده لنسبة الفنيكة ، موافقا لما فى الشروط التى بين الجانب الشريف والاجناس .

ومن صدر منه خلاف ذلك من الامناء يكون دركه عليه .

الفصل السابع

كيفية وصول ذلك للكناش لتسهيل مقابلته بالمانفيسط :

يذكر ــ بعد نص الافتتاح ــ أسم أول يوم من الشهر ، واليوم الموافق له من العجمى ، وتكون أيام الشهر العربى هى المعتمد عندهم فى التقييد ، وانما ذكر العجمى لاجل مقابلة المانفيسط لكون تاريخه عجميا ، ثم يقول : فى تاريخ كذا أخرج فلان ما ورد له من البابور أو المركب الفلانى بتاريخ كذا ، ويكون تفصيله على ثمانية اضلاع :

الضلع الاول : الماركة .

الثانى : النمر

الثالث : عدد القطع .

الرابع : وزنها بالطارة .

الخامس : وزنها صافيا من الطارة .

السادس : عدد ما بداخل الفرود .

السابع : السوم .

الثامن : الواجب

ويكون تقويم السلع بالبليون ، ليحاز واجب الاعشار بليونا ، ويقيد الموضوع على حدة ، ويليه الخارج من الموسوق ، نعم ما هو منه بسكة البليون يكون له ضلع خاص ، وللمثقال ضلع آخر ، وفى آخر الشهر يرد ما تحصل من المثقال بليونا ، بحسب ثمانية دراهم وثمن الدرهم للريال ، ويزاد عليه ما دخل من البليون فى الوسق والوضع ، ثم يضاف الى ذلك ما تحصل فى المخاطيف وغيرها مفصلا ، ثم يرد الجميع ريالا .

الفصل الثامن

ومن جلب شيئا من سلع البحر للجانب العالى يجوزها الامناء منه على شدها ، ويطبعون عليها بمحضره ، ثم يوجهونها لشريف الحضرة بعد تقييدها فى حساب يومها : بالماركة، والنمر، واسم القطعة، والميزان، وفى محل الواجب يضع صفرا ، ليكون الكناش مطابقا لما فى المانفيسط .

والكنائيش التي يتخذها الامناء لتقييـــد الداخل والصائر وغيرها من أمور المخزن ، تكون من المتيـــد عليها النمر فى جميع أوراقها احتياطا من البتر ، وهذا ا لفصل تعلق به تنبيـــه العدول على جعل البرنامج فى أول ورقة من الكناش ، ليسهل البحث فيما اشتمل عليه من الحجج : كنسخة كتاب شريف بتنفيذ ، أو جواب وفر وصل للحضرة الشريفة ، أو دين ٠

الفصـــل التاســـع

ومن أراد من نواب الاجناس اخراج شيء مـــن حوائجه ، لابد من دفع خط يده بذلك على مقرر الشروط معهم فيه ، ويقيد ذلك فى اليومية من جملة السلع المعشرات ، غير أن محل الواجب يضع فيه صفرا لتـــتم بذلك مقابلة المانفيسط ، ثم تبقى خطوط يد النواب المذكورين محفوظة عند الامناء ، حتى يدفعونها بالاعتاب الشريفة مع الكنانيش بعد تمام خدمتهم .

الفصـــل العـــاشر

السلعة الواردة من بر النصارى مثل البراميل وشبهها ، لا بد أن يفتح منها عند التعشير نحـــو العشرة (فى) المائة ، وتعيين مـــا يفتح منها موكول الى اجتهاد الامناء ، وان كانت ممـــا يسفد كالابازير وشبهها فلا يغفل عن تسفيدها ، وتفرغ قطع الخردة عن آخرها ، ولا يكتفى بما هو على وجه ظرفها احتياطا من الكنطربنضوا (1) ، ومن عثر على شيء من الممنوع منها بيده فيحاز لجانب المخزن موسوقا كان أو موضوعا ، ويطلع به العلم الشريف ، بعد وزنه ان كان مما يوزن ، أو عده ٠

ولا بد من المساواة بين التجار فى تقويـــم السلع ، ولا يوخذ شيء منها الا اذا وقـــع الخلاف فى التقويم بين الامناء والتاجر ، فحينئذ يجـــاز الاعشار من عين السلعة ، ويقيد فى حساب يوم تعشيرها بالثمن الذى قومت به ولم يرضه التاجر ، وبعـــد انسلاخ الشهر تباع تلك السلعة

1 ــ تعبير اسبانى عن عملية التهريب ٠

على الــوجه المسمى عندهم بالمرتليو ، فان كــان فى ثمنها زيادة على التقويم الاول الحقت مع المضافات فى آخــر حساب الشهر ، والغالب عليها الزيادة ، ومن طلب من الامناء تقييدا بما عشروه لــه من السلع ، يعطاه بخط العدول وتعليم الامناء عليه ·

الفصــل الحادى عشر

امناء مرسى طنجة عنــد انتهاء كل سنة يحوزون من نائب مولانا ما دخل عليه من مستفاد المرجان الذى يستخرج من سواحل البحر هناك ، بحسب مائة وخمسين ريالا لكل مركب من المراكب التى تصطاد المرجان ، وفق ما هو فى الشرط الموفى ستيــن من الشروط المنعقدة بين الجانب الشريف اسماه الله وبين جنس الصبنيول (1) .

الفصــل الثــانى عشر

يكون الامناء يوجهون مضمن مدخول كل اسبــوع بمجرد انتهائه ، ويكون ذلك مفصلا على ثلاثة اضلاع :

الضلع الاول : الداخل مثقالا من الموسوق ·

الثانى : بليونا من القطانى وغيرها ·

الثالث : الداخل بليونا من معشرات الموضوع .

ومكاتب الاسبوع تكون توجه مع البوسطة ، واصلة بيد امناء مرسى العدوتين فقط ، وأمناء العدوتين عند انتهاء كل أسبوع ينهضون رقاصا يتوجه بالمكاتب المذكورة للحضرة الشريفة ، ومن أخــر من الامناء كتاب

---

1 — من هنا — — فقط — استفدنا أن الوثيقة من عهد محمد الرابع، حيث جاء فى هذه الفقرة الدعاء للجانب الشريف بأسماه الله ، لتشعر باستمراره على قيد الحياة ، مع ملاحظة أن الشرط الستين المشار له وارد بالمعاهدة المغربيــة الاسبانية ، وقد انعقدت بين الطرفين أيام نفس السلطان ، حسب « اتحاف اعلام الناس » ج 3 ص 516 ·

أسبوعه غن وقت وروده يعلمون به حضرة مولانا صحبة الرقاص المذكور، ليكون الكلام معه فى ذلك .

الفصــل الثــالث عشر

جميع المدخول والصائــر وأمور المخزن التى بالخزائن وسلــعة التجار : كل ذلك فى عهدة الامناء ، لا يستقل به واحد منهم دون الآخر ، والصندوق الذى يوضع فيه مال الوفر يتخذونه من الحديد ، وتكون لــه أقفال ومفاتيح مختلــفة الاشكال ، يكون منــها لكل من الامناء مفتــاح خاص به .

وما يترتب بذمة التجار من واجب الاعشار يقبض فورا ، ومن أخر من الامناء شيئا من ذلك حتى ادى الى الضياع فدركه عليه ، وتعلق بهذا الفصل رد البال لما هو بذمم التجار من السلف والدين القديم ، فمن له منهم أملاك يكون الامناء منها على بال ، ليلا يقع فيها تفويت .

الفصــل الــرابع عشر

السلــع الموسوقة مــن بعض المراسى الى أخرى مــن مراسي سيدنا ــ أعزه الله ــ يتخــذ لتقييدها كناش خاص ، يقيد فيــه اسم السلعة ، والماركة التى عليها ، والنمــر ، والميزان ، واسم صاحبها ، واسم البابور الموسوقة معه ، وتدفع لصاحبها بطاقة مقيــد فيها ما ذكر بخط احد العدلين ، وعلامة الامينين معا .

وان كانت هــذه السلعة مــما يجب فيها الاعشار ، فيحــاز قدر الواجب فى أعشارهــا وثيقة ، ويضرب لصاحبها من الاجل بقدر ما ياتى فيه بجواب الامناء بوصول تلك السلعة الى المرسى الموجهة اليها ، بحيث اذا انصرم الاجل ولم يات بجواب الوصول ، فيعمر ما حيــز منه فى جملة الداخل فى الاعشار ، ولا يقبــل من صاحبها كلام بعد ذلك ، ثم لابد مــن

عيارة الامناء مانفيسط هذه السلعة من جملة مانفيسطوات غيرها من السلع ، الى ان يدفعوا الجميع بالاعتاب الشريفة بعد تمام خدمتهم ·

الفصل الخامس عشر

الامور الممنوع وسقها يكون الامناء (منها) على بال ، ولا يوسق منها قليل ولا كثير الا بالامر المولوى أسماه الله ، وذلك مثل الزرع ، والشعير ، والخيل ، والبغال ، والحمير ، والغنم ، والابل ، واناث البقر ، وادامها ، وكذلك الامور التى وسقها غير معتاد : كخشب العرعار، والفرشى ، والدوم · ومن تساهل من الامناء فى وسق شىء من ذلك فتلزمه عقوبة المخزن .

الفصل السادس عشر

امر البحرية موكول الى نظر رئيس المرسى .

والوارديات بها الى الامناء ·

والعسة الى نظر عامل البلد ·

وتبدل العسة فى آخر كل شهر ، لما يقع من المداخلة بينهم وبين اصحاب الكنطرينضو عند طول مدتهم ·

وأمناء المرسى لهم البحث فى المركب عند وصولها ، وساعة سفرها، ولهم أن يجعلوا العسة بالمركب لمنع الكنطريانضو ، حسبما هو مقرر فى التاسع والعشرين من شروط النجليز ، وفى الرابع والثلاثين من الصبنيول ·

ويمنع الرقيق من ركوب البحر ، وكذا العمال وأبناؤهم ، الا بالامر الشريف أسماه الله ·

الفصل السابع عشر

ولا يتعاطى الامناء التجارة بالمرسى المستخدمين بها ، ومن ثبت

عليه شيء من ذلك تلزمه عقوبة المخزن ، ويبدل من حينه ، ولا يستعملون اصحابهم فى شيء مما يرجع لخدمة المرسى .

الفصل الثامن عشر

كيفية تقييد الصائر بالكناش :

يكتب ـ بعد الحمدلة ـ ما نصه : بيان ما صيره الامينان : فلان ، وفلان ، ويذكر اسم اليوم الاول من الشهر المصير فيه ، وعدد أيامه ، وعام تاريخه ، ثم يجعل الصائر مرتبا : كل جنس منه فى ترجمة خاصة به .

ويصدر بترجمة المئون اليومية مفصلة ، مقدما منها الاكد فالاكد ، الى أن يكمل صائر المئون فى اليوم لاول ، ثم يضرب المجتمع من ذلك فى عدد أيام الشهر ، ويضع خارج الضرب فى ضلع الواجب .

وتليها ترجمة الرواتب الشهرية مفصلة على الترتيب المذكور ، ويضع ما تجمل فيها بمحله تحت جمع الملمئون .

ثم ترجمة كراء الدور المنفذة مفصلة كذلك .

ثم ترجمة الحوادث : يصدر منها بعمل المنجرة ملخصا : بذكر العود المشترى فى جميع الشهر ، واقامة الحديد وما يلحق بها ، مفصلا جميع ذلك ثمنا ومثمونا ، يذكر عدد المعلمين على مراتبهم ، وعدد أيام خدمتهم فى الشهر ، وما يعطى كل واحد منهم من الاجرة عن كل يوم ، ويخرج مجموع ذلك الى محله ، وكل ما يشترى من المقاديف وشبهها مما يرجع لخدمة القوارب ، يصير فى ترجمة المنجرة ليكون صائر القوارب .. » (1)

والى هنا ينتهى الموجود من القانون الذى ينظم تسيير امانة المراسى فى المغرب الحديث .

---

1 ـ اعتمدت فى عرض هذا القانون على نسخة خاصة منه ، بخط يبدو من ملامحه ان كاتبه من خطاطى مدينة الرباط

وبعد الجانب الموضوعي من هذا النص ، سيمدنا ــ مرة أخرى ــ بملامح عن طبيعة السجلات المخزنية التي أحدثت بهذه المناسبة ، وهي نقطة تفيد ــ أكثر ــ في تبويب فهارس الوثائق العلوية في هذه الفترة .

ملحق ثان

وهو تابع لترجمة الطبيب : أحمد التمسماني ، ويتصل بالصفحة 201 بعد السطر 10 ، حسب رسالة صادرة عن النائب بطنجة محمد الطريس ، الى وزير الحربية محمد الجباص ، ونصها بعد الافتتاح :

« ... وصل كتابكم ــ الاعز ــ جوابا عما كتبناه اليكم في شأن الطالب احمد التمسماني : بأن مولانا ــ أيده الله ــ سأل عمن عينه لقراءة الطب ، لنجيب بما عندنا في ذلك ، الى ءاخره .

فليكن في كريم علمكم : أن سيدنا المقدس كان أمر بتعيين ستة أناس لقراءة ما ذكر فعينوا لذلك ، وكان التمسماني المذكور من جملتهم ، ثم انه لم ينجح من الستة الا اثنين : أحدهما المشار اليه ، وقد نجب في الطب ، وهو قائم بمداواة العسكر كما تقدم ، فينبغي أن يدرج في قائمة العسكر السعيد لاهمية مهنته .

وعلى المحبة ، والسلام ، في 15 رمضان المعظم عام 1324 ، محمد بن العربي الطريس ، لطف الله به » (1)

---

1 ــ «كناش مكاتيب المندوبية السعيدة بطنجة» . خ. ع. ك 2720 ــ ص 210 .

ملحـــق ثالـث

ويتناول سير التعليم الحديث فى أوساط اليهود المغاربة ، خلال الفترة التى ندرسها وبعدها حتى سنـــة 1912 م، وقد عنى بهـــذا الموضوع احدى المجلات الفرنسية سنة 1937 م فى عدد خاص عن التعليم بالمغرب ، وعنها عربته جريدة المغرب التى كان يديرها الاستاذ المرحوم سعيد حجى : السنـــة الاولى ، العـــدد 88 ، بتاريخ فاتـــح شعبان عـــام 1356 هـ. 17 اكتوبر سنة 1937 م ، وهذا نص التعريب :

« منـــذ سنة 1862 بنت جمعية الاتحـــاد الاسرائيلى صرح التعليم بالمغرب ، اسست هذه الجمعية بباريز على يد (أوجين مانويل. ونرسيس لوفان) وبعض اصدقائها من اساتـــذة ومحامين واطباء وأحبار ومهندسين وتجـــار ، فأخذوا على أنفسهم أن يرفعـــوا الشعوب اليهودية فى الشرق والشمال الافريقى من حضيضهم اذ كانوا يعيشون فى حالة سيئة .

كانتمهمة التعـــليم اكبرهم جمعية الاتحاد ، فأخذت تقوم بها بعـــد عامين مضيا على تأسيسها ، ففتحت مدارس للابناء بتطوان سنة 1862 ، ومنحت ادارتها لم. كوهين أول مدرس فرنسى علم بالمغرب .

وكانت المواد تدرس باللغـــة الافرنسية ، وكان الاساتـــذة يعلمون العبرانية والاسبانية والانكليزيـــة .

لكن الجمعية فى أول عهدها اعوزتها بعض المواد لمواصلـــة رسالتها وبالرغم عن كل شىء حددت برنـــامجا لعملها ، وعملت على نشر التعليم المدرسى حسب الظروف السياسية والمادية الموجودة فى ذلك الحين .

وهكذا اسست شيئا فشيئا :

مدرسة للبنين بطنجة سنة 1864

مدارس للبنات بتطوان وطنجة سنة 1865 .

مدارس للبنين بالصويرة وأسفى سنة 1867 .

مدرسة للبنات بالصويرة سنة 1869 .

بلغ عدد التلاميذ فى سنة 1869 ــ 765 من البنين، و 230 من البنات، كلهـم يذهبون للمدارس الموجودة حينــذاك ، فتعلموا قــراءة الفرنسية وكتابتها وتعودوا النظام والنظافة وحياة جديدة .

وفى سنة 1873 اسست مدرسة مختلطة بالعرائش ، وكذلك أخرى بالقصر سنة 1879 ، وبفاس أسست مدرسة للبنين سنة 1889 تلك المدينة التى تفخر بانفرادها بالحضارة القديمة المخالفة لكل ما هو أجنبى .

وكان من المحتم مد النفوذ فى عاصمة الجنوب : مراكش ، ولكن بعد مضى احد عشر عاما على التأسيس الاول ، ففتحت مدرسة للبنين وأخرى للبنات سنة 1892 ، فأقبل الاساتــذة الشبان وأصبحوا يعيشون بالملاح ــ دون أن يهتموا بخطر اقامتهم ــ حيث الفقر المدقع والوسخ والامراض التى تنتاب الصغار والكبار .

وفى هذه المدة كان النصر حليف جمعيــة الاتحاد الاسرائيلى ، فــعم مجهودها جميع الكتل اليهودية بالمدن التى هى على الثغور ، ففتحت عــدة مدارس أبوابها :

فى سنة 1897 مدرسة للبنين بالدار البيضاء

فى سنة 1899 مدرسة للبنات بفاس

فى سنة 1903 مدرسة للبنين بالرباط

فى سنة 1906 مدارس للبنين والبنات بالجديدة

فى سنة 1907 مدرسة للبنات بأسفى

فى سنة 1910 مدرسة للبنين بمكناس

فى سنة 1911 مدارس مختلطة بأزمور وصفرو

فى سنة 1912 مدرسة بسلا

وهكذا عند بسط الحمايــة بالمغرب كانت جمعية الاتحاد قد أوجدت عشر مدارس للبنين ، ومثلها للبنات ، وخمس مدارس مختلطة ، ومجموع التلاميذ بها 5442 : منهم 3414 أبناء ، و 2028 بنتا .

* *

واخيرا : سياتى بعد هذه الملاحق الختامية :

- دليل المنشور من الابحاث والمؤلفات التى انجزها المؤلف
- الفهرس العام لموضوعات الكتاب ·
- الفــهرس المفصل ·
- فهــرس الاخطاء والتصويبات ·
- مقدمة الكتاب بالفرنسية ·

دليل المنشور من الابحاث والمؤلفات التى أنجزها المؤلف

أولا — فى تاريخ المغرب الحضارى

1) « العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين » ··· نشر معهد مولاى الحسن بتطوان سنة 1950 — ص، 294

2) « ركب الحاج المغربى » ··· نشر معهد مولاى الحسن بتطوان ، سنة 1953 — ص، 104

3 «مظاهر يقظة المغرب الحديث» : الجزء الاول ، مطبعة الامنية بالرباط ، عام 1392 = 1973 ، وهو الذى بين يدى القارىء — ص 350 ·

❋ ❋

4) « مدخل الى حضارة المغرب المرينى » ، نشر تباعا فى :

— مجلة «دعوة الحق» : العدد الثانى السنة الثامنة ص 57—58 ، شعبان 1384 = دجنبر 1964 ·

— مجلة « دعوة الحق » : العدد الثالث السنة الثامنة ، ص 80 — 83 ، رمضان 1384 = يناير 1965 ·

5) « نظم الدولة المرينية » ··· نشر تباعا فى :

— مجلة « البحث العلمى » : العدد الثانى ، السنة الاولى ص 203 — 237 سنة 1384 = 1964 ·

— مجلة « البحث العلمى » : العدد الثالث ، السنة الاولى ، ص 251 — 259 سنة 1384 = 1964 ·

— نفس المجلة: العددان الرابع والخامس: «مزدوج»، السنة الثانية، ص 241 — 268 ، سنة 1385 = 1965 ·

6) « علاقات المغرب بالشرق فى العصر المرينى » ، نشر تباعا فى النشرات التالية :

— مجلة «دعوة الحق» ·· العدد الخامس السنة الثامنة ص 61—64،

قعدة 1384 = مارس 1965

— مجلة «تطوان» : العدد الاول سنة 1956 ص 109 — 151 ·

— مجلة «دعوة الحق» : العـــدد السادس والسابع «مزدوج» ، السنـــة الثامنة ، ص 95 — 99 · حجة — محـــرم 1384 = ابريل — ماى 1965 ·

7) « وصف المغرب أيام السلطان ابى الحسن المرينى » ، مجـلة « البحث العلمى » : العدد الاول السنـــة الاولى ص 131 — 153 ، سنة 1383 — 1964 ·

8) « فاس الجديد مقر الحكم المرينى » : مجلة «البحث العلمى » ، العدد 11 و 12 « مزدوج » السنة الرابعة ، عـــام 1387 = 1967 ، ص 179 — 205 ·

9) « المولد النبوى الشريف فى المغرب المرينى » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد الاول ، السنة الثـــانية عشرة ، نوفمبر سنـــة 1968 ، ص 117 — 131 ·

10) « استقرار كثير من اصول القومية المغربية ، فى الفترة المرينية والوطاسية » ، نفس المجلة : العـــدد الثامن ، السنة الحادية عشرة ، عام 1388 = يوليوز 1968 ، ص 107 — 111 ·

11) ترجمة نفس المقال الى الفرنسية ، مجلـــة هيسبريس سنة 1968 ، الجزء 2 ص 219 — 227 ·

12) « التيارات الفكـــرية فى المغرب المرينى » ، مجلة « الثـــقافة المغربية » : العدد 5 ، قعدة 1391 = دجنبر 1971 — ص 85 — 131 ·

×

13) « معرض المخطوطات العربيـــة بمكناس » ··· مجلة تطوان العددان الثالث والرابع « مزدوج » سنة 1958 — 59 ، ص 97 — 108 ·

14) « مكتبة الزاوية الحمزية » · مجلة تطوان ·· العـــدد الثامن ،

سنة 1963 ، ص 97 — 177 .

15) « المخطوطات التونسية بالمغرب » ، مجلة المغرب التى تصدر عن وزارة الممثل الشخصى : العددان 6و7 «مزدوج» ، دجنبر 1965 ، ص 59 — 62 .

16) « ترجمة مغربية لفهرس الاسكوريال » ، مجلة البحث العلمى : العدد السادس ، السنة الثانية ص 16 — 23 ، سنة 1385 = 1965.

❋ ❋

17) « ظاهرة تعريبية فى المغرب السعدى » .. مجلة اللسان العربى : العدد الاول صفر 1384 = يونيو 1964 ، ص 52 — 66 .

— نشرة ثانية مزيدة لنفس المقال ، « صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد » : المجلدان 11 ، 12 ص 329 — 358 ، سنة 1963 — 1964 .

— نشرة ثالثة لنفس المقال مزيدة أكثر ، «دعوة الحق» : السنة العاشرة ، العدد الثالث ، ص 74 — 91 ، يناير سنة 1967

18) « أساتذة الهندسة ومؤلفوها فى المغرب السعدى » ، مجلة دعوة الحق : العدد الثانى السنة التاسعة ص 101 — 104 ، شعبان 1385 = ديسمبر 1965 .

❋ ❋

19) «فصلة تصف الدراسة بالقرويين أيام المنصور السعدى » ... مجلة «البحث العلمى» : العدد السابع السنة الثالثة ، ص 241 — 266 سنة 86/1385 = 1966 .

20) « مدخل الى تاريخ القرويين الفكرى » ... الكتاب الذهبى لجامعة القرويين سنة 1379 = 1960 ، ص 182 — 187 .

21) « كراسى الاساتذة بجامعة القرويين » ... مجلة دعوة الحق : السنة التاسعة العدد الرابع ص 91 — 97 ، مع العددين : الخامس

والسادس ص 91 — 97 و ص 117 — 119 ، سنة 1385 = 1965 ·

* *

22) « ترجمة فقيد الاسلام محمد المدنى ابن الحسنى » ، مجلة دعوة الحق » : العدد العاشر السنة الثالثة ، ص 76 — 82 ، صفر 1380 = يوليوز 1960 ·

23) « حياة فقيد المغرب محمد المختار السوسى »، «مجلة الايمان» : العدد الخامس السنة الاولى ؛ ص 42 — 52 ؛ قعدة 1383 = ابريل 1964 ·

24) « حياة الفقيد محمد ابن الفقيه » ··· جريدة « الميثاق » : العدد 53 السنة الثالثة ، العدد 54 السنة الثالثة ، سنة 1384 = 1964·

25) « الشريف الادريسى » مجلة «دعوة الحق» : السنة التاسعة العدد الثامن ، ص 75 — 86 ، صفر 1386 = جوان 1966 ·

26) « مؤرخ مكناس ابن زيدان » ··· مجلة « دعوة الحق » : السنة العاشرة العدد الاول ؛ ص 93 — 99 ، رجب 1386 = نوفمبر 1966 ·

27) « محمد بن الحسين العرائشى شيخ الجماعة بمكناس » ، نفس المجلة : العدد التاسع والعاشر « مزدوج » السنة الحادية عشرة ، 1388 = غشت 1968 ، ص 108 — 115 ·

* *

28) « ملاحم ودواوين فى السيرة والمديح النبوى » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة التاسعة ، العدد التاسع والعاشر « مزدوج » ص 97 — 111 ، ربيع الاول والثانى 1386 = يوليوز — غشت 1966 ·

29) « المصادر الدفينة فى تاريخ المغرب »، مجلة «البحث العلمى»: السنة الثالثة العدد الثامن ؛ ص 117 — 135 سنة 1386 = 1966 ·

نشرة ثانية لنفس الدراسة منقحة ومزيدة ، نفس المجلة : العدد

العاشر ، السنة الرابعة ، سنة 1967 — ص 9 — 29 ·

30) « وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس » مجلة « دعوة الحق » : السنة العاشرة العدد الثانى ، ص 104 — 106 شعبان 1386 = ديسمبر 1966 ·

* *

31) « دليل القصبة الاسماعيلية بمكناس » ، مجلة «دعوة الحق» : السنة العاشرة ، العدد الرابع ، ص 107 — 120 ، قعدة 1386 = مارس 1967 ·

32) «نشاط الدراسات اللغوية فى المغرب العلوى» ، نفس المجلة : السنة الحادية عشرة ، العدد الرابع ، قعدة 1386 = فبراير 1968 ، ص 51 — 62 ·

33) « ثلاث رسائل من المغرب الى ليبيا » ، نفس المجلة : السنة الثانية عشرة العدد الرابع، الحجة 1388 = مارس 1969، ص 42—47·

34) « أربع وثائق علوية ضد بدع الشورة والافراح»، نفس المجلة : السنة الرابعة عشرة، العدد الثالث عام 1391=1971، ص 51 — 59 ·

35) « التربية والتثقيف للامراء العلويين » ، استجواب نشر فى مجلة التعاون الوطنى عام 1968 ، ص 14 — 15 ·

36) « ملامح الحركة الادبية فى العصر العلوى الاول » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة الخامسة عشرة ، العدد الاول ، محرم 1392 = مارس 1972 — ص 82 — 89 ·

* *

37) « مناقشة أصول الديانات فى المغرب الوسيط والحديث » ، مجلة « البحث العلمى » : السنة الخامسة ، العدد الثالث عشر ، 87 — 1388 = 1968 ، ص 23 — 32

38) « مركز المصحف الشريف بالمغرب » ، مجلة « دعوة الحق » :

السنة الحادية عشر ، العدد الثالث ص 71 — 77 .

39) « تاريخ المصحف الشريف بالمغرب » ، مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة : المجلد الخامس عشر، الجزء الاول، مايو 1969، ص 3 — 47.

40) « المولديات فى الادب المغربى » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة الثانية عشرة عام 1389 = جوان 1969 ، ص 62 — 65 .

41) « مجموعات مغربية فى المدائح النبوية »، مجلة «الثقافة المغربية» العدد 4 ص 87 — 102 .

42) «مواقف المغرب ضد الحملات الصليبية» ، مجلة «دعوة الحق»: السنة الثالثة عشرة ، العدد الثالث ، عام 1390 = 1970 ، ص 50 —61

43) « الموسيقى الاندلسية بالمغرب » مجلة «البحث العلمى » : السنة السادسة العدد 14 و 15 « مزدوج » ، سنة 1969 ، ص 147 — 177 ، وقد فاز بجائزة المغرب سنة 1969 .

44) « صناعة الاسلحة النارية بالمغرب » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة الثالثة عشرة ، العدد الثامن ، عام 1390 = 1970 ، ص 50 — 61 .

45) « التصوير بالمغرب الاسلامى فى القديم » ، نفس المجلة : السنة الرابعة عشرة ، العدد الاول والثانى «مزدوج» ، عام 1390 = 1971 ، ص 83 — 92 .

46) « الوراقة المغربية : القسم الاول ، مجلة «البحث العلمى» : السنة السابعة ، العدد 16 ، 1970 ، ص 37 — 65 .

— القسم الثانى : نفس المجلة، السنة الثامنة ، العدد 18 ، 1391 = 1971 — ص 17 — 47 .

47) « ملامح عن الحياة المغربية فى رمضان » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد التاسع ، السنة الرابعة عشر ة، شوال 1391 = نونبر 1971 ، ص 136 — 138 .

48) « مشاهد عمالية من واقــع مغرب الامس » ، نفس المجلة : العدد الرابع ، السنة الخامسة عشرة ، جمادى الثانية 1392 = يوليوز 1972 ، ص 113 — 115 ·

49) « لمحات عن سير الرياضة البدنية فى التعليم المغربى القديم »، نفس المجلة : العدد الخامس والسادس « مزدوج » ، السنـــة الخامسة عشرة ، رمضان 1392 = اكتوبر 1972 ، ص 139 — 143 ·

50) « قطعـــة عن نشاط الرمايـــة الشعبية بالجنوب المغربى » ، مجلة «الباحث» : السنة الاولى، المجلد الاول، 1972، ص 107—136 ·

51) « مجموعات المصادر التاريخية المغربية » : تحت الطبع فى مجلة « البحث العلمى » : العدد 20 ·

52) « التخطيط المعمارى لمدينـــة مكناس عبـــر أربعة عصور » : تحت الطبع فى مجلة « الثقافة المغربية » : العدد السابع ·

❋ ❋

ومن المنشورات القديمة :

53) « أول مدرسة أسست بالمغرب » ··· ملحـــق جريدة المغرب للثقافة المغربية : العدد 8 ، الخميس 3 ربيع الاخر عام 1357 = 2 جوان 1936 ، ص 120 وهو أول مقال نشرته فى محاولات البحث التاريخى ·

54) « تاريخ الراية المغربية » ، نشر — تباعا — بجريدة الرأى العام : اعداد : 31 و 34 و 35 عام 1367 هـ = 1947 م·

55) « علاقات المغرب بالشرق » ، نشر طرف يسير منه فى جـــريدة الرأى العام ··· السنة الخامسة ، اعداد : 219 ، 220 ، 221 ، 222 ، عام 1371 = 1951 ، ومعظمه ضاع اثنـــاء سنة 1954 م ضمن أبحاث ومؤلفات أخرى مخطوطة ·

56) « مركز المغرب فى الشمال الافريقى » ··· جريدة «الرأى العام»: اعداد 662 و664 و 667 ، عام 1377 = 1957 ·

* — *

ثانيــا : فى أسرار التشريع الاسلامى :

57) « مقاصد التشريع الاسـلامى » · مجلة « دعوة الحق » : العدد الثامــن ، السنة الثانية ص 26 ــ 33 ، قعدة 1378 = مــاى 1959 ·

58 « اسرار الصيام الروحية والمادية » ... مجلة دعوة الحق : العدد الخــامس ، السنــة السادســـة ص 34 ــ 37 ، رمضان 1382 = فبــراير 1963 ·

وعن هذه المجلة نشرته مجلة ، الخرطوم ، التى تصدرها وزارة الاعلام والعمل بجمهورية السودان ، عدد يناير 1966 ، الموافق 9 رمضان 1385 ، ص 68 ــ 71 ، فى باب : «من صحافة العالم »

وقد كان نفس المقال ــ ايضا ــ أول مجموعة احاديث رمضان الاذاعية ، لــعام 1381 هـ ــ ص 2 ــ 7 ، نشــر وزارة الاوقــاف المــغربية ·

59) «هــدى الاسلام فى التربية والتعليم »مجلة الايمان : العدد 7 و 8 «مزدوج» : السنة الاولى ص 81 ــ 85 ، مــحرم وصفر 1384 = يونيه يولــيوز 1964 .

60) «موقف الاسلام ازاء الضوائق العامة» ··· مجلة «دعوة الحق»، السنة الثالثة ، ص 15 ــ 17 ، شوال 1379 = ابريل 1960 ·

الفهرس العام

الفهرس المفصل

١٢ — الترجمة الى العربية

١٣ — موضوعات فلكية جديدة :

١٩ — مثقفون يتاثــرون

بالنهضة الغربية الحديثة

٢٠ — مواقف ضد الامتيازات

الاجــنبيــة

٢١ — توجيهــات حول

تنظــيم الجيـــش

فهرس الاخطاء والتصويبات

ص	س	خ	ص
2	5	الجديد	الجديدة
4	13	1223	1243
5	2	وستجد	وسنجد
6	8	ودولة	ودول
7	6	1843	1844
9	22	استقلاله	فى استقلاله
10	13	الغالية	الغالبة
11	7	المزراية	المرزاية
13	2	تمخضاً	تمخضا
13	21	حرب	أن حرب
14	12	الغيرية	الغيرة
14	24	ورائهم	وراءهم
15	22	تعلقى	تعلق
16	14	مهنم	منهم
23	5	عيرهم	غيرهم
23	21	وخلوا	واخلوا
24	4	المقدمة	المتقدمة
24	19	تغض به الساسب	تغص به السباسب
25	9	تلاقت	تلافت
25	17	ومالاً	ومالا

ص	س	خ	ص
25	26	الوسط	فى الوسط
26	21	مغاض	مغاظ

27 سقط بعد السطر الرابع هذه الفقرة :

« ولنفس السبب سنرجىء للطـور الثانى ـ مرة أخرى ـ عرض الحركات التعليمية الاولى التى انبثقت مع الطور الاول »

ص	س	خ	ص
27	10	وأجو	وأرجو
27	10	اليسيرا	اليسرا
27	24	272	271
29	11	تنطيم الجهاز ...	1 ـ تنظيم الجهاز ...
29	26	المغرب	المعرب
31	9—10	أحماد · ايام	احمادايام
33	3	بطاقا	بطائق
34	13	اصلاحات جوهرية على	اصلاحات على
35	26	بن الغسال	بن محمد الغسال
36	23	والسلام	وسلام
39	9	وعلمه	واعلمه
39	25	1316	1312
42	13	فى غيره	وفى غيره
42	21	بطش	بطيش
44	7	1315	1310
45	21	وكل لزم	وكل ما لزم
47	9	مصرف	مصر

ص	س	خ	ص
51	13	الامامة	والامامة
55	2	تناوله	تناول
55	18	صحيفة	صفحة
59	2	الحاج الزروالى	الحاج محمد الزروالى
62	12	امنـــا	أمناء
65	11	ومـــا	وامـــا
65	18	هواد	عواد
65	24	المزدوج	المزدج
66	22	عبد الوكيلى	عبد الله البوكيلى
67	25	وأما طلبته	وأما ما طلبته .
67	26	البنقة	البنيقة

69 وقع تصفيف عكسى للسطرين : السادس والسابع ، وتصويبه أن يقرأ السطر السابع سادسا ، والسادس سابعا .

ص	س	خ	ص
69	14	يمنة	يمنته
69	18	تحليط	تخليطه
69	19	835	830
71	2	سجن	لسجن
72	7	25	5 ، 2
73	5	فيها أول	فيها الى أول
75	20	البنت	البـــنب
77	20	الآلـــة	الآلات
80	5	ماهو	ها هو
81	14	فسفاط	فسطـــاط

ص	س	خ	ص
86	7	شرعيان ، ونصف درهم	شرعيان ونصف درهم
87	5	وأول ذلك	ومن ذلك
94	10	وظيفة	وظيفته
102	13	بن جلون	ابن جلون
102	23	التأليف	لتأليف
108	17	المعنيين	المعينين
116	13	الجاهدية	الجهادية
128	2	كعاب	جعـــاب
142	19	فنون حربية	فنون « كذا » حربية
145	8	كتاب	كـــتب
149	13	ظرهت	ظهرت
169	14	أهمها	أهمهما
176	26	2 — 2	202
177	22	بادراج الثلاثمائة	بادراج الدور الثلاثمائة
192	16	تلفيف	تليـــيف
195	6	علوها	عليـــتها
200	23	يوخذ من	يوخذ هذا من
201	18	الركيم	الكريم
206	12	لوى نه	لوطنه
208	20	العلمية	العليـــة
210	27	الخلى	الخليلى
213	3	ابن	بـــن
214	24	طبعة	طبعه

ص	س	خ	ص
217	17	فادرين	قارين
220	22	ابن	بـــن
224	8	ان ب	ابن
228	16	المهندين	المهتدين
241	10	مرضاته ·	مرضاته ···
242	24	وللمتعلين	وللمتعلمين
243	9	فينفض	فينتقص
246	6—5	وثمن 600 رملة ···	وثمن رمله مكناسيةلحك الحجر ومحوه : 600
246	20	وفى ربيع	وفى 29 ربيع
247	20	ما بيده	ما وجد بيده
254	25	1898	1897
255	16	ظهر المترجم	ظهر تأثرا لمترجم
258	22	نونبـــر	6 دجنبر
270	10	حروبه	معروفـــة
271	13	بعيـــد	بعيـــدا
273	3	استنفـــز	استنفر
278	5	محمد	أحمد
280	11	النقـــذ	النقـــد
301	16	المخطط	المخطوط
303	23	ينبغى	ينبنى
304	11	مقرة	فقرة
315	13	الملمئون	المئون

figurant sur des monuments historiques. Et pour le besoin j'ai justi tifié le contenu et la validité du texte, soit par le biais des archives, soit par d'autres textes à travers lesquels j'ai complété mon étude, afin que le lecteur ou le chercheur soit aussi satisfait que possible et disposera des références qu'il jugera nécessaires.

Rédigé à Rabat, le Vendredi 29 Choual 1392 – 1er décembre 1972.

L'Auteur,

Traduit de l'Arabe au Français par

MENOUNI Fouzia.



fit son apparition dans le rang des savants et érodits, c'est ainsi que certains d'entre eux se sont lancés dans la création littéraire - afin de rivaliser les apports étrangers - et ceci tantôt en matière d'organisation militaire et administrative, tantôt pour faire l'appel au combat ; d'autres furent fortement influencés par les connaissances et les sciences modernes. Cette activité n'était pas l'exclusivité des hommes de sciences, mais fut accompagnée d'un début de presse arabe pour la première fois au Maroc, et d'une participation massive des hommes de lettres au renforcement d'un tel courant, notamment à la suite d'une initiative de l'opposition populaire.

C'est pourquoi j'ai accordé une importance à un tel sujet en le cernant de près, d'autant plus que j'ai déjà publié un certain nombre d'articles - à ce propos - dans des revues marocaines en langue arabe, je n'ai d'ailleurs point modifié le fond de ces derniers, par contre j'ai introduit quelques modifications dans le contenu et l'ordre des idées en les enrichissant d'éléments dépassant ainsi le tiers de ce premier tome ; j'ai aussi porté beaucoup d'intérêt quant à la suite et l'harmonie des études publiées dans les revues et reprises dans ce premier tome et ceci afin de leur donner l'aspect d'un ouvrage.

En outre j'ai veillé à ce que certaines recherches faites auparavant par d'autres auteurs, ne constituent pas l'importance majeure de cet ouvrage, je me suis contenté d'en faire une source de références pour le lecteur. Par contre j'ai déployé le maximum d'efforts afin de mettre en vedette - après être restées longuement ignorées - des études nouvelles qui constituent d'ailleurs la quasi-totalité des matières traitées dans ce tome.

En ce qui concerne la documentation, j'ai été amené à consulter des bibliothèques aussi bien privées que publiques et quelquefois même - à défaut d'ouvrages - certaines transcriptions et gravures

PREFACE

Avec l'avènement du 19è siècle, le Maroc a connu un courant innovateur, courant qui bien que de portée limitée, diverses couches populaires y participèrent à côté des dirigeants.

Aussi, je me suis astreint d'exposer dans ce premier tome tous les renseignements épuisés à travers ma documentation relative à ce courant, et ceci sans aucune discrimination entre les partis ayant contribué par le biais de ce dernier, en vue de donner naissance à un Maroc moderne.

C'est ainsi qu'après s'être largement influencé du modèle turc et de l'Orient arabe, le rôle du pouvoir à cette époque visait des tentatives d'introduction de certaines réformes quant à la situation générale que vivait le Maroc du 19è siècle.

Aussi a-t-on vu des réformes officielles toucher l'appareil administratif, la défense, l'économie et les communications à quoi il faut ajouter un foisonnement d'Etudes de certaines sciences tels que les mathématiques, l'astronomie, l'art militaire, ce mouvement culturel a donné lieu au départ de délégations marocaines en vue de poursuivre des études soit en Egypte, soit en Europe. A côté de ce développement des sciences précitées, d'autrs activités culturelles ont vu le jour voire des essais d'interprétariat et de traduction dans la langue arabe, l'invention de nombreux appareils astromiques, l'apparution d'ouvrages en matière d'astronomie et de sciences mathématiques, basés sur les théories modernes de raisonnement, l'imprimerie arabe fut introduite pour la première fois au Maroc.

Par ailleurs un autre courant ayant revêtu un aspect moderne

MOHAMMED AL-MANOUNI

LES ASPECTS DU DEBUT DE LA RENAISSANCE DU NOUVEAU MAROC

TOME I

IMPRIMERIE OMNIA
RABAT 1973